

الدُّرَّةُ الْخُسْرَى

سِرِّح

إِلْيَاقُوتُ الْفِرْدَوْسِ

للمزنب الضعيف الراجي تسعة عفو مولاة اللطيف

محمد فتاح بن عبد الواحد السوسي النظيف

عامله الله وأهل الإيمان بالعفو والغفران

بجاه سيد الأكوان صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ما اختلف الملوان آمين

الجزء الثاني

الطبعة الأخيرة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَهُ
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[فصل في بعض الآداب المطلوبة من الإخوان]

وفي البغية : لا ريب أن حقوق الصحبة والأخوة وآدابها من أعظم الحقوق وأكد الآداب إذ هي العصمة في سائر السير والسلوك إلى حضرة رب الأرباب ، وخصوصا في طريقنا هذه الأحمدية النجانية لقول سيدنا رضى الله عنه : من ابتلى بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله تعالى بتضييع الحقوق الإلهية . وقد سمعت بعض أصحابه رضى الله عنه يقول : سمعت سيدنا ومولانا الشيخ رضى الله عنه يقول : إنى لكثيرا ما أهتم بوضع مؤلف في آداب الطريق تنبيههم رضى الله عنه على أن الآداب من أهم المهمات وأكدها في الطريق وأن من تمسك بها فيها فقد تمسك بالسبب الأقوى والحبل الوثيق انتهى . وفي [شب] قال ابن القاسم : خدمت مائة وعشرين سنة فكانت ثمانية عشر منها في تعليم الآداب وستان منها في تعليم العلم فليتنى جعلت المدة كلها في الأدب ، ورحم الله من قال :

جلسة مع أديب في مذاكرة أنقى بها الهم أو استجلب الطربا
أشهى إلى من الدنيا وزخرفها وملئها فضة وملئها ذهبا انتهى

وأخبرني من أثنى به أنه لما وصل هنا في لسخ المبيضة أثنى في روعه^(١) أن منيع الآداب كلها قوله تعالى : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وقوله : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية ، فمن تمسك به اتين الآيتين الشريفتين فقد حاز قصبة السبق في الآداب ومن حاد عنها فهو بمنزل من ساحة الآداب ، وهما القسطاس المستقيم والمنهج القويم لكل أخ صادق وحبيب فائق : وعن محمد ابن أسلم رحمه الله أنه قال : أصل الإسلام في هذه الفرائض ، وهذه الفرائض في حرفين : ما قال الله ورسوله افعل ففعله فريضة ينبغي أن يفعل ، وما قال الله ورسوله لا تفعل فتركه فريضة ينبغي أن ينتهى عنه اه . فما أبيع افعل ودع ما لم يبيع . وفي [عف] روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أدبى ربى فأحسن تأديبى » فالأدب تهذيب الظاهر والباطن ، فإذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا ، وإنما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على أشياء ، ولا يتكامل الأدب في العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ، ثم قال : وفي لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى »

(١) بضم راه كقول: القلب اه .

ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، قال يوسف ابن الحسين : بالأدب يفهم العلم ، وبالعلم يصح العمل ، وبالعلم تنال الحكمة ، وبالحكمة يقام الزهد ، وبالزهد تترك الدنيا ، وتترك الدنيا يرغب في الآخرة وبها الرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى اهـ وفيه عن ابن المبارك : أدب الخدمة أعز من الخدمة قال تعالى - ليلوكم أيكم أحسن عملا - وفيه عنه أيضا من تهاون بالأدب هو قب بحرمان السنن ، ومن تهاون بالسنن هو قب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض هو قب بحرمان المعرفة . وفيه عنه : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم ، وقال أيضا : الأدب للعارف بمنزلة للتوبة للمستأنف : وفيه عنه : قد أكثر الناس في الأدب ونحوه نقول هو معرفة النفس ، وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجهالات وترك الأدب من غامرة الجهل ، فإذا عرف النفس - ادفع نور العرفان على ما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وفيه قال ابن عطاء الله : النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب ، والنفس تجري بطباعها في ميدان المخالفة والعبد يردّها بجهد إلى حسن المطالبة ، فمن أعرض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس وخفل عن الرعاية مهما أعانها فهو شريكها . وقال الحنيد : من أعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه ، لأن العبودية ملازمة الأدب ، والطغيان سوء الأدب اهـ . وفي [غ] قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه في قوت القلوب : معناه أي معنى الحديث السابق وهو : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » إذا عرفت صفات نفسك في معاملة الخلق وأنت تكره الاعتراض عليك في أفعالك وأن يعاب عليك ما تصنع عرفت منه صفات خالقك ، وأنه يكره ذلك فارض بقضائه وعامله بما تحب أن تعامل به . وفيها : وما أحسن قول بعضهم في الأدب : الأدب أن يؤدب العبد ظاهره وباطنه ، أما ظاهره فبالشريعة بأن يتبع السنة قولاً وفعلًا ، وأما باطنه فبالحقيقة بأن يرضى بما يرد عليه من الله ويتلقاه بالقبول ، ويرى أن الكل نعمة عليه من الله تعالى إما عاجلة وإما آجلة ، فالعاجلة بلوغ النفس بحبوباتها عاجلة ، والآجلة كأنواع المضار والمكاره فإنه يذاب عليها آجلا ويحط بها عنه من خطيئاته ، فهي نعمة بهذا الاعتبار اهـ . وصاحب هذا الأدب هو الخصوص برؤية النعم في طي النقم فيرى نعم الله تعالى عليه ظاهرة وباطنة اهـ . وفي [عف] أيضا عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام « ما نحل والد ولدا من نحلة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » اهـ أي بأن يعلمه الآداب الشرعية الواجبة والمندوبة ويحثه على مكارم الأخلاق ، وأما تحسين الموضع بأن تكون أمه ذات دين من أصل طيب وأن يكون موضع إقامته يسهل فيه تحصيل القرآن والعلم لكثرة القراء والعلماء : وفي [جص] « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسياسة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيبا » وفيه « حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يزوجه إذا أدرك وأن يعلمه الكتابة » انظره . وفي [نخل] وكتب عمر رضي الله عنه لأهل حمص « علموا أولادكم السياسة والرماية والفروضية والاحتفاء بين الأغراض ، وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعدوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الأغراض ، وإياكم وليامس العجم : البسوا الأزر والأردية وألقوا السراويلات واستقبلوا

حر الشمس بوجوهكم فإنها شامات العرب ، واطرحوا الخفاف والبسوا النعال اه . وروى عليكم بالليسة الملعبة ، قال رحمه الله :

(وَعِنْدَ اللَّقَا تَصَافَحُوا دُونَ كَلْفَةٍ بِدَشٍّ وَرُحْبٍ دُونَ قَبْضٍ عَبُوسَةٍ)

(وعند اللقاء بكسر اللام ممدود وقصره للوزن أو بضمها مع القصر كهدي كلاهما مصدران للقي (تصافحوا) وفي [س] المصافحة الأخذ باليد كالتمصيح اه : وسئل أبو ذر رضى الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم ؟ قال ما لقينته قط إلا صافحتني ، وبعث إلى ذات يوم ولم أكن في أهلي فلما جئت أخبرته أنه أرسل إلى فاتيته وهو على سريره فالتزمتني وكانت تلك أجود : وأجود : وعن أنس رضى الله عنه « إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده يصافحه تنأثرت خطاياهما كما يتأثر ورق الشجر » وروى الطبراني « إن المسلمين إذا التقيا وتصافحا وضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه لا يفعلان ذلك إلا لله لم يتفرقا حتى يغفر لهما » وفي [جص] « كان إذا لقي أصحابه لم يصافحهم حتى يسلم عليهم » أى فيندب تقديم السلام على المصافحة . وفيه « كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذى ينصرف عنه ، وإذا أتته أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذى ينزع يده منه ، وإذا لقي أحدا من أصحابه فتناول أذنه ناوله إياها ثم لم ينزعها عنه حتى يكون الرجل هو الذى ينزعها عنه » وفيه « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمد الله واستغفرا غفر لهما » وفي رواية « قبل أن يتفرقا » وفيه « إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا بصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة » وفيه « إذا اصطحب رجلان مسلمان فحال بينهما شجر أو حجر أو مدر فليسلم أحدهما على الآخر ويتبادلا السلام » وفيه « تمام تحيتكم بينكم المصافحة » أى مع حمد الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم والدعاء له ولنفسه ولأخيه بالمغفرة لحديث « ما من مسلمين يلتقيان ويتصافحان ويصليان على لا يفترقان حتى يغفر لهما ما تقدم من ذنوبهما وما تأخر » وفيه « تصافحوا يذهب الغل عن قلوبكم » وفيه « قبلة ^(١) المسلم أخاه المصافحة » أى فالمصافحة قائمة مقام القبلة لأن المصافحة مشروعة والقبلة غير مشروعة إلا لنحو والد وشيخ . وفيه « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان » وفي رواية ابن السني « ويتكاثران بود ونصيحة إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » قال الحنفى : ويؤخذ من قوله « يلتقيان » أن المصافحة بعد صلاة الصبح أو للعصر مثلا بدعة لكن لا بأس بها ، وكذا المعانقة مع تقبيل نحو الرأس بدعة لا بأس بها لأن ذلك أبلغ في الود . وقد قال بعض الصحابة « أيقظ أحدنا أخاه إذا لقيه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، فقال أيعانقه ويقبله ؟ فقال : لا ، فقال أيصافحه ويسلم عليه ؟ فقال : نعم » وذكر الحديث . وأما الانحناء كالركوع فنهى عنه وإن قصد تعظيمه كتعظيم الله فهو كفر اه . وثبت أن ما يدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين قال لمن قبل الأرض بين يديه كفرت قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأمره بتجديد الشكاح ، لأن نكاحه فسخ بذلك لأنه ردة والعياذ بالله ، وأنه قال مثل ذلك لامرأة قبلت الأرض بين يديه

(١) قبلة بضم قاف كعرفة: بمعنى التقبيل .

وفي غنية الأصحاب :

تقبيل قبر منبر ضريح يجوز أو يكره في التصحيح
أما سجدتهم على الجباه في الأرض فالكفر بلا اشتباه

وفي [خل] وينبغي له : أي للعالم أن يمنع ما أحدثوه من المصافحة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة الجمعة بل زاد بعضهم في هذا الوقت فعل ذلك بعد الصلوات الخمس وذلك كله من البدع ، وموضع المصافحة في الشرع إنما هو عند لقاء المسلم لأخيه لا في أدبار الصلوات الخمس ، وذلك كله من البدع فحيث وضعها الشرع نضعها فينبى عن ذلك ويرزجر فاعله لما أتى من خلاف السنة انظره . وعمل النهي والزجر إن ظن الإفادة ولم يترتب على ذلك مفسدة أعظم وإلا فلا لحديث « إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله هو الذي يغيره » اه قال تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

[تنبيه] التسليم بالإشارة بانكف أو بالأصابع من تسليم أهل الكتاب . وفي [جص] « ليس منامن تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود بالإشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالأكف » وفيه « تسليم الرجل بأصبع واحدة يشير بها فعل اليهود » اه قال العزيرى : فيكره الاقتصار على الإشارة بالتسليم إذا لم يكن في حالة تمنعه من التكلم اه يعنى كالصلاة وإن لا فلا كراهة . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصافح إخواننا عند اللقاء ولا تترك ذلك إلا لضرورة كأن لم يرض من تصافحه أن يصافحه لفخامته كالباشا ثم قال : أو لجهل وغلظة كعند السلطان ثم قال وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : الحكمة في المصافحة استجلاب اللود والتعاهد كأن كلا منهما يقول لصاحبه أنا معك في جميع ما تريد من الخير ، فإن صورة المصافحة صورة العهد ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يصافح أحدا إلا ويشد على يده فيشايكه إشارة لقوة التلازم ، فاهل ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك اه . وانظر ما عمت به البلوى والعياذ بالله جل طلبة العلم من حسم مادة المصافحة بينهم وبين أشياخهم جهلا منهم بالسنة وزعما منهم أن ذلك من حسن الأدب ، وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصافح كل من لقي من أصحابه قال تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - الآية ، وروى ابن السنى عن أنس رضى الله عنه قال « ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد رجل ففارقه إلا قال اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » اه (دون) أى من غير (كلفه) بضم الكاف ما تكلفته من نائبة أو حق : أى من غير إظهار ما فيه كلفة ومشقة من تملق وقصنع وتركبة فإن ذلك مدموم شرعا وطبعيا . وفي [خل] سيما إن انضاف إلى ذلك : أى إلى القيام للغير مالا ينبغي من الكلام المعتاد في سلام بعضنا على بعض من التملق والتزكية والإيمان بوجود المحبة وحلول البركة وإحشاء الرأس وركوعه بل يقرب بعضهم من السجود ، بل يفعلونه لبعض كبرائهم ومشايخهم أعاذنا الله من بلائه بمنه . وقد روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : « سمعت رجلا يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله : الرجل منا يلقى أخاه وصديقه أينحنى له ؟ قال لا قال : أفيلترمه ويقبله ؟ قال : لا . زاد ابن رزين إلا أن يأتي من سفره » انظره . روى الطبرانى عن أنس رضى الله عنه قال « كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا تلاقوا تصافحوا وإن قدموا من سفر تعانقوا » اه ثم قال : فإن وقع منا السلام أى عند القيام للغير كان قولنا صبحك الله بالخير . مساك الله بالخير . يوم مبارك ليلة مباركة . وذلك كله من البدع والحوادث . إن كان دعاء والدعاء كله حسن ، لكن إذا لم يصادم سنة كان مباحا أو مندوبا بحسب

الواقع والنية ، وأما إن صادم سنة فلا يختلفون في منعه لأن علماءنا رضى الله عنهم قد اختلفوا في البدع هل تمنع مطلقا؟ وهو مذهب مالك وأكثر أهل العلم أولا تمنع إلا إذا عارضت السنن وهو مذهب الشافعي ومن تبعه ، وهذا من القسم الذي عارض سنة لأنه ترك السلام للشرعى وأحل القيام والدعاء محله ولا قائل به من المسلمين ، فإن قال العالم مثلا أنا أفعل ذلك بعد السلام فجوابه أن العوام يقتدون به في البدع وهم لا يعرفون السنة فيظنون أن تلك هي السنة التي ارتكبوها انظروا ، بل صار السلام عند الملاقاة نسيا منسيا ونهد وراء ظهرها وبقيت ألفاظ منمقة وأدعية مزوقة بالسنة ملقة^(١) وأذهان حنقة - إنا لله وإنا إليه راجعون - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا آمين .

وفي [جلد] أوصاني شيوخى رضى الله عنه وقال : لا تقم لأحد من الإخوان وغيرهم إلا أن لا تعلم من نفسه الميل إلى ذلك فإنك إذا قت له حينئذ كبرت نفسه بغير حق وأسأت في حقه من حيث لا يشعر هو ، فقلت له ومن أين لي العلم بذلك وحسن الظن واجب بالمسلمين ؟ فقال رضى الله عنه عند حسن الظن لا علم فقم له إكراما ولو كان في الباطن بخلاف ما ظننت وأمرك بمحمول هناك ، فقلت له فإن كان مشهدي أنى دون كل الخلق في الرتبة ؟ فقال رضى الله عنه : صاحب هذا المشهد يقوم لكل وارد عليه من عصاة هذه الأمة لأن الناس كلهم عنده أهل فضل عليه والقيام لأهل الفضل مطلوب لاسيما إن حصل بذلك جبر خاطر أخيك المحجوب وقد بلغنا أن سيدي مدين رضى الله عنه امتحن مرة الشيخ عبادة وكان من أعيان المالكية وكان يحط على سيدي مدين ، فدهاه سيدي مدين في يوم جمع للناس ليحضر وقال للناس إذا جاء الشيخ عبادة لا أحد يقوم له فلما جاء فعل للناس معه ذلك ، فوقف عند النعال وضاعت على نفسه الدنيا بما رحبت ، ثم إن سيدي مدين رفع رأسه فرأى الشيخ عبادة واقفا فقام له وأجلسه بحننه ، ثم قال ما عندكم من العلم فيمن يقوم للمشركين وهو آمن من شرهم ؟ فقال هو حرام ، فقال له سيدي مدين : الله عليك ما تكلمت لعدم قيامنا لك ؟ فقال نعم ، قال تريد أن تقوم لك كما تقوم لله في الصلاة ، فتأبى الشيخ عبادة ولزم الشيخ إلى أن مات وكان يقول : ما دخلت في الإسلام حقيقة إلا من حين صحبت سيدي مدين رضى الله عنه اهـ (بش) بفتح موحدة طلاقة الوجه والإقبال على الأخ والضحك إليه وفرح الصديق بالصديق . وفي (عف) ومن أخلاق الصوفية البش وطلاقة الوجه ، الصوفى يكاؤه في خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس : وفيه عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك في أناء أخيك » وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيرى : يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحك فأما من تلقاه بالبشر وبلقائك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله في القراء مثله اهـ . وفي [جص] « إن الله يحب السهل الطلق » قال العزبى : أى المتهلل الوجه البسام لأنه تعالى يحب من تخلق بشىء من أسمائه وصفاته ، ومنها السهولة والطلاقة لأنهما من الحلم والرحمة ، ورحم الله من قال :

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق

وفيه « اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في أناء المستسقى وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من الخيلة ولا يحبها الله ، وإن

(١) بفتح ميم وكسر لام : من ملق الرجل أعطى بلسانه ما ليس في قلبه اهـ .

أمرؤ شتمك وعيرك بأمر هو فيك فلا تغيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبن أحداً ، وفيه « إن في الجنة أعمداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدرى يسكنها المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون في الله » قال الحنفى : أى تلاقى بشاشة وود ومصافحة ، وسلام لأجل الله تعالى اه. وفى [حى] وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يفتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين اه. وقال بجاهد : المتحابون في الله إذا التقوا فكشروا بعضهم إلى بعضهم تحانت عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس اه وكشروا كضرب تبسم (ورحب) بضم الراء من رجب ككرم وسمع اتسع والمراد اتساع الصدر وانتشراحه عند ملاقة أخيه ومصافحته ليوافق باطنه ظاهره فإن الإخلاص في الأخوة استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والعمر والعالية والجماعة والخلوة ، ومن لم يكن مخلصاً في إخوته فهو منافق فيها ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فلا تقطع أولى من المؤاخاة ، ومن أراد أن يعرف محبة شخص له فليظفر إلى محبته هو له في قلبه ، ورحم الله من قال :

سلوا عن مودة الرجال قلوبكم فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا
ولا تسألوا عنها العيون فإنها ^(١) أقرت بشئ لم يكن داخل الحشا

وفى [شب] ومن جملة بر الإخوان المصافحة كلما لقيهم لما في الحديث « إذا تصافح المسلمان لم تفرق أكفهما حتى يغفر لهما » ومن جملة برهم ملاقاتهم بالترحيب وطلاقة الوجه لما في الحديث « إن للقادم دهشة فلقوه بالترحيب » وفى آخر « إذا أتاكم الزائر فأكرموه » وفى آخر « أهد ^(٢) المودة لمن وادك فإنه أثبت » وفى آخر « إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله » أى فإنه أبقى للألفة وأزيد في المودة وأدوم للصدقة (دون قبض) أى من غير وجود انقباض في الباطن فضلاً عن الظاهر ، وفى [حف] ومن أدبهم في الصحبة رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط : نقل عن الشافعى رحمه الله أنه قال : الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المتقيض والمنبسط اه : أى لأن خير الأمور أوساطها ومن غير وجود (عبوسة) من عبس وجهه كالح وتكشر. وفى [حص] « إن الله يبغض العابس في وجوه إخوانه » قال الحنفى : أى ويحب البشر من الإنسان في وجوه إخوانه لأنه يورث التحبب بين الناس ، انظره. وفيه « من نظر إلى أخيه نظرة ود غفر الله له » وفيه « نظرة الرجل لأخيه على شوق خير من اعتكاف سنة في مسجدى هذا » اه. وفى [نحى] قال الفضيل : نظر للرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة اه. وروى « من نظر إلى أخيه المسلم نظرة بخيفة بها في غير حق أخافه الله يوم القيامة » اه. قال رحمه الله :

(وَعِنْدَ افْتِرَاقٍ يَجْمَعُ كَالْوِظَيفَةِ وَلَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيمِ أَزْكَى تَحِيَّةٍ)

(و) تصافحوا أيضاً (عند افتراق يجمع) كمقعد ومجلس موضع الجمع : أى أهله ، وفى نسخة : وعند انصراف الناس في (كالوظيفة) ونحوها من كل محل يجتمع فيه الإخوان فكما يطلب منهم السلام والمصافحة عند الالتقاء والاجتماع فكذلك يطلبان منهم عند الافتراق بلا نزاع. وفى [حص] « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس » ثم إذا قام فليسلم وفى رواية أبى ذؤاد

(١) فى نسخة : تشير لىء ضد ما أصرا الحشا . (٢) من الابتداء كالإظهار وزنا ومعنى اه .

« فإذا أراد أن يقوم فليسلم وليست الأولى بأحق من الآخرة » قال الحنفى : ويجب عليهم الرد : أى لأن السلام الأول معناه أمتكم من شرى حال حضورى فبسن السلام عند الانصراف ليؤمنهم من شره حال غيبته هل أولى ، انظره . وفيه « إذ ادخلتم بيوتا فسلموا على أهلها فإذا خرجتم فأودعوا أهلهم بسلام » قال العزيرى فيندب السلام عند ملاقة المسلم وعند مفارقتة بدلا للأمان وإقامة لشعائر أهل الإيمان اهـ . وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم سلم ثلاثا » . وفى إرشاد السارى معناه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أتى على قوم سلم عليهم تسليمته الامتثان ، وإذا دخل سلم تسليمته التحية ، ثم إذا أقام من المجلس سلم تسليمته الوداع ، وكل سنة اهـ . وعليه فافعله الإخوان الأحاديث أصلح الله حالهم ومآلهم من المصافحة عند الانصراف من الوظيفة اهـ مستند وأصل في السنة ، لكن ينبغي لهم رضى الله عنهم وعنا بهم آمين أن يفتتحوا المصافحة بالسلام ، لأنها من تمامه وهى فرع منه ، ولا ينبغي الاقتصار على المصافحة دون السلام كما عمت البلوى بذلك اليوم فليقتنه لذلك بالقول أو بالفعل أو بهما معا ، ولذا قال رحمه الله (ولا بد) أى لا مندوحة ولا سعة (من تقديم أركب تحية) على المصافحة عند الملاقاة وعند المفارقة قال تعالى - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - ومضى لقيت أخاك أو أردت مفارقتة فقل : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ثم صافحه ، وقل : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم اغفرلى ولأخى هذا والمسلمين أجمعين ، وأخير أى صيغة شئت وإن زدت - ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار - وقرأة سورة العصر فإن السلف الصالح بها يختمون مفارقة الإخوان وموادعتهم ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . قال رحمه الله :

(وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا تَتَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا خَرَقَةً)

(ولا تدابروا) من التدابر وهو التقاطع والتهاجر مأخوذ من تولية الرجل دبره : إذا عرض عنه حين يراه . وفى الحديث « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » وفى رواية « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » وفى سنن أبى داود « فن هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار » وفى مسلم « تعرض الأعمال فى كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا ، إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا » وروى الطبرانى رحمه الله « يطالع الله تعالى إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » اهـ (ولا تتقاطعوا) عطف تفسير : وفى [جص] « لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » أى لا تباغضوا إلى آخره بخلاف إحدى الثمانين ، وفيه « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك » قال العزيرى : ومعنى كونوا إخوانا اكتسبوا ما نصيرون به كإخوان النسب فى الشفقة والمحبة والرحمة والمواساة والمعاونة اهـ . وفيه « المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » اهـ . قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وفى [عف] وإذا وجد من أحدهما ما يوجب التقاطع فهل يبغضه أولا ؟ اختلف القول فى ذلك ، كان أبوذر يقول : إذا انقلب مما كان عليه أبغضته

من حيث أحببته : وقال غيره : لا يبغض الأخ بعد الصلابة . ولكن يبغض عمله قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم - فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون - ولم يقل إني بريء منكم . وقيل : كان شاب يلزم مجلس أبي الدرداء وكان أبو الدرداء يميزه على غيره فابتنى الشاب بكبيرة من الكبار وانتهى إلى أبي الدرداء ما كان منه . فقيل له لو أهدته وهجرته فقال : سبهان الله لا يترك الصاحب بشيء كان منه ، انظره . وفي [غ] أثر هذا النقل والذي عليه المحققون ويمكن أن يكون كالجمع بين القولين السابقين التفصيل فيما يظهر من موجب البغض ، فإن كان الموجب فساد عقيدة وسوء ظن وفسخ عهد عمدا بانقلاب عن الحالة الأولى جهارا بإبداء العداوة والتجاهر بالخالفه والعياذ بالله تعالى فإن صاحب هذا الحال يجب هجره وإبعاده موافقة للمعنى فيه لا احتقارا له . وعليه يحمل قول أبي ذر رضي الله عنه أبغضت من حيث أحببته فلا خير في موالاته إلا إذا تاب ورجع نادما مستغفرا مستقيلا معترفا منكسرا ، وإن كان الموجب ارتكاب ذنب لا يرضاه ربه والنهس بشيء مما يشينه عند الناس ملاسته وقربه ، أو عثرة حدثت أو هفوة وقعت وكان بحيث ترجى توبته وتوقع فينته ، فهذا لا ينبغي أن يعامل بالبغض لذاته . ولكن يبغض فعله وما تلبس به من عوارض هفواته ، ويلحظ مع ذلك بعين الوداد وينتظر له الفرص والعود إلى مواطن الصالح من مواطن الخفاء والبعاد ، وهذا هو الذي يجب على أخيه أن يعامله بجميع ما تقدم ذكره ، وأن يتحفظ غاية التحفظ من أن يغير عليه باطنه وسره ، وأخرى أن لا يشتمه مشافهة أو يعبره بفعله مواجهة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن شتم الرجل الذي أتى بفاحشة : مه لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيك . وقال إبراهيم النخعي : لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب الذنب فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ، وخصوصا إذا كان هذا الأخ الذي صدرت منه هذه العثرة أودهمته هذه الفترة ممن تقدمت له بممارسة بالطريق وإشراف على مدارج الأذواق والتحقيق فإنه تجب معاماته بالإخفاء ومزيد البرور والإرضاء ، وفي الخبر : اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فينته . اه وما ذكره رضي الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه هو المصير إليه عند كل لبيب ونبيه : وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نشاجر أحدا من المسلمين ولا نهجره ولا نلذبه إلا بوجه شرعي ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى طول مجاهدة وسلوك على يد شيخ صادق ليخرج به من حضرات رعونات النفوس ويدخل به إلى حضرات الصفاء ، ثم قال : ولو لم يكن إلا أن من ارتكب شيئا من هذه الأمور لا يرفع له إلى السماء عمل لكان فيه كفاية فإن الشارع ألحق أعمالنا بأعمال الكفار في عدم رفعها مادامنا متشاحنين ، وقد عم هذا البلاء غالب الخلق حتى بعض العلماء ومشايخ الزوايا وصار أحدهم لا يحب لأخيه خيرا ويشتم بمصيبته ، انظره .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تفرخ بشماتة أخيك فيعافيه الله ويبتليكه وفيه أيضا أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نشمت قط بقتل عدو من المسلمين لاسيما إن قتل بغير حق ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من المسلمين فيفرحون إذا نزل عدوهم من المسلمين ، ومن وقع له ذلك فلا بد أن يقع في مثل ذلك ويشمت فيه الناس كذلك ، وقد جرب أنه ماسى أحد في قتل عدو إلا وألقى الله تعالى عليه الهم والغم حتى إنه لا يبتها بعده بأكل ولا نوم حتى يموت بعده بقليل ، ثم قال : وقد رأينا جماعة من ملوك الجراسمة سعوا في قتل عدوهم فقتلوا كلهم بعده بقليل ، فإياك يا أخى أن تسعى في قتل نفس أو تشمت بقتلها والله غفور رحيم اه (وكونوا) أيها العصاة الأحمدة التجانية الحمدية جبر الله

حالتنا وحالكم وأصلح ما لنا وما لكم آمين (عباد الله) على حذف ياء النداء أي باعباد الله (إخوان خرقه) بكسر معجمة فهي لحمه كلحمه النسب . وفي [عف] ليس الخرقه ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه ، والتحكيم سائق في الشرع لمصالح دنيوية فإذا ينكر المنكر للبس الخرقه على طالب صادق في طلبه بقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة يحكمه في نفسه لمصالح دينه يرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجد ويبصره بآفات النفوس وقساد الأعمال ومداخل العدو فيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه فيلبسه الخرقه لإظهارا للتصرف فيه ، فيكون لبس الخرقه علامة التفويض والتسليم ، ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : والخرقه عتبة الدخول في الصحبة والمقصود الكلي هو الصحبة وبالصحبة يرجي للمريد كل خير ، ثم قال : اعلم أن الخرقه خرقتان خرقه الإرادة وخرقة التبرك ، والأصل الذي قصده المشايخ للمريدين خرقه الإرادة ، وخرقة التبرك للمقشبه ومن تشبه يقوم فهو منهم ، ومن الخرقه أن الطالب الإرادة للمريد الحقيقي ، وخرقة التبرك للمقشبه ومن تشبه يقوم فهو منهم ، ومن الخرقه أن الطالب الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد يريه للشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الإشراف على البواطن ، ثم قال : فأما خرقه التبرك فيطلبها من مقصوده التبرك بزي القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحبة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخاطبة هذه الطائفة ليعود عليه بركتهم ويتأدب بأدابهم ، فسوف يرقه ذلك إلى الأهلية بخرقة الإرادة ، فعلى هذا خرقه التبرك مبدولة لكل طالب وخرقة الإرادة ممنوعة إلا من الصادق الراغب ، ثم قال : وقد كان طائفة من السلف الصالحين لا يعرفون الخرقه ولا يلبسونها المريدين فن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ، ومن لا يلبسها فله رأيه وله في ذلك مقصد صحيح ، وكل تصارييف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية صالحة ، والله تعالى ينفع بهم وآثارهم إن شاء الله تعالى اه . قال رحمه الله :

(كذلك تعاونوا على البر والتقوى وَلَا تَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ فَعْلَىٰ سَوَاءٍ)

(كذلك تعاونوا) من التعاون وهو إعانة بعضهم بعضا لحديث «لأن أحمق المؤمنين على حاجته أحب إلى من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام» ورحم الله من قال :

تعاون على الخيرات تظفر ولا تكن على الإثم والعسودان ممن تعاون
وداهن إذا ماخفت وما مسلطا عليك ولا يفتال من لا يداهن
ولأنك ذالونين يبدى بشاشة وفي صدره ضب من الغل كامن اه

(على البر) بكسر موحدة اسم جامع لمصالح الخير ، ويأتي بمعنى الصلة والصدق والطف والمبرة وحسن الصلة والعشرة والطاعة : وفي [جص] «البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» أي الذين يستحى منهم كالعلماء والصالحاء ، وفيه «البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك الفتون» وفيه «البر لا يبلى والذنوب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان» ورضي الله عن قال :

بني إن البر شيء مبن وجه طليق وكلام لين

(و) على (التقى) بالضم كهدي الوقاية وفي الحديث « من رزق تقى فقد رزق خير الدنيا والآخرة » قال تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا - ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا - ورحم الله من قال :

ومن يتق الله يجعل له
ويرزقه من غير حسبانته

كما قال من أمره مخرجا
وإن ضاق أمره فرجاً

وذيلهما بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

ويجعل له اليسر من أمره
ويعظم له الأجر فيما ارتضى

ورحم الله من قال :

ما ضاق بالمرء حال فاستعد له
ولا أتاخ بيساب الله ذو ألم

تقوى المهيمن لإجاءه الفرج
إلا تخرج عنه الهم والحرج

ومن قال :

على قدر تقوى الله تأتى المواب
وتأتى على قدر الذنوب المصائب

وهي كلمة جامعة لسعادة خير الدارين ومن فاز بها صار أفضل الثقلين قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وعن ابن عمر رضى الله عنهما : اتقوا أن لا ترى نفسك خيراً من أحد . وقد بين الله تعالى أن التقوى خير لباس فقال - ولباس التقوى ذلك خير - ورحم الله من قال :

إذا المرء لم يلبس لباساً من التقى
تجرد هرباً ولو كان كاسياً

فخير خصال المرء طاعة ربه
ولا خير فيمن كان لله عاصياً

ومن قال : ولا تمش إلا مع رجال قلوبهم
تحن إلى التقوى وترتاح للذكر

ومن قال : يريد المرء أن يعطى منه
ويأبى الله إلا ما أراده

يقول المرء فائدتى ومالى
وتقوى الله أفضل ما استفاده

ومن قال : من عرف الله فلم تغنه
معرفة الله فذلك الشقى

ما يصنع العبد بعز الغنى
والعز كل العز للفقير

وفي [جص] « أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس الأمور كله . عليك بتلاوة القرآن وذكر الله تعالى فإنه ذكرك في السماء ونورك في الأرض . عليك بطول الصمت إلا في خير ، فإنه مطردة للشيطان عنك ، وعون لك على أمر دينك ، وإياك وكثرة الضحك فإنه يعميت القلب ويذهب بنور الوجه ، عليك بالجهاد فإنه رهانية أمتي ، أحب المساكين وجالهم . انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عنده ، صل قرابتك وإن قطعوك ، قل الحق وإن كان مرأ ، لا تخف في الله لومة لائم ليحجزك ^(١) عن الناس ما تعلم من نفسك ، ولا تجد عليهم فيأتاني ، وكفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال : أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه ، ويستحيى لم مما هو فيه ، وأن يؤذي جلسه . يا أبا ذر : لا عقل كالتيدير ولا ورج كالكف ، ولا حسب كحسب الخلق » اهـ . ولها خمس مقامات : تقوى الكفر ، وهو مقام الإسلام . وتقوى الحرام : وهو مقام التوبة . وتقوى المباح : وهو مقام الزهد ، وتقوى حضور غير الله في القلب : وهو مقام المشاهدة ، ورحم الله من قال :

(١) يمنع شدة وهم جيم وكسرهما . من حجرة كسرية والضمه شدة هم .

مراتب التقوى الخمس قسمت كفر هرام شبهة قد علمت
ثم مباح لحظ غير الله فلا تكن من ذكره باللاهى
إسلامنا الأول ثم نوبه وورع زهد فزاهد قربه

والبواش عليها عشرة : خوف العقاب الدينوى ، والأخروى ، ورجاء الثواب الدينوى والأخروى ، وخوف الحساب ، والحياء من نظر الله ، وهو مقام المراقبة ، والشكر على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة : وصدق المحبة وحاصلها كما فى المرشد المعين :

وحاصل التقوى اجتناب وامتنان فى ظاهر وباطن بدأ تنال
فجاءت الأقسام حقا أربعة وهى للسالك سبل المنفعة

وفى [جهه] اعلم أن التقوى قد صعب مرامها وتناوت بعدا عن أن تمد بيد أحد خطاها واحتمكاتها ، وكلت الهنم دونها فلا يصل بيد أحد أساسها واحتكماتها إلا الفرد الشاذ النادر لما طبعت عليه القلوب والنفوس من الإدبار عن الله وعن أمره بكل وجه واعتبار ، ووحلها فى رتع أهوال البشرية وحلا لا مطمع لها فى الانفكاك عنه ، وحسنا حال أهل العصر وكل بلد من كل ما على الأرض إلا الشاذ النادر الذى عصمه الله تعالى ، وبسبب ما ذكرنا هاج بحر الأهوال والفتن وطغى بحر المصائب والحن ، وغرق الناس فيه كل الغرق ، وصار العبد كلما سأل النجاة من مصيبة وعصم منها اكتشفته مصائب - وفى هذا قيل : سيأتى زمان تتراكم فيه بحور الحن والفتن فلا ينفع فيها إلا دعاء كدعاء الغريق ، وليكن ملازمكم الأمر المنجى لما ذكرنا أو مطفى لأكثر نيرانه وهو كثرة الاستغفار ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر لا إله إلا الله محمدا ، وذكر لا إله إلا أنت سبحانه فى كثرة من الظالمين ، وقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فإنه بقدر الإكثار من الأذكار تنفأ عن العبد كثرة المصائب وشور الأوزار ، ويقدر تقايله منها يقل بعده عن المصائب والشور ، وليكن لكل واحد منكم قدر من هذه الأذكار على قدر الطاقة اه (ولا تنهونوا) أى لا يعن بعضهم بعضا (على فعل سوء) بفتح مهملة : الفاحشة وكل خصلة ذميمة قال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان - قال بعضهم : « وتعاونوا على البر والتقوى » هو طاعة الأكابر من السادات والمشايخ ، ولا تضيعوا حظوظكم منهم ومن معاونتهم خدمتهم ، ولا تعاونوا على الإثم وهو الاشتغال بالدنيا « والعدوان » موافقة النفس على هواها ومراها اه ورد « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » وفى [جص] « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وفى رواية : ثم شبك بين أصابعه « وفيه « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله » قال العزيرى : فيه تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحنهم على التراحم والملاطفة والتعاقد فى غير إثم ولا مكروه . وفيه « المؤمن منفعه إن مشيته نفعك ، وإن شاورته نفعك ، وإن شاركته نفعك ، وكل شئ من أمره منفعه » أى كل شؤونه وأحواله منفعه لإخوانه المؤمنين . وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن سبب تسليط العالم بعض على بعض فقال رضى الله عنه : سبب ذلك ما فى الأسماء الإلهية من التضاد وطلب كل اسم ظهور أهل حضرته وتنفيذ أحكامه فيهم ، فكل اسم يستعين بالمشارك له من الأسماء فلذلك خرج الحائق على صورة الأسماء الإلهية ، فمنهم المعان ومنهم المعين ، ولما كان الأمر فى الوجود واقعا كذلك

أمر عباده بالتعاون على البر والتقوى حتى يكون ما فطروا عليه من هذا الوجه عبادة عن أمر إلهي لا ابتلاك الحقيقة التي هم عليها، ونهاهم عن استعمال الحقيقة الأخرى التي هي التعاون على الإثم والعدوان فيعطونها ولا يستعملونها في شيء. قال الشيخ محي الدين رضي الله عنه : وما يخفى وجهه على غالب العلماء فضلا عن غيرهم تحريم إعانة الرجل أخاه على ظلم نفسه ، كما إذا ادعى إنسان عليك بشيء وهو كاذب في دعواه عندك ولم يقيم عليك بينة فيجب عليك حينئذ اليمين ، وليس لك أن تردّها على المدعي ليحلف ويأخذ منك ذلك الشيء الذي ادعاه فإن رددت اليمين كنت معينا لأخيك على ظلم نفسه وعليك حينئذ إثم اليمين الفاجرة كما عليه للآخر كذلك فأنت الذي جعلته يحلف بردك اليمين عليه ، ولو كنت حلفت لأحرزت نفس صاحبك أن يتصرف فيما ظلمك فيه وقت بواجب نصحه وإعانتته على البر والتقوى ، ثم لا يزال الإثم على المدعي مادام يتصرف في ذلك المال ، ولا يزال الإثم على المدعي عليه كذلك من حيث أنه أعان أخاه على الظلم ومن حيث عصي أمر الله بترك اليمين ، فإنها كانت واجبة عليه ، ولو كان حلف لفعل ما أوجب الله عليه وكان مأجورا وخلص صاحبه من التصرف بالظلم في مال الغير فكان له أجر ذلك ، فلم يبق حينئذ على المدعي لو حلف المدعي عليه إلا إثم يمينه خاصة وهي يمين الغموس ، وهذه مسألة لطيفة في الشرع لا ينظر فيها بهذا النظر إلا من استبرأ لدينه ، فقلت له فهل على الحاكم إذا حلفه إثم في اليمين الردودة ؟ فقال رضي الله عنه : إذا أدى اجتهاده إلى ذلك فلا إثم ، والله تعالى أعلم انتهى . قال رحمه الله :

(تَهَادَوْا تَحَابُّوا بَيْنَكُمْ دُونَ كَلْفَةٍ وَأَعْطُوا الْمُحْتَاجَ وَلَوْ شِقَّ تَمَرَةٍ)

(تهادوا) بفتح الدال من التهادي وهو التفاعل من التحابن (تحابوا) بضم موحدة مشددة من التحابب وفي نسخة تحابوا بفتح موحدة مخففة من التحاب وهو المسامحة في العطاء (بينكم) أي يحب بعضكم بعضا (دون كلفة) أي من غير تكلف الحديث « أنا وأتقيا أمتي برآء من التكلف » وفي [عف] عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « المتحابون في الله على عود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة ، يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله عز وجل ، فإذا أشرفوا عليهم أضواء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله عز وجل » انظره . وفي [جص] « تهادوا تحابوا وتصافحوا يذهب الغل عنكم » وفيه « تهادوا تزدادوا حبا » وفيه « تهادوا فإن الهدية تضعف الحب وتذهب بغوائل الصدر » وغوائله أحقادهم وضعائفه وفيه « تهادوا الطعام بينكم فإن ذلك توسعة لأرزاقكم » وفيه « استعينوا على الرزق بالصدقة » وفيه « ماتحاب اثنين في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه » وفيه « ماتحاب رجلان في الله تعالى إلا وضع الله لهما كرسيًا فأجلسا عليه حق يفرغ الله من الحساب » قال العزري : وعلامة الحب في الله أن يحب كل الآخر ما يحب لنفسه فمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه فأخوته وعقبته نفاق له . وهذا ميزان يطيش على الدرء والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » وفي [جه] ومثل يوما رضي الله عنه عن سيب هدم قبول الهدايا

مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ؟ قال : كانت الهدية هدية واليوم صارت رشوة فإن الناس إذا أهدى أحدهم شيئاً لغيره أو قضى له حاجة لم يمكث إلا قليلاً ثم يرجع إليه في طلب بعض أغراضه ، ولا يهدى في الغالب إلا لذوى الجاه ديني أو دنيوي ، ومن لم يكن له جاهد لا يهدى له أبداً كما هو مشاهد من حال الناس في زماننا ، ولا يعطون شيئاً بقصد المحبة والمودة والإخاء في الدين وإنما يعطون لتحصيل أغراضهم الفاسدة كما قدمناه حتى صارت ولأنهم من هذا المعنى الفاسد ، ولهذا تخرز سيدنا رضى الله عنه من مقاصد العامة لفسادها ولا يخالطهم على ما هم فيه من كثرة التخليط ، وفيه : وكان قبل هذا الوقت لا يأخذ من يد أحد ألبته حتى وقع له الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يرد على أحد شيئاً أصلاً . وفي البخارى قال عمر بن عبد العزيز : كانت الهدية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ، واليوم رشوة . ورحم الله من قال :

توق وحاذر من قبول هدية	وإن جاء نافيها الحديث المرعب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث	تحدروا منها وعنها ترهب
فكانت هدايات الأوائل قبلنا	تؤلف فيها بينهم وتحب
فعدت بلايا يسرع المن نخوها	تفرق فيها بيننا وتجنب

قال تعالى - وتلك نعمة تمنها على - وقال - لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - والله يفيض للرجل المنان . وفي [غص] وصأله رضى الله عنه عن قبول هدايا الناس الذين يعتقدون في أهل أروها أم أقبليها وأعطيا المستحقها ؟ فقال : السلامة في هذا الزمان رد ذلك لغاية الحرام والشبهات في المكاسب ومن تعب في تحصيل شيء فهو أحق بتفرقه ، ثم قال : يا أخى سمعت سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : كل لقمة نزلت في جوف الفقير من غير كسبه الشرعى أخذت من عبوديته جانبا واسترقت منه خيراً لذلك المحسن قهراً عليه ، وإن كان لا بد من الأكل من طعام الناس فكافى كل من أكلت عنده حتى ترى أنه استوفى حقه في العادة ولو بالدعاء له في أوقات الإجابة وغيرها ، والله تعالى أعلم : وصأله رضى الله عنه مرة أخرى عن قول بعضهم : إن الفقير إذا عرف الله لا يؤثر فيه الأكل من طعام الناس نقصا ؟ فقال رضى الله عنه : اعلم أن المدد الذى لم يزل فياضاً على قلب كل إنسان يتنون بحسب القلب ، والقلب يتلون بحسب إصلاح الطعمة وفسادها ، ثم قال : إن الله تعالى ينطق على لسان عبده بحسب مضغته فإن كان قلبه مطهراً من سائر الرذائل نطق بالكلام النقيس الذى يشبه الوحى ، وإن كان ملطخاً بشيء من القاذورات نطق بما يشبه كلام الشياطين اه : وفي [جند] أو صافى شيخى رضى الله عنه أن لا أبداً أحداً بهدية إلا إن كانت على سبيل تطيب خاطره بخاتمة سبقت منى عليه أو غير ذلك ، فقلت له لم ؟ فقال رضى الله عنه : لأنك تعرضه بالهدية لكلفة المكافأة ، فقلت له فإن كان يكافى بالدعاء ؟ قال رضى الله عنه : مثل هذا يهدى إليه لأن وليه الله وهو تعالى يكافى عنه ، والله أعلم اه . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تقبل لأنفسنا هدية أو صدقة من أحد ، ونحن نعلم أن في بلدنا من هو أخوج إلى ذلك منا : وكذلك لا تقبل هدية ممن ترك جاره الأقرب أو قريبه وخصنا بالمعطاء مع بعد دارنا عنه وعدم قرابتنا له إلا إن كنا أقدر من ذلك الجار أو ذلك القريب فلا نقبل من أحد شيئاً إلا وقت الضرورة الشديدة ، وكذلك لا نقبل قط شيئاً من أحد إلا بنية نفع ذلك الرجل بالثواب الأخرى لا بنية نفع أنفسنا . وهذه اليهود الثلاثة لا يقدر على العمل بها إلا من صح له مقام الزهد

في الدنيا وكان دينه أعز عليه من دنياه والله غني حميد . وفيه : أخذ علينا اليهود أن تقدم في التودد والزيارة والهدية وغيرها من يكرهنا ويحط علينا دون من يحبنا ويؤثرنا فتؤثره بعده ، لأن في ذلك من رياضة النفس مالا يفتنى وبه تخف كراهة من يكرهنا ويحط علينا ولو على طول فلتستريح نحن من شره ويستريح هو من الإثم بوقوعه في مرضنا ، وأما من يحبنا فلا يحتاج إلى مداراة لما عنده من ثبوت الود فالحمد لله رب العالمين اه . وفيه : أخذ علينا اليهود إذا قضينا لمكروب حاجة أو حملنا عنه بلية أن لا نقبل منه في نظير ذلك هدية ولو من حلال ، فإن ذلك حرام بنص الشريعة وبيع الدين بالدنيا ، وذلك أن الشفاعة عليك واجبة إن تعينت عليك ، وفعل الواجب لا يجوز أخذ العوض الدنيوي عليه ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من أهل عصرنا هذا فإياك يا أخى ثم إياك ، وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول من شفع شفاعة فأهدى له هدية على ذلك فقبلها فقد أتى بابا من الكبائر اه . ثم إن كان ولا بد لنا من الترخص في قبول الهدية وردها صاحبها ولم يأخذها قبلناها على اسم غيرنا من الفقراء والمساكين لا على اسم أحد من أولادنا وعيالنا ، وذلك لأن الصدقة تدفع البلاء عن صاحبها وأجر من يحمل الحملة على الله عز وجل فاعلم ذلك اه . وروى « إذا أقرض أحدكم أخاه قرضا فأهدى إليه طبقا فلا يحمله أو حمله على ذابته فلا يركبها إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك اه وفي » [جمع] سئل سيدنا رضى الله عنه عن أخذ جوائز الملوك ، فأجاب رضى الله عنه : قال على كرم الله وجهه : السلطان يجمع حراما وحلالا فما أعطاك فخذه ، وأجعت العلماء على أن أعطية الخليفة جائزة وأما نوابه الذين تحتهم فلا ، ليكون الخليفة أجمع عليه الناس فله التصرف في أموالهم وأما غيره فهو ظلم . ويؤيد هذا حكاية مالك رضى الله عنه حين أعطاه السلطان ثلاثة آلاف دينار فأجاب حين سئل : إن السلطان لو أنصف وأعطى لذوى المروءة حقهم لكان لي مثل هذه مرتين ، لأنه من أكبر ذوى المروءات رضى الله عنه . وسئل مالك مرة أخرى عن الجوائز فقال : لا تجوز قيل له رأيتك تأخذها أنت قال أتريد أن تبوأ بإثمى وإثمك . وأما قبول أولياء الله للطلعة فإنه أمر متواتر وهو من معاملة خلق الله بالرحمة اه . ومثل أبو عبد الله الكنسومي رضى الله عنه وهنا به آمين عن جائزة السلطان وصلته هل يحل أخذها أم لا ؟ فأجاب رضى الله عنه وهنا به آمين بمانصه : الحمد لله ذكر القرطبي صاحب التذكرة بأحوال الآخرة في كتابه [فح الحرص بالزهد والقناعة] ما نصه : روينا أن الإمام أبا عمرو بن عبد البر رضى الله عنه بلغه وهو بشاطبة أن أقواما هابوه بأكل طعام السلطان وقبول جوائزه فقال :

قل لمن ينكر أكل طعام الأمراء
أنت من جهلك هذا في محل السفهاء

لأن الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين ملاك الدين ، فقد كان زيد بن ثابت رضى الله عنه وكان من الراسخين في العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد ، وكان ابن عمر مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبي عبيد وبأكل طعامه ويقبل جوائزه . وقال عبد الله بن مسعود وقد ملئ علما أرجل سأله فقال : إن لي جارا يعمل بالربى ولا يجتنب في مكسبه الحرام يدهوني إلى طعامه أفأجيبه ؟ فقال نعم لك المهنة وعليه المآثم ما لم تعلم الشيء بعينه حراما . وقال عثمان رضى الله عنه لما سئل عن جوائز السلطان : لحم ظبي ذكي . وكان الشعبي وهو من أكبر التابعين يعلم أولاد عبد الملك بن مروان ويقبل جوائزه وبأكل طعامه . وكان إبراهيم النخعي وسائر

علماء الكوفة والحسن البصري مع زهده وورعه وصائر علماء البصرة أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة ما هذا سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان والأمراء ، وكان سفيان الثوري مع فضله وورعه يقول جوائز السلطان والأمراء أحب إلي من صلة الإخوان ، لأن الإخوان يمنون ، والأمراء لا يمنون ، ومثل هذا عن فضلاء العلماء كثير قد جمع الناس فيه أبواباً . ولأحمد بن خالد فقيه الأندلس وعائنها كتاب حمله على وضعه طعن أهل بلده عليه في قبوله جوائز الأمير عبد الرحمن الناصر ، ولا أعلم من علماء التابعين أحدا تورع عن جوائز السلطان إلا سعيد بن المسيب بالمدينة وابن سيرين بالبصرة ، وسلك سبيلهما في ذلك الإمام أحمد رضي الله عنه وأهل الزهد والورع والتقشف راحة الله عليهم أجمعين . والزهد في الدنيا من أفضل الفضائل ولا يحل لمن وفقه الله وزهده فيها أن يحرم ما أباح الله سبحانه ، والعجب من أهل زماننا يهيبون الشبهات ويستحاون المحرمات كالذين سألوا عبد الله ابن عمر عن المحرم يقتل القراد ، فقال للسائل ممن أنتم ؟ فقالوا من أهل الكوفة فقال تسألون عن قتل القراد وأنتم قتلتهم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهذا مبنى على ما تقدم من قول عبد الله بن مسعود لك المهنة وعليه المآثم يعني لك حق في بيت المال ، والمسئول عن التخليط فيه هو السلطان بناء على أن الحرام لا يتعلق بدمتين ، وهي مسألة أصولية فيها خلاف معلوم ، ومحل ذلك كله ما لم تعلم الحرام بعينه وإلا فلا يحل أخذه بحال ، هذا كله ما لم يكن بيت المال ليس فيه إلا الحرام وإلا فلا يحل الأخذ منه إلا إذا بلغ الإنسان من الضرورة إلى المحل الذي يبيع له أكل الميتة ، فيكون النظر حينئذ فيما يقدم المضطر هل الميتة أو ذلك الحرام ؟ والله يعاملنا جميعا بفضله ورحمته والسلام اهـ .

ومن خطه رضي الله عنه وهذا به آمين نقلت وعلى الخبير في هذه القضية سقطت ولب الباب في هذا الجواب قوله رضي الله عنه وعنا به آمين : ومحل ذلك كله ما لم تعلم الحرام بعينه وإلا فلا يحل أخذه بحال ، وهذا كله ما لم يكن بيت المال ليس فيه إلا الحرام وإلا فلا يحل الأخذ منه الخ والإنسان على نفسه بصيرة وكل واحد أدري بقوسه وأعلم بما يأتي وما يذر والخرقاء لا تعدم هلة - ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير - واثقوا يوما ترجعون فيه إلى الله - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه رضي الأبدى :

حمدا لمن يهدي إلى الصواب	ويهدى الرشاد للمتاب
ثم صلاته على محمد	والآل والصحب وكل مهتد
فهاك اب لباب الجواب	لخص فضل الملك الوهاب
سميته تبصرة الإخوان	في هبة العمال والسلطان
ياربنا بالصائق المصدق	أسلك بنا مسالك التحقيق
نعم الجواب بهذا الصواب	مانقل ابن أحمد الأبواب
عن الإمام القرطبي في التذكرة	فيالحا تذكرة الآخرة
لب جوابه الذي الأعلام	ما لم يكن فيه سوى الحرام
أولم يك الشيء بعينه حرام	وإن يكن فاحذر وخف من الملام
إذلا يحل الأخذ من محرم	إلا المضطر لأكل الرمم
سئلنا عثمان قد أفق بما	رأى بيت مال وقته اعلمنا

فكل ما فيه من الحلال
أو ليس مماوا إذا بالغصب
فقال إنه كلهم ظي
ككل من ذكر في الجواب
فكلهم أفتى بما قد حققا
أما زماننا فبيت ماله
مافيه إلا درهم من غصب
وذاك معلوم بلا خلاف
لو أدرك ابن ثابت وابن عمر
والحسن البصري والشعبي
والعالم المكي والطبي
زماننا في قرن رابع عشر
من علماء الدين والإسلام
فإنه صعب عظيم النكر
قد صارت الأحرار أسوا الأرقا
قد استبيح فيه مال الناس
وبدلت أحكام دين الله
فحكم من بدل في الإسلام
يقل على الألسن في العقود
نعوذ بالله من الكفران
لقال كل بيت مال ذا الزمان
وقال بيت مال هذا الوقت
وحرموا الأخذ لكل متى
وقل بهذا القول صاح أبدا
لكما الأهواء أعمت الهدى
كم فاضل وعالم وصالح
فيستحل أخذ مال الناس
ويستبيحه بسيف القهر
فصار عنده كشهد النحل
بعده كرامة من ربه
وأنه من أعظم العناية
وأنه من جملة السعادة

من مال أهل الكفر والفضلال
والنهب والمكس وكل ريب
يباح أكله لكل حي
من الأئمة بلا ارتياب
في بيت مال رفقته فحققا
من الحرام المحض دعه وانتهى
أو درهم من مكس أو من نهب
لكما الأهواء في اختلاف
كذا ابن مسعود وهذان الأغر
والعالم الكوفي والبصري
والعالم الشرقي والغربي
حارت به ألباب من قد اعتر
لكثرة الفتن والآثام
لاسيما فيه ولاية الأمر
ذكرا أو أنثى لشر يتق
بالظلم والقهر وسوط الناس
بحكم أهل الكفر والملاهي
شيئا من الحدود والأحكام
ومن ومن ومن بلا تفنيد
والظلم والنسق ومن خسران
من الحرام المحض من غير توان
كلهم خنزير فدع للمقت
إلا لمضطر لسد رمق
من شيا قليو من ومن شاء الحدا
وقادت الناس جميعا للردى
قادت به الأهوا لأمر فاضح
مع حلمه به بهلا التباس
ممن له ولاية للأمر
يزعم أنه أحل الحل
مع أنه من سخطه ومقته
مع أنه من أقيح الخيانه
مع أنه من أخبث الشقاوه

وربما اختاره للتعبد
أوحبها لما بنى على شفا
أليس من غصب شبر الأرض
أليس وارث وموهوب له
ومن يطيق حمل سبع الأرضين
نعوذ بالله من الفضال
وتب إلى الله برد كل ما
أليس من يغفل غدا بأقرب مما
ولا تقل إن فلانا أخذنا
وربما له من الأعداء
فتلك أمة لها ما كسبت
وانظر إلى الحديث والقرآن
هما أساس الدين والإيمان
ودع فلانا وفلان وفلان
تراكت فيه بحور من فتن
كل يحمل فيه مع هواه
ومؤثر لنفس مع دنياه
إذا لا يحمل أخذ مال الناس
وليس تنفيذ من السلطان
ممن قال لا إله إلا الله
قد بين الحلال في القرآن
أما لنا الأسوة بالتجاني
أما أبي السكتي بها تخرجنا
مع أن عدل وقته اشتراها
ومع ذاك ينصدق بما
تالله ما امتسكت للسلطان
يعطونه من مال خلق الله
فتلك من شيم من تشيخا
هلا سلكت مسلك التجاني
هلا نبذت سبل الشيطان
ولا تقل سمعت من فلان
ومن ولاة الأمر خذه باليد
لأنهم مستغرقون للدم

فبئسما (١) اصطفااه للتعبد
من ربط (٢) أو من زوايا قد عفا
يحمله في العنق يوم العرض
كفأصب للعلم فاحذرته
في حنقه يوم حساب العالمين
وكل ما يحرق للنكال
أخذت من مال العباد ظلما
غفل بدون مربة واندا
من الأمير ماله قد نفدنا
ما ليس بيديه ذوو الأبصار
كما عليها يأخى ما اكتسبت
راعمل بما في ذن من برهان
وما سواها من البهتان
لا سيما لاسيما في ما الزمان
كما تلاطم به موج الحزن
بالرأي معجب ولو أرداه
على سواء وعلى أخراه
إلا بطيب النفس بالتسلسل
يحل مال الناس بالإخواني
ماله معصوم فقل أواه
وفي حديث المصطفى العدنان
في دار مرات بلا توان
حتى أزاله النبي حرجا
بالإرث بن موروثه حواها
ل له بال حلدا تأثما
ولا لعماله في البلدان
كلا وحاش ومعاذ الله
أوقد تصلح ليحني الوسخا
نعم الإمام العارف الرباني
فلانها توقع في النيران
جميع مانفذ من سلطان
فإنه من الحلال دون معين
بالغصب والنهب لأموال الأمم

لم يملكوا شيئا من الأموال
فتلك زلة بدت من عالم
ولانها قوبلة لا ترضى
أحسب الإنسان ألا يستلا
كلا غداً يستل عما قد جرى
أليست الذمة وصفا قاما
لو ألزم الإنسان أو التزما
وقولهم إنه ذو استغراق
في كل حقة على التحقيق
وكل ما استهلك من أموال
يعطيهم يومئذ من حسنات
أو الكرم عنه يرضى الخصما
وقل له ما نفذوا من الحلال
تالله ما عندهم من الحلال
وكل ما بيدهم في الوقت
لا سيما ما قد بقي بعينها
لا سيما ما كان لليتامى
وما نشأ عن مال خلق الله
وقد أتى عن النبي ذى الصدق
ولا تكن لمة الأقوام
فالحق يؤخذ من الصغير
وذاك من خواص أمة النبي
لكن زماننا أخفى كما ترى
واستحكمت فيه النفوس والهوى
وهطوا جن مرفقات
وبالدهبات والمزونات
فكل ذا حقا من المكدرات
يارب فارحمنا جميعا بالرضى
يارب بالصديق والفاروق
أمين أمين ختام الحق
والشيخ فتح بن على الدمياطى في قصيدته اللامية رضى الله عنه :
أيها العالم إياك الزلل واحذر الهفوة فالخطب^(١) جل

(١) جلل بضم جيم وفتح لام جمع جلى: كرى، الأمر العظيم اهـ.

هفوة العالم . . . استضعفه
وعلى زلته عمدتهم
لأنقل يستر علمي زلتي
إن تكن عنده مستحقه
ليس من يتبعه العالم في
مثل من يدفع عنه جهله
انظار الأنجم مهما سقطت
فإذا الشمس بدت كاسفة
وترامت نحوها أبصارهم
وسرى النقص لهم من نقصها
وكذا العالم في زلته
يقتدى منه بما فيه هفا
فهو ملح الأرض ما يصاحبه

إن هفا أجمع في الخلق مثل (١)
فيها يحتج من أخطأ وزل
بل بها يحصل في العلم الخلال
فهو عند الله والناس جيل
كل أدق من الأمر وجل
إن أتى فاحشة قيل جهل
من رآها وهي نهوى لم يبل
وجل (٢) الخلق لها كل الوجل
في ازعاج واضطراب وزجل
فعدت مظلمة منها السبل
يفتن العالم طرا ويضل
لا بما استعصم فيه واستقل
إن بدا فيه فساد أو خلل ؟ اه

وذكر في [خل] أن العالم يجب عليه التستر أكثر من غيره لأن شره ومعصيته ومخالفته وبدعته إن أهتلى بشيء من ذلك يتعدى إلى غيره كما أن خيره كذلك متعدد . وفي الحديث : «من أهتلى منكم من هذه القاذورات بشيء فليستر بستر الله» الحديث . وفي كتاب [الأنوار] ويلكم بامعاشر هاء السوء البهله برهم ، جلستم على باب الجنة تدعون الناس إلى النار بأعمالكم ، فلا أنتم دخلتم الجنة بفضل أعمالكم ولا أنتم أدخلتم الناس بها بصالح أعمالكم ، قطعتم الطريق على المرید وصددتم الجاهل عن الحق فما ظنكم غدا عند ربكم إذا ذهب الباطل بأهله وقرب الحق واتباعه انتهى . ورحم الله من قال :

ذهب الرجال المقتدى بفعلهم
وبقيت في خلف يزكي بعضهم
أبى إن من الرجال بهمية
فطن بكل مصيبة في ماله

والمنكرون لكل أمر منكر
بعضا ليدفع معور عن معور
في صورة الرجل السميع المبصر
فإذا أصيب بدينه لم يشعر (٣)

في [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا يبادر للاعتراض على من يقبل من الظلمة ما يعطونه من الدراهم والأطعمة والثياب وغيرها إذا كان في ذلك شبهة ، بل نصبر حتى ننظر لماذا يصرفها وفيهم بصرفها فقد يصرفها إلى من يستحقها من العميان والأرامل وأرباب الديون والعيال ، وما من درهم ولا لقمة ولا خارقة من الشبهات إلا وفي الوجود من يستحق صرفها إليه ، وصاحب النور كالبناء يعرف مكان كل طوبة ويرزق الله الخلق بعضهم من بعض ، وكان على هذا القدم سيدي على الخواص أواخر عمره ، ثم قال : وكان سيدي محمد بن هراق ينكر على من يفعله ذلك ، ويقول : إن فيه شغل اللحم ، والسلامة مقدمة على الغنيمة .

قلت : وهو الذي نميل إليه والله أعلم اه [لطيفة] أخبرني من أتى به أنه كان يقرأ العلم بفاس صانها

(١) أي خاف اه .

(٢) جمع مثله كغرفة .

من يسمى في علم باب يظفر

قبل الباب تكون ليديا مثله

(٣) وتماها :

الله من كل بأس ، وقد كان من أفقر الطلبة وأضـ مفهم ، فإذا سلطان الوقت أرسل للعلماء والطلبة رضى الله عنهم صلة عظيمة وجائزة جسيمة فتابه من بينهم نحو نصف ريال ، فاشترى رطل لحم ورطل مسكر توسعة فلما نام رأى كأنه دخل كنيـفا فأخذ يغتسل بالعذرة ، فانتبه مرعوبا فاستعاذ بالله مما رأى ، ثم نام فرأى أيضا كأنه بشرح الآجرومية فلما وصل وهى الخ عجز عن تفسير أخيك مع وضوح معناه ، فسمع قائلا يقول له تريد أن تفعل أفعال الرجل ولا تريد أن تعمل عملهم ، فلما انتبه تاب إلى الله وفرق مابقى عنده . وأخبرنى أيضا أنه يريد معاملة بعض ولاية الوقت بيـا وشراء فاستخار الله فرأى كأنه دخل بيت الكنيف فوجده مملوا بعذرة وبول ممزوجين فأخذ هوذا يحركهما به - إن الله وإنا إليه راجعون - سبحانه من جعل الأقدار المعنوية كالأقدار الحسية . وعن ابن هـو لا يبلغ العهد حقيقة التقوى حتى يدع ماحك في الصدر . وروى « ودع مايريبك إلى ما لا يريبك » واستفت قلبك وإن أفنأك المفتون ، ودع كل ما يعتذر منه ، واستعن بالله واحرس على تفعلك فإنه خير معين جواد كريم رؤف رحيم ، وكن حذيقى ^(١) وقتك وقل لأستلهم دنيا ولا أستفتهم دنيا - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين (وأعطوا المحتاج) أى لكل أخ في الله محتاج ما وجد وتهسر ولا تتكلف ما فقد وتهسر (وأو) كان الشيء المعطى (شق) بكسر معجمة نصف الشيء (تمر) وفي [حص] « اتقوا النار ولو بشق تمر فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » وفيه « إن الله تعالى يدخل الجنة بقلعة الخبز وقمصة ^(٢) التمر » ومثله « مما ينفع المسكين ثلاثة : صاحب البيت الأمر به ، والزوجة المصلحة ، والخدام الذى يتناول المسكين » وفي رواية « الحمد لله الذى لم ينس خدمنا » أى من الثواب ، وفيه « إذا أتاكم السائل فضعوا في يده ولو ظلما محرقا » وفيه « ردوا مذمة السائل ولو برأس الذباب » وفي رواية « برأس الدجاج » ورحم الله من قال :

السائلون عيال الله والمأ	ل الله فابله لهم خاب من لأما
فجد على ثقة بالله من خلف	ياويح من كان للرحمن منهما
واحذر من الرد إن الله يفتته	من خير عذر وشؤم الشح قد هلما

وفيه « أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكينا من جوع أو دفع عنه مغرما أو كشف عنه كرها ، وفيه « من أطعم مسلما جائعا أطعمه الله من ثمار الجنة » وفي رواية « ومن كسى مؤمنا عاريا كساه الله من خضر الجنة واستبرقها » وفيه « من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمة الله على النار » وروى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أهتم بجموعة أخيه المسلم فأطعمه حتى يشبع وسقاه حتى يروى ، غفر الله له » وفيه « هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه » أى فينبغى لمن وقف السائل على بابه أن يقبل هدية الله ويكرمه بما تيسر عنده ولو بقول حسن ، قال تعالى - قول معروف ومفطرة خير من صدقة يلعبها أذى - وأن يتحمل جفوته وإلحاحه وأذاه قال تعالى - وأما السائل فلا تنهر - وفيه « إذا رددت على السائل ثلاثا فلم يذهب ، فلا بأس أن تزجره » أى لا تخرج عليك أن تزجره وتنهره لتعديه إلى ما لا يحل ، لكن الصبر واحتمال أذاه أفضل وأجل قال تعالى - واصبر وما صبرك إلا بالله .

(١) قوله حذيقى : نسبة لسيدنا حذيفة رضى الله عنه اهـ .

(٢) قمصة : أى ما يؤخذ بالأنامل بفتح القاف وضها وبضاد مهيـة .

[لطيفة] حكى أن رجلاً جلس يأكل مع زوجته وبين يديهما دجاجة مشوية فوقف سائل يهايه فخرج إليه ونهره فاتفق أن ذلك الرجل افترق وزالت نعمته وطاق زوجته وتزوجت بعده برجل ، فجلس يوماً يأكل معها وبين يديهما دجاجة وإذا بسائل يطرق الباب فقال لزوجته ادفعي له هذه الدجاجة فخرجت بها إليه فإذا هو زوجها الأول ، فدفعته إليه الدجاجة ورجعت تبهكي ، فقال لها مالك ؟ فقالت له إن السائل هو زوجها الأول ، وذكرت له قصته مع السائل الذي انتهره فقال لها أنا ذلك السائل اه ، وأنه تعالى هو أغنى وأقنى - كل يوم هو في شأن - لا يسئل عما يفعل - سبحانه وتعالى إنه حكيم عليم ، وفيه إذا دخل عليكم السائل بغير إذن فلا تطعموه ، وفيه لا تطعموا المساكين مما لا تأكلون ، قال تعالى - ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون - الآية ، قال - لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - ولذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يتصدق بألف قنطار من السكر في العام ، فسئل عن ذلك فقال إني أحبه والله يقول - لن تنالوا البر - الآية ، وفيه « أطعموا طعامكم الأنقياء وأولوا معروفكم المؤمنين »

وفي [جه] وأعطى الله بقدر اتساع مالك وقدر مصروفك على أهلك ونوائبك وعلى قدر ما يدخل يدك من التجارة والأسباب في كل وقت ، ومن كان عنده خمسون قنطاراً من المعهود عندكم وكان كثير الأهل والعيال وصرف في كل يوم مثقالاً أجزأه ولم يطالب بحقوق المال في شيء ، فإن زاد وأعطى كل يوم مثقالين فقد أكثر العطاء ، وإن زاد على مثقالين كل يوم فقد خرج إلى التبذير ، وهذا في غير سائل أنك جائعا يطلب خبزة أو خبزتين يأكلهما من واحد إلى اثنين إلى ثلاثة فلا سبيل لردهم وإن زاد على ذلك ، فلا خرج عليك فيما تمنعه من الإعطاء وإن جاءك ما يزيد على هذا فقل لهم يفتح الله علينا وعليكم ، فإن ذكر لك وجه الله تعالى ووجه رسوله صلى الله عليه وسلم فأهبطه من أوقية إلى أوقيتين ولا عليك فيما وراء ذلك ، فاحفظ هذا القدر واعتن بتحصين مالك من التلف فإن مالك به يهان إيمانك بالله تعالى فإن أنفقت أنفقت إيمانك بالله تعالى : ثم قال : وإن للشيطان لعنة الله مكرراً خفياً بصاحب المال تقياً متقياً لأمر ربه فيما يقدر ، عليه كافاً كثيراً من شره ، منغمساً في كثير من أمور التقوى . ويراها في ذلك مطمئناً بماله لا ينزعج فيأتيه اللعين بمكره الخفي ويسوق الناس إليه لطلب العطاء لله ، ويخوفه في قلبه من منعه لهم ، يقول له في قلبه إن رددت هؤلاء مسخط الله عليك أو سلمك نعمته ، ولا يزال يستدرجه في مثل هذا وقصده أن يفرق عنه المال ليذهب دينه وإيمانه ، فلا يزال كذلك إن لم يكف عنه حتى يفرق جميع ماله فإذا فرقه وقع التشويش في قلبه فيريد أن ينفق نفقته التي كان ينفقها في سعة اتساع المال فلا يجد السبيل إليها فيقع التشويش والترويع له من أهله طلباً لما اعتادوه من اتساع النفقة : فإن لم يأت بها آل الأمر بينه وبين أهله إلى اتساع السخط والغضب والعدواة فيكثر عليه الضيق والغيظ فلا يجد فيه وقتاً يذكر فيه ربه ولا يؤدي فيه أمراً من طاعة ربه ، وربما ضاع عليه فرض الصلاة فيحمله ذلك على أخذ الدين من الناس وإتلافه في النفقة ، فعن قريب يحل به الوبال والويل من عدم وجوده ما يقضى به دين الناس ويصبح في زمرة الهالكين : فقد تلف دينه وعقله ودنياه وآخرته فبئس مراد الشيطان منه فيما كان يرغب فيه من الإعطاء لله وهدم المنع وحل هذا المكر اه .

وفي [ثيق] أخذ علينا المعهود أن لا نرد قط سائلاً محتاجاً إلا إن سألنا شيئاً نحن محتاجون إليه لنفسنا أولئك لزمنا مؤلته سيما إن صار حالنا بعد إعطائه له كحالنا هو في الحاجة قال تعالى - ولا تجعل يدك

مظلولة إلى حنقك ولا تبسطها كل البسط فتقع ملوما محسورا - وقد باع الخضر عليه السلام نفسه في حاجة سائل سأله بالله عز وجل أن يعطيه شيئا يتبلغ به ، أنظره . وفيه : أخذ علينا اليهود إذا مررنا على شريف أو شريفة على قوارع الطريق بسألان الناس أن ندفع لهما ما نقدر عليه من الدراهم أو الطعام أو الثياب أو نعرض عليهم الإقامة عندنا لنقوم لهم بالكفاية الشرعية حيث استطعنا ذلك ، ويقبح على من يدعى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمر على أولاده وهم على قوارع الطرق يسألون الناس فلا يعطيهم شيئا ، والله غفور رحيم اه . وفيه : ولا ينبغي لنا أن نتعال في منعنا لما طلبوه بقولنا حتى يثبت شرفهم فإن إعطاء الممن لم يثبت شرفه ربما كان أوجه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : هذا كله إذا لم يقسم الشريف علينا بجمده صلى الله عليه وسلم ، وكذلك إذا قال أعطوني نصفاً لأجل جدي أو رغبتنا أو فلان فيشتد علينا لإكرامه ، أنظره . وفيه : أخذ علينا اليهود أن لا ندع أحدا من إخواننا ينكر على أحد من الفقراء الطوافين على الأبواب والدكاكين يستلون الناس وأولوا عليهم لأن الفقراء ربما يريدون أن يحملوا عنهم أنواعا من البلاء ويطفؤا عنهم بحاراً من الخطايا ، وفي الحديث « هدية الله للمؤمن وقوف السائل على بابه » وكان محمد بن الحسين رضى الله عنه إذا رأى سائلاً على بابه يتبسم في وجهه ويقول له مرحبا بمن يحمل زادنا إلى الآخرة بغير أجره ، وكذلك لا تمكن أصحابنا من قولهم هؤلاء قادرون على الكسب فيحرم عليهم السؤال ؛ لأن ذلك حجة في البخل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي السائل وإن كان غنيا ويقول : « للسائل حق وإن جاء على فرس » وربما كان هذا السائل ممن لم يقسم الله عز وجل له حرفة في دار الدنيا غيرا السؤال لله تعالى أو لعباده انظره وفي [غصن] وسألته رضى الله عنه هل أتكرم وأوتر أهل القلة أم أتأدب مع الله تعالى الذي أفقرهم ؟ فقال الأدب أرجح عندي فإنه ما أفقر غنيا إلا الحكمة أراد إظهارها ، فلا تجهل فإن كل مافي الوجود يمرأى من الله تعالى ومسمع فاصحبه تعالى بالأدب معه ومع مصنوعاته بماهى عليه في تلك الحالة التي شهدتها ، ولا تطلب نقلها عن تلك الحالة بغير إذن صريح منه وربما خالفت الآداب وطلبت أن تغنى من أفقره الله فيحول تعالى ذلك الحال إليك وينقلك عما تحبه وترضاه إلى ما لا تحبه ولا ترضاه كما طلبت أن تنقل ذلك المبد عما أحبه الله ورضيه ، ثم إن هذا عنك ولم يعاقبك فقد يكون ذلك العقوب استدراجا من حيث لا تشعر فنهلك مع الكافرين اه . قال رحمه الله :

(دَعُوا الْغُلَّ بَيْنَكُمْ وَكُلُّ صَغِيَةٍ
وَلَا تَهْمِلُوا حَقَّ الْإِخَاءِ بِضِيعَةٍ
فَمَنْ صَمِعَ الْحَقُّوقَ يُبْلِ بِضِيعَةٍ
وَذَلِكَ امْتِحَانٌ مِنْ إِلَهِ الْبَرِيَّةِ
لَذَلِكَ حُمِتْ جَنَّةُ الْمَسْكَاةِ
كَما حُمِتِ الْجَحِيمُ أَيْضاً بِشَهْوَةِ)

(دعوا) أمر من ودعه تركه (الغل) بكسر معجمة كالخقد والضغن وزنا ومعنى ، وبضمها ما يوضع في العنق قال تعالى - إذا الأغلال في أعناقهم - وفي الحديث « إنما النساء أغلال فلينظر العاقل أى غل يضع في عنقه ويستعين الله على حمله » وفي [غصن] الغل والحسد يأكلان الحسنة كما تأكل النار الحطب ، قال تعالى - ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواننا على سرر متقابلين - وفي [علف] قال أبو حفص : كيف يبنى الغل في قلوب المتلفت بالله وانفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره ، فإن تلك قلوب صافية من هو أجس النفوس وظلمات الطباع ، بل كحلت بنور التوفيق

فصارت إخواننا فهكذا قلوب أهل التقوى والمجتمعين على الكلمة الواحدة ، ومن التزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق ، والناس رجلا رجل طالب ما عند الله تعالى ويدهو إلى ما عند الله نفسه وغيره فما للمحق الصوفي مع هذا مناقسة ومراء وغل فإن هذا معه في طريق واحد ووجهة واحدة وأخوه ومعينه والمؤمنون كالبيان يشد بعضه بعضا ، ورجل مفتن بشيء من محبة الخاء والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفي مع هذا مناقسة لأنه زهد فيما فيه رغب فن شأن الصوفي أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوا بامفتننا فلا ينطوى له على غل ولا يماريه في الظاهر على شيء لعلمه بظهور نفسه الأمانة بالسوء في المراء والمجادلة ، أنظره . وفي [جع] وأوصيكم بطهارة القلب من الحقد على المسلمين فإن من تخلق به لا يفلح ، وأوصيكم بالبعد عن سوء الظن بالله وبعباد الله فقد قال صلى الله عليه وسلم « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله » اه ولعنثرة الجاهلي :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الحسد

ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم - وفي [غص] ومحمته يقول : عايكم بتطهير قلوبكم من الغل والحقد والحرص ونحو ذلك فإن الملك لا يرضى أن يسكن بجواركم وأنتم على هذا الحال فكيف بالحق تعالى يادأود طهرني بيتنا أسكنه انظره .

[فائدة] اعلم أن من فوائد وثمرات صيام ثلاثة أيام من كل شهر أنها تزيل من قلب من صامها الحقد والغش وسوء الظن وغيرها من الكبائر الباطنة ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (بينكم) وبين إخوانكم المؤمنين (وكل ضغينة) كسفية الحقد. وفي [جص] « تعافوا تسقط الضغائن بينكم » وفيه « تساقطوا الضغائن » قال الحنفى : أى تعافوا أسباب محوها وإزالتها كالصفح والتخلق بالأخلاق الحسنة اه . وفيه « تهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة ولود عيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى كراع لقبلت » والسخيمة كالضغينة وزنا ومعنى ، وكراع كغراب ذراع الشاة . وفيه تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر ، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شاة فرسن وفرسن بكسر أوله وثالثه كزرج قطعة لحم بين ظلفي الشاة ، وينبغي لمن وجد في قلبه ضغينة على مسلم أن يضع يده اليمنى على قلبه ويمسحه ، ويقول : باسم الله اللهم ذوائى بدوائك ، واشفى بشفاائك ، وأغنى بعطائك عن سواك وأحذر عنى أذاك ثلاثا أو سبعا وإن زاد - إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز - فحسن . وفي [حى] ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى . قال بعض الحكماء : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقد إلا وحشة منه ، ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه نخيث لا يصلح للقاء الله ، ومن نعت أمته صلى الله عليه وسلم كما في التوراة أنه لا يحمل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم ، انظره . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول صلى الله عليه وسلم أن لا نحسد أحدا من خلق الله ولا نتمنى له زوال ما أعطاه الله تعالى له من علم أو جاه أو كثرة اعتقاد فيه أو نحو ذلك من الأمور الدينية أو الدنيوية هروبا من رائحة الاعتراض على الله تعالى وخوفا من مقتنا وطردها ولعننا كما وقع لإبليس ، فإن جميع ما وقع له كان أصله الحسد لآدم عليه السلام ، كما صرحت به الآيات والأنبياء

انظروه : وقيل : الحاسد لا ينال من المجالس إلا المذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً ولا ينال عند النزاع إلا شدة وهو لا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة وهو أنا. وعن سيدنا زكريا على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه قال : قال الله سبحانه وتعالى : « الحاسد عدو لنعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسوتي التي قسمتها بين عبادي » ورحم الله من قال :

ألا قل لمن بات لي حاسداً أتدري هل من أسات الأدب
أسات هل الله في فعله إذ أنت لم ترض لي ما وهب
فجازاك منه بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

ومن قال :

دع الحسود وما يلقاه من كمده كفالك منه طيب النار في كمده
وإن لم تذا حسد نفست كربته وإن سكنت فقد عذبته بيده

(ولا تهملوا) من الإهمال وهو الترك وعدم الاستعمال حق (الإخاء) بكسر الهمزة مصدر آخاه مؤاخاة وإخاء أخاه. أخا (بضمه) من ضاع يضييع هلك وتلف (فن ضيع) من التضييع الحقوق أي حقوق إخوانه الواجبة عليه (يبلى) أي يمتحن ويفتن (بضمه) جزاء وفاقاً إذ الجزاء إنما يكون من جنس العمل : اللهم إنا نألك العفو والعافية والسلامة بمحض فضلك ورضاك آمين. وفي [ع] قال أبو عبد الله : لا تضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة والصداقة فإن الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقاً لم يضييعها إلا من لم يراع حقوق الله عليه : ومن حقوق الصلابة أنه إذا وقع قرعة ومباينة لا يذكر أخاه إلا بخير أه. وفيه : فأداب الصلابة وحقوق الأخوة كثيرة، ثم قال : وحاصل الجميع أن العبد ينبغي له أن يكون لمولاه ويريد كل ما يريد لمولاه لا لنفسه، وإذا صاحب شخصاً تكون صحبته إياه الله تعالى يجتهد له في كل شيء يزيد عند الله زلقاً ، وكل من قام بحقوق الله تعالى يرزقه الله تعالى علماً يعرفه النفس وعبوبها ويعرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب ، ويوقفه من أداء الحقوق على بصيرة ويفقهه في ذلك كله ولا يفوته شيء مما يحتاج إليه فيما يرجع إلى حقوق الحق وفيما يرجع إلى حقوق الخلق فكل تقصير يوجد من خيب النفس وعدم تركيتها وإيقاع صفاتها عليه فإن حجب ظلمت بالإفراط تارة وبالتفريط أخرى وتعدت الواجب فيها يرجع إلى الحق والخلق والحكايات والمواعظ والآداب وسماها لا يعمل في النفس زيادة تأثير ويكون كبحر يقلب فيه الماء من فوق فلا يمتكث فيه ولا ينتفع به وإذا أخذت بالتقوى وزهدت في الدنيا نبع منها ماء الحياة ونفقت وعلمت وأدت الحقوق وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله سبحانه اه اللهم ملكنا أنفسنا ولا تسكننا إليها طرفة عين وانغمسنا في فضلك ورضاك آمين . وفي [ج] ولما كنتم ثم إياكم أن يحمل أحدكم حقوق إخوانه مما هو جلب مودة أو دفع مضرة أو إغاثة على كربة فإن من ابتلى بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الألفية، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه اه : وفي [ج] وأما رحمه الدين فإنه من أعظم الناس مواصلة له وأكثرهم بروراً وإحساناً لأهل جانبهم بواسي إخوانه وأصحابه وكل من له معرفة في الله بأنواع المواصلة ويحسن إليهم فبطعم جائعهم ويشمل ضائعهم ويكسو عاريهم ويرفق فقراءهم ويعين ضعفاءهم ، إذ هو رضى الله عنه أشد اهتماماً بأهل الأخوة الدينية يتألم لمصابهم أكثر مما يتألم لذوى نسيبه ورحمه أعظم الناس عنده قرباً أكثرهم في الله حياً فيقرب الإنسان عنده من ذلك ولو كان من أبعد الأجانب ويبعد عنده البعيد

ولو كان من أقرب الأقارب تجده يستعظم حقوقهم ، ويرى أن القيام بها غير مستطاع سمعته غير ما مرة يقول : من ابتلى بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الإلهية ، نسأل الله السلامة والعافية من هذه البلية العظيمة التي عمت بها الباوى في حال المدعين للأخوة في هذا الزمان الزميل اهـ - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - وفيه : استدراك ما ذكرناه من مراعاة حقوق الإخوان فليكن ذلك من غير حرج ولا ثقل ولا كلفة بل بما تيسر وأمكن في الوقت إلا أن يكون في بعض العوارض يخاف من أخيه العداوة والتقطيع وإفساد القلب فليسر لإصلاح قلبه فإن ذلك يستجاب الرضا من الله تعالى اهـ . وفيه : وعائكم بمصالة الرحم من كل ما يطيب القلب ويوجب المحبة ولو بتفقد الحال والقاء السلام ، وتجنبوا معاداة الأرحام وحقوق الوالدين وكل ما يوجب الضيق في قلوب الأشياخ اهـ - رب اغفرلى وأوالدى والمؤمنين يوم يقوم الحساب - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا - آمين وفى [ثيق] أخذ علينا العهد أن نعلم كل من رأيناه في بلاء في هذا الزمان طريق الخلاص منه لاسيا أهل القرى من التلاحين لغلبة الجهل عليهم - ومن أعظم طريق إلى دفع البلاء النازل على الناس في حارة أو قرية أو زاوية مصلحة بعضهم بعضا حتى لا يبق بينهم شحنة ولا عداوة ، ثم التعطف على بعضهم بالبر والإكرام والهدايا ، فإذا حصل الائتلاف والمحبة ارتفع البلاء عنهم كالبرق الخاطف ، ثم قال : وذلك أن البلاء لا ينزل قط على قوم وهم على قلب رجل واحد أبدا ، ولو قدر أن البلاء نزل يمكث بين السماء والأرض حتى يقع بينهم عداوة وتقاطع فينزل حينئذ : وقد قال شخص مرة لسيدى على الخواص : يا سيدى ما بقى قلب مع قلب في هذا الزمان فما سبب ذلك ؟ فقال الشيخ سبب ذلك عدم برهم لبعضهم لأن الحسنة هي التي تربط القلوب بعضهم مع بعض . وقالت هذا الأمر قد آيسنا من وقوعه ما بقيت الدنيا ، ثم قال : وانظر يا أخى إلى صاحبك وجارك الغنى كيف يمكث السنة والسنتين وأكثر لا تنظر منه قط لقمة ولا خرفة ولا حسنة من حسنات الدنيا إلى أن يموت ، وإن وقع ذلك من جار أو صاحب فهو من غلطات الزمان ، وقد صار الأمر روايات وأخبار آكانه قط لم يكن في الوجود : وقد سمعت سيدى عليا الخواص قبل موته بنحو ثلاثة أيام يقول : قد صار الخلق الآن كالسمك الذى كان في بركة ^(١) ماء فنشف ^(٢) عنه الماء فصارت الحدادى ^(٣) والكلاب تفسخه بالنهار والشعالب والذئاب بالليل وما بقى يرجى عود الماء ليغمس فيه الذى هو كناية عن الرحمة ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اهـ . اللهم أغرقنا في دائرة فضلك وإحسانك وجودك وكرمك وامتنانك ، وفى بحر محبتك ورضوانك وفى وسع رحمتك ، يا أرحم الراحمين ارحمنا وباعفوا عاف عنا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - آمين (وذاك امتحان) أى ابتلاء واقتتان قال تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - وقال - لنبلوكم أبكم أحسن عملا - (من إله البرية) سبحانه وتعالى لا يستل عما يفعل - فعال لما يريد - يخلق ما يشاء ويختار - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون - الآية - ليميز الله الخبيث من الطيب - الآية (لذلك) أى لأجل هذا الابتلاء والامتحان (سمعت) أى أحدثت وأحييت (جنة) رزقنا الله والمسلمين من أعلاها أو فرحظ ونصيب بمحض الفضل والتحييب بحاء النبی الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفى [جص] الجنة بناؤها

(١) قوله بركة يكسر موحدة كسيرة: جمع الماء اهـ . (٢) قوله فنشف بكسر معجمة: كس وزنا ومعنى اهـ .

(٣) الحداد كسحاب الحديثة اهـ .

لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها ^(١) المسك الأذفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران ، من بدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ، أنظروا (بالمشكاة) جمع مكرمة كقعدة وتضم الراء المشاق التكيليفية (كما حفت الجحيم) وهي النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض أجارتنا الله والمسلمين منها آمين ، ولها أسماء سبعة بحسب طبقاتها ودركاتها وهي : جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية ، ورحم الله من قال :

جهنم لظى ثم الحطيم وبعدها سعير وكل الويل يا صاح في سقر
ومن بعدها تأتي الجحيم بزفرة وهاوية تهوى وذا أقول مختصر

وسكنت ميم جهنم للوزن . وفي [حى] قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب ، لا ينتهى الكافر والمتأفق حتى يواقع ذلك كله » وقال على كرم الله وجهه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن قبل يارسول الله وما وادى أوجب الحزن ؟ قال وادى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين ، فهذه سعة جهنم والشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها ، وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصى العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ، فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها . قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتندرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها » أنظروا . وفي [جص] « أدنى أهل النار عذابا يتعمل بتعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه » وفيه « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » انتهى . والشهوات : كل ما يستلذ به بما منعه وحرمة الشرع . والمكاره ما أمر به المكلف من مجاهدة النفس فعلا وتركها كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولاً وفعلًا وأطلق عليه مكاره لمشقها على العامل وضعفها ، ومن حملتها الصبر على المعصية والتسليم لأمر الله فيها ، وهذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشقت عليها فكأنه قال لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكاره ، ولا إلى النار إلا بتعطى الشهوات وهما معجوبتان فمن خرق الحجاب دخل ، انظر العزيزي . وعن سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين لما سئل عن هذا الحديث الشريف : اعلم أن الله تبارك وتعالى من محض فضله وجوده وكرمه يغفر من الذنوب العظام بالكرب والشدائد والمصائب مالا يغفره بكثرة الأعمال الصالحات حتى يتمنى العبد يوم القيمة أنه لم يصف له وقت من الأوقات ، فإن الله إذا عرض على العبد أعماله في صحيفته يقرأ ما فيها من الذنوب فإذا وجد في صحيفته كربا ألم به يقول الله له سبحانه وتعالى بهذا الكرب غفرنا لك ما تقدمه من ذنوبك وأعطيناك عليه كذا وكذا من الثواب إلى آخر صحيفته ، حتى يتمنى أنه ما صفا له

وقت من الدنيا وهذا مظهر الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم «عجب ريك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» أصحاب الكروب والشدائد وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم «حفت الجنة الحديث» انظر [جه] وفي [جص] ليودن أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قرضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء انتهى (أيضا بشموة) وهي كل ما تستلذه النفس الأماراة بالسوء من كل ممنوع شرعا كما مر . قل رحمه الله :

(وَفِرُّوا مِنَ الدَّعْوَى وَلَا تَنْتَهُوا لَهَا وَقُولُوا عبيدُ اللَّهِ أدنى البرية)

(وفروا) كل الفرار (من) قرب صاحبة (الدعوى) للصالح والفلاح فمن زعم أنه تقى أو صالح أو أنه أفضل من غيره فهو شيطان مريد وطريد عن رحمة الله المحيد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى - وقال - ولو لأفضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء وفي [جد] سألت أخى أفضل الدين رضى الله عنه عن تزكية الإنسان نفسه هل ذلك يدخل في شهادة الزور بلهله بعاقبة أمره أم لا ؟ فقال رضى الله عنه : تزكية الإنسان لنفسه بمن قاتل مطلقا لذور عامه ومعرفته وفتح لباب طرده عن حضرة ربه وعدم انتفاع الناس بعلمه ومعرفته ، وثربا يجعله الله تعالى ضررا صرفا لا نفع فيه كما وقع لإبليس ومن باب شهادة الزور الذى هو الميل ، لأنها قول مال بصاحبه عن طريق السعداء إلى طريق الأشقياء ، فقلت له فإن وقعت من إنسان تزكية نفسه لغرض صحيح ؟ فقال رضى الله عنه : لا بأس إذن فقد زكت الملائكة نفسها - ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك - وقال عيسى عليه السلام - إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت - وقال صلى الله عليه وسلم «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» فإن الملائكة إنما مدحت نفسها لبيان شرف آدم عليه السلام فكان لإعلامهم بشرفهم ثم سجدتهم له أعلى في كمال آدم من سجدتهم له مع جهل الحاضرين بمقام الساجدين ، وكذلك عيسى إنما قال ذلك مخض عبودية وإظهار ألتمع سيده ، كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ما قال «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» إلا ليعلم خواص أمته بأنه أول شافع يوم القيامة حتى يأتوه أولا ويستريحوا من طول الوقوف ومن إتيانهم إلى نبي بعدني فطلب بذلك التزكية تقربا للطريق عليهم فما ذهب إلى غيره إلا من لم يبلغه هذا الحديث في دار الدنيا ، ثم قال وكذلك الحكم في تزكية العلماء والعارفين نفوسهم عند تلاملتهم إنما يقصدون بذلك ضمهم إليهم وعدم تفرقتهم فيضيع حالهم وتطول الطريق عليهم لاسيما إن كانوا محققين في ذلك ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نقر النفس قط على دعواها العلم والمعرفة فوق جميع أقرانها . وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام كفاية لكل معتبر ، وقد وقع للحسن البصرى رضى الله عنه أنه قال يوما لأهل مجلسه وكان فيه خمسمائة محبرة تكتب عنه : لا تسألوني عن حلم نزل من السماء إلا أخبرتكم به فقام له شاب نحيف البدن يتوكأ على عصاه فقال : قد سمعت قولك آنفا ولكن بإسبدي هل للناموسة في بطنها مضران والا كرش ؟ فادوى الحسن ما يقول فحمل مغشيا عليه فمات بعد ثلاثة أيام رحمه الله تعالى . ووقع للشيخ محيى الدين بن العربي أنه ركب البحر فهاجت ريح شديدة فقال : اسكن يا بحر فإن عليك بحرا من بحر العلم ، فسكن البحر بمجرد قوله ، ثم إنه طلعت له هائشة فقالت : يا محيى الدين أسألك عن مسألة واحدة فإن أجبت عنها فأنت بحر العلم ، وإن لم تجب عنها فأنت جاهل لا ينبغي لك دعوى العلم ، فقال

لها وما هي ؟ فقالت إذا مسخ الله عز وجل زوج امرأة هل تعتد عدة الأحياء أم عدة الأموات ؟ فادري الشيخ محي الدين ما يقول ، فقالت له الهائشة نعماني شيخة لك وأنا أقول لك عليها ، فقال نعم ، قلت إن مسخ حيوانا اعتدت عدة الأحياء وإن مسخ جادا اعتدت عدة الأموات ، فن ذلك اليوم ما سمع من الشيخ محي الدين دعوى العلم حتى مات ، أنظره (ولا تنتهوا) أي لا تنتسبوا (لها) أي إلى الدهري بحال من الأحوال إذ لا خير فيها ولا فيمن حل بساحتها ، وفي الحديث « المنتسب بما لم يعط كلابس ثوبي زور » وذلك كمن يلبس ثياب الزهد ويظهر من التخشع والتزهد أكثر مما عنده في قلبه ، ورحم الله من قال :

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

ومن قال : كل امرئ راجع يوم المشيئة وإن تخلف أخلاقا إلى حين

وفي [جه] ويترأ من الدعوى أتم براءة ويتصل منها غاية التنصل لا يقبل من أحد فعل ذلك ، وإذا حكى شيئا صدر عنه من محاسن الأعمال أو أشار إلى بعض ماله من سني^(١) الأحوال لغرض من الأغراض أسنده إلى مجهول فيقول وقع لبعض الناس أو لرجل كذا وكذا ولا يسمى نفسه بما نلتقي بمن حضر معه في بعض تلك القضايا فيخبرنا بأنه هو فاعلمنا فصرنا نعلم ذلك من حاله ولا يحجب من ينسب إليه شيئا ولا من يصرح له سر من الأسرار ولا من يمدحه وإذا واجهه أحد يوما بشيء عليه لم يسامحه إلا إن كان غائبا أو غرا بمدارك الأمور ، ويشدد التكبير في دعوى الفقر وما يشار إليه ويقول إلى الآن ما حصلت لنا التوبة ولا الإيمان الكامل أو كلا ما هذا معناه تنبيهنا للأمة وإرشادنا للتابعين ، والتعلم بالفعل أبلغ نصحا وأتم نجما فجراه الله عنا خيرا وزاده منه وبرا ، وقد نجح والحمد لله ذلك ومرى للأصحاب ما هناك لا يحبون الدعوى ولا من يشتغل بها لما يعلمون من حاله ويسمعون من مقاله ويرون من فراره منها يقول : إن عقوبتها الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى يزجر السامعين بهذا الكلام ، وإنه لحقيق بمن ادعاه بما ليس فيه أن يجازي بسوء الخاتمة ونسأل الله السلامة والعافية من هذه البلية العظيمة ، وبحب الخمول ولا يحب الظهور ولا يتعاطاه اه . وفي الحكم : أدفن وجودك في أرض الخمول فانبت مما لم يدفن لا يتم نجاهه اه . وعن بعضهم : ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافترض ، وعنه أيضا لا يجد حلاوة الآخرة من أحب أن يعرفه الناس ، ورحم الله من قال :

عش حامل الذكر بين الناس وارض به فذاك أسلم في الدنيا وفي الدين

من عاشم الناس لم تسلم دينه ولم يزل بين تحريك وتسكين

(وقولوا) بالسنتكم وأفندكم نحن (عبيد) بفتح العين جمع عبد (الله) تعالى ونحن (أدنى) أي أحقر وأضعف (البرية) قدرا وعملا تواضعا لربكم وهضمنا لأنفسكم فإن من تواضع لله رفعه الله في الدنيا والآخرة : وفي [جص] تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر ، قال الحنفى إذ لا كبير إلا من كان كبيرا عند الله بالطاعة : أما كبراء الدنيا المعصاة فهم محقرون عنده تعالى اه . ورحم الله التابلسي . إذ قال في أغنياء الدنيا المعصاة :

والفض^(٢) القلب من غبار الترجى والحقى بلجأهم والعلاء

(١) سني كسني اه . (٢) قوله انفض بضم فاء من انفض ككسر اه .

لأنهم جاهلهم توهم عز في هوان وشهرة في خفاء
وعلاهم محض استفال وخفض واحتقار عند البصير الرائي
وقد قيل : نفس المؤمن علية وبعبها مشغولة . وفي [جص] « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب
الناس وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة فلم يعدل عنها إلى البدعة » ورحم
الله من قال :

إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم ولا عيب إلا مثل ما فيك يذكرو
وإن عبت قوما بالذي فيك مثله فكيف يعيب العور^(١) من هو أعور

وفي [هب] عن ابن عتيق قال : رأيت الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن مفيد يوما وهو يمشي في
يوم شات كثير المطر والطين ، فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان يمشي عليها : قال : فرأيت
قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز وحينئذ يمشي هو ، فلما قرب منه الكلب
رأيت أنه قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشي فوقه . قال : فلما جاز الكلب
وصلت إليه فوجدته عليه كتابة فقلت له : ياسيدي رأيتك الآن صنعت شيئا استغربه كيف رميت
نفسك في الطين وترك الكلب يمشي في الموضع النقي ؟ فقال لي : بعد أن حملت له طريقا نحتي
تفكرت وقلت : ترفعت من الكلاب وجعلت نفسي أرفع منه ، بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة
لأنني عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له ، فنزلت له من موضعي وتركته يمشي عليه ،
وأنا الآن أخاف المقت من الله إلا أن يعفو عني لأنني رفعت نفسي على من هو خير مني اه . وفي
[ثيق] أخذ علينا اليهود أن نشهد مقامنا الحقيقي دائما كأنه دون مقام كل مؤمن عند الله تعالى ، فكانه
في التمثيل بالمحسوسات هو التراب الذي تطؤه الأقدام وتبول عليه الكلاب ولا ترفع نفوسنا عن الأرض
ساعة من ليل أو نهار ، وذلك لأن الأرض أمنا التي خلقنا منها ولا ينبغي لعاقل أن يرى نفسه على أمه ،
ومن تحقق بهذا المقام لا يفارقه رضا الله عز وجل ولا رضا الخلق أبدا . ومن علامة تحقق العبد بهذا
المقام أن لا يستبعد وقوعه فيما أضعف إليه من النقائص التي هي مفرقة في سائر الخلق ، وأنه إن لم يكن
وقع فيها فربما يقع فيها في المستقبل أو بهم بها أو تخطر على باله لعدم العصمة ، ثم قال : ومن فوائد
العمل بهذا العهد أن صاحبه إذا وقع لا ينكسر لأنه جالس على الأرض بخلاف من رفع نفسه فوقها
فإنه ربما ينكسر إذا وقع بقدر ما رفع نفسه فيادوام تكسير من رفع نفسه فوق جميع أقرانه ، وكذلك
من عمل بهذا العهد يأخذ الناس بيده إذا زلتي ويتوجهون له بخلاف من رأى نفسه عليهم فلا يأخذون
بيده بل يشمتون به . وكان من آخر وصية سيدى أحمد بن الرفاعي وهو في مرض الموت : كونوا ذنبا
ولا تكونوا رأسا ، فإن الضربة أول ما تقع في الرأس ، ثم أشار إلى نخلة وقال : للحاضرين : انظروا
إلى هذه النخلة لما قامت بصدرها جعل الله ثقل حملها عليها ولو حملت ما حملت لا يساعدها أحد ، بخلاف
شجرة البقطين لما مدت خدها على الأرض جعل الله ثقل حملها على غيرها ولو حملت ما حملت لانحس
به اه انظره . قال رحمه الله :

(وَلَا تَزِدُّوا عِبَادًا عَلَىٰ حَالَةٍ يَكُونُ عَلَيْهِمْ قَاسًا يَخُونُ بَصِيرَةً)

(١) قوله العور بضم عين : جمع أعور اه .

(ولا تزددوا) من الازدراء وهو الاحتقار (عبدا) من عباد الله تعالى ، قال تعالى - ولا أقول للذين تزددوا
أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين - ومن وصايا النووى رضى الله
عنه : إراك أن تحقر أحدا من إخوانك فإن العاقبة مجهولة والعبد لا يدري بما ينجم له ، فإذا رأيت حاصيا
فلا تعجب بنفسك عليه فربما كان في حلم الله أعلى منك مقاما وبصير يشفع فيك يوم القيامة ، وإذا رأيت
صغيرا فاحكم بأنه خير منك باعتبار أنه أقل منك ذنوبا ، وإذا رأيت كبيرا فاحكم بأنه خير منك لتقدمه
في الإسلام ، ورحم الله الشريشى إذ قال في رايته المعلومة :

ولا تترن في الأرض دونك مؤمنا ولا كافرا حتى تغيب في القبر
فإن ختام الأمر هنك مغيب ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

قال الله تعالى - لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا - وقال - ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير -
الآية - وما أدري ما يفعل بي ولا بكم - الآية - وفي [هب] عن الحاتمي رضى الله عنه : ومن آدابهم مع
الله تعالى وقايل فاعله أن يعتقد الإنسان أن الله نظرات في كل زمان إلى قلوب عبادهم يمنحهم فيها من
معارفه ولطائفه ماشاء ، فإذا فارق شخصا ساعة واحدة وأعرض عنه نفسا واحدا وهو جالس معه ثم عاد
إليه فإنه يتنبأ للقاءه بالخدمة والتعظيم لعل نظرة من نظراته حصلت له أغنته ، فإن كان الأمر كذلك يعنى
فإن حصلت له نظرة من تلك النظرات فقد وفى معه الآداب ، وإن لم يكن الأمر كذلك يعنى بأن لم يحصل
له شيء من تلك النظرات فقد تأدب مع الله تعالى حيث هامله بما تقتضيه المرتبة الإلهية ، وهذا مقام
عزيز قل أن ترى له ذاتقا ، وكذلك أيضا إذا شاهدوا حاصيا في حال عصيانه ثم زال عن تلك المعصية
فإنهم لا يعتقدون فيه الإصرار ويقولون لعله تاب في سره ولعله ممن لا تضره المعصية لاعتناء البارى به
في هاقبة أمره ، ومن نظر نفسه خيرا من أحد من غير أن يعرف مرتبة ذلك الآخر بالغاية لا بالوقت فهو
جاهل بالله عز وجل مخدع لاخير فيه ولو أعطى من المعارف ما أعطى اه . (ونقل) أن الإمام الباقر
وصى ابنه رضى الله عنهما : بأن الله خبا ثلاثة في ثلاثة : سخطه في معصيته ، فلا تحقرن معصية فاعل
سخطه فيها ، ورضاه في طاعته ، فلا تحقرن طاعة ، فلعل رضاه فيها ووايه في سخطه ، فلا تحقرن أحدا فاعله
ذلك الولي ، ورحم الله من قال :

فلا تحقرن شخصا من الناس عله ولي إله العالمين ولا تدري
قلو القدر عند الله تخاف من الورى كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

وفي [جه] عن المرسى رضى الله عنه : إن لله عبادا يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية ، وإن
الله عبادا يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ، وإن لله عبادا يسترهم عن العامة ويظهرهم للخاصة ،
وإن لله عبادا صن^(١) بهم عن الخاصة والعامة فلا يظهر حقيقة ما بينهم وبينه حتى للحفظة فن سواهم
حتى يتوفى أرواحهم بيده فهم شهداء الملكوت الأعلى وهم أهل الصف الأيمن من العرش ، فهؤلاء
خاصة الخاصة ، جعلنا الله منهم جميعا بمته وكرمه آمين اه . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود ونرجوا من
ربنا الوفاء أن نرى نفسنا دون كل جليس من المسلمين ولو بلغ ذلك المسلم في النقص ما بلغ ، فترى نفسنا
دونه ، وكان على ذلك جمهور السلف الصالح رضى الله عنهم ، ثم قال : وسمعت سيدي عليا الخواص

رحمه الله يقول : من شك من أصحاب الرهونات في أن نفسه دون جليسه فليعرض على نفسه جميع زلاته التي وقع فيها طول عمره ويقابل بينها وبين ما يعلمه من نقائص ذلك الجالس فإنه يجد معاصيه أكثر بيقين غالباً لأن الشخص في الغالب يعلم من نقائص نفسه أكثر مما يعلمه من نقائص غيره ، ومن كان أكثر معاص من جليسه فهو دونه بيقين في المقام ، ثم لا يجوز للإنسان أن يقيس جليسه على نفسه في كثرة المعاصي بالظن والتخمين : ثم قال : فاشهد نفسك بأنني دون جليستك المسلم لتصير من أهل التواضع ويرفعك الله فوق أقرانك ، وفي الحديث الصحيح « من تواضع لله رفعه الله » فإن رأيت نفسك فوق إخوانك صرت تحتم وإن شهدتهم فوقك صرت فوقهم ، ولم يتعبدنا الحق تعالى بأن نرى نفوسنا فوق أحد من الخلق إلا من حيث الشكر فقط لا من حيث الزهو والعجب والكبر ، بل نهانا عن الكبر أشد النهي وقال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » يعني على أخيه المسلم . وفيه : أخذ علينا اليهود أن لا نستبعد رحمة الله عز وجل على أحد من المسلمين فلما وسعت كل شيء ، وربما يفر الله لذلك المعاصي ذنوب كل يوم بيومه فلا يمسي كل ليلة إلا مغفوراً له ، ولولا ذلك لحق الله العصاة بأسرهم اه . قال تعالى - ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم مترك عليها من دابة - الآية - ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون - الآية (وعلى أي حالة) من الحالات (يكون عليها) إذ ربما تكون له فيها نية صالحة وإن كانت في الظاهر مذمومة شرعاً وطبعاً ولا سيما البهاليل والمجاذيب ولو تلبسوا بالمعاصي في الظاهر فلأنهم فرق في مشاهدة الباطن الظاهر سبحانه وتعالى فإن الازدراء يؤدي إلى الإنكار والانتقاد وليس ذلك بمحمود ولا سداد : وفي [جص] ذروا العارفين المحدثين من أمي لا تنزلوهم الجنة ولا النار حتى يكون الله هو الذي يقضي فيهم يوم القيامة ، وفي العزيزي قال المناوي : ويظهر أن المراد بهم المجاذيب ونحوهم الذين يبدوا منهم مظاهره يخالف الشرع فلا تعرض لهم بشيء ونسلم أمرهم إلى الله تعالى اه . ورحم الله من قال :

مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز ، على أبوابهم يسجد العقل

وفي [عم] وحكى لي شيخ الإسلام المحدث الشيخ أمين الدين إمام جامع الغفر بمصر عن شيخ الإسلام صالح البلقيني أن والده الشيخ سراج الدين مر يوماً بباب اللوق ، فوجد هناك زحمة فقال ما هذه الزحمة ؟ فقالوا له شخص من أولياء الله يبيع الحشيش ، فقال لو خرج الدجال حينئذ في مصر لاعتقدوه من شدة جهلهم كيف يكون شخص حشاش من أولياء الله إنما هو من الخرافيش ثم ولي ، فسلب الشيخ جميع ماله حتى الفاتحة فتكرت عليه أحواله وصارت الفتاوى تأتي إليه فلا يعرف شيئاً ونسي ما قاله في حق الحشاش ، فكث كذلك في مدرسته بحارة بهاء الدين ثلاثة أيام فدخل عليه فقير فشكى إليه حاله فقال هذا من الحشاش الذي أنكرت عليه ، فإن الفقراء أجلسوه هناك يتوب الناس عن أكل الحشيش فلا يأخذها أحدهم يده ويعود إلى أكلها أبداً حتى يموت ، فأرسل استغفر له يرد عليك حالك ، فأرسل له فمجرد ما أقبل الرسول أنشده الشيخ :

نحن الخرافيش لا	نسكن	هوالى الدور
ولا نسراى ولا	نشهد	شهادة زور
نقتنع بخرقه وله	حقة في	مسجد مهجور
من كان ذا الحال حاله	ذنبه	مغفور

فلو كنا عصاة يبيع الحشيش ما أقدرنا الله على سلب شيخ الإسلام، ثم قال له: سلم على شيخ الإسلام
وقل له: اعمل أربعة عرفان معاليف سواء وأربع مائة رغبة وتعال اجلس عندي كل من بعته قطعة
حشيش زن له رطلا وأعطه رغبيا، فشق ذلك على شيخ الإسلام فزال به أصحابه حتى فعل ذلك وصار
يزن لكل واحد الرطل ويعطيه الرغيف والشيخ يتبسم ويقول: نحن نخليهم في الباطن وأنت تخليهم في
الظاهر إلى أن فرغ الحرفان، ثم قال له: إذ ذهب إلى الديك الذي فوق سطح مدرستك فاذبحه وكل
قلبه يرد عليك علمك، فبأنه عليك كيف تنكر على المسلمين يعلم حله الديك في قلبه ففي ذلك اليوم ما
أنكر الشيخ الهمداني^(١) على أحد من أرباب الأحوال. ثم قال: (وحكي) الشيخ نور الدين الشافعي أن
شخصا في قنطرة الموصلي كان مكاريا يحمل النساء من بنات الخطا وكان الناس يسبون ويصفونه
بالتعريض، وكان من أولياء الله تعالى لا يركب امرأة قط من بنات الخطا وتعود إلى الزنى أبدا، فقال
للشيخ نور الدين له: بم وصلت إلى هذه منزلة؟ فقال بإحتمال الأذى، ثم قال: وسمعت معنى سيدي عليا
الخواص يقول: إن الله تعالى أعطى أرباب الأحوال في هذه الدار التقديم والتأخير والولاية والعزل
والقهر والتحكم على الله تعالى الذي هو الإدلال عليه ونفوذ الأمر في كل ما أرادوه من الأمور، فلماذا
والإنكار على أحد إلا بعد التوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحفظكم من ذلك الرجل والإفراط
مقتكم فهل كنتم؟ وسمعت سيدي عبد القادر الدشوطي يقول: أرباب الأحوال مع الله كعالمهم قبل
خلق الخلق، وإزال الشرائع اه، انظره.

وفي [هـ] إن الولي الكبير بما يظهر للناس بعض وهو ليس بعاص وإعمار وجهه حجبته ذاته فظهرت
في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية لأنها إذا كانت حراما مثلاً فإنها بمجرد جعلها
فيها ترميها إلى حيث شئت، وسبب هذه المعصية للظاهرة شقاوة الحاضرين والعباد بالله تعالى،
فإذا رأيت الولي الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهد للمحاضرين بأن الله تعالى أراد بهم الخير، أو معصية
فاشهد بشقاوتهم، وكذا أن أرواحهم هي التي تقوى كراماتهم كذلك هي التي تقوى معاصيهم الظاهرة.
وفيه: إن الولي الكامل يتلون على قلوب القاصدين وياتهم فن صفت نيتهم رأه في عين الكمال وظهر
له الخوارق وما يسميه، ومن خبث نيتهم كان على اللص من ذلك، وفي الحقيقة ما ظهر لكل واحد إلا
ما في باطنه من حسن وقبح، والولي بمنزلة المرأة التي تتجلى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة، فن
ظهر له من ولي كمال ودلالة على الله، فليحمد الله تبارك وتعالى، ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على
نفسه، ثم قال: إن الولي إنما يعتبر من القاصدين إليه باطنهم، وأما ظاهرهم فلا جبر به عنده، والقاصدون
على أربعة أقسام: قسم يستوى ظاهره وباطنه في الاعتقاد، وهذا أصعبهم، وقسم يستوى ظاهره وباطنه
في الانتقاد وهذا أبعدهم، وقسم ظاهره معتقد وباطنه منتقد، وهذا أضر الأقسام على الولي، كالمنافق
بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. لأنه إذا نظر إلى ظاهره ويريد نفعه منعه الباطن وإذا أراد البعد
منه حيث ينظر إلى باطنه أطعمه ظاهره، ثم قال: إن الولي الكامل غائب في مشاهدة الحق سبحانه
وتعالى لا يحجب عنه طرفه عين، وظاهره مع الخلق فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب
ما سبق لهم في القسمة، فن قسم له منه رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر، وأنطقه بالعلوم وأظهر له مالا يكيف

(١) بضم موحدة وكسر هاء: مدينة بصر.

من الخيرات ، ومن أراد به سوءاً ولم يقسم له على يده شيئاً أمسكه عنه وحجبه عن النطق بالمعارف ؛ قال رضى الله عنه : وما مثلت الولي مع الفاضلين إلا كعجبر بنى إسرائيل فإذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وإذا كان بين أعدائه لا تخرج منه ولا قطرة واحدة . وفيه : وسمعته رضى الله عنه يقول : لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الولي ويوزن عليه ، فيخسر الوازن دنيا وأخرى ، فإن في باطن الولي العجائب والغرائب ، وما مثاله إلا كخشنة صوف في وسطها خنشة حرير لا تظهر إلا في الآخرة ، وغير الولي بالعكس خنشة حرير في وسطها خنشة صوف والعياذ بالله ، انتهى .

وفي [غص] وسأله رضى الله عنه عن أرباب الأحوال الذين يظهر عنهم الخوارق مع عدم صلاحهم وضوئهم ، كيف حالهم ؟ فقال : ليس أحد من أولياء الله له عقل التكليف إلا وهو يصلي ويصوم ويقف على الحدود ، ولا يكن هؤلاء لهم أما كن مخصوصة يصلون فيها كجامع رملة لد ، وبيت المقدس ، وجبل (ق) وسد اسكندرية : وغيرها من الأماكن المشرفة أو التي انكسر خاطرها بين البقاع بقلة عبادة ربها فيها فأرادوا جبر خاطرها ، ولا كرامتها بالصلاة ، ثم قال : وكان سيدي إبراهيم المتبولي يصلي الظهر دائماً في الجامع الأبيض رملة لد ، فكان علماء حارته يفكرون عليه ، ويقولون لأى شئ ، لا تصلى الظهر أبداً مع كونه قرضاً عنك كغيره من الصلوات الخمس ، فيسكت ، والله تعالى أعلم انتهى .

وفي [عم] وحكى الشيخ محمد الطنيجي عن إمام جامع ساقود أن شخصاً كان ينام في المحراب بثياب دنسة فكان كلما أراد أن يقف في المحراب يجده نائماً فيه فسياه عجل المحراب . فجاء الإمام يوماً فغمزه برجله في جنبه فقام وعيناه كالدم الأحمر فسك الإمام ودفعه في المحراب فوجد نفسه في أرض قفراء وحرة فتعرجت رجلاه من المشي فقطع عمامته ولف منها على رجله ، فلما تعب تراءت له شجرة فقصدتها فإذا عندها عين ماء وإذا بأثر أقدام توضأت وذهبت ، فتبع الآثار فوجد جماعة كثيرة في عطفة جبل « وإذا بالرجل الذي كان ينام في المحراب هو شيخ الجماعة وعليه ثياب نظيفة فالتفت إلى أصحابه وقال : هل رأي أحد منكم يوماً وأنا عجل بقر ؟ فقالوا : لا ، فقال قولوا لهذا فقال الإمام أستغفر الله وتاب ، فأشار الشيخ إلى واحد من الجماعة يدفعه إلى جامع ساقود فقام ودفعه فوجد نفسه خارجاً من حائط المحراب والناس ينتظرونه في صلاة العصر فأخبرهم بالقصة ، وأن تلك الأرض القفراء سفر مسنة كاملة من مصر ، أنظروا (فاشغلوا) النفس الأمار بالسوء عن القبل والقال والتكلم في أصحاب الأحوال بطاعة الكبير المتعال و (بنحويصة) بتشديد الصاد تصغير خاصة أى وبخاصة أنفسكم قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - الآية ، وعن صفيان الثوري رحمه الله أنه كان يقول : هذا زمان عليك فيه بنحويصة نفسك ودع العامة ؛

وفي [نخل] (فصل) في كيفية النظر إلى المسلمين بعين التعظيم والاحترام ورؤية الفضل لهم عليه : ينبغي للمكلف أن ينظر إلى إخوانه المسلمين بهذا النظر الحسن ، فإذا نظر إليهم بذلك وجدهم على طبقات ثلاث في كل طبقة منها سلوكه إلى ربه عز وجل ، أما الطبقة الأولى . فإنه إذا نظر إلى من هو أكبر منه سناً أو أعلم أو أكثر عبادة وانقطاعاً إليه عز وجل علم أن له فضيلة عليه بسبقه للإسلام أو ما خصه الله تعالى به من الخصال الحميدة في الشرع الشريف وعلم تقصيره في نفسه فيحترمه ويعظمه ويرى فضله عليه وسبقه . الطبقة الثانية : أن يرى من هو مثله فينبغي له أن ينظره بعين التعظيم ، لأنه قد

يكون سالما من الذنوب أو تكون له ذنوب لكنه بالنسبة إلى الرائي أقل ، إذ الإنسان يعرف ذنوبه على الحقيقة ولا يعرف ذنوب غيره ، ولعله إذا اطلع على ذنب لغيره لم يكن له سوى ما أطلع عليه ، وإذا كان كذلك فينبغي أن ينظره بعين التعظيم والتفضيل له على نفسه . الطبقة الثالثة : أن يرى من هو أصغر منه سناً فيقول هذا أقل ، في ذنوبا لأنى قد سبقته إلى الدنيا وارتكبت فيها ما ارتكبت وهو بعدى لم يكن مكلفا فلا ذنوب عليه ، فإن رأى من هو مبتلى في دينه وهماق عليه ساووك باب التأويل في حقه فليرجع إذ ذاك لنفسه ولينظر منة الله تعالى عليه في الحال في كونه أنعم الله عليه بما تلبس به من الطاعات وكونه سالما مما ابتلى به غيره مما هو محظور في الشرع الشريف ، ثم مع ذلك يذكر نفسه بالناامة فإنه لا يدري بماذا يحتم له ، فإنه إن هومل بالعدل فلا يخلصه شيء مما هو فيه من أفعال القرب وإن كثرت ، وإن هومل من رآه بالفضل قضيت عنه الثبات وقبل منه اليسير من الحسنات ، فإن فضل الله لا يحد في جهة وعدله لا يؤمن في حال ، فإذا نظر إلى الناس بحسن هذا النظر ربح وعادت عليه بركة تحسين ظنه وإخوانه المسلمين حالا ومآلا وكان اجتماعهم بهم رحمة في حقه وحققهم ، وكذلك الفرار منهم والهروب من خلطهم بهذا النظر والاعتبار ، انظره . قال رحمه الله :

(وَلَا تَقْرَهُبُوا وَلَا تَعْمَرُوا وَلَا تَتَجَرَّدُوا عَنْ أَسْبَابِ عَيْشَةٍ
كَكَسْبٍ وَحِرْفَةٍ وَحَرْثٍ وَتِجَارَةٍ قَيْسَمَةُ عُسْرِ الرِّزْقِ فِي عَقْدٍ صَفَقَةٍ)

(ولا ترهبوا) الترهيب التجرد للعبادة والتفرغ لها ، فقد ورد أن الله تعالى يبغض الفارغ المتجرد للعبادة . وفي [مع] قال السيوطي رحمه الله في الكوكب الساطع :

وليس من زهادة تعزب وترك محتاج له ترهب

وقال في شرحه : ليس من الزهد التعزب وترك مالا بد منه ، بل ذلك من التعمق المنهني عنه ، انظره . وفي الحديث : « إياكم والتعمق في الدين فإن الله تعالى قد جعله سهلا فخذوا منه ما تطيقون فإن الله تعالى يحب ما دام من عمل صالح وإن كان يسيرا » اه قال تعالى - وما جعل عليكم في الدين من حرج - وفي [حصص] « الدين يسر وله بشاد الدين أحد إلا غلبه » قال العريزي : يعنى لا يتعمق فيه أحد ويأخذ بالتشديد إلا غلبه الدين وهجزا المتعمق انتهى : وفيه « لا حزام ولا زمام ولا سياحة ولا تبطل ولا ترهب في الإسلام » اه وخزام جمع خزيمة : حلقة شعر تجعل في أنف البعير ، وكانت بنو إسرائيل بخرة ون أنوفهم ويجعلون فيها ذلك ، فنهى الشارع صلى الله عليه وسلم هذه الأمة عن ذلك لأن شريعته سمحة سهلة بيضاء قال تعالى - بالمؤمنين رؤوف رحيم - (ولا تتعزبوا) التعزب ترك النكاح فهو من عطف الخاص على العام . وفي [حصص] « من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليعق الله في النصف الباقي » أى بامتنال المأمورات واجتناب المنهيات ، وفيه « من تهتل فليس منا » أى ليس على صفتنا ، لأن التهلل سنة اليهود والنصارى يزعمون أن النكاح يقطع عن الوصول إلى الله تعالى وأن تركه هو العبادة قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا - الآية ، وفيه « تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهانية النصارى أى لأنهم ينشؤون في للصوامع وقلل الجبال ويتركون النساء والنساء ، وفيه « تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتر مشه العرش » أى لأن الله يسكره ولا يجهل لما يترتب عليه من

المفاسد كقطع النسل والوقوع في الزنى ، وروى « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » وفيه « شراركم عزابكم »
« ركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل » ورحم الله من قال :

شراركم عزابكم جاء في الخبر أراذل الأموات عزاب البشر

إذ ليس لهم فراط يهبثون لهم ما يحتاجون إليه في الآخرة ، لكن ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال
« أنا فرط من لا فرط له » والفرط كسبب المتقدم إلى الماء لإصلاح الحوض والدلاء . وفي [عف] وقد
نقل عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا يتم لسك الشاب حتى يتزوج . ونقل عن شيخ
مشايخ خراسان : أنه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين أو ثلاث ، فعوتب في ذلك
فقال : هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف وقفة في معاملته فخطر على
قلبه خاطر شهوة ؟ فقالوا قد بصيننا ذلك ، فقال لو رضيت في حمري كله بمثل حالكم في وقت واحد
ما تزوجت قط ، ولكني ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلني عن حالي إلا نفلته لأستريح منه
وأرجع إلى شغلي ، ثم قال : منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية ، ثم قال : وقد كان
الحنيد يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام ، وسمع بعض العلماء بعض الناس يطعن في
الصوفية فقال : يا هذا ما الذي ينقصهم عندك ؟ فقال يأكلون كثيرا ، فقال وأنت أيضا لو جعت كما
يجوعون أكلت كما يأكلون ، ثم قال : ويتزوجون كثيرا : قال : وأنت أيضا لو حفظت فرجك كما
يحفظون تزوجت كما يتزوجون . قال : وأي شيء أيضا ؟ قال يسمعون القول : قال : وأنت أيضا لو
نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون . وكان سفيان بن عيينة يقول : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن
هليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له أربع نسوة وسبع عشرة
سرية ، وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول : خير هذه الأمة أكثرها نساء ، أنظره . وفي الحديث
« الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ورحم الله من قال :

وخير ما نال الفتي بعد الهدى والعافية

امرأة جميلة عفيفة مواتية (١)

وفي [عم] أخذ هلبنا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تختار الزوج على العزوبة
ولو كناني عبادة ليلا ونهارا ، أو نعين من طاب الزوج جهلنا وذلك لأن عبادة العازب ناقصة ، ثم
قال : ولم يقع العازب في فاحشة ويستره الله ، ولم يخطر في باله الفاحشة ويحميه الله ، ولم يصلي صلاة
وبجارحته متأمرة في حال الصلاة ، ولم يسيء الناس ظنهم به ولم يمنعوته من السكنى بين النساء في
الربوع وغيرها ، ولو أنه تزوج لكان أعف نفسه عن مثل ذلك ، ومن هنا ورد « من غسل واغتسل
ثم أتى الجمعة » الحديث أي أتى زوجته قبل أن يحضر لصلاة الجمعة خوفا أن يخطر في باله وهو بين
يدي الله عز وجل الجماع ولو حالالا في تلك الحاضرة الخاصة والجمع العظيم فإذا جامع زوجته وخرج
للجمعة آمن من ذلك ثم قال : وانظر بالأخي إلى إيجار السيد موسى عليه السلام نفسه عشر سنين في
تحصيل مهر امرأة تعرف مقدار التزويج . وقال بعض فقهاء العصر : وقع لي أي أمرت بعض الفقهاء

المتعبدين عندى فى الزاوية بالتزويج فقال لاحاجة لى بذلك ، غلبته نفسه فوقع فى الزنى ، فتزوج باهازيبه
 واصبح سعى الرجال فلأن تزوج وتساءل الناس وتكتسب بنهيب وتعب خير لك من أن تأتى يوم القيامة
 زانيا أو محشورا مع قوم لوط ولو كنت على عبادة الثقلين ، ومن القواعد أن السلامة مقدمة على الغيبة ،
 وقول بعض الفقهاء فى هذا الزمان : إن العزوبة مقدمة على التزويج إنما ذلك فى حق من لم يخف على
 نفسه العنت أما من يخاف العنت فالتزويج مطلوب له بالإجماع ، أنظره . قال تعالى - وأنكحوا الأيامى
 منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » ، وفى الحديث « اطلبوا
 المال بالنكاح » (ولا تتجردوا) التجرد المتفرغ للعبادة من سائر الشواغل فإن الله يهبط المتجردين
 لها ويحب المؤمن المحترف . وعن أبى قلابه رحمه الله : لأن أرى فى معاشى أحب إلى من أن أرى فى
 زوايا المسجد وقال : عليكم بالسوق والصنعة فإنكم لى تزالوا كراما على إخوانكم ما لم تتجأوا إليهم :
 وفى [حى] ومثل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة ؟ قال التاجر الصدوق
 أحب إلى لأنه فى جهاد ، يأتبه الشيطان من طريق المكياج والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده ،
 وخالفه الحزن فى هذا . وقال عمر رضى الله عنه : ما من موضع يأتى الموت فيه أحب إلى من موطن
 أنسوق فيه لأهلى أبيع وأشتري ، ثم قال : وقال أيوب : قال لى أبو قلابه الزم السوق فإن الغنى من
 العافية : يعنى الغنى عن الناس . وقيل لأحمد ماتقول فيمن جاس فى بيته أو مسجده وقال لا أعمل
 شيئا حتى يأتى رزقى ؟ فقال أحمد : هذا رجل جهل العلم ، أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن
 الله جعل رزقى تحت ظل رحمتى ، وقوله عليه السلام حين ذكر الطير تغدو نخاصا وتزوج بطائنا ، فذكر
 أنها تغدو فى طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ويعملون
 فى نخلهم ، والقدوة بهم ، وقال أبو قلابه لرجل : لأن أراك فى معاشك أحب إلى من أن أراك فى زاوية
 المسجد ، وقال أبو سليمان الداراني : ليس العبادة عندنا أن نصف قدميك وغيرك بقوت لك ، ولكن
 أبدا برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد ، أنظره وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ماتصنع ؟
 قال أتتعبد . قال من يعولك ؟ قال أخى . قال أخوك أعبد منك . وروى : أن الصحابة أثنوا عند النبي
 صلى الله عليه وسلم على رجل بالعبادة فقال صلى الله عليه وسلم فمن كان بطعمه ويسقيه ويعلف دابته
 ويكفيه ضيعته ؟ فقالوا نحن يا رسول الله ، فقال كللكم خير منه ، وقال حذيفة رضى الله عنه : خياركم
 من لم يدع دنياه لآخرته وآخرفته لدنياه ، وروى : لا تسبوا الدنيا فتعنت مطية المؤمن عليها يبلغ من
 الخير وبها ينجو من الشر ، اه : وفى [حم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن لا نشتغل بشيء من العبادات ونترك التكسب بحيث يضيع عيالنا وأنفسنا ونحتاج كلنا إلى سؤال
 الناس ، وهذا العهد يقع فى خيانتة كثير من المتعبدين وطلبة العلم ، ثم قال وقد كان الإمام الشافعى رضى
 الله عنه يقول : لا تشاور من ليس فى بيته دقيق : أى لأنه مشغول البال فعلم أن حياة الأبدان مقدمة على
 حياة الأرواح والقوت بالعلم ، لأن حياة الروح فرع عن حياة الجسم من حيث أنها محل لظهور أفعال
 التكليف وإقامة شعار الدين ، وهذا اللوم فى حق من يضيع من يعول مع اشتغاله بخير آخر ، فكيف
 بمن يضيعهم باشتغاله باللغو واللعب ونحو ذلك اه . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن لا توكل توكل العوام فنترك الكسب بالتجارة والزراعة والصناعة ونحو ذلك ونصير
نساء الولاة والأغنياء تصربها أو تعريضها فإن ذلك جهل بمقام التوكل كما هو شأن من يطلب الوظائف
والأنظار بالوسائط وكتابة القصص ثم يدهي التوكل بعد ذلك وهو قد سأل مع الغنى الشرعي ، وربما
يحتج بأن التكسب يعطله عن الاشتغال بالعلم وذلك حجة لا تنهض إلا إذا لم يكن في بلده أو إقليمه من
يقوم بحفظ الشريعة أما إذا كان بلده من يقوم مقامه بالإفتاء والتدريس فالأدب اشتغاله بالتكسب إلى
أن يمن الله عليه بما يأكل وما يشرب من حيث لا يحتسب ، ونحو ذلك ، فإنيك يا أخي وسؤال الناس
بلا ضرورة وقد كثرت وقوعه من غالب حملة القرآن مع قدرتهم على الكسب بالحرف والصنائع
وغيرهما ، انظروا .

وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نزهد في الدنيا لما نجاه في الزهد من نعيم الترك وخلق اليد وراحة
القلب فتكون كحمار الرحى الذي يبتدى منه ينتهي سيره إليه فنخرج من لذة إلى أعظم منها أو مثلها
كما يقع في ذلك العباد الذين لم يسلكوا على يد الأشياخ فكأنهم بهذا الزهد ما برحوا عن حفظ نفوسهم
ولا عن حجابهم عن ربهم ، وإنما نزهد في الدنيا زهد العارفين وهو أن نعلق قلوبنا بحب الله وحده
ثم نمسك الدنيا بحذاقها فلا نترك منها شيئا إلا إن كان فيه شبهة ، وننصرف في الدنيا تصرف حكيم
عليم ونستعمل كل شيء فيما خلق له ، ولا يصح ذلك أن الله تعالى امتن علينا بأنه سخر لنا ما في السموات
وما في الأرض ولا يكمل لنا شهود امتنانه علينا إلا بشهودنا الافتقار إلى كل شيء في الوجود ، فافهم
واعمل على هذا الزهد ودع عنك قول من يقول بدم الدنيا على الإطلاق فإنه جاهل بما قلناه ، فإن الذم
ما حصل إلا من تعلق القلب بمحبته دون الله تعالى وحجاب صاحبها عن الآخرة ، ثم إنه لا يصح
لعبد قط الاستغناء عن الدنيا كما يتوهم أقل ما هناك حاجته إلى ما يأكله وما يشربه وما يبتغى فيه من
الريح فإن من زعم نفسه مات : وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد في الدنيا فقال « هو
اليقين » وقد ذكرنا في الآداب الكبرى أن بيت الفتنة في الدنيا أربعة أشياء : النساء والجاه والمال والولد ،
والكمال لا يهرب من شيء منها ، بل يحجبها كلها بتحبيب الله عز وجل ويغلب حكم محبة الطبع والنفس لله
تعالى أنظره (عن أسبابه عيشة) بكسر العين أي عيشة .

وفي [جص] « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب المعيشة » وفيه « العافية في عشرة
أجزاء : تسعة في طلب المعيشة وجزء في سائر الأشياء » وفيه « من طلب الدنيا حللا وتعففا عن المسألة
وسعي على حيله وتعظفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » وفيه « الفار من حيله كالقار من
الزحف » اه . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أبي الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب »
وقوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فمخصوص بطائفة من فضائل الله
تعالى وخامسة جعل رزقهم من حيث لا يعلمون لئلا يكون لأحد عليهم منة وإن كان من هو أعلى منه
جعل رزقه لكسب للاقتداء به : فقد كان سيدنا زكريا نجارا وكذلك سيدنا نوح وسيدنا إدريس خياطا
وسيدنا داود دراعا وسيدنا آدم حرثا وسيدنا محمد مجاهدا صلوات الله وسلامه ، وكان أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم أصحاب الحرف من زراعة وتجارة وغير ذلك أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .
وفي [هب] إنما أسباب المعاش من حرثة وتجارة وغيرهما بمنزلة الكشافيل التي في أيدي السعاة ،

فإنه قد جرت عادة الرب سبحانه أنه لا ينزل الرزق على العبد إلا بأن يعطيه الرزق في يده من غير حيلة بل لا يعطيه إياه حتى يسأله بكشكول من كشاكيل أسبابه فإذا مدله الكشكول وضع له فيه ما يليق به ويصلحه وحينئذ فيجب على المتسبب أن ينزل سببه بهذه المنزلة فيكون نظره عند السبب إلى ربه عز وجل لا إلى السبب كما أن الساعي المتكفف إنما ينظر إلى الناس الذين يعطونه ولا ينظر إلى كشكوله الذي في يده، وإذا كان نظره عند السبب إلى ربه عز وجل كان متعلقا بحال سببه بربه عز وجل فيكون سببه وصلة بينه وبين ربه تعالى فلا يعتمد على سببه بل على ربه، وإذا كان اعتاده على ربه فلا يتعاطى إلا سببا أذن له ربه فيه، وحينئذ فلا فرق عنده بين أن يكثر من الأسباب أو يقل، فإن المعطى سبحانه واحد وهو قادر على أن يعطيه في سبب واحد ما يعطيه لغيره في أسباب عديدة، فليتب الله وليجمل في الطلب فهذه صفة أسباب المتعلقة بالله عز وجل، وأما غيرهم فيقتلون أنفسهم حالة السبب بالخدمة ولا يرون سببا من الأسباب إلا تعاطوه سواء كان مأذونا فيه أو غير مأذون فيه، ويعتقدون أن الرزق يكون على حسب حيلهم وسياساتهم الفاسدة فهؤلاء هم الذين يستحلون التذبير في أمور الدنيا والتعب فيها وركوب المشاق العظيمة في طلبها على طاعة الله عز وجل وعبادته لكمال انقطاعهم عنه سبحانه، انظره . وفي [جص]

« ليس أحد منكم بأكسب من أحد قد كتب الله المصيبة والأجل وقسم المعيشة والعمل، والناس يجدون فيها إلى منتهى » قال الحنفى : فمن جسد في السعى ليس بأكثر تحصيلاً ممن ترك السعى ليكون كل لا يزال إلا ما قدر له اهـ . ورحم الله من قال :

والشرع قد أمر بالتسبب	وباعتقاد نفي فعل السبب
ومن قال : توكل على الرحمن في كل حاجة	ولا ترغب في المعجز يوما من الطلب
ألم تعلم أن الله قال لمريم	وهزى إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزه	إليها ، ولكن كل شيء له سبب

وروى : إذا سبب الله تعالى لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له ، والبلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحد الله تعالى : وفي [ثبى] أخذ علينا اليهود أن نعلم إخواننا طرق اليقين حتى لا يهتموا بأمر رزقهم كل الاهتمام ، فنقرر عندهم أن الله تعالى قد قسم لكل عيد رزقا معيناً لا يزيد بالإقبال ولا ينقص بالإدبار ، وأنه ليس للمقبل على الدنيا ليلا ونهارا إلا ما لمد بر عنها ليلا ونهارا ، وهذا الأساس ومن قعد عليه استراح قلبه من العناء والسكد ، ثم بعد هذا الأساس يأخى تأتى إلى رزقك برياضة وانشرائح صدر من غير شره نفس ولا مزاحمة أحد فإن الرزق تارة تأتى إليك وتارة تأتى أنت إليه فلا يقال السعى مطلقا أفضل ولا ترك السعى مطلقا أفضل ، بل كل كامل في مرتبته لأنك لا تعلم ذلك إلا بعد الوقوع وأما قبل التحرك فلا تعلم ذلك والله غنى حميد، انتهى (ككسب) وهو طلب الرزق . وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا الذين لم يكثروا التعبد بعلم ولا غيره في التكسب بالبيع والشراء والزراعات وكل عمل يساعدهم على القوت بطريقة الشرعى على وجه الإخلاص لأعلى وجه التكاثر والمفاخرة بمطاعم الدنيا وملابسها وشهواتها ، فإن من اكتسب الدنيا على وجه التكاثر والتفاخر فمن لازمه تعدى الحدود الشرعية في الحل لأن الحلال في كل زمان لا يتحمل الإسراف : وقد زار الحسن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فأخرج له عمر كسرة

بابسة ونسف خيارة وقال : كأل باحسن فإن هذا الزمان لا يتحمل الحلال فيه الإسراف اهـ . فلا ترى أحدا في سعة من الدنيا إلا وهو قليل الورع فيغش وينصب ويبيع على المكاسبين وأكلة الرشا وغيرهم ، وأما إن طلب التوسع في الدنيا بغير طريق التمسك الشرعى وأقبل على العبادة فربما أكل بدينه ووقع في الرياء والنفاق لمن يحسن إليه ، وإن لم يكن مقبلا على العبادة سلق الناس بالسنة حداد إذا لم يعطوه ماطلب ، فالتكسب الشرعى أولى بكل حال . وقد ورد « إن الله تعالى علم آدم عليه السلام ألف حرفه وقال له يا آدم قل لبليك يكتسبون بهذه الحرف ولا يأكلون بدينهم » وقد سمعت سيدى هليا الخواص رحمه الله يقول : قد تعين التمسك اليوم على كل فقير وفقير لعدم من يتفقد بهم بالبر والإحسان في هذا الزمان لقلة المكاسب ، فقد صار الفاجر اليوم يملك الثلاثة أيام أو أكثر لا يستفتح فكيف يتفقد غيره وهو لم يعمل بقوت نفسه وعياله وضيوفه ، فضلا عن المغارم التي عليه من كراء بيت وحانوت وعوائد لظلمة ، انظره . عليك يا أخى باكتساب الغنم فإنها من دواب الجنة وأموال الأنبياء وهى كلها خير وبركة لمن أخرج زكاتها الشرعية وأداها لمستحقها . وفى [جص] « الغنم بركة » أى زيادة في النمو والخير فيندب اقتناؤها . قاله العزيزى . وفيه : « الغنم بركة والإبل عز لأهلها والخليل معقود بنواصبها الخير إلى يوم القيامة وعبدك أخوك فأحسن إليه وإن وجدته مغلو بأفاهه » وفيه « الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا في مراتبها » وفيه « الغنم أموال الأنبياء » أى هى معظم أموال معظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما من نبي إلا وقد رعاها سياسة لرعاية الخلق .

[لطيفة] أخبرنى من أثق به رحمه الله أنه كان يقول : مثل الإخوان كمثل الغنم إذا فترقت وانتشرت انتفعت بالرتع في الكلال وفيها يعينها وإذا اجتمعت افتنت بنطح بعضها بعضها ، فكذلك الإخوان إذا فترقوا انتفعوا باشتغال كل واحد بذكر ربه وبما يعنيه وإذا اجتمعوا افتنوا بالقليل والقال والغيبة والنميمة والخوض فيما لايعنى ، ومن استراب فالعرب بالباب . وروى أن لسيدنا إبراهيم على نهينا وعليه الصلاة والسلام غنما كثيرة جداً وإن عدة الكلاب التي تحرسها أربعة آلاف في هتق كل كلب طوق ذهب قدره ألف مثقال ، فقيل له لم تفعل ذلك ؟ قال لعلمى بأن الدنيا جيفة وكلابها طلابها فأعطيتهم الطلابها ، وذلك جائز في شرعه له . لئله الذكته وهى إهانة الدنيا وذلك يحرم في شرعنا للنهى عن إضاعة المال شرعا وطبعاً واجتمعت الأمة على تعزيز من غير برعى الغنم ، فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم برعاها لأن هذا مقام تحقير وتنقيص فلا يقال ذلك إلا في مقام السؤال ، كأن قيل هل رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم ؟ فيقال نعم ، انظر [الحقنى] وانظر كتاب [الشفاء] ففيه الشفاء (وحرفة) بالكسر صناعة يرتزق الإنسان منها ويحترف بها لنفسه ولعياله : وفى [جص] « إن الله يحب العبد المؤمن المحترف » قال المناوى : أى المتكفف في طلب المعاش بنحو صناعة أو زراعة أو تجارة لأن قعود الرجل فارغاً أو شغله بما لا يرضيه مذموم ومن لا عمل له لا أجر له ، انظر العزيزى . وفيه « أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » وفى البخارى عن المقدام رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده » ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده « وفى إرشاد السارى : وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يأكل من صعيه الذى يكسبه من أموال الكفار بالجهاد وهو أشرف المكاسب على الإطلاق لما فيه من إعلاء كلمة الله وخذلان كلمة أعدائه والنفع الأخرى اهـ . وفى [ثيق] أخذ علينا العهد أن نعلم أولادنا الحرفة بعد تعليمهم أمر دينهم التي

لا يد منها فإنه إن لم يكن بيده حرفة أكل يدينه أو بلسانه وصلن الناس بالسنة حداد وحقد عليهم في الباطن. وقد كان الناس في الزمان الماضي يكرمون حملة العلم والقرآن ويرتبون لهم المراتب ويهدون إليهم الهدايا ويتفقدونهم في المواسم وغيرها يقولون لهم اشتغلوا ونحن نكفيكم جميع ما تحتاجون إليه فصار الفقيه اليوم لا يحصل له ما ينفقه على عياله حتى يدوب قلبه من الدوران طول النهار، ثم بعد ذلك يأكل صدقة، فتعلم الحرفة للفقيه الآن من أترك المصالح ولو كانت دينية كالأدب والحجامة ونحوهما فإن وسع الله عليه كان ولا فتغنيه عن سؤال الناس اه : وهن الثوري رضى الله عنه أنه كان يقول : أحب لطالب العلم أن يكون في كفاية فإن الآفات وألسن الناس تسرع إليه إذا احتاج وذل ، وكان يقول : إن الرجل ليكون عنده المال ، وهو زاهد في الدنيا ، وإن الرجل ليسكون فقيرا وهو راغب فيها ، وعنه أيضا : وعليك بالحرفة فإن عامة من أتى أبواب الأمراء إنما أتاهم لحاجة اه . وفيه : وينبغي للشيخ أن يرغب الفقراء في عمل الحرفة ليأكلوا منها ولا يأكلوا يدينهم ، وتقدم في هذا الكتاب أن ميزان أكلك يا أخى بدينك أن تقدر أنه لو فقدت جميع صفاتك المحمودة لم يعطك أحد شيئا ، فإن قدرت أنها فقدت كلها حتى صرت فاسقا ولم يرجعوا عن إعطائك فأنت لم تأكل بدينك ، وينبغي له أن يعلم الفقراء أن كل لقمة نزلت في جوف أحدهم من صدقات الناس وأوقافهم تسترقهم لأصحابها ، وإذا استرقهم لأصحابها صارت مكافأة أصحاب اللقمة عليهم مطلوبة ، ثم قال : إذا أكل المرید صدقات الناس وأوصاهم وهداياهم وطلب أن يكافئهم تعطل عن السير إلى مراتب العارفين فليس له خبرة إلا في التجرد من الدنيا والسلام. وكان سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : أنا ما أحب للفقير أن ينقطع للتعب في زاوية أو غيرها إلا إن كان له حرفة تقوم به لئلا يتقاسم أصحاب اللقيات والחסنات ثواب تلك الأعمال التي نشأت من قوى تلك اللقيات فإنه لو لا هي ما قدر على ذلك التعب ، انظره . وينبغي للإنسان أن يتجنب الحرف المدمومة شرعا وطبعيا كالصياغة والصباغة والجزارة والحياكة الحديث « شرار أمتي الصائغون والصباغون » وفي آخر « شرار أمتي الحياكة » وروى « لا تعلموا أولادكم حرفتين : الصياغة والجزارة » أى لما جبل عليه أربابها من الغش والمطل والمواعيد الكاذبة ومخالطة النساء وقسوة القلب. وفي الحديث « أكذب الناس الصباغون والصواغون » ومنه قولهم كل صانع كذاب أبوم حداد، وهذا هو الغالب والناذر لا حكم له. وفي [خل] وروى عن بعض التابعين أنه أوصى رجلا فقال له يا أخى لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين أما البيعتان : فهو بيع الطعام وبيع الأكفان وأما الصنعتان فهما الجزارة والصياغة ، أما الجزارة فإنه قاسى القلب ، وأما الصواغ فإنه يزخرق الدنيا بالذهب والفضة اه . وبائع الطعام يحب الغلاء ويكره الرخاء ، وبائع الأكفان قاسى القلب وناسى الآخرة . وفي [د] رخ يا مسكين تتعلم صنعة ما دمت صغيرا وإذا قاله لطالب علم أخذ عنه الورد وبقى جالساً ، فقال له قم لشغلك ، قال ما عندى شغل ، أنا طالب ، فذكره . ومن عادته رضى الله عنه أن يحض أصحابه على تعلم الكتابة لئلا يضيعوا : اه أى متى احتاج أحدهم فيكتب ويبيع أو يكتب بالأجرة أى مع دوام الثواب الآخروى ، ورحم الله من قال :

والأجر لا تنقصه الإجاره بشرى لنا بهذه الإشارة

وأما تعلم الكتابة لأن يتخذوا كتبة للظلمة أو أمناء أو حدولا أو جباة فكل واحد وحاشا ! ومعاذ الله ، قال تعالى - فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون - ورحم الله من قال - : ولا تكتب بكفك غير شئ يسرك في القيامة أن تراه

وكان رضى الله عنه يقول : مالا أرضاه لنفسى لا أرضاه لغيرى ، وما لا أفعله لا آمر به اهـ
والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم :

[عجبية] أخبرنى بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أن بعض كتبة الولاية كتب إليه أن واليه عزله عن الكتابة ، وأنه فى غم ونكد وهم وشدة لذلك فرأى ذلك الأخ فى تلك الليلة أنه اجتمع بالكاتب فى عالم الروح فصار يزجره عن الكتابة ويوحى عن كل خطوة وينفره عن قرب ساحة الولاية ، ومن جملة ما زجره به أن قال له : اعلم أن من حكمة الله وعادته أن كل من كان كاتباً للظلمة لابد أن يحول الله صورته بصورة حمار حوافره حوافر حمار ورأسه رأس حمار إما عند موته أو فى قبره أو عند البعث - سنة الله التى قد دخلت من قبل ولن تبدل لسنة الله تبديلاً - رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين - ربنا آتينا من لذلك رحمة وهى لنا من أمرنا رشداً - آمين (وحرث) وهو الكسب وجمع المال والزرع وهو المراد به هنا . وفى [خل] فالزراعة من أعظم الأسباب وأكثرها أجراً إذ أن خيرها يتعدى للزراع ولإخوانه المسلمين وغيرهم والطير والبهائم والاشجار كل ذلك ينتفع بزراعته حتى أنه ليقال إن الزارع أو سمع من يقول نأكل منه حين زراعته لم يزرع شيئاً لكثرة من يقول نأكل منه فما فى الصنائع كلها أربك منها وأنجح إذا كانت على وجهها الشرعى ، وهى من أكبر الكتوز النجاة فى الأرض ، لكنها تحتاج إلى معرفة بالحق وحسن محاولة فى الصناعة مع النصيح التام والإخلاص فيها فحينئذ تحصل البركات وتأتى الخيرات ، وعنه صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فبأكل منه إنسان أو بهيمة إلا كان له حسنات إلى يوم القيامة » ومن ذلك ما ورد أيضاً « أن الملائكة تستغفر للزراع وللغارس ما دام زرعهم الأخضر » أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، ثم قال : وقد كان سيدى أبو محمد المرزبان رحمه الله يقول : اعلّموا أن انقسم قد تقاصرت عن العبادات والانقطاع إلى الله تعالى فعليكم بالزراعة فإنها تحصل الأجور الكثيرة أرادها المسكلف أو لم يردّها ، انظروه :

وفى [حرف] حكى أن الشيخ محمد الغزالي لما رجع إلى طوس وصف له فى بعض القرى عبد صالح فقصد زائراً فصادفه وهو فى صحراء له يباشر الحنطة فى الأرض فلما رأى الشيخ محمد أجاء إليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ فى ذلك وقت اشتغاله بالغزالي فامتنع ولم يعطه البذر ، فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال : لأنى أبذر هذا البذر بقلب حاضره وإنسان ذاكر أرجو البركة فيه لئلا من يتناول منه شيئاً ، فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيبذره بإنسان غير ذاكر وقلب غير حاضره - لمثل هذا فليعمل العاملون - وفى [ثيق] أخذ علينا العهد أن نحفظ حرمة أصحاب المنافع العامة لكونهم قائمين عنا بفرض الكفاية ، وذلك كاللعداوى والإسكان والطرهان والقراس والطباخ والحزاز والزيات والنجار واحداً والحراث والحصاد ونحوهم . وقد سمعت سيدى علياً الخواص يقول : قد أكرم الله تعالى السوق وأرباب الصنائع بأربع خصال : الأولى أنهم يأكلون من كسب يمينهم ويطعمون منه الظالم والمسكين والفقير ولا يأكلون شيئاً من الصدقات . الثانية : أنهم لا يشهدون لهم قط أعمالاً لا تكفر عنهم ذنوبهم ولا يقولون قط كفرها الشئ القلاني بل هم خائفون وجلون : الثالثة : تعظيمهم للعلماء والصالحين وتغميض بعضهم عيونهم عن عيوب الناس لعدم الموازين التى يوزن بها الأفعال عندهم . الرابعة : حمايتهم من الدعاوى وشبهات أهل علم الكلام . وفيه : أخذ علينا العهد أن نرشد إخواننا إلى أنهم لا يبيعون لأحد شيئاً ولا يشترون منه ولا يخطون ولا يطبخون ولا يفعلون شيئاً من جميع الحرف والصنائع إلا بقصد نفع الخلق بالأصالة ويحفظون نفع

أنفسهم بحكم النفع لا بالقصد الأول ، ثم إذا قدر أنهم فعلوا شيئا مما ذكر بغير تلك النية فلا ينتفعون به ولا يشمتة ، وإن كان ذلك الفعل من العقود أعادوا العقد ثانيا على نية نفع الناس كل ذلك لتسكون أفعال إخواننا عبادة لاعادة وليدخلوا في ضمان الله عز وجل بالمعونة المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » وماذا يضر الطبايع مثلا لو نوى بقيامه للطبخ من ثلث الليل نفع عباد الله بذلك الطعام لانفع نفسه فإن نفع نفسه بالثمن حاصل على كل حال ولو لم يقصده ، ومن كانت هذه نيته في حرفته وصنائه فهو في عبادة في جميع ما يتقلب فيه من الحرف والصنائع ، ثم قال : لا يقدر على العمل بهذا العمل إلا من كان زاهدا في الدنيا أما المحب لها فليس همته من حرفته إلا القلوس ولا يكاد يخطر على باله نفع الناس أبدا ولكل مقام رجال والله واسع عليهم اهـ (تجارة) مصدر تجر كنصر باع واشترى . وفي [جص] « إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يسكذبوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يطرؤا^(١) » وإن كان عليهم^(٢) لم يعطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا^(٣) » وفيه « التاجر الصدوق الأمين يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء » وفيه « التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة » اهـ . والصدق يكون في نحو الإخبار بشئها وعيوبها فذلك مما يزيد البركة في التجارة كما وقع للجلال الخليل فإنه كان يبيع الأقمشة من بعد العصر إلى المغرب فقط ويبيع أكثر من جيرانه الذين يبيعون طول النهار ، وكان يقول هذا على بكذا ولا أبيع له إلا بكذا وفيه عيب كذا وكان بعض العارفين حياكا وكان إذا قطعت منه فتلة على النول علم عليهم بالعصفر ليعرف أنها قطعت وليست كالمتصلة من أصلها وإذا تم المقطع كان غالبه مخطوطا وكان يخبر الناس بذلك وكانوا يقبلون عليه كثيرا تبركا ، انظر الحنفى . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا التجار وغيرهم في الصدق في إخبارهم بالثمن خوفا عليهم وعلى أموالهم من النقص فإن الله جعل البركة مقرونة بالصدق في العمل والعلم والعمر والرزق وغير ذلك ، فمن لم يصدق نزع الله البركة من علمه وعمله وعمره ورزقه ثم ذكر حكايات عجيبة فانظرها فيه ، ثم قال - فأصدق يا أخى في إخبارك المشتري ولا تغش^(٤) فيحول الله هنك النعم ، انظره ، قال تعالى : - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - الآية - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين - وفي [حى] قال صلى الله عليه وسلم « أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور » وفي خبر آخره أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح » وقال عليه الصلاة والسلام « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أحشار الرزق » وقال أيضا « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها » وقال صلى الله عليه وسلم « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » وقال أيضا « الجالب إلى سوقنا كالحجاء في سبيل الله ، والمحتكر في سوقنا كالملاح في كتاب الله » انظره . وفي [جص] « بش العبد المحتكر إن أرخص الله الأصغار حزن وإن أغلاها الله فرح » وفيه « من تمتع على أمي الغلاء ليلة واحدة أحبط الله عمله أربعين سنة » وفي ابن ماجه عن عمر رضي الله عنه : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجدام والإفلاس » . وفي مسلم عن معمر بن عبد الله مرفوعا « لا يحتكر إلا خاطي » :

(١) يطرؤا بضم تحتية من أضرى جاوز الحد في البناء اهـ . (٢) أى حق سببه التجارة .

(٣) قوله يعسروا بضم سين وكسرها من عسر غريته كضرب ونصر طلب : منه قضاء دينه في ضيق وشدة اهـ .

(٤) بضم معجمة من غش كرده اهـ .

واعلم أن الاحتكار الممنوع شرها هو أن يملك الإنسان ما اشتراه في وقت الغلاء ليبيعه بأكثر مما اشتراه منه واحتياج الناس إليه لما فيه من الإضرار بالمسلمين : وفي الحديث « لا ضرر^(١) ولا ضرار » بخلاف إمسأكه ما اشتراه في وقت الرخص ليبيعه بأكثر مما اشتراه به عند احتياج الناس إليه فليس باحتكار ولا ممنوع شرها بل ربما يثاب عليه بحسب الفية ، ويختص بتحريم الاحتكار بالأقوات كقمح وشعير وذرة وفول وعدس وغيره في بعض البلدان وأرض كذلك ولا يعم جميع الأطعمة . وروى «عليك بأول السوم فإن الربح مع السباح» أي لأن الإنسان إذا باع بربح يسير رغب الناس في الشراء منه فيكثر ربحه ، والحديث « رحم الله عبد أسعجا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا قضى سمحا إذا اقتضى » ويؤخذ من الحديث الحث على المسامحة في المعاملة وترك المشاحة فيؤكد الاعتناء بذلك رجاء تيل دعوته صلى الله عليه وسلم ، وروى « أن رجلا لم يعمل خيرا قط وكان يدين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا فلما هلك قال الله تعالى له هل علمت خيرا قط ؟ قال : لا إلا إنه كان لي غلام وكنت أدين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك » اهـ . وفيه أيضا : لا أشتري شيئا ليس عندي ثمنه : أي لأن الدين يشغل البال ويشين العرض فلا ينبغي إلا عند الضرورة من نحو نفقة عياله وقد تدين صلى الله عليه وسلم الشعير لأهله ورهن فيه درعه وسلاحه . وروى « ما من مسلم يدين ديننا يعلم الله أنه يريد أدائه إلا أداه الله عنه في الدنيا وفي رواية » من أخذ أموال الناس يريد أداءها أداه الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » اهـ : وفي [ثبوت] أخذ علينا اليهود أن تأمر إخواننا التجار وغيرهم بحفظ الأدب مع جيرانهم في السوق ونهاهم عن سلوك طريق جبابرة التجار ، وهو أن يثبوا على السلع المفردة كوثوب السبع على الفريسة ويتركون جيرانهم المحاييج ينظرون إليها نظرة بحسرة ، ثم بعد هذا الفعل التبيع يهربون بتلك الفوائد عند حصول رمية أو مظلمة على سوقهم ويتركون الفقراء للمصائب بل كما كانوا أول مستفيد كذلك ينبغي أن يكونوا أول وازن في المقام ، ثم إن من هرب ولم يخرم شيئا مع الفقراء فرما يقبض الله تعالى لماله الآفات والعاهات ومن يأخذها منه مصادرة أو جمحدا فلا يلومن إلا نفسه ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه : والله أعلم اهـ (فقسعة عشر) كقفل جمعه عشور وأعشار (الرزق) مجموعة ومنطوية بإذن علام الغيوب (في عقد صفقة) مصدر صفت كضرب وزنا ومعنى ، يده بالبيعة وعلى يده صفقا و صفقة ضرب يده على يده وذلك عند وجوب البيع : وفي [جص] « تسعة أشر الرزق في التجارة والعشر في المواشي » قال الحنفى : أى بسبب ما يحصل منها من نتاج وصوف ولبن ونحو ذلك والقصد من هذا الحديث الإلهام بكثرة الرزق من التجارة عن غيرها وليس المراد منه حصر الرزق في هذين السببين إذ من أسبابه الصناعة والغزو ، وليس في هذا الحديث تعرض لأفضل طرق الكسب ، وأفضلها سهم المغازى ثم الزراعة ثم الصناعة ثم التجارة اهـ . قال رحمه الله :

(دَعُوا الْغَشَّ وَالْخَدَاعَ فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَّاءَ فَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا أَهْلُ سُنَّةٍ)

(دهوا) أى اتركوا (الغش) بكسر معجمة ضد النصح من غشه إذا لم ينصحه وزين له غير المصلحة ولا سيما بالخلف الكاذب ، وفي الحديث « الخلف منقعة للساعة محقة للبركة » وهى أى ذو رضى الله عنه صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم

(١) ونظمه من قال :

مدار أحكامكم الشرعية أتى حديث لا ضرر ولا فاحفظ يا فتى اهـ

ولهم عذاب أليم . قلت : يا رسول الله من هم خسروا وخابوا ؟ قال : وأحد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال : « المسبل إزاره والمتفق سلعته بالخلف الكاذب والمنانهاه . (والخداع) وهو إظهار خلاف ما في النفس » وفي الحديث « المكر والخديعة والخيانة في النار » يعني أهلها (في حالة البيع) للغير الحديث « من باع عيبا لم يبينه لم يزل في مقت الله ولم تزل الملائكة تلغته » وفي البخاري وقال عقبه ابن عامر : لا يحل لأمرئ يبيع سلعة يعلم أن بها داء إلا أنخبره . وفي نسخة : إلا أنخبر به وفيه « قال النبي صلى الله عليه وسلم الخديعة في النار » وفيه : عن حكيم بن حزام رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » أو قال : « حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » (و) في حالة (الشراء) قصره للوزن : أى من الناس (فن غشنا) أى معشر المسلمين ولأهل الذمة ما للمسلمين من الأحكام لذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي [جص] « ليس منا من شش مسلما أو ضره أو ماكره » وفيه « من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار » وفي مسلم « عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فقال أصابعه السماء يا رسول الله ، قال أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غش فليس مني » وفي [جع] وأوصيكم بالبعد عما دار عليه الناس وعيم آفاق الأرض إلا النادر من الخلق وهو المعاملة بالغش والفساد في البيع والشراء مما حرمه الشرع صريحا أو ضمنا وهي مفصلة في كتب الفقه فلا نطيل بذكرها اهـ (فليس من أهل سنة) محمدية حيث ترك النصيحة التي عليها مدار الشريعة وأبدلها بالمكر والخديعة الذي هو من شيم المنافقين ، وعن أنس رضى الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بني إن قدرت أن تصبح وتسمى وليس في قلبك غش لأحد فافعل » ثم قال : يا بني وذلك من سنني ومن أحيا سنني فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة اهـ . وفي [هف] بعد ذكر هذا الحديث وهذا أتم شرف وأكمل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في حق من أحيا سنته فالصوفية هم الذين أحياوا هذه السنة ، وطهارة الصدور من الغل والغش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبيان فضلهم وإنما قدرنا على إحياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم في الدنيا وتركها لأربابها وطلابها ، لأن مثار^(١) الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس ، والصوفية زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم : طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابيل ، فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس في قلوبهم غش لأحد : فقول القائل كنست بأرواحهم المزابيل إشارة منه إلى عناية التواضع وأن لا يرى نفسه تتميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغل والغش ، ثم قال : فاتخلق حججهم عن القيام بإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وحالا صفات نفوسهم ، فإذا تبدلت نعوت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة في كل شيء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجبت المحبة من الله تعالى ، عند ذلك قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد بربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه ، انظره : وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول

(١) يضم ضم اسم مفعول من أثاروت الريح الفيار هيجه اهـ .

الله صلى الله عليه وسلم أن لا ندش أحدا من خلق الله تعالى سواء استرشدنا في ذلك الأمر أم لا ، وهذا العهد لا يتم العمل به إلا إن سلك على يد شيخ صادق حتى صار لا يغش نفسه في شيء من عباداته ولا معاملاته فإن من غش نفسه غش غيره من باب أولى ومن تصح نفسه نصبح غيره ، فيجب على العبد أن يسلك على يد شيخ حتى يكشف الله تعالى له عن جميع دسائس النفوس وعلاها في سائر الأحوال وإلا فمن لازمه غالبا الغش لنفسه ولغيره ، انظره : وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننصح كل مسلم ولو لم يطلب منا ذلك فكيف إذا استنصحننا ، وهذا العهد المبارك قل من يعمل به الآن من التجار فإنه يخاف إن بين عيب مبيعه أن لا يشتره منه أحد حتى قال لي بعض إخواني الصادقين : أنا في غلبة فقلت له لماذا ؟ فقال صرت أنصح المشتري وأعطيه أحسن القماش فيرده ويقول هات لي من ذلك الذي هو دونه ، فأحلف له بالله إن ما أعطيت له أولا هو الأنفع والأحسن فلا يرجع لي ويأخذ الردي قياسا لي على الناس الذين يغشون ، فهل لي لثم إذا أعطيت الردي ؟ قلت له لا فلكثرة غش الناس لبعضهم بعضا صاروا لا يصدقون من نصحتهم من التجار ، انظره : قال رحمه الله :

(ولا تهافتوا ببيعكم وفي جميع المعاملات قيسوا بشرعة وإن عمت البلوى وسدت مسالك فصرتم كمنظر إلى أكل حيفة ومنها خذوا سد الحياة بلا افتنا وقال بأخذ الزاد بعض الأئمة)

(ولا تهافتوا) التهافت التساقط (بيعكم) أي في جميع بيعاتكم تهافت العامة (وفي جميع المعاملات) الكسبية ولكن (قيسوا) أي زوها (بشرعة) بكسر معجمة : أي بميزان شرعي وسبب مرعي . وفي [جمع] وأحذركم أن تهافتوا في المعاملات المحرمات شرها تهافت الجملة من العامة محتجين بعدم وجود الحلال المعين يريدون أن يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية في المعاملات ، وقد صار وفي ذلك كأنهم لا تكايف عليهم ، وهو كذب على الله وزور ، وقد قال سبحانه وتعالى يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا - الآية ، فهذه الآية وإن نزلت في مطلب خاص فهي مشتملة على كل ما تحتمله ، وإن لم تنزل لأجله من القضايا إما ضمتا أو تلويحا ، والعالم يأخذ حكمه من كل آية ، من كل ما تحتمله وإن لم تنزل لأجله ، والواقع منه من الآية في قضيتنا هذه الذي في الأرض هو ما أمكن وجوده من حلال أصلي أو هارض على حسب عوارض الوقت وهي الأمثل فالأمثل على حسب ما فصلنا في جواب المعاملات وخطوات الشيطان التي نهى الله عنها هي المعاملات المحرمة شرها حيث يجد العبد منها معدلا ، وأما إن لم يجد معدلا عنها وألجأه عوارض الأقدار بحكم التقهر والتحكم إلا أن يأخذ قوته من الحرام شرعا وإن لم يأخذ منه مات في الوقت أو مات بعض عياله جوعا ، فلا لثم عليه لضيق الوقت وفقد السبيل لغيره ، فهو الواقع في قوله تعالى - فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا لثم عليه - ولا تلتفتوا إلى ما ذكره بعض المتأخرين ، قال كل عقدة لا يوجد من يعامل فيها إلا بالحرام فهي حلال قول باطل لكونه تغافل عن جميع القاعدة الشرعية فيه ، والتحقيق فيها ما ذكرناه قبلها آتفا بشهد له قوله صلى الله عليه وسلم : دع ما يريك إلى ما يريك ، وقوله صلى الله عليه وسلم : إذا أمرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فانهوا ، وقوله سبحانه وتعالى - فأنقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا - وقول القائل :

إذا لم تستطع شيئا فدهه وجاوز إلى ما تستطيع

وفيه : وأوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع وأصوله على حسب ما يعطيه الوقت وتجنبوا جميع وجوه الغش والتدليس والكذب وتقديم الإيمان واقتحام ما حرم الله من ذلك بنصوص الشرع فإن المتهم في ذلك يهلك كل الهلاك اهـ . وفي [جه] وأما شدة احتياطه في معاملاته مناولته فيما يتعلق به وبأهله منها أنه لا يشتري حاجة من علم بمكسب الحرام أو أنه يخاطب أحدا من أهل جانب المخز أو يكرن اختلط ماله بماله وهذا دأبه ودينه ، وكثيرا ما ينهى أصحابه عن مخالطة هؤلاء ويحثهم على ركوب مقن الورع في أمورهم كلها ، ولا يرضى لهم في الحرام فيقول مالا أرضاه لنفسى لا أرضاه لغيرى ومالا أفعله لا أمر به اهـ .

وفيه : ومن ورع رضى الله عنه أنه لا يأخذ شيئا ولو كان نافعا يحتاج إليه من لا يبنى الحرام ولا يتحرى في مكسبه كل ذلك لا يفعله ولا يحب من يفعله ، ثم قال : ويقول إن الإنسان إذا رخص لنفسه في أكل المشابه فها هو ذاهب إلى أكل الحرام ، ويقول إن أصل الورع اتقاء الشبهات ، والمداومة على أكل الحلال مع الصدق مع الله في ذلك ، انظره : وفي [جص] « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كراع برعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل مأك حى ألا وإن حى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » اهـ .

وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نفتش كل شيء دخل يداي في هذا الزمان من مال وطعام ولباس وغير ذلك ولا نستعمل شيئا تردد في صدورنا حله وحرمة ، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يفتشون كل شيء دخل يدهم إلى مابيع يداي استولت عليه في الحل وبعضهم إلى عاشر يداي في الحل ثم يستعملونه فإن لم يتداوله العشرة أي لم يستعملوه ، وهذا أمر تعذر فعله الآن على غالب فقراء الزمان ويكنى أحدهم إن شاء الله تفتيش أول يداي يأخذون منها . واعلم يا أخى أن من أعظم المساعدة على الورع القناعة ، فمن لم يقنع أكل رأس القيل ولم يشبع ، ومن لازم الشره هدم الورع : ثم قال : ثم لا يخفى أن أهل الله تعالى لا يعولون في الورع على العلامات الظاهرة في الأيدي وإنما يعولون على ما يلقيه الحق تعالى في قلوبهم فتد يكون الذى يأخذونه من يدهم حراما ، وقد يكون الذى يأخذونه من يدهم حلالا ، فمثل هؤلاء يسلم لهم حالهم لا طلاعهم على براطن الأمور ، بخلاف من لم يطلع إلا على ظواهرها فإن هذا ربما رأى ظالما أخذ حراما ثم توارى عنه بجدار فقال يحتمل أن ذلك الحرام خرج من يده وهذا غيره . وقد عزم على شخص أنا وأخى أفضل الدين وقدم إلينا خروف شواء مشويا ، وكانت النية فيه غير صالحة ، لأنه عزم على جماعة أولاد عمر أمراء الصعيد ، فلم يحضروا عنده فعزم علينا أن نأكله مكانهم ، فلما وضعه بين أيدينا وجدته يغلى دودا مثل أذناب المغازل فلم أقدر أنناول منه لقمة واحدة ، وصار صاحب الطعام يقول كلوا هذه اللقمة فقط ولا أقدر أعلمه بما رأيت لكونه محجوبا عن ذلك ، وكذلك رآه أخى المذكور ، ولكنه قال رأيت يغلى سمى ، فقلت له أنا ما رأيت إلا دودا فقال المقصود الحماية ونفرة الخاطر منه ، وقد حصلت والله الحمد ، فإن لم تصل يا أخى إلى ورع أهل الله تعالى فإياك أن تنزل عن الورع في ظاهر الشرع فتزل قدمك إلى النار والله يتولى هداك انظره (وإن عمت البلوى) والحنة بفساد المعاملات كلها حتى إنك لا تجد من تعامله على وجه شرعى وصهب مرعى (وسدت) أى انسدت عليك (مسالك) لفقد من تعامله معاملة شرعية (فصرتم كفضطر

إلى أكل جيفة) بكسر الجيم : جثة الميتة أى فحككمكم إذن حكم من اضطر خير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ، وللساحلى رحمه الله فى رائيته المعلومة :

وأكل حلال فهو أسّ طريقنا فجاهد على كسب الحلال مدى الدهر
فإن قلت لا يأتى حلال بموضع فكل أكل محتاج عديم ومضطر
ولكنه بعد الحرمة دائماً وبعد اجتهاد حل فى حيز الخطار
ولذلك لا تبسط يمينك آخذاً لتخف نخوان وإعطاء ذى وزر
وكن راضياً بالفقر لأنك مكثراً وجرّد ثياب الحرص فيها عن الظهر

(ومنها) أى ومن الجيفة الحسية والمعنوية (خذوا سد الحياة) أى ما يسد رمقكم وحياتكم ولكن (بلا اقتنا) قصره للوزن : أى من غير اتخاذا قنية وكسبائيل متى استغنى عنها طرحتها كاليا ونبتت وراء ظهرها . وفى [جمع] ثم إذا ألحّت الضرورة واشتدت الحاجة ولم يجد العبد ملجأ إلا أن يأخذ قوته مما حرم شرعاً فى الأسواق فليأخذ قدر ما ينقوته وليكن جارياً فى ذلك على حكم المضطر فى أكل الميتة فإنه إنما يأكل بلاغا وسدا للقافة لا كسبا ولا تمولا اه . ولذا قيل لو كانت الدنيا كلها دما حبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأنه إنما يأكل ما يسد رمقه . ولاحق لابن آدم إلا فى ثلاث بيت يمكنه وثوب يوارى عورته ولقيمات يقمن صلبه وماسوى ذلك تفاخر وتكاثر وفضول - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - وفيه : وسألنى سيدنا رضى الله عنه قال : ما العلة فى إباحة ميتة البحر وتحريم ميتة البر وما الفرق بينهما ؟ قلت له الذى عندنا أنها تعبدية ، فقال لا بل لعل ، قلت الله ورسوله أعلم . قال رضى الله عنه : العلة فى ميتة البر لأن دمها مسموم وكل من أكله صرف الله قلبه عن التقوى ولأن دم الميتة لم يخرج بل يجمد فى لحمها : قلت له كذلك ميتة البحر فلا فرق بينهما قال رضى الله عنه : دواب البحر لم تنسها الشمس والهواء لدوام دخولها فى الماء فإن دمها بارد زالت طبيعتها بخلاف دواب البر فإن دمها مطبوخ بحر الشمس والهواء فالطبع كامل فيه وعلته قوية فهذا سبب منع أكله والسلام انتهى . وهذه العلة المعصلة موجودة فى الحرام أيضا مع حال أخرى وما يعقلها إلا العالمون (وقال يأخذ الزاد) من الجيفة الحسية (بعض الأئمة) وفى الرسالة : ولا بأس للمضطر أن يأكل الميتة وأن يشبع ويتزود منها فإن استغنى عنها طرحتها اه . وفى الموطأ : ومن أحسن ما سمعت فى الرجل يضطر إلى الميتة أنه يأكل منها حتى يشبع ويتزود منها فإن وجد عنها غنى طرحتها اه . وما نحن بصدد ذلك إن شاء الله فيجوز للإنسان أن يأكل من الجيفة المعنوية حتى يشبع ويتزود منها فإذا استغنى عنها طرحتها . وفى الدخيرة : وإذا أكل المضطر مال مسلم اقتصر على سد الرمق ، إلا أن يعلم طول الطريق فليتزود لأن مواساته نجس إذا جاع ، وهل يضمن قيمة ما أكل لربه أم لا ؟ فى ذلك خلاف انظر شراح خليل عند قوله : ولا طعام غير إن لم يخف القطع . وفى [جه] وسئل سيدنا رضى الله عنه عن مسائل منها ما حكم الله فى مال الأعراب المخاربين الناهبين أموال بعضهم بعضا وما حكم المعاملة معهم وما الحكم فى صدقاتهم وعطييتهم ومشارطة الطلبة عنهم للقراءة ؟ فأجاب رضى الله عنه بما نصه قال : اعلم أن إجماع الأمة انعقد على أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا من طيب نفس وكل ما أخذ من غير طيب نفس فحرام إلا ما أخذ بصورة شرعية قهرية كأخذ الزكاة من مانعها وكأخذ حقوق المظلومين من مانعها وما قُبِعَ ذلك من الحقوق اللازمة شرعا ، وهى كثيرة مفصلة فى كتب الفروع فلا تطيل بذكرها ، فإن

أخذ ذلك من صاحبه عن غير طيب نفس حلال لتعلق الحق الشرعى به لقوله صلى الله عليه وسلم
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها
وحسابهم على الله» .

وأما غير هذا فإن أخذ مال المسلم عن غير طيب نفس حرام بالإجماع يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع «إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمته يومكم هذا في بلدكم
هذا في شهركم هذا اللهم هل بلغت فقالوا اللهم نعم» والحديث وقضيته مشهورة في كتب الحديث
فلا تطيل بذكره ، وقال سبحانه وتعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن
تكون تجارة عن تراض منكم - فالمرجع في الحكم إلى هذه النصوص القطعية والوقوف عند حدودها
فرض لازم على مسلم ، فإذا عرف هذا فما مضت عليه عادة الأعراب والظلمة من اقتحامهم وأخذ
مال المسلمين بغير صورة شرعية فكل ما بأيديكم حرام لا يحل لمسلم معاملتهم بوجه من وجوه العوض
ولا قبول عطياتهم وهذا ما حرم الله حرام في الأصل . ثم إن كان البلد غلب عليها جميع
ذلك ولا يوجد غيره بأيديهم بوجه من وجوه المخالطة فكل ذلك حرام ، ومن تعال ثمن ينسب إلى النقص
أو إلى الإسلام فأخذ ذلك مستعلا له معتذرا بعدم وجود غيره فلا عذر له في الشرع ويسجل عليه في
الشرع بأنه مقتحم ما حرم الله ظلما ولا يحل سكناه في تلك البلد ولا بقاؤه بينهم ، والهجرة عليه من
ذلك المكان واجبة بقواتر نصوص الشرع وما كان مخالطاً عندهم بوجوه التجارة في ذلك الحرام وإتلاف
هيفه واشترائه بدله عينا أخرى وبوجوه الحراثة والصناعة أو ضم مال بصورة شرعية إليه فالأصل
المعول عليه أن ذلك كله حرام بجميع ما اختلط فيه فمن قدر على ذلك تمسك بهذا الأصل وجرى عليه .
ثم أن تنزل الأمر إلى عموم ذلك في الأرض واختلاط ذلك بصورة حلال وصورة حرام بأيدي كاسبه
كما هو صورة الوقت فعلى المؤمن في إقامة طلب فرض الحلال أن يحتنب ما علمت صورته صورة
الفصل ، والحرم وما جهل من ذلك وكان الأصل الاختلاط بصورة حلال وصورة حرام كما ذكرنا
أولا وعم الفساد في الأرض كما هو صورة الوقت رجع إلى أصل الحلال الثالث وهو أن الحلال ما جهل
أصله فإن صورة الحلال كان في عهده صلى الله عليه وسلم ما عرف أصله وأصل أصله ، ثم لما انقضت
مدة الخلافة ورجعت ملكا عضوضا رجع الحلال ما عرف أصله فقط ثم لما زاد الفساد وطغى بحره
صار الحلال ما جهل أصله وهي المرتبة الثالثة في الحلال ، وعلى هذا الحد وهذا المتوال يجري الحكم
في معاملة هذه الطوائف بوجوه العوض وقبول عطياتهم فلا يحتنب منها إلا ما عرف صورة الحرام
فيه مثل الشيء المغصوب والمأخوذ من ثمن الخمر والمأخوذ في صورة ربا النسيئة وهي كثيرة يقاس
بالم يذكر منها على ذكر :

وأما ما جهلت صورته فإن علم من صاحبه أنه لم يكن عنده إلا الحرام لم يخلطه بصورة أخرى
كالخراثة والتجارة وإبدال عين بعين أخرى فكل ما بيده حرام لا يحل معاملته ولا قبول عطياته ، وما اختلط
بهذه الصور من تجارة وحراثة وصناعة وإبدال عين بعين أخرى وإضافة حلال له لم يحرّم ما في يده
إلا ماله عين قائمة في التحريم ، وأما ما جهل أصله فحلال ، وقولنا في هذا الحلال حلال فإنما هو حلال
مرضى لا أصلى لعدم وجود غيره بكثرة الفساد وعمومه في الأرض واحتياج العبد إلى القوت فيكون
حلالا بما أعطاه حكم الوقت والضرورة فقد قال سبحانه وتعالى - وما جهل عليكم في الدين من حرج -

ولذا قال القطب الكمال والوارث الواصلي والقادة الشامل سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه :
 لو كانت الدنيا عبطة من دم لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن الله تعالى فرض العبادة على العبد وأباح له
 أن يأكل مما في الأرض حلالا طيبا كما هو نص الآية ، فإذا نتج في الأرض وجوه الحلال وعمت البلية
 في الأرض كان اقتحامه للحلال الأعلا فالأعلا إيماناً بأن يكون مما عرف أصله وأصل أصله كعامله الحريين
 بأخذ الأجرة منهم على الخدمة والاشتراء مما بأيديهم فإن كل ما بأيديهم كله حلال لا معارضة فيه ، فن
 وجد السبيل إلى هذا وأمكنه فلا يحل له معاملة المسلمين بوجه من الوجوه ولا يعامل إلا الكفار الحريين
 لتحض الحلال بأيديهم ، ولو أخذوا مال المسلمين فكله حلال ومعاماتهم حلال في غير الخيانة والأخذ
 بالإيمان الكاذبة والغدر فإن ذلك حرام ، ثم إن لم يجد هذا فيتنزل إلى ما عرف أصله كمن وجد كغزا
 من المال بصورة الجاهلية في أرض غير مماوكة ، وكذلك المعدن على هذه الصورة والصيد وغيره ودون
 هذا من المراتب ما جهل أصله وعرف اختلاطه بأيدي كاسبيه واه مراتب مفصلة في كتب الفروع وآخر
 مراتب الحلال إذا عمت البلية في الأرض فلم يجد المؤمن منها لقوته إلا الصورة المحرمة وألجأ الحلال إلى
 ذلك حل له أخذ قوته فقط كافتيات الجائع من الميتة ولحم الخنزير فقط ، وأما الزكاة في المحرم بصورة
 النصب وشبهه فلا زكاة فيه لأن الزكاة فيها يتعلق ملك الشخص به ولا ملكية في النصب وشبهه ،
 وأما ما اختلط وذهبت عينه بعين أخرى وخالط بالحراثة والتجارة والصناعة فيزكي كله ، وأما أخذ
 الزكاة من مانعها لمستحقها بصورة السرقة والخيانة أو النصب فكأنه حرام فلم يعرف فيه مخالف من
 أهل الأصول ولا يحل ذلك إلا للسلطان لا ماعداه ، ولا يقول بإباحتها إلا من لا دين له ولا أمانة ثم
 مشاركة الطلبة فهي داخلية في تفصيل المعاملة السالفة انتهى ، انظره قال رحمه الله :

(فَمَنْ كَانَ عَالَةً عَلَى النَّاسِ يَزِدْرَى يَمُدُّ مِنَ النَّاسِ مِنْ صَنِيفٍ صَنِيفَةً
 فَكُنْ بِأَخِي صَقْرًا يَصِيدُ لِبُومَةٍ فَأُخْسِرُ بَوْصِفٍ صَبُورَةٍ وَأُنُوثةً)

(فمن كان عالة) جمع عائل كعبادة جمع بائع وهو من يلزم الإنفاق عليه وتلتزم مؤونته (على الناس)
 والإخوان والأقران (يزدري) يحتقر ويهان عندهم ، وفي الحديث «هز المؤمن استغناؤه عن الناس
 وشرفه في قيام الليل» فإن من طمع ذل وانحطت رتبته . وفي الحكم : ما بسقت أغصان ذل إلا على بذل
 طمع ، ما قاذك شيء مثل الوهم ، أنت حر بما أنت منه آيس وعبد لما أنت له طامع ، اه : وفي [مع] قال
 لقمان لابنه : يا بني حملت الصبخور والحديد فلم أر شيئا أثقل من الدين ، وأكلت الطيب وهانفت الحسان
 فلم أر شيئا ألد من العافية ، وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئا أمر من الحاجة إلى الناس . وقال الشعراfi :
 ومن أخلاق السلف تقديم الخوف من الحاجة إلى الناس على خوف الحساب من جهة المال الذي ربما
 دخلته الشهية . وقال سفيان الثوري : لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب إلى من أن احتاج
 إلى الناس ، وقال : المال فيما مضى يسكره وأما اليوم فهو ترس المؤمن ، وقال : حفظك لما في يدك
 لتقضى به حاجتك أولى من تصدقك وطلبك لما في يد غيرك ، وقال : خصلتان لا يزال العبد بخير
 ما حفظهما : درهمه لمعاشه ودينه لمعاده انظره . وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن نتفق على زوجاتنا وحيالنا ، ثم قال : وممعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : اسع
 على حيالك ليلا ونهارا وأرو سمالك الناس دنيويا ، فإنه خير من أن يسموك صالحا وأنت تأكل صدقاتهم

وأوصاهم وناظر مافي أيديهم وكل من لم يعطك شيئا تكرهه مع أن تلك الكراهة من غير حق ، انظره
(بعد من) جلس (النساء) قصره للوزن (ومن صنف صبية) جمع صبي لأن من لا كسب له والناس
يتفقون عليه من جملة النساء والصبيا وإن كانت له لحية كبيرة وسريحة طويلة وسجادة رقيقة وهذه مريحة
ومرقة ملونة وشفاهات مقهولة عند الولاة وغير ذلك مما هو من أوصاف الرجال وليس له حظ ولا
نصيب في الرجولية قال تعالى - الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا
من أموالهم - وقال - رجال لأنهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة - الآية ، فوصفهم الله
بالرجولية إذ أكملوا من كسبهم وأنفقوا من فضله : وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن لا تقبل صدقة ولا هدية من امرأة إلا بعد أن تسأل عن ذلك فربما كان من مال
زوجها بغير إذنه فتقع في الإثم ونعينا على الحرام ، وهذا الأمر يقع فيه الفقهاء المغفلون الذين
يقرون النساء البخاري والقرآن والمولد ، وقد نهى جميع أشياخ الطريق عن قبول الرقيق من النساء
ولو كان من كسبهن لأن الله تعالى قال - الرجال قوامون على النساء - قالوا ومن ترخص في ذلك
فهو دنيء الهمة والمروءة لا يجيء منه شيء في الطريق فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلكه
ويرقى به إلى مقام الرجولية ويفطمه عن محبة الدنيا ، وإلا فمن لازمه أنه يلحق كل ما وجدته انظره (فكان
يا أخى صقرا) بفتح الصاد كفلس وهو كل شيء يصيد من البراة والشواهي^(١) (يصيد) من صاده
يصيده ويصاده اصطاده (لبومة) بضم موحدة ، وفي [س] اليوم والبومة بضمها طائر كلاهما لذكر والأنثى اه .
ولا ترض لنسك والعيالك أي الأخ الصادق والحبيب الوافي أن تكون بومة فيصيد لك ولهم
غيرك من الرجال البراة والأقران السكاية . وفي [هم] وقد غلط في هذا الأمر قوم فتركوا جمع الدنيا
أصلا ورأوا فاحتاجوا إلى سؤال الناس تعريضا وتصريحا ولو أنهم كانوا سلكوا على يد الأشياخ
حتى فطموهم عن الميل إليها لجمعوا القناطير من الذهب وأنفقوها على المساكين وحصل لهم خير
الدنيا والآخرة :

[وقد حكى] أن فقيرا دخل زاوية سيدي إبراهيم المتبول فجلس للعبادة ليلا ونهارا وترك الكسب ،
وكان الشيخ لا يحب للفقير عدم الكسب فقال له : يا ولدي لم لا تحترف وتقوم بنفسك وتستغني عن
حمل الناس لك الطعام ؟ فقال ياسيدي لما دخلت زاويتكم رأيت في تلك الطاقة بومة عمياء لا تطيق أن
تسمى مثل ما تسمى الطيور ، ورأيت صقرا يأكل كل يوم بقطعة لحم يرميها لها في طاقتها ، فقلت أنا أولى بالتوكل
على الله من هذه البومة ، فقال له سيدي إبراهيم : ولم تجعل نفسك بومة عمياء هلا جعلتها صقرا تأكل وتطعم
البومة ؟ فقال الفقير : التوبة وخرج للكسب اه . فيحتاج الفقير إلى حال صادق يرمى به الدنيا وحال
صادق يأخذها بعد ذلك به والله غفور رحيم ، انظره . وفي [مع] وقد نص العلماء بأن من وجد
كفاية عن الأسباب فالله قد أعناه وإلا فلا يجوز لأحد أن يقعد عن الأسباب انكالا على الناس وهو قادر
على الاكتساب والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف به من الحرام اه (فأخس) فعل ماض تعجبي
(يوصف) فاعل مجرور بهاء زائدة (صبوة) كثرة جهالة الفتوة (و) وصف (أنوثة) بضم الهمزة أي

(١) الشواهي جمع شاهين : وهو طائر معروف من سباع الطير ، وليس يعرف بعض ، كذا في القاموس اه .

ما أخس هذين الوصفين بالنسبة لوصف الرجولية . قال رحمه الله :

(فَقَمُّ وَابْتِغِ الْحَلَالَ بِالْكَسْبِ وَالْقَنَاءِ وَلَا تَكُ كَلًّا عِندَ أَصْحَابِ ثَرَوَةٍ)

(فقم أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق بنية صادقة وهمة نافذة بنفسك، وللشافعي رضي الله عنه :

ما حلك جسمك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

وإذا قصدت الحاجة فاقصد ليعترف بقدرك

ولأبي المواهب السامعي رضي الله عنه وعنايه آمين :

دع الرسائل في نيل الحوائج مع كتب تنمقها في ذلك الغرض

كلما مواعيد من يروق منظره كم منظر معجب والفعل غير رضى

وقم بنفسك وانتهض على قدم فما ترف المنى اغير منتهض

واصحب نقوشا بمنقوش إذا ظهرت لم يبق في الأس رأس غير منخفض

هي الدراهم من يرد مصاحبة فليس في غيرها للمرء من هوض اه

(وابتغ) اطلب بالجد والاجتهاد لنفسك ولمن تعلق بك من العيال (الحلال) الذى هو أصل كل خير

ومنع كل بر - والبلد الطيب يخرج نباهه بإذن ربه - الآية، قال تعالى - يا أيها الناس كلوا مما في الأرض

حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان - وهى كل ما حرمه الله تعالى من المعاملات، وقال - يا أيها الرسل

كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - وفي الحديث « من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل

الجنة » وفي آخر « إن الله طيب يحب الطيب لطيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود

فنتظفوا أنفسنا ولا تشبهوا باليهود » أى في قذارتهم وقذارة أنفسهم : وفي [حى] قال صلى الله عليه

وسلم « العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال » وفي الحديث « طلب الحلال فريضة على كل

مسلم » وفي آخر « الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه » وما سكنت عنه فقد

عفى عنه » وفي آخر « الحلال بين والحرام بين فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك » اه - وفي الحلية :

اجتمع يونس بن عبيد وحسان بن أبى سنان فقال يونس : ما عالجت شيئا أشد على من الورع . فقال حسان :

ما عالجت شيئا أهون على منه . قال كيف ؟ قال تركت ما يربيني إلى ما لا يربيني فاسترحت . وفي [حص]

« طلب الحلال واجب على كل مسلم » قال الحنفى : أى طلب معرفته والأكل منه فإن ذلك ينور

البصيرة . ولذا رأى ابن آدم في الشام فقيل له ما جىء بك هنا ؟ فقال لأملأ بطني من حلال لا لصوم

ولا لصلاة ولا لغير ذلك . والمراد بالحلال ما لم تعلم حرمته ولم يلب على الظن حرمته لقريضة كقريضة

النهب ونحوه اه . وفيه « اجعلوا بينكم وبين الحرام سترا من الحلال من فعل ذلك استبرأ لعرضه ودينه

ومن أرتع فيه كان كالمرتفع إلى جنب الحمى يوشك أن يقع فيه وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله في الأرض

محارمه » اه وفي البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يأتي على

الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم الحرام » وفيه « إن هذا المال خضرة حلوة ونعم

صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين ومن لم يأخذه بحقه فهو كالأكل

الذى لا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة » وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تدخل عما يدخل

بطوننا في هذا الزمان من الحرام والشبهات وأن تضيق على نفوسنا ما أمكن ، وذلك لأن إصلاح القلب

والإمامه لفعل الخير متوقف على إصلاح الطعمة فمن أكل من الحرام والشبهات وطالب أن يفهم دقائق الشريعة أو أن يقع على يديه أعمال الصالحين أو أن ينشرح صدره للطاعات فقد أخطأ الطريق ولا يصح له ذلك أبداً ، وقول بعضهم : من أدب الفقير أن لا يفتش محله ما إذا غلب الحلال فافهم مع أن من استبرأ لدينه فلتش مطلقاً . واعلم يا أخى أن من علامات الحرام والشبهات أن تنام كالسكران وتنظر المنامات فلا تهتدى لذكرها على وجهها وتقوم من النوم فتتمكث ساعة وأنت باهت كالسكران عكس آكل الحلال فإنه يستيقظ كأن لم يكن نائماً ، ودليلنا في ذلك قوله تعالى في حق أكلة الربى - الذين يأكلون الربى لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس - انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجتهد في طلب الحلال لنأكل منه ونلبس منه وننفق على حيالنا وإخواننا منه . فإنه موجود ما دام المكلفون في الدنيا وإذا صدق العبد في طلب الحلال استخرجه الله من بين الحرام والشبهات كما يستخرج اللبن من بين فرت ودم ، فلا تسمع يا أخى لى قول من يقول مابق في الدنيا حلال فإن ذلك جهل منه ، وأصل ذلك كثرة أكله هو من الحرام والشبهات فظن أن أحدا لا يسلم من ذلك قياساً عليه هو ، وغاب عنه أن الله تعالى إذا اعتنى بعبد طهره من الخبائث ويسر له الحلال الصريف الخالص ، فلولاً ما سبق في علم الله تعالى من حيث نفس هذا القائل ما صاق إليه الخبيث قال تعالى - الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات - فن خبيثت نفسه سيق للخبيث وسيق الخبيث لها ومن طابت نفسه سيق إليها الرزق الطيب وسيقت إليه ، فاعمل يا أخى على إصلاح النية واطلب الحلال جهداً ، انظره . ورحم الله من قال :

انكس فيه محلة ومهابة والفقر فيه مذلة وقصوح
خاطر بنفسك كي تنال غنيمة إن الجلوس مع العيال قبيح

ومن قال :

إذا المرء لم يطلب معاشاً بكفه شكى الفقر أولام الصديق فأكثر
فسر في بلاد الله ولمس الغنى تمش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترضين بعيش دون ولا تنم وكيف ينام الليل من كان معصرا

ومن قال :

دريفي للغنى أسعى فإنى رأيت الناس شرهم الفقير
وأذناهم وأهونهم عليه وإن أمسى له حسب وخير
يباعده القريب وتزدريه حليته ويقهره الصغير
ويبقى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد لاقية يطير
قليل ذنبه والذنب جهم ولكن للغنى رب غفور اه

ومن قال :

يعدو الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مموتاً وليس يذنب ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذايرة أصغت إليه وحركت أذناها
وإذا رأت يوماً فقيراً عارياً نبحت عليه وكشرت أنيابها

ومن قال :

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب وقد يسود خبير السيد المال

ومن قال :

ولا رفع للنفس الدنية كالغنى ولا وضع للنفس الشريفة كالفقر

ومن قال : إن الغنى إذا تكلم بالخطأ

وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم

إن الدراهم في الأماكن كلها

فهى اللسان لمن أراد فصاحة

وهى السيوف لمن أراد قتالا

(بالكسب) هو طلب الرزق والمعيشة . وفى [جص] « إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم

من كسبكم » . وفيه : « إذا كان آخر الزمان فلا بد للناموس فيه من الدراهم والدنانير يقيم الرجل بهادينه

ودنياه اه . وعليه فمن أحب المال لصيانة دينه وعرضه فهو مصيب ومثاب » إنما الأعمال بالنيات

ولسكل امرئ ما نوى » وفيه : « الدنانير والدراهم نحوتم الله فى أرضه ، من جاء بخاتم مولاه قضيت

حاجته » . قال العزرى : قال الغزالي : من نعم الله تعالى الدراهم والدنانير وهما قوام الدنيا اه وفيه :

« لعثرة فى كد حلال على هبال أفضل عند الله من ضرب بسيف حولاً كاملاً لا يحف دماً مع إمام

عادل » . وفى الحديث « الحث على القيام بأمر العيال والتحذير من تضییعهم وأن القيام بهم أفضل من

الجهاد فى سبيل الله » وفيه « باكروا فى طلب الرزق والحوائج فإن الغدو بركة ونجاح » وفى [حى]

قال صلى الله عليه وسلم « من سعى على حيائه من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله » ومن طلب الدنيا

حلالات فى صفاف كان فى درجة الشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوماً نور

الله قلبه وأجرى يتابع الحكمة من قلبه على لسانه » وفى رواية « زهد الله فى الدنيا » وفيه : قال

أقمان لابنه : يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال :

رثة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاثة استخفاف الناس به . وقال

عمر رضى الله عنه : لا يبعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر

ذهبا ولا فضة . وكان زيد بن مسلمة يفرس فى أرضه فقال له عمر رضى الله عنه : أصبت استغن

عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك هليهم ، كما قال صاحبكم أحيحة :

فلن أزال على الزوراء أعمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال

استغن أومت ولا يفررك ذونسب من ابن عم ومن عم ومن خال

كل النداء إذا ناديت بخذلى إلا النداء إذا ناديت يامالى

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا فى أمر دينه ولا فى أمر

آخرته اه . وكان قيس بن عاصم مع زهده وورعه يقول لبنیه : هليكم بالكسب الحلال فإنه يسر

الصديق ويكمد ^(١) العدو وتستغنون به عن سؤال الناس لاسيا اللثيم ، فإن ذلك كسب المأجز . وروى

« أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر

يسعى ، فقالوا يا أبايع هذا لو كان جلده وشبابه فى سبيل الله ، فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا

فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكشفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى على

(١) يضم تخية من أكرهه : أخرته . اه .

أبوين ضعيفين أو ذرية ضعافا ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى تفاخرا وتمكثرا فهو في سبيل الشيطان» انظره (والعنا) قصره للوزن من غنى كرضى هناء تعب ونصب ، وفي الحديث « من أصبح وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له وأصبح والله عنه راض » وفي [جص] من أصبح ^(١) كالا من عمل يده أمسى مغفورا له « وفيه » إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال « أى لأنه يرضى عنه بذلك وبثبته عليه إن قصد بعمله التقوى على طاعة الله والتقرب إليه . قال العزبى : قال السهروردي رحمه الله : أجمعوا أى الصوفية على مدح الكسب والتجارة والصناعة بقصد التعارن على البر والتقوى من غير أن يراه سبيها لاستجلاب الرزق ، ولا تحمل المسألة لغنى ولا لسوى ^(٢) انظره وفي [هب] الثامن : أى من الأسباب التى توجب الانقطاع عن الله تعالى استحلاء التعب والمشقة في طلب الدنيا على عبادة الله عز وجل ، فمن أحسن بذلك من نفسه فليعلم أنه مرتكب سبيها من أسباب الانقطاع . التاسع : طلب الدنيا بما هو أهون منها وأذل وأحقر ، وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم يطلبونها بما هو أعلى منها وأعز كالجهاد والتجارة والزراعة وغير ذلك من أسباب الحلال ، وأما من طلب الدنيا بالزور والكذب والفجور والأيمان الخائفة فقد طلبها بما صحت هى أخس منها : أى من الدنيا فمن أحسن بذلك من نفسه فليطلب إلى الله عز وجل فإن الدنيا لا تدرك إلا بما هو أهن منها انظره . وفي [غص] وسأنته رضى الله عنه هل الأفضل اتباعى للمشايخ الذين أدركتهم كالشيخ الموصى وأبى السعود الجارحى والشيخ نور الدين للشونى وأضرابهم فى الأكل بما يفتح الله به من غير عمل حرفة أم الأفضل عمل الحرفة ، فأجاب رضى الله عنه من لا عمل له لا أجره له ، وبيانه أن الأعمال والاكتساب من الأقوال والأفعال والأنفاس المحموده من سائر العالم مديرة للفلك وموجبة للأثر بحسب تلك الأحوال وبحسب نيات من ظهرت عنهم فإذا ظهرت الآثار نزلت على كل إنسان بحسب رتبته من تلك الأحوال ، فكل من كان فعله أتقن وأكمل كان فعله أسرع دوراناً للفلك وكل من كان عمله أتقن وأكمل كان نضاعف الحسنات له أكثر ، ومن كان تاركاً للأسباب أصلاً دار الفلك بنصيب غيره ولم يحصل له شيء من الأمداد لكونه لم يعمل شيئاً ، ومعلوم أن الحق تعالى لانسبة بيننا وبينه فى العطاء بلا عمل لبرائته تعالى عن أن يفصل منه شيء لنا أو يتصل به شيء منا ، وإنما الأمر راجع هنا لنا بحسب أعمالنا وهو الغنى الحميد ، ومن هنا عتب الخضر على موسى عليه السلام حين أقام الجدار بغير أجره أعلمه هذا الأمر والرسالة وهب لا كسب ، فأراد الخضر عليه السلام أن يجمع موسى بين مرتبتي الكسب والوهب وهى مرتبة الكمال والأقطاب والله تعالى أعلم اهـ (ولأنك كلا) الكمال بفتح الكاف الينم والثقل ومن لا خير فيه والعيال والثقل جمعه كلول كفلس وقلوس (عند أصحاب ثروة) بفتح مثله العدد من المال والناس . وفي [جص] « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منها جميعاً فان الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تمكثوا كلا على الناس » وفيه « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس » قال العزبى : فإن خير الناس من جعل دنياه مزرعة للآخرة وأخسرهم من شغلته دنياه عن الآخرة اهـ . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نأمر من صحبنا من المخترفين بالإقامة فى حرفته ولو قوى يقينه بالله عز وجل ، فإن من أحب العباد إلى الله المخترفين من كان فى سببه مع

(٢) أى الشاب القوى اهـ .

(١) لعلها من « بات » مصححه .

التفويض التام لله تعالى . وكان بعض الفقراء رضى الله تعالى عنه يقول : ينبغي عندى أن يكون
الفقير مع أستاذه فى انقياده له كالدابة التى تحمل أمتعة الناس ثم يسوقونها لا تدرى المتاع الذى على
ظهرها لمن هو ولا مع من هو ، ولا تعلم بنفاسة ماحلته ولا بنجسته ، وهى مع ذلك صابرة على ما تناسيه
من كد العمل وعلى ما تلاقيه من شدة الجوع والعطش غير طامعة فى شيء ترجيه بأفعالها فى الدنيا
والآخرة ، وهذا العهد يقع فى خيانتة كثير من الفقراء الذين لم يسلكوا الطريق على يد شيخ فيتروك
حرفته ويدور فى الزوايا كالأعلى الناس والإخوان يأكل الصدقات وأوساخ الناس بعد أن كان يأكل
من كسبه ويتصدق على الفقراء وغيرهم ، لا سيما إن لبس الزى وجلس فى زاوية وادعى مقام العرفان ،
أو أنه من الصالحين كما يقع لبعض الناس فإنه يتلف بالكلية وذلك لأن نفسه ما بقيت تطاوعه أن يرجع
إلى الحرفة وفضا بعد أن عمل شيئا ولا معه يقين بحميه من أوساخ الناس ، نسأل الله العافية آمين ،
انظره . وفى [حى] قال عليه الصلاة والسلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من
أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه » وقال من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح
الله عليه سبعين بابا من الفقر » انظره . وفى [حص] « من سأل الناس أموالهم تكثرا فلنما يسأل جمر
جهنم فلا يستقل منه أو يستكثر » وفيه « من سأل من خير فقر فلنما يأكل الخمر » وفيه « من سأل عن
غنى فلنما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس
عليه لحم » وفيه « لو يعلم صاحب المسألة ماله فيها لم يسأل » اه . وقد قيل : أربعة فيها ذل عظيم : الدين
ولو درهم ، والبنت ولو مريم ، والمقر ولو ميل ، والسؤال ولو إلى أين السبيل . ورحم الله من قال :

لا تكن طالبا لنا فى يد النا من فيزور^(١) من لقاءك الصديق
إنما الذل فى سؤالك لنا من ولو فى سؤال أين الطريق

وللشافعي رضى الله عنه :

أعز الناس نفسا من نراه يعز النفس من ذل السؤال
ويتنع باليسير ولا يسأل بفضل فات من جهاد ومال
فكم دقت ورقك واسترقت فضول العيش أعناق الرجال
ورحم الله من قال :

بلوت^(٢) الناس قرنا بعد قرن فلم أر غير ختل^(٣) أو قتال
ولم أر فى الخطوب أشد ضرا وأذى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الأشياء طرا فما شيء أمر من السؤال
ومن قال :

ما نال باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا التوال مع السؤال وزنته رجح السؤال ونحف كل نوال
وإذا يليت بسؤال وجهك سائلا فابذله للمتكرم المفضل

(١) أى يقر الصديق من لقاءك .

(٢) أى اختبرت .

(٣) جمع خاتل كعجب جمع صاحب اهـ .

ومن قال :

لموت الفقى خير من الفقر للفقى وللموت خير من سؤال بحيل
لعمرك ما شئ لو جهك قيمة فلا تلق مخلوقا بوجه ذليل
ولا تسألن من كان يسأل مرة فلموت خير من سؤال مسؤول

ومن قال :

لم يخلق الرحمن أحق لحية من سائل يرجو الندى من سائل
ولما أضر الفقر بالقاضى سيدى عبد الوهاب رحمه الله تمضى الكفاف ولزوم العلم إلى الممات فقال :
يا لهف نفسى على شيتين لو جمعا عندى لكنت إذا من أفضل البشر
كفاف عيش كفانى ذل مسألة وخدمة العلم حق ينفضي العسر
فحقق الله أمنيته واستجاب دعوته لصدق نيته وصفاء سريرته .

يارب فامنن على بهما كرما بجاه خير الورى وشيخنا أحدا

وفى [عف] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من يضمن لى واحدة أن أكمل له بالحنة ، قال ثوبان : قلت أنا قال : لا تسأل الناس شيئا فسيكأن ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا بشأله وينزل هو ويأخذها » وفيه : « من أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت لى امرأتى ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه قال فأتيته وقلت أئمن شيئا فذهبت أطلب فأنتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ويقول : « من استعف بعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن سألنا شيئا فوجدناه أعطناه وأسبغناه ومن استعف عنه واستغنى فهو أحب إلينا من سألناه » قال فرجعت وما سألته فرزقنا الله حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منا » انظره . وفيه : « وقال على رضى الله عنه : « من جلس على بساط الرضا لم يناله من الله مكروه » ومن جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله فى كل حال » وفى الحديث « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو ؟ قال غداء يوم وعشاء ليلة » وفى آخر « من سأل وله خمسون درهما أو عددا من الذهب فقد سأل إلخافا » وفى آخر « من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سأل الناس وله عدل نخس أواق فقد سأل إلخافا » وفى آخر « من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ، ومن استكف كفاه الله ، ومن سأل الناس وله قيمة أوقية فقد ألحف » وفى آخر « مسألة الناس من الفواحش ما أحل الله من الفواحش غيرها » ومعلوم أن الفاحشة لا تباح إلا لضرورة فادحة كما يباح شرب الخمر لإزالة غصة إذا لم يوجد غيره انظره [حى] . وفى مسلم عن قبيصة قال « تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها قال ثم قال يا قبيصة إن المسئلة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل يحمل حمالة فحلت له المسئلة حتى يصيبها ثم يسلك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجج من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش فأسواهن من المسئلة يا قبيصة سحنا يأكلها صاحبها سحنا » وقوله سحنا بالنصب أى اعتقده سحنا » وفى رواية غير مسلم سحنت بالرفع . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون

سدانا ولحمتنا القناعة والتعفف والأكل من الكسب الحلال بطريقة الشرع الشامل لمدايدين بالدعاء إلى حضرة الله تعالى إذا عجزنا عن عمل الحرفة المعتادة ولا نأكل بديننا ، وهذا العهد لا يعمل به على وجهه إلا من سلك الطريق على يد شيخ وإلا فلا يشم من العمل به رائحة فإن العهد مالم يصل إلى معرفة الله تعالى لا يصح له في القناعة ولا التعفف قدم ، وذلك أنه إذا عرف الله تعالى فمن لازمه الرضا به من الكونين ، ولا يطلب قط فيهما نعيمًا غير مجالسة الحق جل وعلا ولا يبالى بما فاته منهما إذا كان الحق تعالى له عوضًا من كل شيء ، وأما من لم يصل إلى معرفة الله تعالى فمن لازمه شراة النفس لأن الدنيا مشهودة فلذلك كان هذا العهد يخجل به كثير من الناس في هذا الزمان حتى لا يكاد الإنسان يرى متعففًا ولا قانعًا ولا متورعًا في اللقمة أبدًا ، ثم قال : لا يخفى أن من أقبح الصفات هدم تعفف العالم والصالح وطلبهما من الولاة جوالى أو مسموحا أو مرتبا على بساط السلطان ثم يطلبان بعد ذلك تمشية شفاعاتهم عندهم في أمور المسلمين ، وهذا أمر لا يتم لهم فإن شرط الشافع العفة والورع عما بأيدي الولاة ، فلأنهم إذا رأوه زاهدا فيها رغب فيه ملوكهم فضلا عنهم عظموه ضرورة وأحبوه وقبلوا شفاعته وتبركوا به ، ثم قال : فاسلك يا أخى طريق الفقراء والعلماء الذين مضوا ولا تتبع أهل زمانك تهلك . وقد بلغنا عن أبى إسحاق الشيرازى أنه كانت تعرض عليه الأموال فيردها مع أن القمل مائع على وجهه ورأسه ولحيته وعليه فروة كباشية ، وكان يتغذى بماء الباقلا فيفت الكسرة اليابسة ويغسلها بماء القول رضى الله تعالى عنه . وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لله تعالى رجال يجمعون المال ولا يظهرون قناعة ويلحون في السؤال ثم يعطون كل شيء حصل بأيديهم لمن هو محتاج إليه ولا يدورون منه شيئا ، فإياك يا أخى والمبادرة بالإنكار عليهم ، وبعضهم يجمع من الدنيا عنده حتى لا تستشرف نفسه لما في أيدي الناس أو يقف لهم على باب وكان على ذلك سفيان الثوري رضى الله تعالى عنه . وسمعت سيدي عليا الخواص رضى الله تعالى عنه يقول : إذا ضاق على فقير أمر معيشته فليسأل الله تعالى في تيسير رزق حلال مما قسمه الله تعالى له ولا يعين جهة ليكون ذلك معدودا من جملة الرزق الذى لا يحاسبه ، فإن كل شيء جاء باستشراف نفس فهو غير مبارك فيه كما صرح به الشريعة . ثم نقل عن الشهل أن كان إذا جاع مد يده وسأل الله تعالى وقال هذا كسب يميني ، ثم قال عن أخيه أفضل الدين رحمه الله : لا ينبغي لفقير السؤال حتى يبيع آلات الدار الزائدة على الضرورة كالطراحة والمخدة والعمامة الزائدة والأواني كلها حتى تعاله الزائدة ، وكان يقول : لا ينبغي لفقير إذا وجد الحلال الصرف أن يشبع منه بل يأكل بقدر سد الرمق فقط خوفا أن يقع في الحرام ، وسمعت أيضا يقول : ليست القناعة أن تأكل كل ما وجدته ولو كسرة يابسة كل يوم ، وإنما القناعة أن تطوى الثلاثة أيام فأكثر مع وجود الأكل عندك اه . ولعل مراده رضى الله عنه الطلى الذى لا يضر الجسم فإن جوع المحققين إنما هو اضطراب لا اختيار ، وذلك لأن الكامل يجب عليه إعطاء كل ذى حق حقه من جسمه أو غيره ولا يظلم شيئا من رعيته سواء الجوارح وغيرها ، انظره . قال رحمه الله :

(تَقْنَعُ بِزَادٍ كَالْغَرِيبِ وَعَابِرِ السَّبِيلِ خَسْبُ ذِينَ أَوْصَلَ بُلْقَةً)

(تقنع) أى تكلف القناعة التى هى كنز لا ينفد لحديث « القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى » وسئل صلى الله عليه وسلم عن القناعة فقال « هى الإياس مما فى أيدي الناس وإياكم والطمع فإنه الفقر

الحاضر هـ اهـ : ورحم الله من قال :

إذا رمت أن تستقرض المال منفقا على شهوات النفس في زمن العسر
فقل نفسك الإنفاق من كنز صبرها عليك وإرفاقا إلى زمن اليسر
فإن رضيت كنت الغنى وإن أبت فكل منوع بعدها واسع العذر

وفي [حصص] عليكم بالقناعة فإن القناعة مال لا ينفد هـ قال العزيزي : هي الرضى باليسير ، وقيل القناعة الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكل وملبس وغيرهما ، وقيل القناعة رضى النفس بما قسم لها من الرزق ، وهي ممدوحة ومطلوبة وثمرتها في الدنيا السلامة من المطالبة بالحقوق وما يتبعها من التعب ، وفي الآخرة السلامة من طول الحساب . قيل في قوله تعالى - إن الأبرار لفي نعيم - هو القناعة في الدنيا ، وفي قوله - وإن الفجار لفي جحيم - هو الحرص على الدنيا . وفي الزبور : الذائع غنى وإن كان جائعا . وقيل وضع الله خمسة أشياء في خمسة مواضع : العز في الطاعة ، والذل في المعصية ، والهيبة في قيام الليل ، والحسنة في البطن الخالي ، والغنى في القناعة ، ولهذا قيل : من قنع استراح من مزاحمة أهل زمانه أي في الأسواق وغيرها ، واستطال على أقرانه : أي بالعز والمروءة ، انظره . وفيه « طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » . وعن بشر رحمه الله لو لم يكن في القناعة إلا التمتع بالعز لسكنى ، وعنه أيضا : طلبت الغنى فوجدته في القناعة . وعن بعضهم : انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالتقصص . وقال على كرم الله وجهه : القناعة سيف لا يقبوا هـ . وفيه « ابن آدم عندك يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ، ابن آدم لا يقليل تقنع ولا من كثير تشيع . إذا أصبحت معافى في جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا عفاء » أي الهلاك والدروس وذهاب الأثر ، وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم البديعة ومواعظه السنية البليغة قاله العزيزي . وفيه « ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عرسته وجلف الخبز والماء » اهـ . وفي [ثيق] وفي بعض المواضع الربانية : يقول الله عز وجل « يا عبدى خلقتك لى وحدى وجعلت الملائكة تقودك إلى حضرتى مادمت قائما منى بالرجف وصتر العورة لك وإعيالك فإذا طلبت منى فوق ذلك قطعت الحبل بينى وبينك فلا تقدر على النهوض إلى حضرتى خطوة واحدة » اهـ انظره وروى « ما من يوم طلعت فيه شمس إلا وملكان يتناديان يسمعهما خلق الله إلا الثقلين : أيها الناس هلموا إلى ربكم إن ماقل وكفى خيرا مما كنتم وألهمى » ورحم الله من قال :

والفقر خير من غنى يطغى النفس تأبى أن تكون فقيرة
فجميع ما في الأرض لا يكفيها فغنى النفوس هو الكفاف وإن أبت

ومن قال :

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا فإنك لا تدري أنتصبح أم تسمى
فليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس

ومن قال :

غنى النفس ما يكفيه من سد خلة فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

فالكفاف حالة متوسطة وخير الأمور أوسطها ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا » وحكى أن رجلا خطر بباله وهو بالطرافة طلب الدنيا فلما نام سمع هاتفا يقول :

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والظانقين ومنزل الفرقان
ما العيش في المال الكثير وجمعه بل في الكفاف وصحة الأبدان

وفي [شب] ومن النصائح النبوية قوله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس اذكروا هادم اللذات
فلأنكم إن ذكرتموه في ضيق وسهه عليكم ، وإن ذكرتموه في غنى بغضه إليكم ، إن المنايا قاطعات
الآمال والليالي مدنيات الآجال ، وإن العبد بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فحتم عليه ، ويوم
قد بقي لا يدري لعله لا يصل إليه ، وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رسمه يرى جزاء ما أسلف
وقلة غناء ما خلف . أيها الناس : إن القناعة لغنى ، وإن في الاقتصاد لبلغة ، وإن في الزهد لراحة ،
وإن لكل عمل جزاء ، وكل آت قريب » وقال بعض الحكماء : الدنيا إنما تراد لثلاثة : العز والغنى
والراحة ، فمن زهد فيها عز ، ومن قنع استغنى ، ومن ترك الانهماك فيها استراح . ولما اجتمع هارون
الرشيد بالهللول قال له عظمي فقال بم أعظك؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم ، ثم قال : كيف بك
يا أمير المؤمنين إذا أقامك الحق تعالى بين يديه وسألك عن النقيير والفتيل والقطمير وأنت عطشان جوهان
عربان وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون فخفقت العبرة وأمر له بصلاة ، فقال ردها على من أخذتها
منهم قبل أن لا تجد لهم شيئا ترضيهم ثم أنشد :

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فما تدرى لمن تجمع
فإن الرزق مقسوم وسوء الظن لا ينفع
فخير كل ذي حرص غنى كل من يفتقر

والله در ابن رزين حيث قال من قصيدته المشهورة :

وما يجاهد الإنسان واصلة رزقا ولا دعة الإنسان تقطعه
قد وزع الله بين الخلق رزقهم لم يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا حرصا فلست ترى مسترزقا وسوى الغايات يفتعه
والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت بغى ألا إن بغى المرء يصصره
انظرة ، ورحم الله من قال :

قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ويحرم الرزق بالأسفار والتعب
إني وعمرك ما أحصى قوى حق الرزق أهدى بهم من لاصق الحرب
ومن قال :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل
فلسو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه خلق الإنسان من عجل

وحكى أن رجلا سأل ابن حنبل أن يعظه فقال : إن كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق
لماذا؟ وإن كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا؟ وإن كان الخلف على الله فالبخل لماذا؟ وإن كانت الجنة حقا
فالرجوع لماذا؟ وإن كانت النار حقا فالمعصية لماذا؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا؟ وإن كان الحساب حقا
فالجمع لماذا؟ وإن كان كل شيء بقضائه وقدره فالخزن لماذا؟ وفي [حنبل] روى أن موسى عليه السلام
سأل ربه تعالى فقال : أي عبادك أغنى؟ قال أفنعمهم بما أعطيت . قال فأيهم أعدل؟ قال من أنصف من نفسه .

وقال ابن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » وقال أبو هريرة : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز ماء وعلى الدنيا الدمار »^(١) وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » وفيه قال بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غما المحسود ، وأخناهم عيشا القنوع ، وأسبرهم على الأذى الجريص إذا طمع ، وأخفضهم عيشا أرفضهم الدنيا ، وأعظمهم تدامة العالم المفرط ، وفي ذلك قيل :

أرفه^(٢) ببال قبي أمسى على ثقة إن الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يلدسه والوجه منه جديد ليس يخلقه^(٣)
إن القناعة من يحل بساحتها لم يلق في دهره شيئا يؤرقه^(٤)
ورحم الله من قال في مدح القناعة :

هي القناعة لا أبغى بها بسلا فيها النعيم وفيها راحة البدن
أنظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ما فاز منها سوى بالاحد والكفن
ومن قال :

وجدت القناعة أصل الغنى فصرت بأذيالها متمسك
فلا ذا يراني على بابسه ولا ذا يراني به منهك
فصرت غنيا بسلا درهم أمر على الناس شبه الملك

ومن قال :

يا طالب الزيد والأرزاق قد قسمت بين الخلائق لم تنقص ولم تزد
أنعت نفسك فيما لست مدركه وضاع همك في هم وفي نكد
لو طرت بين السما والأرض عجتدا في شربة الماء فوق الرزق لم تجد
هون عليك فإن الرزق عن قدر يأتي ولو أنه في جبهة الأسد

ومن قال :

جری قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تدعى لرزق ويرزق في خشاوته الجنين

وفي [عف] حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق ، فخرج إلى بعض الصحاري فرأى قنبرة^(٥) عمياء عرجاء ضعيفة فوقف متعجبا منها متفكرا فيما تأكل مع عجزها عن الطيران والمشى والرؤية ، فبينما هو كذلك إذا انشقت الأرض وخرجت صكر جتان في إحداها متمسم وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ، ثم انشقت الأرض وغابت السكر جتان : قال : فلما

(١) الدمار كهلاك وزنا ومعنى اه . (٢) أرفه فعل ماض تعجى بصيغة الأمر من الرفاهية وهي صفة العيش قاله مرتضى شرح الإحياء اه مصححه . (٣) بضم تحتية وكسر لام من أخلاق الثوب أبله . (٤) أي يحزنه ويؤلمه قاله مرتضى . (٥) قنبرة بضم قاف وموحدة كقنطرة: اسم طائر .

رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق ، انظره . ورحم الله من قال :
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إذا من جهلهم البهائم
ومن قال : الرزق مقسوم فأجل في الطلب يأتي بأصباب ومن غير بسبب
فاسترزق الله في الله غنى الله خير لك من جد وأب
وللشافعي رضي الله عنه في قصيدة بليغة :

ورزقك لا يفوتك بالتواني وليس يزيد في الرزق العناء
ويرزق من يشاء بلا حساب ويحرم من يريد كما يشاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
وله أيضا رضي الله عنه وعن جميع الأئمة وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم :
أنت مطامعي فأرحمت نفسي فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ففي إحيائه عرضي مهون
إذا طمع يحل بقلب عبد هلته مهانة وعلاه هون

ومن النبي صلى الله عليه وسلم : عز من قنع وذل من طمع ، وقد قيل : من قنع استراح من الشغل
واستطاع على الكل . وقيل : من طمعت عيناه لما في أيدي الناس طال حزنه وهمه ورحم الله من قال :

عزيز النفس من لزم القناعة ولم يكشف مخلوق قناعه
أفادتنا القناعة كل عز وهل عز أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعة
لتغني في حياتك من لئيم وتسعد في الجنان بصبر ساعه

ومن قال :

ألا بانفس إن ترضى بقوت فأنت عزيرة أبدا غنية
دمى عنك المطامع والأمانى فسكن أمنية جلبت مفية

ومن قال :

إذا ما كان عندى قوت يوم طرحت المم حتى يامعبد
ولم تحظر هموم فهد بياني لأن غذا له رزق جديد

(براد) يوصلك للمعاد . وفي [جص] « نعم العون على الدين قوت سنة : أى لأن في ادخاره
التفرغ للعبادة والدين . وفيه : أغبط الناس عدى مؤمن خفيف الحاذ^(١) ذو حظ من صلاة وكان رزقه
كثافا فصبر عليه حتى يلتقى الله وأحسن عبادة ربه ، وكان غامضا في الناس عجبت منيته وقل ترائه
وقلت بواكيه^(٢) وفيه : انتظر الفرج من الله عبادة ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى
عنه بالقليل من العمل . وفيه : كل شيء فضل عن ظل بيت وجاف الخبز وثوب يوارى عورة الرجل

(١) الحاذ نعمه مهمة آخره دن معجزة : أى خفيف الظاهر من الخيال والمال : قائم العزيز .

(٢) جمع باكية لأن الميت يندب بكاء أهله .

والماء لم يكن لابن آدم فيه حق . ورحم الله من قال في مجت مجزو :

خبز وماء وظل هو النعم الأجل
جججت نعمة ربي إن قلت لى مقل

وعن بعضهم : من أغناه الله عن ثلاث فقد أتم عليه نعمته : عن سلطان يأتيه ، وعن طبيب يعانیه ، وعنما في يد أخيه . وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » وفي [خل] إذا وجد الفقير في هذا الزمان قوته من حيث لا يحتاج لأحد فهو من أكبر الكرامات إذ أن الكرامة إنما هي خرق العادة وما جرت لهذا فهو خرق عادة ما يخ وهذا في زمنه رضى الله عنه فكيف بزمننا هذا الذى هو آخر عجب الذنب ^(١) جبر الله حالنا وأصلح ما لنا آمين (كالغريب) عن وطنه فإنه لا يحمل من الزاد إلا ما يوصله لوطنه . وفي [جص] « الغريب في الدنيا أربعة قرآن في جوف ظالم ومسجد في نادى قوم لا يصلى فيه ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ورجل صالح مع قوم سوء » وفيه « طوبى للغريب قليل من هم يارصول الله؟ قال أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصهم أكثر من يطيعهم » وفي رواية « من يبغضهم أكثر من يحبهم » وفيه « الغريب إذا مرض فنظر من يمينه وعن شماله ومن أمامه ومن خلفه فلم ير أحدا يعرفه بغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وفيه « لا غربة على المؤمن ، مامات مؤمن بأرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكى عليه فيها السماء والأرض » وفيه « إن الميت في الغربة يقاس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة وقيل : ثلاث لا غربة معها : حسن الأدب ، وطيب الأخلاق ، واجتناب الريب ^(٢) . ورحم الله من قال :

يزين الغريب إذا ما اغترب ثلاث فتن حسن الأدب
وثانيه طيب أخلاقه ويختصهن اجتناب الريب

وقيل : ليس الغريب غريب الأوطان وإنما الغريب غريب الأقران ، ورحم الله من قال :

وما غربة الإنسان في شقة ^(٣) النوى ولكنها والله من عدم للشكل
ومن قال : لكل امرئ شكل من الناس مثله وأكثرهم شكلا أفلهم عقلا
وكل أناس آلفون لشكلهم وأكثرهم عقلا أفلهم شكلا

(وعابر) من عبر الطريق شقها وقطعها (السييل) وعن سيدنا عيسى هلى نبينا وعليه الصلاة والسلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . وروى عن عائشة رضى الله عنها - قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أردت اللجوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك وبجالة الأغنياء ، ولا تستخلفى ثوبا حتى ترقيه » وفي رواية « ما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترقع ثوبا وتنكسه » وأما ما يقع ممن يدعى التصوف من تنميق الثوب الحديد ويجعله رقما فهو من علامة الرياء والشهرة وفيه إضاعة المال المنهى عنها شرعا وطبعها إذ الحديث إنما ورد في الثوب الخلق (فحسب ذين) أى فحسب هذين من الزاد الموصول للمعاد (أرسل بلغة) بغضم موحدة ما يتبلغ به من العيش ، وروى الحاكم عن سلمان رضى الله عنه قال : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليكن بلغة أحلكم من الدنيا

(١) عجب كغلس أم . (٢) قوله الريب جمع ريبة . (٣) شقة بضم شين معجمة : بعد المسافة .

كزاد الراكب « إنما يكفي أحدكم مادام في الدنيا مثل زاد الراكب » ، ورحم الله من قال :
تبغى من الدنيا الكثير وإنما يكفيك منها مثل زاد الراكب
لا تعجبين بما ترى فكأنه قد زال عنك زوال أمس الذاهب

وقيل : أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : إن أردت لقائى غدا في حظيرة
القدس فكن في الدنيا غريبا محزونا مستوحشا كالطير الوحدا في الذي في الأرض والغفار يأكل من
رؤوس الأشجار فإذا كان الليل آوى إلى وكره وفي [عم] وقد درج العلماء العاملون كالهم على عدم
أخذهم من الدنيا فوق زاد الراكب . وقد بلغنا أن عز الدين بن عبد السلام لما غضب من سلطان
مصر حمل أمتة بيته على حمارته وأركب زوجته فوقها وخرج من مصر ، فانظر يا أخى أمتة شيخ
الإسلام واعتبر به والله يتولى هداك اه . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن لانهم لتحصيل الدنيا كل الاهتمام ولا نقبل عليه كل الإقبال وإنما يكون ذلك بقدر الضرورة لا غير ،
وهذا العهد لا يقدر على العمل به إلا من سلك على يد شيخ ناصح ، وسافر به حتى أشرف على شهود
دار البقاء بعين بصيرته ونظر ما فيها من النعم المقيم والمعيشة الواسعة الإلهية حتى صارت كأنها رأى
العين وهناك يزهد في دار الدنيا . انظره . وفي [جص] « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »^(١)
لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل ، وهذا الحديث أصل في الحث على الفراغ
عن الدنيا والزهد فيها والاحتقار لها والقناعة فيها بالبلغة . وقال النووي : معنى الحديث لا تركزن إلى
الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه ،
وقال غيره : عابر السبيل هو المار على الطريق طالبا وطنه ، فالإنسان كعبد أرسله سيده في حاجة
فحقه أن يبادر لقضاءها ثم يعود إلى وطنه . قال : قال العلقمي وأوله كما في البخاري عن عبد الله بن
عمر « قل أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي وقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »
وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك
لمرضك ، ومن حياتك لموتك : أى عمل ما تلقى نفعه بعد موتك وبادر أيام صحتك بالعمل الصالح فإن
المرض قد يطرأ فيمنع من العمل فيخشى على من فرط في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد ، انظره .
وفيه « اغتنم خسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك
قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » قال العزبى : فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها انتهى .
وحكى ابن محمد بن واسع رحمه الله كان إذا أراد النوم قال لأهله : أستودعكم الله ، فلعلى لأقوم من نومي ،
وقيل له كيف أصبحت ؟ قال ما ظنك برجل يرتحل إلى الآخرة كل يوم مرحلة ، ورحم الله من قال :

وما هذه الأيام إلا مراحل تمر وتطوى والمسافر قاعد
ومن قال : أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنما
كبان بنى بقبائه فأقامه فلما استوى ما قد بناه تهدما

وفي [ثيق] فينبغي للشيخ أن يأمر الفقراء المقبمين عنده والواردين عليه بأن لا يمسكوا من الدنيا
إلا ما يأخذه المسافر ليبلغه إلى مقصده من مأكلا وملبس وآلات لا بدله منها في طريق مسيره كقصعة

(١) قال العزبى : شبه النبي صلى الله عليه وسلم الناسك المالك بالغريب الذي ليس له مسكن يؤويه ثم ترقى
وأضرب عنه إلى عابر سبيل .

وحبل وسكين ونعل ، ونحو ذلك دون الطراحة واللحاف والصنادق وغير ذلك ، ويعتبرهم من ادخار
الفضة والذهب جملة واحدة ولو بحجة العيال فن سماح مريدا بذلك فقد غشه ، وقد صارت زوايا
الفقراء الآن مصيدة للدنيا ، بل رأيت في بعض الزوايا من معه الألف دينار وهو يأكل الصدقة ، نسأل
الله العاقبة ، ثم قال : وينبغي له أن يبين لهم ما كان عليه السلف الصالح في ابتداء أمرهم من أكل الخبز
الخشن ييسر الملح أو الخلل أو السعتر ، ولبس الجلب والبشوت والأسود من الثياب والعمائم وذلك لئلا
يحتاجوا في غسلها إلى صابون ونحوه . وقد أدركت سيدي عليا الخواص رحمه الله لا يغسل عمامته وجبته
إلا مرة واحدة في السنة عند عيد الفطر ، ويغسلها هي والجمعة بلح لا غير ويقول : توسع على غيرنا
في الصابون . وكان يخبر عن سيدي إبراهيم المتبولي أنه كان يغسل ثيابه كذلك بالملح ويأمر الشيخ أيضا
المجاورين في زاويته على سبيل التجرد في ابتداء تربيتهم بأن لا يلبسوا الأصواف الشامية الرفيعة
ولا المضربات ولا اللشاش الرفيع ويقول لهم إن الفقراء إذا لبسوا ملابس أبناء الدنيا أو أكثرها من علانقها
احتاجوا ضرورة إلى الحرف والتجارات ومباشرة للوظائف في مساجد ، تفرقة كما هو مشاهد في محاربيج
طلبة العلم ، ثم إذا احترقوا كما ذكر لي حصلوا ما يشتركون به تلك الملابس والأمتعة فسكانهم ما خرجوا
عن حب الدنيا ، بل هم أسوأ حالا لم يدخل في صحبة الفقراء ، ثم قال : فكل فقير جالس في زاوية
للاشتغال بالقرآن أو الذكر وكان في خلوته أو بيته من متاع الدنيا أكثر مما يحمله المسافر إلى البلاد البعيدة
فهو خارج عن طريق القوم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسلمان حين أوصاه : « ليكفك من الدنيا
كراد الراكب » فليتأمل الفقير الناصح لنفسه في حاله ولا يغش نفسه ويحتج عنها بأنه محتاج إلى شيء
من الأمتعة وهو كاذب ، انظره . وعن أبي سلمة رضي الله عنه قال : قلت لأبي سعيد الخدري رضي الله
عنه ما ترى فيما أحدث الناس من هذا المطعم والمشرب والملبس والمركب ؟ قال يا ابن الأخ كل الله
واشرب الله واللبس الله واركب الله ، وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج النبي صلى الله عليه وسلم
في بيته ، كان يعلق الناضح والبعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع
الخدام ويطحن مع الخادمة إذا أعيت ويشتري الشيء من السوق ، ولا يمنعه من ذلك الحياء أن يعلقه
بيده وأن يجعله في ثوبه وينقله إلى أهله وكان يصانح الفقير والغني ويسلم مبتدئا على من استقبله من صغير
أو كبير من أسود وأبيض من حر وعبد من أهل الصلاة ، ليست له حلة لدخله وأخرى لخروجه ، لا يستحي
أن يجيب إذا ادعى وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعى إليه ولو لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء
لعشاء ولا عشاء لغداء يصبح تسع أهل أبياته ما بين كسرة خبز ولا شربة صوبق ، هين المؤونة لين
الخليقة كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك مخزون من غير عبوس متواضع
من غير ذلة جواد من غير سرف رحيم بكل مسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يتجش قط من شبع ، ولم
يمد يده إلى طمع . قال أبو سلمة رضي الله عنه : فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتني بهذا
الحديث عن أبي سعيد رضي الله عنه ، فقالت ما أخطأ حرفا واحدا ، ولكن قصر فيما أخبرك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يملأ قط شيئا ولم يبيت شكواه وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى والبسار
وكان يصلي جائعا وينلو ليله بجميع القرآن حتى يصبح ولا يمنعه ذلك من قيام ليله وصيام نهاره ، ولو شاء
أن يسأل الله تعالى كنوز الأرض وثمارها غدوا وعشيا من شرقها وغربها لفعل ، وربما أبكى له رحمة
لما أرى به من الجوع وأمسح بطنه بيدي وأقول يا حبيبي لو تبذرت من الدنيا ما يقوتك ويمنعك من

الجوع ، فيقول يا عائشة إن إخواني من أولى العزم من المرصعين قد صبروا على ما هو أشد من هذا فصبروا بحالهم وقدموا على ربهم ، فأكرم مثواهم وأجزل ثوابهم فأستحيي إن ترفعت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلي من أن ينقص وما من شيء أحب إلي من اللحق بإخواني يا عائشة قالت فما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا إلا جمعيتين حتى قبضه الله انظر المجلس السنية على الأربعين النووية . قال رحمه الله :

(ولا تتخذ أجرا على فعل طاعة كعلم إمامة أذان وخطبة
وما ذاك من طباع أهل الفتوة وقال بمنع ذاك بعض الأئمة)

(ولا تتخذ أجرا) أى جزاء (على فعل طاعة) وإن أجاز ذلك بعض الأئمة بل أفعالها احتسابا لله تعالى ولذا والآخرة خير - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا - قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى - (كعلم) تعلما وتعلما وغيره مما هو للآخرة لأن ما كان من أمور الدين لا تؤكل به الدنيا فمن اضطر إلى ذلك فله معة في غيره من الأسباب الشرعية وهي كثيرة متعددة كما مر ، وأمر الدين والآخرة بمنزل عن أسباب الدنيا فلا ضرورة تدعو إلى التسبب فيها هو للآخرة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ورحم الله من قال :

ما العيش بالعلم إلا حالة ضمنت وحرقة وكلت بالعدد^(١) الحرم

وفي [جص] « اقرءوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغفلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به . وفيه : « اقرءوا القرآن وابتغوا به وجه الله تعالى من قبل أن يأتى قوم يقيمونه إقامة القدر يتعجلونه ولا يتأجلونه » أى يطلبون به عرض الدنيا وهي العاجلة ولا يطلبون به الآخرة وهي الآجلة . قال تعالى - تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، وقال - أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل - وفيه من أخذ على القرآن أجرا فذلك حظه من القرآن » قال الحنفى : أى فلا ثواب له كامل فلا ينافى حصول أصل الثواب اه . وأما حديث : « من أخذ على تعليم القرآن قوسا قلده الله مكانها قوسا من نار جهنم » فهو منسوخ بحديث اللديغ بالفاتحة حيث أقرهم صلى الله عليه وسلم على أخذ الأجرة وبحديث : « أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » وفي [حى] الوظيفة الثانية : أى من وظائف العالم أن أن يقتدى بصاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصده به جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه ، ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة فنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تقلده منه ، وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ماتلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى ، كما قال تعالى - يا قوم لا أسألكم عليه ما لا إن أجرى إلا على الله - انظره . وفيه : وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجل آناه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير

السماء وسعتان الماء ودواب الأرض والسكرام السكايتون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدنا شريفنا
 حتى يرافق المرسلين ، ورجلا آناه الله علما في الدنيا فضع أي يخل به على عباد الله وأخذ عليه طمعا
 واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ما جمعا بلجام من نار ، ينادى مناد على رؤس الخلائق هذا فلان
 ابن فلان آناه الله علما في الدنيا فضع به على عباده وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ
 من حساب الناس ، انظره ، وفي الحديث « يجاء بالعالم يوم القيامة ووجهه عظم اللحم عليه ، قال عطاء :
 هم الذين يأخذون على القرآن أجرا » اهـ . وفي [نخل] وينبغي أن لا يستعين بأحد عن يقرأ عليه خوفا أن
 يتعجل أجر ذلك في الدنيا ، وكان السلف رضوان الله عليهم يتحروون في هذا الباب كثيرا ، وقد رأيت
 الشيخ الجليل أبا إسحاق إبراهيم التنيسي رحمه الله تعالى من أهل قلمسان خرج يوما مع بعض أصحابه إلى خارج
 البلد فمطشوا واشتد عطشهم ولم يكن هناك ماء فرأوا عمارة فجاءوا إليها يطلبون الماء فإذا برجل من أهل
 تلك القرية كان قد قرأ على الشيخ ، فذهب فأتى بلبن فيه سكر فأعطاه للشيخ يشرب فأبى فقال له ولم ودو
 من وجهه حل ؟ فقال له لأنك قرأت علي . ولا يمكنني أن آخذ منك شيئا لئلا أتعجل ثواب ذلك في الدنيا
 فرفضه في ذلك فلم يفعل . وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله تعالى لا يستقضي حاجة ممن قرأ عليه
 في الغالب وذلك خيفة مما تقدم ذكره ، فانظر رحمنا الله وإياك إلى تحرزهم على أعالمهم وإخلاصهم فيها
 فأين الحال من الحال - إنا لله وإنا إليه راجعون - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
 الخاسرين - (إمامة) أي وكأخذ الأجرة على إمامة الصلاة المفروضة أو النافذة كالترأبج والأعياد من
 المصلين أو من الأحياس أو من بيت المال . وفي [نخل] وينبغي أي للعالم إذا تولى الإمامة أن يكون
 ذلك منه بنية صالحة صادقة لله تعالى لا يطلب بذلك عوضا من ثناء ولا راحة دنيوية ولا صورة مميزة
 بين الناس بل يجعل ذلك لوجه ربه خالصا لأن الإمامة من أكبر مهمات الدين . وقد ورد في الحديث
 عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « من عمل من هذه الأعمال شيئا يريد بها عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة »
 أي ربحها « وحررها يوجد من مسيرة خمسمائة عام » اهـ . فيحذر من هذا الخطر العظيم . وقد ورد في
 الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ثلاثة على كتمان المسك يوم القيامة يغبطهم الأولون والآخرون :
 عبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه ، ورجل أم قوما وهم به راضون ، ورجل ينادى بالصلوات
 الخمس كل يوم وليلة » ثم قال : فإن كان له على الإمامة معلوم فلا يأخذه بنية الإجارة ، بل يأخذه على
 نية الفتوح من الله تعالى لأهل أنه عوض على فعل الإمامة وإذا كان ذلك كذلك فعلمته أن لا يطلبه
 ولا يجد القلق حين قطعه عنه ولا يتضجر ولا يترك ما هو بصدده ، فإن طلب أو تضجر فقد خرج من باب
 المنذوب إلى باب المكروه أو المحرم ، انظره . وفيه : في صفة الإمام في قيام رمضان وينبغي أن لا يقدم
 للإمامة إلا من تطوع بها دون من يأخذ عليها عوضا فإن لم يوجد إلا به فقبل تباح ، وقيل تكره ،
 وهي في القريضة أشد كراهة ، وأجاز ذلك الشافعي رحمه الله تعالى من غير كراهة : وقال الأوزاعي :
 الصلاة خلفه باطلة . وكره ذلك أبو حنيفة وأصحابه .

وينبغي للإمام أن يكون أفضل القوم ومن جملة أنفضليته أن يتقدم لا لعوض يأخذه على صلاته فإن
 كان ثم عوض فينبغي له أن لا ينظر إليه وأن يصلي هو لله تعالى لا لغيره ويترك النظر للعوض ، فإن
 جاءه شيء وكان محتاجا إليه قبله لضرورته وهذا عام في الفرض والنفل وإن لم يكن محتاجا إليه وأخذه

وتصدق به فلا بأس بذلك ، وإنما المكروه أن يأخذ نفسه ، انظره ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا من حيث لا يحسب » .

وعن سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين لما سئل عن معنى النقص والتام للصلاة والضمائم والخطأ والإصابة الوارد في الأحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم : « من أم قوما فإن أتم فله التمام ولم وإن لم يتم فلهم التمام وعليه الإثم » وقوله « من أم للناس فأصاب الوقت وأتم الصلاة فله ولهم ، ومن انتقص شيئا من ذلك فعليه ولا عليهم » وقوله « من أم قوما فليثق الله وليعلم أنه ضامن مسئول عما ضمنه فإن أحسن كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجورهم شيء وما كان من نقص فهو عليه » وقوله « يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطئوا فلكم وعليهم » مانصه كما في [جمع] الجواب والله الموفق للصواب : أما تمام الصلاة الواجبة على الإمام فهو إخلاص الوجهة إلى الله عز وجل بإخلاصها لوجهه الكريم إمامية وإمامة عظيمة له وإما إجلالا له وإما امتثالا لأمره دون مشاركة شيء في ذلك من متابعة الهوى ، وعلى هذا تطابقت الأخبار الإلهية من الكتب الإلهية وأخبار المرسلين ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » وقوله عز وجل في قضية إبراهيم عليه السلام - إلى وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض الآية - ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن - الآية ، فاعتبر هذه الأخبار واقصد الصلاة لله تعالى لتصلى لله دون غرض من متابعة الهوى ، فإن كنت في الصلاة بالناس ملاحظا للعطاء ماثلا إليه فلست بمصل إليه وإنما أنت مصل لخواك ، وإن كنت في حالة الصلاة غير ملتفت للعطاء ولا مخرج عليه فأنت مصل إليه إن خلوت عن دواعي النفس من طلب المرتبة والرياء والسمعة أو لأجل ماعسى أن تنقصر بهم في أمورك فلست بمصل لله . قال صلى الله عليه وسلم « ماتحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع » فهذا ما يتعلق بإخلاص الوجهة لله تعالى ، وأما تكميل الإمامة فهو تكميل التوبة عما أولع به أئمة الوقت من أكل الحرام الصريح فضلا عن الشبهات . واتخاذ مراتع الغيبة ديدنا والحق والعدل على المسلمين والمشي بالنهيمة بينهم ، وتعظيم أهل الدنيا لدنياهم لأجل الحديث الوارد من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه » ومن تكميلها تعميم التوبة من كل محرم شرعا ، ومن تكميل الصلاة في حق الإمام كمال الحضور مع الله في الصلاة على حسب الاستطاعة ، فإن خرجت الصلاة كلها بلا حضور فعلى الإمام إثم وإثم من صلى خلفه ، فهذا تكميل الصلاة في الإمامة ، فإن خرج به الأمر إلى أنه إن أعطى مطلبا للإمامة ممارتب عليها من العطاء صلى وإن لم يعط ترك ، فهو وعابد الوثن سواء يشهد له حديث البيعة في قوله « يا أيها علي أن لا تشركوا بالله شيئا » فهذا ما يتعلق بتكميل الصلاة والإمامة ، انظره . وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تؤم بالناس حيث طلبوا منا ذلك واجتمعت فينا الشروط ولا نقول نحن ما لنا هادة بالإمامة كما يقع فيه الخلق الطبع من الفقهاء والفقراء ، ومثل الإمامة أيضا الخطبة فضخطب ولا تمتنع إلا لعذر شرعى ، لأن الله تعالى أوجب علينا إقامة شعائر الدين فيبلغى للفقهاء أن يحفظ له خطبة جامعة للأركان والشرائط والآداب والوعظ الحسن ، لتكون معه يخطب بها إذا احتيج إليه كأن غاب الإمام أو الخطيب أو باذر بعض الناس وحلف بالطلاق لا يخطب لنا اليوم إلا فلان ، كما يقع ذلك

كثيراً في بلاد الريف وغيرها. واعلم أنه ليس مما ذكرناه من امتنع عن الإمامة لشهود ضعفه عن تحمل
سهو المأمومين ونقص صلاتهم فإن هذا إنما ترك فعل ذلك احتياطاً لنفسه لأحياء طبيعياً. وقد رأيت الشيخ
جلال الدين السيوطي رحمه الله يصلي الظهر فأحرم خلفه رجل فلما سلم قال : لا تعد تصلي خلقي أبداً
فلما عاجز عن تحمل نقص صلاتي فكيف أقدر على تحمل نقص صلاة غيره ، فقال له الرجل إنما قصدت
حصول فضل الجماعة لكم ، فقال الشيخ : عدم تحمل نقص صلاتك أرجح هندی من حصول فضل
جماعتك ، انظره . ونحن أناس بالسلامة نفرح .^(١) وفي [خل] وروى عن هاصم قال : أم
أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قوما مرة فلما انصرف قال : ما زال بي الشيطان أنفا حتى رأيت
أن لي فضلاً على من خلقي ، لا أؤم أبداً اهـ (أذان) أي وكمثل أخذ الأجرة على أذان : وعن المغيرة
ابن شعبه رضي الله عنهما أنه قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلني إماماً على قومي
فقال لي صل بصلاة أضعف القوم ولا تتخذ مؤذناً يأخذ على أذانه أجراً » ولذا قال بعض الأئمة بمنع
أخذ الأجرة على الأذان . وفي [خل] قال رجل من المؤذنين لابن عمر إنني لأحبك في الله تعالى ، فقال له
لكنني أبغضك في الله ، فقال ولم يا أبا عبد الرحمن ، قال لأنك تبغي في أذانك وتأخذ عليه أجرة ، وكان
أبو بكر الآجري رحمه الله يقول : خرجت من بغداد ولم يحل لي المقام بها ، قد ابتدعوا في كل شيء حتى
في قراءة القرآن وفي الأذان يعني الإجارة والتلحين ، انظره . وفي [جص] « من أذن خمس صلوات
إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن أمّ أصحابه خمس صلوات إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم
من ذنبه » وفيه « من أذن سبع سنين كتب الله له براءة من النار » وفيه « من أذن اثنتي عشرة سنة وجبت له
الجنة » وفيه « من أذن سنة لا يطلب عليه أجراً دعى يوم القيامة ووقف على باب الجنة فقيل له اشفع
لمن شئت » وفيه « ثلاثة على كتمان المسك يوم القيامة لا يهولهم الفزع ولا يفرعون حين يفرع الناس :
رجل تعلم القرآن فقام به يطلب وجه الله وما عنده ، ورجل نادى في كل يوم وليلة خمس صلوات يطلب
وجه الله وما عنده ، ومما أولك لم يمنعه ريق الدنيا من طاعة ربه » وفيه « المؤذن المحتسب كالشهيد المتشعظ
في دمه إذا مات لم يدود في قبره » قال القرطبي : ظاهره أن الأرض لنا أكله كالشهيد انظر العزري :
وفيه « إذا أخذ المؤذن في أذانه وضع الرب يده فوق رأسه فلا يزال كذلك حتى يفرغ من أذانه وإنه
ليغفر له مدصوته ، فإذا فرغ قال الرب صدق عبدي وشهدت بشهادة الحق فأبشر » قال المناوي ، وهذا
فضل عظيم للأذان لم يرد مثله في غيره إلا قليلاً وفيه شمول للمحتسب ومن يأخذ عليه أجراً ويحتمل
اختصاصه بالأول اهـ .

قلت : وهو الأظهر لأن المطلق يحمل على المفيد لكن فضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شيء :
وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تعادى قط أحداً من المؤذنين ولا أحداً من خدام المساجد من بواب
وفراش ووقاد وخدام الأكلية لاسيما إن كانوا يباشرون وظائفهم احتساباً أو بنية صالحة إلا بوجه شرعي محقق :
وهذا الأدب وإن كان لا يختص بمن ذكر فهو في حقهم أشد ، كما قالوا يستحب للصائم ترك الغيبة ، فافهم كل ذلك
لما كرام الله عز وجل ، إذ هم خدام حضرته والداعون إليها ، وأشدّهم المؤذن لأنه يحضر المواكب الإلهية في الأسمار ،
وربما يكون المعادى له نائماً على جنابة ، لا يقربه ملك وهو من جملة المطر ودين عن تلك الحضرة . فمن

(١) أوله : وفائدة مالي أراك مجانياً * أمور وفيها للجارة مريب . قلت لها مالي يربحك حاجة * ونحن الخ

هادى هذا المؤذن فقد عرض نفسه للمقت من الله تعالى باستجابة دعائه في حق من ظلمه بغير طريق شرعى ، ثم قال : لا ينبغي أن الإمام مقدم على من ذكرناهم فتجب محبته واجتناب معاداته أكثر من غيره بسكونه نائباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الإمامة . وبالجملة فعمار المساجد على صورة خدام دار الملك ، فكل من دخل حضرته الخاصة لابد من مراعاة الأدب معهم ولو كان أكبر الأمراء كما هو مشاهد في الدولة الظاهرة والله عليم حكيم اهـ (و) كمثل أخذها على (خطبة) وغير ذلك مما هو من أعمال البر والدين من كل ما يراد للآخرة ، بل ينبغي للأخ الصادق والحبيب الوامق أن يفعل ذلك احتساباً لله تعالى . وما عند الله خير للأبرار . والآخرة خير لك من الأولى ، وسوف يعطيك ربك فترضى . وفى [جص] « ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها ماذا أراد بها » قال المناوى : وكان مالك رحمه الله إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع صوته ، ثم يقول : تحسبون عيني تفر بكلامى وأنا أعلم أن الله سألني عنه . وفيه : « لعني الله الذين يشقون الخطب تشقيق الشعر » قال الحنفى : أى يتعمقون فيها ويتكلفون فيها السجع ونحوه حرصاً على التفتيح تكبراً على الغير ، فإن تكلف ذلك من غير قصد التكبر على الغير بل للإتيان بكلام فصيح فقط لم يحرم بل يكره اهـ .

وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تمكن أحداً من إخواننا الذين هم تحت التربية أن يتصدى لوعظ الناس في المحافل ولا أن يكون خطيباً إلا لضرورة لأن ذلك يقطع عن الترقى فإن الوعظ لا يأتى إلا بالكمل الذين فرغوا من تهذيب نفوسهم حتى ماتت تخمهم فلم يصر لها رأس تقام فن مكن موبداً له من ذلك فقد غشه ، وفى الحديث « من غشنا فليس منا » وإن كان الشيخ صادقاً فن شأنه لا يغش فليعلم المرید أنه ما أذن له في ذلك إلا لسكونه لم يرفيه أهلية لطريق الله عز وجل اهـ . وفيه : أخذ علينا اليهود أن لا نأخذ معلوماً على نظر مسجد ولا على مشيخة ولا تدريس ولا خطابة ولا إمامة ولا أذان ولا وقادة ولا فراشة ولا هلى قراءة مسجع ولا على تعاليم القرآن للأطفال ، ولا غير ذلك من سائر القربات الشرعية إلا إذا لم نجد غير ذلك المعلوم . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله » فلا ينافى ذلك لأنه يحتمل أن يكون المراد الأجر الأخرى ، وأيضاً فليس في الحديث الشريف دلالة على استحباب أخذ الأجرة ؛ بل ورد في عدة أحاديث ما يشهد باستحباب احتساب ذلك لأن مشروعية هذه الأمور كلها بالأصالة إنما هو طلب لرضا الله تعالى أو للثواب الأخرى وطريق الخلاص للفقير في أخذ المعلوم على ما ذكر أن يعقد النية على فعله قربة إلى الله عز وجل ، ثم يأخذ ذلك المرصد عليه ابتداءً عطاء من الله عز وجل ومحك^(١) وصولك يا أخى إلى التحقق بهذا الخلاص أن لا تعكس الوظيفة ولا يثقل عليك مباشرتها إذا صار الوقف رقية ولا تشتكى ناظراً ولا جابياً على ذلك ولو لبعض من الأصحاب فكيف لو اشتكيتهم في بيوت الحكام ، فتى وقع منك ذلك فاعلم أنك لست من أهل هذا المقام ، ثم قال : ثم من أقبح الصفات تعكيس الخطيب والإمام والمؤذن وظيفة إذا تعطل معلومه لما في ذلك من ذهاب شعائر الدين والله غفور رحيم اهـ . وفى [خل] إن السلف رضى الله عنهم لم يكن لهم معاروم على سبب من أسباب الآخرة وإنما حدثت الأرزاق على أعمال الآخرة بعد ذلك ، ومنه دخل الفساد على كبر من يتعاطى أسباب الآخرة ، انظره . وقد شوهد بالعيان في هذا الزمان مناطحة

الأقران على المنير كمناطحة النيران على البقر وكذلك غيره من وظائف الدين - إن الله وإننا إليه راجعون - (وما ذاك) أى ليس أخذ الأجرة على شيء من أعمال البر والدين مما هو للآخرة (من طباع) وشيم الإخوان (أهل الفتوة) بضم الفاء والقوة وتشديد الواو : السكرم والسخاء . وفى [عفت] وسئل بعضهم عن الفتوة فقال الفتوة عندي ما وصف الله به الأنصار فى قوله - وللمذين تبوءوا الدار والإيمان - الآية . قال ابن عطاء - يؤثرون على أنفسهم - جودا وكرما - ولو كان بهم خصاصة - : يعنى جودها وفقرا ، انظره . وقال الفضيل : الفتوة العفو عن زلات الإخوان ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « استعينوا بالله من جار السوء الذى إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره » اه . وفى [جه] والفتوة من الأخلاق الجامعة لأنواع الأوصاف الحميدة والخلال السديدة كالعلم والعفو والصفح والسخاء والوفاء والستر على عيوب الأصدقاء وإعانتهم ومعاملاتهم بحميل الإحسان ، ومرجعها الإيثار والسخاء العظيم وهو السخاء بالنفوس ، وأصلها كما قال القشيري رضى الله عنه : أن يكون العبد ساعيا فى أمر غيره دائما ، وقد بينها أهل الطريق بتفسيرات أوردها فى الرسالة فليطالعها من أرادها ، وهبوا عنها عبارات كل بحسب ما غلب عليه وبحسب نوع من أنواعتها ، ففسروها بكف الأذى وبذل المال وهى عبارة الجنيد رضى الله عنه ، وبالصفح عن عثرات الإخوان وبأن تنصف ولا تنتصف ، وبأن إذا أعطيت آثرت وإذا منعت شكرت ، وبأن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك ، وبالوفاء والحفظ ، وبفضيلة تأنيها ولا ترى نفسك فيها ، وبحسن الخلق ، وباتباع السنة وأكثر ما تستعمل عندهم فى المواساة والعفو عن الإساءة قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه فى قصيدته الرائية :

وبالتفتى على الإخوان جدد أبدا حسا ومعنى وغض الطرف إن عثرا انظره
(وقال بمنع ذاك) أى بمنع أخذ الأجرة على شيء من أعمال الآخرة (بعض الأئمة) كأبى حنيفة فإنه منع أخذ الأجرة على التعليم لأنه عبادة ، والأجر فيها على الله تعالى . وعن الشامي : لا يشترط المعلم على من يعلمه أجرة إلا إن أعطى شيئا فليقبله . وفى [جع] وقد روى عن بعض الأكابر ، وكان من أكابر الرجال ، وكان يصلى فى تلك المدينة بالجامع الأعظم إماما بالناس ، وكان يأخذ ما رتب على الخطابة من المال ، فلما مات رآه بعض الصالحين فى النوم فى حالة عظيمة من الخير وسأله عن حاله فقال له بخير إلا أنه أرتج على فى سؤال المسكين حين سألنى ونجرت فلم أدر ما أقول ولم أجد جوابا وطالت على الحنة ، وبعد ذلك خرج رجل من جانب القبر عظيم الجمال حسن الهيئة فلقتنى حجتى وخلصنى من هذه الحنة فقلت له : من أنت ؟ فقال لى أنا عمك الصالح ، فقلت له ولم غبت عني ؟ فقال لى بأخذك أجرة الخطابة ، فقلت له ما أكرمت منها درهما واحدا إنما كنت أتصدق بها ؟ فقال لى لو أكرمتها لم ترنى أبدا ، ولكن تخلفت عنك للأخذ ، فهذا دليل على امتناع الأجرة على الصلاة . انظره . ولما ذكر صاحب [د] هذه القضية قال : سببه أنه كان يتكلم فى قبح أخذ الأجرة على الصلاة وغيرها من أعمال البر مثل الأذان والشهادة وتدريس العلم والفتوى اه . وفيها : لو يعطونى ما عسى ما صليت صلاة بالأجرة ، سببه ما زجه رجل بقوله يعينون لك مسجدا كثيرا النفع هل تقبله فذكره ، وكان رضى الله عنه لا يرى الأخذ أى أخذ الأجرة على أعمال الآخرة مثل الصلاة والأذان والشهادة وتلاوة القرآن والوعظ والفتوى ، وقال مرة : ما للمحبس على ذلك إلا النار إن لم يعف الله عنه وكان رجل فقير من أصحابه بهماط الشهود إذا تكلم معه فى ذلك على سبيل الاستعانة ، يقول رضى الله عنه :

أخضع حالاً ولا تشهد فاستعذر له بعدم القدرة ، ولا زال يذم الأخذ على هذه الأمور وينزه أصحابه عنها إلى أن توفي رضي الله عنه ، منذ بنى زاويته سنة خمس عشرة ومائتين وألف ما قبض فلس نحاس على ذلك فيها والحمد لله إلى الآن ولا زالت كذلك . وقد أشار إلى ذلك قبل بنائها بقوله : أمرها قائم بالله اهـ . وقد مرى هذا الحال سريان الروح في الجسد إلى الصادقين من أصحابه إلا من اتخذ له هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وصار يترخص ويتأول بما هو أوهم من نسج العنكبوت - ربنا لاتزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - آمين قال رحمه الله :

(وَجَانِبُ أَخَا التَّقْصِيرِ وَاللَّهُمَّ وَالزَّمَّ أَخَا الْجَدِّ وَالنَّشِيرِ يَا بَنَ كَرِيمَةَ)

(وجانب) من جانبه بأعده (أخا) أي صاحب (التقصير) والتفريط الحديث «إياك وقرين السوء فإنك به تعرف» ولذا قال سيدنا علي رضي عنه وعنايه آمين : لا شيء أدل على الشيء ولا الدخان على النار من صاحب على صاحب ومن شعره رضي الله عنه :

فلا تصحب	أخا الجهل	فإياله وإياه
فكم من جاهل	أردى	حليما حين واغشاه
يقاس المرء	بالمرء	إذا ما المرء ما شابه
كحذو النعل	بالنعل	إذا ما النعل حاذاه
والشيء من الشيء	مقاييس	وأشياه
والقلب على القلب	دليل	حين يلقاه

وعن سيدنا عمر رضي الله عنه وعنايه آمين : لا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سره ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى اهـ وفي الحكم : لا تصحب من لا ينم نيك حاله ولا يدلك على الله مقاله . وقيل : لا تجالس إلا من تجانس . ورحم الله من قال :

من لم تجانسه فاحذر أن تجالسه	فالشمع آفته من صحبة القطن
ومن قال : لا تصحب الكسلان في حالته	كم صالح يفسد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الخليد سريعة	والحمر بوضع في الرماد فيخمد
ومن قال : من حاد عن نهج الهدى	فأضل قصد صديقه
فتوق خلته فسد	بن المرء دين خليله
ومن قال : اتق الأحمق لا تصحبه	إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقت منه جانباً	حركته الريح وهنا فانحرق
وإذا هانته كي يرهوى	زاد جهلاً وحمادى في الحمق
ومن قال : تجنب قرين السوء واصرم ^(١) حباله	فإن لم تجد عنه محبصاً فداره
وأحبب حبيب الصديق واحذر مراده	تنل منه صفو الود ما لم تماره

(١) يسكر راه من صرم كصرب قطع اهـ .

وفي [جه] وكثيرا ما يخذل من مخالطة أقران السوء وغيرهم يخذل منها الغافلين مخافة أن يزدادوا بها غفلة والمتنبهين مخافة أن يصدوا عما هم بصدد ، ويأجأ في ذلك كله إلى الملك الديان ، ويستشهد كثيرا بقوله صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » ويقول « اختر لصحبك من أطاع فإن الطباع تسرق الطباع » اهـ . ورحم الله من قال :

اختر لصحبك من أطاعا إن الطباع تسرق الطباعا

(و) جانب أخا (اللهو) واللعب وفي الحديث « لسقم من دد ولا ددمني ، ولست من الباطل ولا الباطل مني » والدد بمهملتين : اللهو واللعب : أى لست من أهل اللهو واللعب : أى ليس ذلك من طريقى ولا من طريقة من أتبعنى لما في مخالطة أهل اللهو والباطل والمعصاة من الآفة المعضلة التي ذكرها صاحب [هب] حين سأل شيخه عن اختلاف الخطاب والمواق في دخول الحمام مع مكشوفين لا يستترون ، فقال الخطاب يحرم الدخول ويجب التيمم إن خاف من الماء البارد ، وقال المواق يدخل ويستتر ويغض عينه ولا يخرج عليه ، فقال رضى الله عنه : الصواب مع الخطاب ، وأما ما ذكره المواق ففيه آفة بعد فرض المستتر متحرزا إلى الغاية وفارا من النظر في عورة غيره إلى النهاية ، وهى أى الآفة أن المعاصى ومخالفة أوامر الله تعالى لا تكون إلا مع الظلام الذى بينه وبين ظلام جهنم خيوط واتصالات يحصل له للشقاء ومن جهنم بسببها ، ولا أحد أعرف بذلك من ملائكة الله تعالى فإذا اجتمع قوم تحت سقف الحمام مثلا على معصية وظهرت المعصية من جميعهم هم الظلام ذلك الموضع فتتفرق الملائكة عنهم ، فإذا نفرت الملائكة جاء الشيطان وجنوده فعمروا الموضع فتصير أنوار إيمانهم : أى العصاة حينئذ كالمصابيح التي جاءت الرياح العاصفة من كل مكان ، فترى نورها مرة يذهب إلى هذه الجهة ومرة إلى هذه الجهة ومرة ينعكس إلى أسفل حتى تقول إنه انطفأ واضمححل ، ولهذا كانت المعاصى يريد الكثر والعياذ بالله تعالى ، فإذا كان الحمام وأهله على هذه الحالة التي وصفنا ، وفرضنا رجلا خيرا دينيا فاضلا متحرزا جاء ودخله واستتر فإنه يقع لنور إيمانه اضطراب بالظلام الذى وجدته في الحمام لأن ذلك للظلام ضد الإيمان فتضطرب ملائكته لذلك فتقطع فيه الشياطين وتصل إليه وتشتمى إليه النظر في العورة وتغويه ، فلا يزال معهم في قتال وهم يقوون عليه وهو يضعف بين أيديهم حتى يستحسن الشهوة ويستلذ النظر للعورة ، نسأل الله السلامة ، ولو فرضنا جماعة يشربون الخمر ويستلذون به ويظهرون المعاصى التي تكون معة ويفحشون فيها ولا يتمحزون من أحد ولا يحشونه ، ثم فرضنا رجلا جاءهم ويده دلائل الخيرات فجلس بينهم وجعل يقرؤه وأطال معهم الجلوس وجلس معهم اليوم إلى آخره وهو على قراءته وهم على معاصيهم فإنه لا يذهب عليه الليل والنهار حتى يتقلب إليهم ويرجع من جملتهم لليلة التي ذكرناها ، ولهذا نهى عن الاجتماع مع أهل الفسوق والعصيان لأن الدم والشهوة والغفلة فينا وفيهم إلا من رحمه الله وقليل ما هم (و) (الزما) بألف مبدلة من الخفيفة للوقف (أخا) صاحب (الحد) بالكسر الاجتهاد بمطابقة السنة ومخالفة النفس والهوى قال تعالى - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى - وفي [جه] ويقال إن أول ما يرى أهل الجنة في الجنة مكتوبا :

وهذا السرور بثلث الكروب وهذا النعيم بذاك التعب
لا راحة قط إلا قبلها تعب اتعب تجد راحة تمنجيك من تعب

ويقال إن منازل الجنة تعطى على حسب الأعمال في الدنيا فمن أكثر كثرة له ومن قليل قليل له ، وقد يعطى سبحانه لمن شاء من عبادته في دار كرامته ما لا يخطر بالبال فضلا منه وكرما إذ هو الفاعل المختار ولا يستل ١٤٠ يفعل جل وعلا قال تعالى - وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون - وقال تعالى - تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا - والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وكذلك من أراد طريق القوم فإنه لا يتوصل إلى شئ رائحة منه إلا بالجد والعزم وترك المألوفات والمستحسنات وقطع العلائق والعوائق والإعراض عما سوى الله ، كما قال الشيخ زروق رضى الله عنه : هو أن لا ترى في الوجود إلا أنت وربك . وسئل الجنيد رضى الله عنه كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى ؟ فقال : بتوبة تزيل الإصرار ، وخوف يزيل التسويف ورجاء يبحث على مسالك العمل ، وإدانة النفس بقرعها من الأجل وبعدها من الأمل . قيل له : بماذا يصل العبد إلى هذا ؟ قال : بقلب مفرد فيه توحيد مجرد . وقال أبو سعيد الخراساني رضى الله عنه : المعرفة تأتي القلب من وجهين من عين الجود وبذل الجهود ، فإذا علم الله الصديق من عبده فتح عليه من خزائن غيبه وجعله من أهل قربه وحزبه . قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - انظره ، وفيه : أخذ سيدنا رضى الله عنه في الجود والتشجيع والاهتزال عن الخلق والفرار منهم ، واشتغل بما يخصه من حقوق ربه وما هو مطالب به من التقوى والورع ، وكان الناس يأتونه في بغض الأحيان للزيارة فلا يجدون فيه متسعا لكثرة ما كان فيه من القبض ، انظره : ورحم الله من قال :

إذا أنت لم تحرث وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البدر

والدنيا إنما هي مزرعة الآخرة فمن لم يحرث هنا شيئا لم يحصد ثمة إلا الحسرة والندامة ، ومن لا عمل له لا أجر له ، لكن فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - . وفي [شب] وقال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف : اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات : أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة ، والثانية : أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل ، والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد ، والرابعة : أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر ، والخامسة : أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر ، والسادسة : أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت . ومن كلام ابن العربي في الفتوحات :

سبح إلهك بكرة وأصيلا	فالنفل يرجع بالهدى إكبيلا
جامد هواك ولا تكن ذا فقرة	فيه وكن للنائب خليلا
إن المجاهد لا يزال مكابدا	يهوى الخطوب ويهشق التعليلا
لا تركن إلى البطالة إنما	تردى وكن للحادثات وصولا (١)

ومن النصائح قول بعضهم :

حق م أنت بما يلهيك مشغلا	عن نبح قصصك من نحر الهوى ثملا
ترضى من الدهر بالعيش الذميم إلى	كم ذا اتواني وكم يغري بك الأمل
وتدعى بطريق القسوم معرفة	وأنت منقطع والقوم قد وصاوا

(١) بفتح واو كرَسُول: كثير الوصول اهـ .

فانهض إلى ذروة العلياء مهتدرا هزما لترقى مكانا دوله زحل
فإن ظفرت فقد أعطيت مكرمة بقاؤها ببقاء الله متصل
وإن قضيت بهم وجدا فأحسن ما يقال عنك قضى من وجده الرجل
وقال أبو الفتح البستي (١) :

دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان
لا ظل للمرء أخرى من تقي ونهى (٢)

(و) أخا (التشهير) من شمر الثوب رفعة ، وفي الأمر خف فيه الحديث « المرء هلى دين خليله
فليظن أحدكم من يخال » وفي آخر « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ، إن نسي ذكره وإن ذكر
أعانه ، ورحم الله من قال :

عن المرء لا تسأل وصل عن قريبه فكل قرين بالمقارن يقتدى
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا نصحب الأردى فتردى مع الردى (٣)

وفي [حص] اعتبروا الأرض بأسمائها واعتبروا الصاحب بالصاحب ، قال العزيزي : أى فإن
الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف كما يجىء في خبر ، ولذا قيل :
ولا يصحب الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
(يا ابن) حرة (كريمة) الطبع والأصل قال رحمه الله :

(وَنَفْسِكَ قَوْمٌ بِأَجْنَابِ الدَّائِدِ وَصَمَتِ وَقَلَّةِ الطَّعَامِ وَغَزَلَةٍ)

(ونفسك) الأمانة بالسوء (قوم) من قوم الشيء أزال عوجه وفي الحديث « أعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك » وفي آخر « من أهرز نفسه فقد أذل دينه ، ومن أذل نفسه فقد أهرز دينه » انتهى .
ورحم الله من قال :

كل حقيقة لك التي لم تكمل والجسم دعه في الخفيض الأسفل
فالجسم للنفس التفتية آلة مالم تحصله بها لم يحصل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل ما باله يرضى بأدنى منزل

وفي [خل] قال بعض الحكماء : جاهد نفسك بأصناف الرياضة ، والرياضة على أربعة أوجه :
قلة من الطعام ، والغمض (٤) عن المنام ، والحاجة من الكلام ، وحمل الأذى من جميع الأنام ،
فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفو الإرادات ، ومن قلة الكلام السلامة من
الآفات ، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغابات ، فليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الخفاء والصبر
هند الأذى اه . وفي [جه] وعليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة فإن العمر قصير والسفر طويل
والعقبة كثرة والحمل ثقيل والحساب بين يدي الله شديد والعدل بأمر الله هو المنجى من جميع هذه
الأمور ، راجع مامر عند قوله وكثرة اجتهاد الخ ، وفيه وأما ما ذكرته من صعوبة انقياد نفسك عليك
لأمر الله ودوامها على التخطيط فيما لا يرضى ، فتلك عادة جارية أقامها الله في الوجود لكل من أهمل نفسه
وتركها جارية في هواها أن لا يسهل عليه شيئا إلى القيام بأمر الله ، بل لا يرى من نفسه إلا الخبيث

(١) يست كقول : بلد إسجستان . (٢) جمع نهية . (٣) اسم فاعل اه . (٤) الغمض كقول اه .

والمعاصي والخروج عن أمر الله ، ومن أراد تقويم اعوجاج فليشتغل بقمع نفسه عن متابعة هواها مع دوام العزلة عن الخلق والصمت ، وتقليل الأكل والإكثار من ذكر الله بالتدريج ، وحضور القلب مع الذكر وحصر القلب عن الخوض فيما يعتاده من الخوض في أمور الدنيا وتمنيها وحبا ، وحصر القلب عن جميع المرادات والاختيارات والتدبيرات ، وعن أخبار الخلق ، ودم القلب عن الجزع من أمر الله ، فبدوم هذه الأمور تنزكي النفس وتخرج من ختمها إلى مطابقة أمر الله وإلا فلا . سلت الله التي قد دخلت من قبل وإن تجد لسلت الله تبديلا . أنظره ، وفي [جع] ومن أراد إصلاح أعماله واستقامته مع الله عز وجل وإصلاح أفعاله بأن لا يتكلم إلا في ضروراته ولا يتكلم إلا فيما يعنيه قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا صديقا بصلح لكم أعمالكم - انتهى . وفيه : اعلم رحمك الله أن من يريد الهداية إلى الله وإلى طريقه فهي في خمسة أشياء . أولا : الإيمان بالله تعالى للكمال : قال الله تعالى - وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم - وقال - ومن يؤمن بالله يهد قلبه - ثانيا : الإجابة إلى الله عز وجل بالإقبال عليه دواما والإعراض عن كل ما سواه . قال الله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - ثالثا : مجاهدة النفس على طاعة الله عز وجل باجتناب نواهيها ، وتربيض النفس من أوصافها حتى تجيب إلى الأوصاف الحميدة ، وإقامتها لله عز وجل على ما يريد : قال الله عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - رابعا : اتباعه صلى الله عليه وسلم في كل قول وعمل وحركة وسكون : قال تعالى - واتبعوه لعلكم تهتدون - خامسا : الاعتصام بالله عز وجل : قال تعالى - ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم - اه . وفيه : باب في معرفة الرياضة وأصولها . قال شيخنا رضي الله عنه : للعلم الرياضي يحتاج إلى أمور . أولا : معرفة تعديل المزاج ، ثم معرفة غاية القصد ، ثم معرفة كيفية السعي ، ثم معرفة الحجاب القاطع عنه ، ثم معرفة كيفية زواله ليصل غاية القصد : ثم معرفة أصول الحجاب التي منها مواده ، ثم الجذب في قطع تلك الأصول ، ثم معرفة الأمور التي بها زوال الحجاب إما كلية أو تفصيلية ، ثم سل سيف العزم وركوب جواد المجاهدة بمتابعة ما عرف من هذه الأمور والعمل بمقتضاها . أما معرفة تعديل المزاج : فهو لزوم طريق الاعتدال في الأكل والشرب من غير إفراط ولا تفريط ، ثم النظر في الوقت والبلد حرارة وبرودة ورطوبة ويؤسسة وكذلك السن ، ثم مقابلة كل بما يقوته من الانحراف . وأما غاية القصد : فهو رفع الحجاب عن الروح الرباني ورده إلى حالة الصفاء التي كان عليها قبل التركيب في الجسد ، فإن هذا هو الذي يكون به إدراك سائر العلوم والمعارف والأحوال والأخلاق والمقامات والفتوحات والمواهب والقرب الحقيقي وبه إدراك سعادة الدنيا والآخرة ، ومن فقد لم يصل إلى سعادة الآخرة . وأما معرفة كيفية السعي إليه : فهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في سائر قوله وفعله وحاله وخلقه بإقامة حقوق الله عز وجل سرا وإعلانا مخلصا لله من جميع الشوائب الدنيوية والأخروية ، وأن يكون ذلك كله تعظيما وإجلالا لله على بساط الرضا والتسليم والتفويض ، والإهتمام به تعالى في كل شيء والرجوع إليه في كل شيء . وأما معرفة الحجاب القاطع عن المطلوب : وهو غرق الروح في بحر الحفظ والشهوات وتعظيم نفسها والسعي في جلب مصالحها ودفع مضارها . وأما معرفة كيفية زوال هذا الحجاب : فهو السعي في قطع الحفظ والشهوات وترك تعظيم النفس وقطع السعي في جلب مصالحها وقطع مضارها بالزهد فيها بالكلية لكن برفق ولطف . وأما معرفة أصول الحجاب : فهي كثيرة كثرة الأكل والشرب وملاقات الخلق وكثرة الكلام وكثرة المنام

ودوام الغفلة عن ذكر الله تعالى . وأما الجحد في قطع تلك الأصول : فهو الجوع والعطش بالرفق ، ودوام الانقطاع من ملاقة الخلق ، ودوام الصمت مطلقاً إلا فيما قل من ضرورياته ، ودوام السهر بالرفق ، ومداومة ذكر الله بالقلب واللسان وقطع الفكر في المحسوسات . وأما معرفة الأمور التي بها زوال الحجاب كلية أو تفصيلية : فهو دوام ذكر الله بالقلب واللسان دائماً بأي ذكر كان ، ثم إن الأذكار التي بها زوال الحجاب كلياً وهي التي تقطع كل حجاب عن الروح من أي أمر كان ، ومنها تفصيليات لا تقطع إلا حجاباً من نوع واحد . أما الكليات فهي لا إله إلا الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو سبحان الله أو الحمد لله أو الله أكبر أو بسم الله الرحمن الرحيم أو الله الله أو الله لا إله إلا هو الحي القيوم . وأما التفصيليات : فهي سائر الأسماء الحسنى إذ كل اسم يذهب جزء من الحجاب ولا يتعدى لجزء آخر ، والله الموفق اهـ (باجتناب) من اجتنب الشيء بعد عنه (المذائذ) جمع لذبة ، ورحم الله من قال :

أرى اللذات في الدنيا فلا	كما قال الثقات من الرجال
براق ذبابة مع غزل دود	وأحسنها مبال في مبال
وللغزالي رضي الله عنه : عجبت لساكن الدنيا وأقصى	عسارتها يؤول إلى خراب
فخير لباسها ثغثات دود	وخير شرابها قهء الذباب
وأعظم نفحة فيها عيبط	فأبظر فأرة ^(١) دنس الإهاب
وأطيب لذة فيها لشخص	مبال في مبال مستطاب
فأولها رجاء في سراب	وأخرها رداء من تراب

وفي [جص] « إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ، قال العزري : لأن التنعم بالمباح وإن كان جائزاً لكنه يوجب الأتس به والغفلة عن ذكر الله وكراهة لقائه اهـ وفيه « سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام أولئك شرار أمتي » وفيه « شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغدوا به يأكلون من الطعام ألواناً ويلبسون من الثياب ألواناً ويركبون من الدواب ألواناً ويتشدقون في الكلام ، وفي العزري : قال الغزالي : وقد اشتد خوف السنف من تناول لذية الأطعمة وتمرين النفس عليها ، ورأوا أن منع ذلك من الله غاية السعادة : وفيه « إن الأرض لتنادي كل يوم سبعين مرة : يا بني آدم كلوا ما شئتم واشتبهتم فوائده لا تكن لحومكم وجلودكم » وفيه « ألا يارب نفس طامعة ناهمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا يارب نفس جائعة عارية في الدنيا طامعة ناهمة يوم القيامة ، ألا يارب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، ألا يارب مهين لنفسه وهو لها مكرم ، ألا يارب متخوض ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله ماله عند الله من خلاق ، ألا وإن عمل الجنة حزن^(٢) بربرة ، ألا وإن عمل النار سهل بشهوة ، ألا يارب شهوة ساعة أورت حزننا طويلاً ولذا كان بعض المشايخ يقوم على المائدة عند حضور العشاء ويقول : يا معشر المريدن لانا كلوا كثيراً فترقدوا كثيراً افتخسروا كثيراً . وعن الثوري : خصم لئان يقسميان القلب : كثرة الشبع وكثرة النوم . وعن مكحول : ثلاث خصال يحبها الله عز وجل ، وثلاث خصال يبغضها الله عز وجل . أما اللاتي يحبها : فقلة الأكل

(١) الأبطر . الألف . والفأرة : السمك .

(٢) حزن كقلس : أي : غليظ شديد صعب اهـ

وقلة النوم ، وقلة الكلام . وأما اللاتي يبلغنها ، فكثرة الأكل ، وكثرة النوم ، وكثرة الكلام .
ورحم الله من قال :

يميت الطعام القلب إن زاد كثرة كزرع إذا بالماء قد زاد سقيه
ومن قال : إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مشغول
في كل يوم ترجى أن تتوب خدا وحقد عزمك بالتسوية محلول
الموت لا بد منه فاستعد له إن اللبيب يذكر الموت مشغول
فكيف يلهو بعيش أو يلذله من التراب على خديه يجعل
ومن قال : وتلهيك من دار الخلود مطاهم ولذة نفس غيا غير نافع
ومن قال : تغنى اللذائد بامن نال شهوته من المعاصي ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء لانفكاك لها لاخير في لذة من بعدها النار

وهذا شأن من عمت بصيرته وانطمست سريره واشتري الضلالة بالهدى واستبدل الذي هو أدنى
بالذي هو خير وأثر الفاني على الباقي قال تعالى - يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم -
وقال - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - نسأل الله السلامة والعافية ، وكثيرا
ما كان يتمثل سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنا بهما آمين بقوله :

بأهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترارا بظل زائل حق

وعن عكرمة رضي الله عنه في قوله تعالى - ولكنكم فتنتم أنفسكم - أي باتباع الشهوات - وتربصتم
أي بالثوبة - وارتيبتم - أي في أمر الله - وغرتكم الأمانى - أي بالتسوية - حتى جاء أمر الله - أي الموت
- وغركم بالله الغرور - أي الشيطان ، وقال بعضهم : من استولت عليه النفس صار أسيروا في حكم الشهوات
محصورا في سجن الهوى والخلقات ، قد حرم الله على الفوائد أن تسكن فؤاده ومنعه حلوة فهم
كلامه وإن أكثر ترداده ، فيكون داخلا في شديد وعيد - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض
بغير الحق - وهذا هذاب أصحاب الأنفس في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشق ، ورحم الله من قال :

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتته ولم ينهها نأقت إلى كل باطل
وسأقت إليه الإثم والعار والذي دعت إليه من حلوة عاجل
ومن قال : إذا مادعتك النفس يوما لشهوة وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فإني هواها عدو والخلاف صديق

وقال بعضهم : رأيت في منامى حوراء ما رأيت أحسن منها فقلت ، زوجيني من نفسك ، فقالت
اخطبني من سيدي ، فقلت وما مهرك ؟ فقلت حبس النفس عن مألوفاتها اه . وفي [حى] اعلم أن
شهوة الدنيا في القلب لذينة كشهوة الأطعمة في المعدة ، وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا
في قلبه من السكرانة والنتن والقيح أشد ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها . وكما أن
الطعام كلما كان ألد طعما وأكثر دسما وأظهر حلوة كان رجيحه أقدر وأشد نلتنا ، فكذلك كل شهوة
في القلب هي أشد وألذ وأقوى فتنها وكرامتها والتأذي بها عند الموت أشد ، انظره . وفي [ثيق] أخذ
علينا اليهود أن لا نوسع على أنفسنا وعيالنا ونخدمنا كل ذلك الوسع بل تقتصد في ذلك هملا بقوله تعالى
- والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فن دوام التوسعة على نفسه وهياله فقد

فتح بذلك باب ازدرء النعم والجهل بمقدارها ، فإن النعمة إذا كثرت تداولها على أهل البيت ازدرءها ولو على طول ، وتهاونوا بها ، وسخطوا على ربهم إذا حولها عنهم لشدة اختلافهم بها . وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : من أسباب الاستهانة بالنعم أن يطبخ الإنسان في بيته كل ليلة اللحم الضاني والدجاج والحلوى وأن يشتري للعيال كل شيء اشتوه ، فإنهم إذا واطبوا على ذلك استهانوا بالنعمة ضرورة وجهلوا مقدارها ، فأعدل الأمور أن تكون نفقته عليهم على وجه الكسر والفر فكلما خاف سخطهم على ربهم وسعها عليهم حتى يشكروا ربهم ، وكلما خاف تهاونهم بالنعمة قترها عليهم ليطلقوها بالتعظيم ، ثم قال : واعلم يا أخي أن الحق تعالى قد أمن كل رجل على عياله وأولاده وإخوانه ومن الأمانة أن لا يسعى في أسباب تحويل النعم عنهم بكثرة لإطعامهم الشهوات ، ولا في نقص درجاتهم في الآخرة بأكل اللذيذ في الدنيا ، ومن فعل ذلك فقد خان الأمانة وضيعها ، وقد وبخ الله عز وجل قوما بقوله - ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون - الآية ، وبخ الله تعالى به أهل النار فنحن أولى باجتنابه ، وقد صد رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ازدرء النعم بأمره لنا أن لا نأكل إلا على جوع ولا نشرب إلا على عطش ، وذلك أن كل من جاع أو عطش يلقى الطعام والشراب بكل شهوة فيه ، فانظر يا أخي ماذا طوى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآداب التي بفعالها تدوم علينا النعم ، وقس على الطعام والشراب سائر النعم والشهوات من الملاهي والجماع والنوم وغير ذلك اهـ . وفي [عم] أخذ علينا انهمد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تمنع أصحابنا وأولادنا وهبالنا من الشبع ومن التوسع في المآكل والمشرب تشربا وبطرا ، وهذا العهد قد أدخل بالعمل به غالب الناس ، وهذا دليل على قلة الورع في الكسب لأن الإنسان لو تورع التورع المشروع لم يجد شيئا يشبع منه ولا وسع به على نفسه فضلا عن أن يوسع على غيره ، وفي الشبع من الحلال مفسد كثيرة فكيف الشبع من الشبهات والحرام أقل ما فيها أن الإنسان إذا أكل وشبع جاعت جوارحه ، فلا تشبع إلا إن وقعت في المعاصي المشاكلة لذلك الأكل في الحل والحرم خفة وثقلا . وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا كان الأكل حراما نشأ منه أفعال حرام . وإذا كان خلاف الأولى نشأ منه ارتكاب خلاف الأولى ، ومن قال إن الأعمال تنشأ على غير مشاكلة الأكل ، فليس عنده تحقيق . وكان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه يقول : أطب مطعمك ولا عليك أن لا تصوم النهار ولا تقوم الليل . وكان سيدي إبراهيم المتبول يقول : إياكم والأكل من الشبهات فإنها تؤثر في قلب العبد ، ولو كان من أكابر الأولياء . ومن مقاصد الأكل الكثير أيضا ثقل الأعضاء عن القيام بالطاعات في الليل والنهار ، فعلم أن من تورع الأطعمة في بيته في هذه الأيام وبالع في التوسعة على عياله ، فلا بد أن يتدم عن قريب وتدور عليه الدوائر ، والله أعلم حكيم ، انتهى . قال الله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - الآية وكان سيدينا أبو النبيض رضي الله عنه وعنا به آمين يقول : من لم يحاول على نفسه حتى تتخلى دار أبيه : انظر [د] وكان بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه كثيرا ما يقول : الدواجن المحمرة والطواجن المرهمرة توقع في النار المسمرة في الدنيا والآخرة . وكان الوالد رحمه الله ورضي عنه كثيرا ما يقول في : من ألق الزنانات يكون في الأزمات ، ولقد صدق ونصح ، ومن شك فليجرب فالدهر شاب

جذع لا يهرم أبدا - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين -
يا رحيم يا مؤمنين إذا ما ذهبت عن أبنائها الرحاء
يا شفيها في المدينين إذا أشفق من خوف ذنبه البراء
جد لعاص وما سوى هو العاصي ولكن تنكيري استحياء
وتداركه بالعناية ما ذا م له بالدمام منك ذماء
أخبرته الأعمال والمال عما قدم الصالحون والأغنياء
كل يوم ذنوبه صاهدات وعليها أنفاسه صعداء
ألف البطنة المبطنة السير بدار بها البطان بطاء
أوثقته من الذنوب ديون شددت في اقتضائها الغرماء
ماله حيلة سوى حيلة الموثق إما توصل أو دعاء
راجيا أن تعود أعماله السوء بفقر الله وهي هباء
أو ترى سيئاته حسنات فيقال استعالت الصهباء

- وما ذلك على الله بعزيز - (وصمت) يفتح الصاد مصدر صمت كقتل ، وبضمها اسم مصدر : أى وقومها بملازمة الصمت إلا عن خير . وفي [جص] « الصمت حكم وقليل فاعله » أى قل من يصمت عما لا يعنيه ويمنع نفسه عن النطق بما يشينه ، ومن ثم قيل :

يا كثير الفضول قصر قليلا قد فرشت الفضول عرضا وطولا

قد أخذت من القبيح بحظ فاسكت الآن إن أردت جملا

وفيه : « الصمت زين للعالم وستر للجاهل » وفيه « الصمت مهبط الأخلاق ، ومن مزج استخف به » وفيه « من صمت نجا » أى من سكت عن كل ما يخالف الشرع نجا من العذاب والحساب ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « كف عنك هذا وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » ولذا جعل للسان حيسان الأسمان والشفقتان ليتأمل في الكلام قبل خروجه ، ورحم الله من قال :

وكل ما يحصده اللسان يجده يوم الجزا الإنسان

وهل يكب الناس في النيران على المناخر سوى اللسان

وفي الحديث « التؤدة والرفق والاقتصاد والصمت جزء من ستة وعشرين جزءا من أجزاء النبوة »

وقال بعض العارفين : قد جمعت مكارم الخصال في أربع وبها صارت الأبدال أبدا لا : قلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام ، والاعتزال عن الأنام . ورحم الله من قال :

يا من يروم منازل الأبدال من غير قصد منه للأعمال

لا تظمن فيها فلست من أهلها إن لم تراحمهم على الأحوال

بيت الولاية قسمت أركانه صاداتنا فيه من الأبدال

ما بين صمت واعتزال دثم والجوع والسهر التزيه العالي

وقال بعضهم أعداؤك أربعة : الدنيا وسلاحها الخلق وسجنهم العزلة ، والشيطان وسلاحه الشيع وسجنهم

الجوع ، والنفس وسلاحها النوم وسجنهم السهر ، والهوى وسلاحه الكلام وسجنهم الصمت ، وقال آخر : الصمت

عبادة من غير عناء ، وزينة من غير حلى ، وهيبة من غير سلطان ، وحصن من غير سور ، وراحة

للكائنين ، وغنية من الاعتذار . ولأبي العنابية رحمه الله (١) :

إن كان يعجبك السكوت فإنه قد كما يعجب قلبك الأخبارا
ولئن ندمت على سكوتك مرة فلتندم على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ولربما زرع الكلام عداوة وضرا
وللشافعي رضي الله عنه :

قالوا سكنت وقد خوصمت قلت لهم
في الصمت عن أحق أو جاهل شرف
ورحم الله من قال :

إذا نطق السفية فلا نجبه
سكت من السفية فظن أنني
ولكنني اكتسيت بثوب حلم

ومن قال :

قالوا سكوتك حرمان فقلت لهم
ولو يسكون كلامي حين أنشره
ما قدر الله بأنني بلا نصب
من اللجين (٢) لكان الصمت من ذهب

وفي الحديث : « أربع لا يعطين الله إلا من أحب : الصمت وهو أول العبادة ، والنوكل على الله ،
والتواضع ، والزهد في الدنيا » وفي [حى] قال عتبة بن عامر « قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : أمسك
عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » وقال سهل بن سعد الساعدي : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة » وقال صلى الله عليه وسلم : « من
وقى شر قلبه وذبله ولقلقه فقد وقى الشر كله » القتيبي : هو اللبطن ، والذبلذب الفرج ، والقلقلق :
اللسان ، فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق . وفيه : قال أنس بن مالك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لا يستقيم ليمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ،
ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه » وقال صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يسلم فليزلم الصمت »
وعن سعيد بن جبير مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أصبح ابن آدم أصبحت أعضائه
كلها تدكر اللسان » أي تقول اتق الله فيما فلتك إن استقيمت استقيمت أحوالنا وإن أحوالنا أوججت أوججتنا ، وفيه : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأيسر العبادة وأصونها على البدن : الصمت وحسن الخلق » وقال
أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » وقال
عليه الصلاة والسلام : « رحم الله عبدا تكلم فغتم أو سكنت فسلم » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا رأيت المؤمن صموتا
وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة » وقال عليه الصلاة والسلام : « اخزن (٣) لسانك إلا من خير فإنتك
بذلك تغلب الشيطان » وقال عليه الصلاة والسلام : « من كثر كلامه كثرت سقطه ومن كثرت سقطه كثرت
ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به » وقال عليه الصلاة والسلام : « إن لسان المؤمن وراء قلبه
فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه ، وإن لسان المنافق أمام قلبه ، فإذا هم بشيء أمضاه

(١) عتابة كثر أهية : لقب أبي إسحاق إسماعيل بن أبي القاسم بن سويد .

(٢) اللجين كثر غير القصة .

(٣) اخزن بهم زاي من جازن كثر وكرم له .

بلسانه ولم يتدبره بقلبه ، وقال عيسى عليه السلام : العبادَةُ عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس ، انظره وفي [حصص] العافية عشرة أجزاء تسعة في الصمت والعاشر في العزلة عن الناس . قال الحنفى : طأوبا عنهم شره حيث لم يقدر على حفظ نفسه في المخالطة . وإلا فالمخالطة أولى حيث اشتملت على نفعهم ، وقد ذكر أهل التصوف أن أخوين كان أحدهما يبيع ويشترى والآخر معزلاً في الجبل ، فأراد المعتزل زيارة أخيه فركب سبعة وجاء له فوجده يبيع ويشترى فنزل ووقف السبع ينتظره ، فجاءت امرأة جميلة تشترى من أخيه شيئاً فنظر لها نظر شهوة فهم السبع أن ياتمه ، فقال له الأخ : تأدب أيها السبع فوقف متأدباً . وقال : يا أخى ليس الشأن في العزلة ، بل الشأن في حفظ النفس مع المخالطة ، لأن ذلك جهاد أكبر الله ورحم الله من قال :

ولا زل الصمت الحميد إلا . عن ذكر مولانا الكريم جلا

وما جرى مجراه مما تنفع به ليوم هائل وترتفع

وفي [صم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على الجوع حتى يكثر صمتنا عن الكلام فيما لم يأمرنا الله تعالى به ، فإن من لازم من شبع كثرة الكلام والأشر والبطر بخلاف الجوعان^(١) ، ومن شك في قولي هذا فليجرب بأن يجوع شخصاً كثيراً الغناء وإنشاد القصائد يومين لا يطعمه شيئاً ويقول له غنى سوية ، أو أنيسط أنا وإياك في الحكايات فإنه لا يجيبه إلى ذلك أبداً ، فمن طلب الصمت مع الشبع فقد طلب ما هو كالمخالطة وهذا أمر مشاهد ، وقد غلط فيه كثير من الثور هين بغير شيخ من الفقهاء ، فترى أحدهم يشبع ويأكل كل ما يجده من السموات ، وربما كان أى شبعه من طعام الظلمة والمكاسين ويطلب الصمت وقلة الكلام وذلك لا يكون . وقد رأيت مرة من جعل على نفسه كلما يتكلم بغيبة نصفاً للفقراء عقوبة لنفسه ، ومع ذلك فما قدر على رد نفسه وصار يخرج في كل غيبة نصفاً حتى زمن وترك الغرامة وحصار يستغيب ، ولو أنه ظفر بأحد من أهل الطريق لدله على الدليلين^(٢) الذى يدخل منه إلى قلة الكلام والغبية ، وذلك هو الجوع الذى لا يخلى له حيلة ولا قرة للكلام الشرعى . فضلاً عن العرفى ، فضلاً عن الحرام ، ثم قال : وقد صحبت من رجال الصمت جماعة منهم شيخ الإسلام زكرياء والشيخ على الخواص والشيخ محمد بن عثمان والشيخ محمد المنير رحمهم الله ، فكان وقته عندهم أعز من الكبريت^(٣) الأحمر وكل من تسلسل معهم في الكلام زجروه ولم يستحيوا منه ويقولون له قم ضيعت علينا الزمان ، انظره ولا بد . وعن ذى النون المصرى رضى الله عنه قال : بينا أنا أسير في نواحي الشام إذ وقفت إلى روضة خضراء وفي وسطها شاب قائم يصلى تحت شجرة تفاح^(٤) . فتقدمت إليه وسلمت عليه فلم يرد على السلام ، فسلمت عليه ثانياً فأوجز في صلاته ثم كتب في الأرض بأصبعه :

منع اللسان من الكلام لأنه هدف البلاء وجالب الآفات

فإذا تعلق فكفى لربك ذاكراً لا تنسه واحده في المحاللات

قال ذو النون : فبكيت ضويلاً وكتبت بأصبعي في الأرض :

(١) قوله ابن عريان بالواو ، واليمين بالياء ، خصاً كما في شرح القاموس له : (٢) قوله الذهليز كقنديل : ما بين

اللب والدار . (٣) قوله الكبريت يكسر كاف كقنديل . الذهب أو الباقوت له .

(٤) قوله تفاح يضم فوئية كرماء له .

ومامن كاتب إلا سيدي ويفنى الدهر ما كتبت بداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

قال : فصاح الشاب صبيحة فارق الدنيا فيها ، فقامت لأخذ في غسله وكفنه وإذا بقاتل يقول :
خل عنه فإن الله عز وجل وعد أن لا يتولى أمره إلا الملائكة : قال ذو النون : قلت إلى شجرة فركمت
هندما ركعتين ، ثم أتيت الموضع الذي مات فيه فلم أجده أثراً ولا عرفت له خبر اه . اللهم تول
قبض أرواحنا عند الأجل بيدك مع شدة الشوق إلى لقائك يا رحمن (و) بملازمة (قلة) أى التقليل من
(الطعام) والشراب فإن الإكثار منهما من أعظم المهلكات وأحضر الآفات في الدين والدنيا ، وفي
الحديث « لا ينظر الله إلى جوف مليء من طعام » وقيل : لما خلق الله الخلق جعل العلم والحكمة في
الجوع . وجعل الجهل والمعصية في الشبع ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يأكلون إلا من
فاقة ، وتبعهم السلف الصالح على ذلك ، وقد انتهى الحال بالإمام البخاري رضي الله عنه إلى أن صار
يأكل كل يوم تمر أو لوزتين ورعا وحياء من الله تعالى في ترده إلى الخلاء ، وكان إمام الأئمة رضي
الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم لا يدخل الخلاء إلا كل ثلاثة أيام مرة واحدة ويقول :
والله قد استعحيبت من كثرة ترددي للخلاء . وكان الشافعي رضي الله عنه يقول : ما شبعت منذ صلت
عشرة سنة ، لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن
العبادة . وعن سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه : قوت المريد الصادق الجوع وشرابه الدموع ،
وأما من شبع ونام ولغى في الكلام وترخص ، وقال ماعلى فاعل ذلك من ملام فإنه لا يجيء منه شيء
في الطريق والسلام اه . ولبعض الأخوان رحمه الله ورضي عنه :

الجوع نور وإدام ودوا صار به خبز الشيعر خلوا

وعن بعض العارفين : إن هذه النفس في غاية الخساسة والدناءة ونهاية الجهل والغباءة ينبغي أن
ذلك أنها إذا همت بمعصية أو انبعثت للشهوة فلو تشفعت إليها بالله سبحانه ثم برسله وجميع أوليائه وعرضت
عليها الموت والقبر والقيامة لا تكاد تعطى القيادة ولا تترك الشهوة والعناد ، ثم إن منعها رغيفاً
سكنت وذلت بعد الصعوبة والحماح ولانت وانقادت إلى طرق الفلاح ، فعليك بهذا العلاج فإنه أعظم
منهاج ، ورحم الله من قال :

ومن البلاء وللبلاء علامة أن لا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عهد النفس في شهواتها والحر يشبع تارة ويجوع
ومن قال : فلو كانت الدنيا جزاء لحسن
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة إذ لم يكن فيها معاش لئالم
ومن قال : الجوع يطرد بالرغيف اليابس
والموت أنصف حين عدل قسمة فعلم تكثر حسرتي ووصاومي
بين الخليفة والفقير البائس

وفي [جص] « أحبكم إلى الله أقلكم طعاماً وأخفكم بدنًا » قال الحفنى : ولذا ورد أن سيدنا يحيى
عليه السلام لقي إبليس فرأى معه معاليق : أى صورة كلاليب ، فقال ما هذه ؟ فقال هذه الشهوات
أضطاد بها الناس ، فقال هل معك لى شيء منها ؟ فقال شهوة الأكل أساطها عليك فقشيع فتكسل عن
العبادة ، فقال لله على أن لا أشبع أبداً ، فقال إبليس وكذا لله على أن لا أنصح أحداً أبداً . وروى

أن أبا الحسن الشاذلي مكث ثمانين يوما لا يأكل شيئا فحدثته نفسه أن قد أطاع ربه فخرجت عليه امرأة من غار ووجهها كالقمر وقالت لقد جاع الرجل ثمانين يوما فحدثته نفسه الخ فوالله ما أكلت شيئا منذ ستة أشهر ، وهذا من لطف الله بالشيخ نعمنا الله به حيث نبهه على عدم ركونه للعمل ، وفيه « أخاف على أمي من بعدى ثلاثة : ضلالة الأهواء ، واتباع الشهوات في البطون والفروج ، والغفلة بعد المعرفة ، وفيه « أخشى ما خشيت على أمي كبر البطن ومداومة النوم والكسل وضعف اليقين » وفيه « خففوا بطونكم وظهوركم للصلاة » وفيه « إذا أقل الرجل الطعام ملأ جوفه نورا » قال العزري : وإنما كان الجوع يورث تنوير الخوف لأنه يورث صفاء القلب وتنوير البصيرة ورقة القلب حتى يدرك الذة المناجاة وذل النفس وزوال البطر والطغيان وذلك سبب لفيضان النور ، والجوع هو أساس طريق القوم . قال الكتاني : كنت أنا وعمرو المكي وعياش نصطحب ثلاثين سنة نصلي الغداة بوضوء العصر ونحن على التجريد ما لنا ما يساوى فلسا ، فنقيم ثلاثة أيام وأربعة وخسة لا تأكل شيئا ولا نسال فإن ظهر لنا شيء عورنا حله أكلنا وإلا طويينا ، فإذا اشتد الجوع وحققنا التلف أتينا أبا سعيد الخراز ، فيتخذ لنا ألوانا كثيرة ، ثم يرجع إلى ما كنا عليه اه : ونقل أن عبد الرحمن بن أبي نعيم لا يأكل في الشهر إلا مرة فأدخله الحجاج الثماني بيتنا وأغلقه عليه ، ثم فتحه بعد خمسة عشر يوما طائنا أنه مات فوجده يصلي قائما فقال تصلي بغير وضوء فقال إنما يحتاج إلى الوضوء من يأكل ويشرب وأنا على الطهارة التي أدخلتني عليها اه وفي [عف] قال يحيى بن معاذ : إذا ابتلى المرید بكثرة الأكل يكتب عليه الملائكة رحمة له ، ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة ، ثم قال : دخل رجل على علي بن الحسين وهو يأكل خبزا يابساً قد بله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا ؟ قال أدعه حتى أشتبه ، وقيل من أسرف في مطعمه ومشربه يعجل الصغار والذلل إليه في دنياه قبل آخرته . وقال بعضهم : الباب العظيم الذي يدخل منه إلى الله قطع الغداء . وقال بشر : إن الجوع يضيئ الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق : وقال ذو النون : ما أكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت إلا عصيت الله أو همت بمعصية ، أنظره . وفي [حى] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر الجهاد في سبيل الله ، وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش » وقال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه ، وقيل يارسول الله أي الناس أفضل ؟ قال من قل مطعمه ومشربه ورضى بما يتر به عورته » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف » وقال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليسوا وكالوا واشربوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة » وقال الحسن : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الفكر نصف العبادة ، وقلة الطعام هي العبادة » وقال الحسن أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعا وتفسكرا في الله سبحانه ، وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شراب » وفي الخبر « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز^(١) أي مختارا لذلك » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يباهى الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا فيقول الله تعالى انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما ، أشهدوا بالملائكة ما من أكلة يدعها إلا أبدلتها بها درجات في

الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزراع يموت إذا كثرت عليه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم : « ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه . وإن كان لا بد فاعلا فثلث اطعامه ، وثلث اشربه ، وثلث لنفسه » اه . وفي العزيزي : وقد بين الغزالي ذلك الثلث حيث قال : ينبغي أن يقنع بنصف مد لكل يوم ، وهو ثلث البطن . قال : وكذا كان عمر وجماعة من الصحابة قوتهم ذلك . قال ومن زاد على ذلك فقد مال عن طريق السالكين المسافرين إلى الله تعالى ، أنظره . ورحم الله من قال :

يميت الطعام القلب إن زاد كثرة كزرع إذا بالماء قد زاد سقيه

وإن ليبيبا يرتضى نقص عقله بأكل لقيات لقد ضل سعيه

وفي [حى] أيضا ، وقيل مكتوب في التوراة : إن الله ليبغض الخبث السمين ، لأن السم ينل هلى الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالخبث . ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه : إن الله تعالى يبغض القارىء السمين من الشبع . وفي خبر مرسل : إن الشيطان لييجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » وفي الخبر : الأكل على الشبع يورث البصر . وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء ، أى يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته » أنظره . وفيه عن أنس قال « جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص ^(١) خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك منه بهذه الكسرة » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنه أول طعام دخل فم أيك منذ ثلاثة أيام » وقال أبو هريرة : ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة » وإن أبغض الناس إلى الله المتخمون الملاءى ، وماترك عبد أكلة يشتهبها إلا كانت له درجة في الجنة » وقال أبو سليمان : لأن أترك لقمة من عشائى أحب إلى من قيام ليلة إلى الصبح . وقال أيضا : الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا لمن أحب ، ثم ذكر رحمه الله للجوع عشر فوائد أنظرها فيه . وللهلالي رحمه الله في نصيحته ،

والفرج ^(٢) تلك شيمة الطعام ^(٣)

تحمد طعامك وتسكى ضره

أرشدنا له لقيات فقد

من بطنه فاحذر وقيت الضرا

عشرة من أقبح الحلال

داهية للناسكين دها

دام عليه الماء مات يافق

تنفعه وإن أدمت الذكرى

عصيان رب الناس وهاب الألا

صائر الأعضاء وبالعكس اتبع

ولا يكن همك في الطعام

لا تأكلن في اليوم إلا مره

وليك قدره كما الحديث قد

ماملأ المرء وعاء شرا

في شبع المرء من الحلال

من ذاك قسوة التلارب وهى

إذ قيل إن القلب كالزراع متى

والقلب إن يميت فأى ذكرى

ومنه لإسراع الجوارح إلى

إذ قيل إن البطن إن جاع شبع

(١) القرص بالضم : الحبة . (٢) نسخة : والشرب . (٣) الطعام كسحاب : أوعاد الناس .

وأى ذاء للفقى أضر
ومنه ضعف الفهم إن البطنة
إن الحجا من نعم الرحمن
ومن يبيع فهمه بقلبه
ومنه إغراء للنفوس بالسكسل
وذاك مفضض لضياح العمر
فالعمر رأس المال من أضياعه
ومنه فقد لذة العبادة
أى محبة لمن يتاجى
وأى خير يرتجى لمن خلا
ومنه أنه يرى ذريعه
إف الحلال نادر والرائع
وذو الحجا ليس بضائع الحزما
إذ أكل الحل بطبيع ربه
وآكل الحرام بعض مخالفة
وكل لحم من حرام قد ثبت
ومنه شغل القلب والأبدان
ثم يتهيشه وأكله
وكم يفوته من الطاعات
ومنه فاعلم اشتداد السكرات
إذ قيل إن لذة الحيات
وذلك من عظام المصائب
ومنه نقصان الثواب الباقي
لأن كل لذة فى العاجلة
ومن يبيع بأكلة مشومه
ومنه طول الحبس والوقوف
لأن الدنيا حلالها حساب
وقد أتى فى محكم الحكيم
فهذه عشرة تكفى المرید
قلت ومنه إنه إلى السقام
لأن المعدة بيت الداء
وفى القرآن جاءنا لا تضرعوا

مما إلى معصية يجر
كما أتى مذهبة لقطه
فمن يضمه بام بالحرمات
قد اشترى خسارة ونقمة
حتى ترى النعمان أحلى من غسل
وليس يرتضيه غير الغمر
كرائم النجس بلا بضاعة
وذلك داء من يصب أهاده (١)
ولم يجد حلاوة النتائج
من حب فى الإكرام جل وعلا
لأن كل ما حرمت الشريعة
حول الحمى يوشك أن يواقع
بل يقننى ما كان حلا جزما
أحب أم كره نعم القره
أحب أم كره بش الحافة
فالتار قل أولى به كما ثبت
بجمعه من شامع ودان
ثم يافراغ الحشا من ثقله
فيما يضيعه من الساعات
عند الممات وحلول الغمرات
تزيد فى مرارة الممات
ومذهلات النوب النوائب
فيتخلف عن السباق
بقدرها ينقص أجر الآجله
ذاك النعيم ما أضر شومه
عند الحساب المائل الخوف
يوم الجزا وحرامها عقاب
نص سؤلنا عن النعيم
واحدة منها فكيف بالمزيد
فى بدن يفضى وللداء العقاب (٢)
فاحذر من العشاء والغداء
وسره يشهده من يعرف

(١) أى أهداك . (٢) عقاب كراب : شديد .

ومن يرد يدينه والهدن سقما بأكلة فاشق دنى
ومن يبيع رضى المليك الحق بأكلة نفق فاشق الخلق
هذا وقد قالوا اتباع الشهوات من أكبر المحجب وأردى المنفورات
فافطم عن الشهوة نفسك تصب وتغم النجاة في اليوم العصب^(١)

انظرها فإنها كلها غرر ودرر لمن وفق واعتبر (وعزلة) وهى الاهتزال عن الناس بقلب وقالب أو بالقلب فقط وهى عزلة الكل، وينبغي للمريد أن ينوى بعزله عن الناس سلامتهم من شره لسلامته من شرهم، فإن من استصغر نفسه كان من المفلحين، ومن رأى لما مزبه على خبره كان من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وفي النصيحة المذكورة :

واحرص على العزلة ما استطعتا وإن تسر من دونها انقطعتا
فخلطة الناس أخى هقال والقيل لازم لها والقيل
فدههم ترحهم وتسترح فقل من خالطهم ثم ربح

وفي [حى] وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : خذوا حظكم من العزلة. وقال ابن سيرين العزلة عبادة . وقال الفضيل : كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا، وقيل اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا، وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائى : عظمى . قال : صم من الدنيا وأحمل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأمد . وقال الحسن رحمه الله : كلمات أحفظهن من التوراة : قنع ابن آدم فاستغنى ، اعتزل الناس فسلم ، ترك الشهوات فصار حرا ، ترك الحسد فظهرت مروءته ، صبر قليلا فتمتع طويلا . وقال وهب بن الورد، بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة فى الصمت والعاشرة فى عزلة الناس . وقال صفيان الثوري : هذا وقت السكوت وملازمة البيوت . وكان يقول والله الذى لا إله إلا هو لقد حلت العزلة، وقال بعضهم كثرت فى سفينة ومعنا شاب من العلوية فسكت معنا سبعة لا نسمع له كلاما ، فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا تراك تخالطنا ولا نكلمنا فأنشأ يقول :

قابل الهم لأولد يمرت ولا أمر يجاذره يقوت
قضى وطر الصبا فأفاد هلما فقابته النفر والسكوت فانظره

[وحكى] أنه رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه وجد تحت وصافته بعد وفاته هذه الآيات من سريع مطوى مكسوف :

وكنتم عبدا والهوى حاكمي فصرت حرا والهوى نخاعي
وصرت بالعزلة مستانسا من شر أنواع بنى آدم
ماقى اختلاط الناس خير ولا ذو الجهل بالآشياء كالعالم
بالأئى فى تركهم جاهلا عذرى منقوش على نخاعى

فانظروا فإذا نقشه - وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين - وفي [جص] « الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى العزلة وواحد فى الصمت » قال الحفنى : أى العلم النافع المصحوب بالعمل عشرة أجزاء فمن لازم العزلة حصل له تسعة أعشارها، فإن ضم لذلك الصمت فقد حصلها كلها.

(١) أصله العصب : أى الشديد الحر .

قال الشاعر :

لقاء^(١) الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قليل وقال
فأقل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو لإصلاح حال

وقال آخر :

الزم الوحدة تنجو مابق في الناس خله
إن^(٢) حب الناس أضحي لفساد أو لعله اه

وفيه : خصص البلاء بمن عرف الناس وعاش فيهم من لم يعرفهم ، أى وإنما خصص البلاء بمن عرفهم لأنهم يشغلونه عن ربه ، وربما وقع في التكلم فيهم بالغيبة والنميمة . قال الحنفى : فهذا محمول على من نفسه أمانة ، أما من طهره الله تعالى فمخالطته تزيد خيرا لقيامه بحقوق الخلق والخلق معا ، فالعزلة أولى لمن معه نفسه والمخالطة أولى لمن ترك نفسه وطهرها لأجل هدايتهم اه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

الفرار للفرار من مخالطة الخلق في جميعا مخافة الإفتتان
إن تسكن كاملا فخالط ولا فالفرار الفرار دون توان
واتهم نفسك الأمانة بالسوء إذا زعمت بلوغ الأمانى
واتخذ سورا من حديد حصينا واستعن بعد ذلك بالمستعان

وفى العزى قال ابن ديار لراهب هظنى ؟ فقال : إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سورا من حديد فافعل . قال الغزالي : وكل من خالط الناس كثرت معاصيه وإن كان تقيا إلا إن ترك المداينة ولم تأخذه في الله أومة لأثم . انظره . وفى تائية السالك للشرنوبى رضى الله عنه :

ويعتزل الخلق الجميع وفعلهم كذاك ولالة الأمر في دار دنية

قال [شب] أى ومن أركان الطريق أن يعتزل المرید الخلق الذين لاخير فيهم جميعهم ويترك فعلهم خصوصا ولالة الأمر الذين تولوا شيئا من أمور الدنيا فإن الخلطة بهم مبعدة عن التقرب إلى رب البرية اه . قال تعالى - فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مهلغهم من العلم - وقال - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا - وفيه : وكتب سفيان إلى عابد من العباد يقول له : اعلم يا أخى أنك في زمان قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون أن يدركوه ومعهم من العلم ما ليس معنا ، ولهم من القدم ما ليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على قلة العلم وقلة الصبر وقلة الأعوان على الخير وفساد من الزمان ، فعليك بالحمول فإن هذا زمان خول ، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس ، فقد كان الناس إذا اتفقوا انتفع بعضهم ببعض ، فأما اليوم فقد ذهب ذلك فالنجاة الآن في تركهم فيها ترى ، وإياك يا أخى والأمر أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء ، ويقال لك تشفع أو تدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإن ذلك من خديعة إبليس ، وإنما اتخذ ذلك القراء سلتما للقرب منهم

(١) هذان البيتان للإمام الحميدى شيخ البخارى . (٢) وفى نسخة : إن ودى لنفاق ، وبعد هذين البيتين :

اترك الاحتساب إلا صاحبيا يدعوك لله
آخر الدنيا فناء ثم يبقى الملك لله

واصطياد الدنيا بذلك اه : وعنه رضى الله عنه أيضا : هذا زمان لا يأمن فيه الخامل على نفسه فكيف بالمشهور فيه اه : وللعارف بالله سيدى عبدالغنى النابلسى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه :

وكن بالانفراد سليم قلب
فإنك إن نطقت بما تراه
وصرت حدوهم في كل حال
وإن تسكت وتكرهه بقلب
وأدنى ما يكون يقال هذا
وهم لا يهابونك فاجتنبهم
لأنك باللقاء تكون مغرى
وإن خالطتهم وسألت معهم
وتسمى بينهم مرفوع شأن
ولكن تبلى في الدين منهم
أكابرهم على الأعراض قاموا
وقد حملوا أضرارهم عليه
تنبه يا مريد الحق وافتح
وصابر عن لقاء الناس واصبر
فإن الصبر في الدنيا قليل
فأما الصبر منك على عقابك
ولا ترج غير الله موئى

لأن مصاحبات الناس داء
عليهم ختم فيك افتراء
وليس لهم بما قلت ارعواء
فقلبك ماله فيهم خفاء
ثقیل كل حالته رياء
وأنت بما علمت لك اعتداء
يسبك إنه يئس اللقاء
يكون لهم بفعلك ذا رضاء
وتصيح كل ما تلقى هناء
بما هم فيه إذ بالسوء جامعا
ولو بالكفر ما لهم انشاء
مداهنة وليس لهم حياة
عيونك ما بنو الدنيا سواء
على الإبداء وليسع الإناء
وعقباه انكشاف وانجلاء
قيامته فهو ليس له انقضاء
فغير الله ما فيه الرجاء اه

واعلم أن الشأن في العزلة أن تكون بالقلب والقالب بأن يتقاعد صاحبا عن الخلق ، وقد تكون بالقلب فقط بأن يخالط الناس بجسمه وقلبه متعاقيا بالله تعالى ، كما قالت العدوية رضى الله عنها في مقام المشاهدة القلبية :

ولقد جعلتك في القواد محدثي
فالجسم مني للجلوس مؤانسي
وروى : خالطوا الناس بأبدانكم وزايالوهم بقلوبكم ، ورحم الله من قال :
فخف أبناء جنسك واخش منهم
كما تخشى الضراغم والسبتي (١)
وخالطهم وزايالوهم حذرا
وكن كالسامري إذا لمستا

وفي [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن العزلة عن الخلق هل أمم من الاختلاط أم العكس أمم؟ فقال رضى الله عنه الاختلاط في حق من رزق الفهم عن الله عز وجل أمم ، لأنه في كل لحظة يزيد علما بالله لم يكن عنده ، وأما من لم يرزق الفهم عن الله تعالى فالخلاوة في حقه أمم اه . وفي [عم] أخذنا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا في العزلة عن الناس إذا لم يأمنوا

على أنفسهم عند الاختلاط فإن آمنوا عليهم فالمستحب الاختلاط على أصل قاعدة المسلمين في دينهم ، وقد أجمع الأشياخ على أنه ليس للكل الهروب من الناس لعدم الخوف عليهم من الاشتغال بالخلق عن الله تعالى ، وأما من خاف مع دهمى الكمال فدعواه الكمال زور وبهتان ، فهو إما شخص جلس بنفسه عن غير فطام على يد شيخ وإما أن شيخه مفتر كذاب لا يصلح لأن يكون أستاذا كما هو غالب في أهل هذا الزمان ، ثم قال فاسلك يا أخى على يد شيخ لتعرف الطريق وتغافوها ومهالكها وتصبر إن اهتزلت تكون عز لك بحق وإن خالطت تكون مخالطتك بحق وإلا فن لازمك الهوى وحظ النفس قربا أو بعدا لأنك إن قربت منهم كان لعة دنيوية وإن بعدت منهم كان لسوء ظنك بهم وحب التميز عليهم كما هو مشاهد انظره . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « يأتى على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من هرب بدينه من شامق إلى شامق ومن جحر إلى جحر » وعنه صلى الله عليه وسلم أيضا : « إذا رأيتم الناس قد مرجت ^(١) عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه . فقال ابن عباس رضى الله عنه فكيف أفعل عند ذلك جعلنى الله فداك ؟ قال ألزم بينك وابك على نفسك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ، وعلبك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة ، وأملك عليك لسانك » قال رحمه الله :

(وَأَعْرِضْ عَنِ اللَّغْوِ وَمَا لَيْسَ بِعُنَى لِسَانِكَ مِنْ عَنِيةٍ وَنَمِيمةٍ)

(وأعرض) من أعرض عن الشيء صد عنه (عن اللغوى) بفتح الجيم كالفتى : وفي [ص] اللغوى واللغوى كالفتى ، السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره اهـ . وفي [حى] قال ابن أبي رباح : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو تنطى بحاجتك في معيشتك التى لا بد لك منها ، أتذكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، أما يستحى أحدكم إذا نشرت صحيفة التى أملاها صدره ناره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه اهـ . وفيه : أعلم أن فضول الكلام لا تنحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله » فأنار كيف قلب الناس الأمر فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان : وفيه قال ابن مسعود رضى الله عنه : أنذركم فضول الكلام حسب أمرى من الكلام ما بلغ به حاجته . وقال مجاهد . إن الكلام ليكتب حتى إن الرجل ليصكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذا . وقال الحسن : يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وركل بك ملكا كرىمان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو قل . وقال : من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثر ذنوبه ومن ساء خلقه حذب نفسه . وفيه : وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض عقاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه ، فأخبروه بأنه مر في السوق فرقع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس فهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال : عجبت من الملائكة على رؤس الناس

ما أسرع ما يكتبون ، ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يماون ، أنظروه . وفيه : وأما الخوض في الباطل فكحكايات أحوال النساء والفسقة واللمة فإن ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل » وقال سلمان : أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا » وقال أبو هريرة : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها في أهل الجنة ، أنظروه . وروى الترمذي « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي » وعن بعضهم رحمه الله : الزم الفضل وارك الفضول واغتنم وقتك تفز بغير الدنيا والآخرة ، قبل لازمة الفضل تنال الشرف وتترك الفذل تنال السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح ، وفي هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة ، وابعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

الزم الفضل ودع هنك الفضول واغتنم وقتا تنل كل السرور

وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بتترك وقوعنا في الكلام اللغو خوفا أن يجر إلى مكروه أو حرام ، ونعود ألسنتنا بأن لا نجيب عن كلام إلا بعد تأمل وثبت ، وهذا العهد يقع في خيائته كثير من الحجاج إذا قدموا من الحج فيصير يحكي ما وقع له من غير أن يسأله الناس عنه فيصير الناس الذين يسمعون عليه متعلقين لأجل حوائجهم التي وراءهم من سلام على حجاج آخرين أو غير ذلك ، وهو يهمل^(١) لهم كالشاعر ، وكذلك يقع في خيائته كثير من الفقهاء الذين تزورهم الأمراء فيفتتحون على ذلك الأمير باب الكلام الذي ليس لذلك الأمير به حاجة ، أنظروه . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحفظ لساننا في كل مجلس نجلسه عن كلام اللغو والفحش ما أمكن ، وإن وقعنا في ذلك فلا نتصرف حتى نذكر الله تعالى بما ورد أنه يكفر ما وقع في المجلس وذلك أن الملك لا يكتب ما عمله العبد من السيئات إلا بعد ساعة أو ثلاث ساعات كما ورد فإن استغفر لم يكتبها وإن لم يستغفر يكتبها ، وهذا من جهلة رحمة الله تعالى بعباده من حيث كون رحمته وحلمه سبق غضبه وانتقامه ، فإذا وقع العبد في معصية تسابق إليه أسماء الرحمة والانتقام ، ومعلوم أن أسماء الرحمة أسبق فتأتي أسماء الانتقام فتجد أسماء الرحمة قد سبقتها إلى محل الانتقام فرجعت أسماء الانتقام بلا تأثير ، فالحمد لله رب العالمين . وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول : إذا عصيت الله تعالى في أرض فلا تفارقها حتى تعمل فيها خيرا ، كقولك لا إله إلا الله أو سبحان الله أو الحمد لله ، فكما صارت البقرة تشهد عليك صارت تشهد لك يوم القيامة ، أنظروه . وقد صح أن الملك لا يكتب شيئا من السيئات إلا بعد مضي ست ساعات - ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون - ورحم الله من قال :

(١) يهمل بكسر ذال من همل الحام كضرب صوت.

اغتنم ركعتين في ظلم الله ل إذا كنت خاليا مسترخيا
وإذا ما هممت باللغو في الباطل طل فاجعل مكانه تسبيحا
فالتزام السكوت أولى من النطق ق وإن كنت بالكلام فصيحيا

(و) أعرض عن كل (ماليس يعني) بالبناء للمفعول أي وأعرض عن كل مالا تهتم به لدينك أو دنياك بأن تتكلم بما أنت مستغن عنه وغير محتاج إليه لأنك مضيع بذلك أوقاتك التي هي رأس بضاعتك ومحاسب على عمل لسانك .

وفي [جص] « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » قال العريزي : والذي يعنيه ما تعلق بضرورة حياته في معاشه مما يشبعه ويستر عورته ويعف فرجه دون ما زاد على ذلك وبه يسلم من كل آفة وشر ، أنظره . وفيه : « أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما فيها لا يعنيه » وعن الحسن : من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيها لا يعنيه . وعن مالك بن دينار رحمه الله : إذا رأيت قسوة في قلبك ووهنا في بدلك وحرمانا في رزقك فاعلم بأنك تكلمت بما لا يعنيك . ومن كلام السلف : من سأل عما لا يعنيه سمع مالا يرضيه . ورحم الله من قال :

لعمرك ما شيء علمت مكانه أحق يسجن من لسان مدلل (١)
على فيك مما ليس ينفع قوله يتقل شديد حيثما كنت أقفل (٢)

وفي [حى] قال أبوذر : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقیل في الميزان ؟ قلت بلى يا رسول الله . قال : هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك مالا يعنيك » وقال مجاهد : سمعت ابن عباس يقول : خمس لمي أحب إلى من الذهب (٣) الموقوفة : لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر : ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجرد له ، وضعا فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت (٤) ، ولا تمار حليما ولا سفيها فإن الحليم يقلبك والسفيه يؤذيك ، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكر به واعفه بما تحب أن يعنيك عنه ، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به وعامل على عمل رجل يعلم أنه مجازي بالإحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل للقسمان ما حكمتك ؟ قال لا أسأل عما كنيت ولا أنكلف مالا يعنيني . وقال عمر رضي الله عنه : لا تعرض لما لا يعنيك واعتزل عفوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله تعالى ، أنظره

وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا يمكن إخواننا من الجلوس في مجالس القبل والقال والخلوص في صيوب الناس والطعن فيمن ولاه الولاية من القضاة والأمراء والمقدمين وغيرهم ، هذا إذا كان الجلوس على المزابيل ، فكيف يجاورهم لما ذكر في المساجد والجوامع والقرآن يتلى فيها لا يصغي أحد منهم إليه انتهى . وفي [جه] ويحفظ : يعني سيدنا أبا الفيض رضي الله عنه وعنايه أمين ، جوارحه مما نهى الله عنه فيعرض عن اللغو ومالا يعني ، ويصون عنه لسانه ، ولا يسمع الباطل ولا يقدر أحد أن يذكره بمحضره ،

(١) قوله مدلل بكسر لام اسم فاعل : أي كثير الجراءة والتجاسر اه .

(٢) من أقفل الباب إقفالا : أغلقه .

(٣) جمع أدهم كالسود جمع أسود الخيل اه . (٤) قوله فعنت كعنت وزنا ومعنى اه .

وإن نطق أحد بمنهى رده للصواب لأمحالة كائنا ما كان لا يتساهل في ذلك، يحذر عن الغيبة غاية التحذير وينفر عنها كل التنفير، ويذكر ماورد في ذلك من آية أو حديث يطنب في ذلك مبالغة في التشكير اهـ . وفيه : وكان رضى الله عنه يكره كثرة الكلام شديد التحفظ من الغيبة والخبيمة والخوض فيما لايعنى انتهى (لسانك صحن) من صانه حفظه إذ لا شيء من الأعضاء أعصى على الإنسان من اللسان فإنه لا تنعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال : قلت يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك : قال : قل آمنت بالله ثم استقم : قال : قلت فما أنتي ؟ فأو ما بيده إلى لسانه وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان على الصفا بابي ويقول : يا لسانى قل خيرا تغم واسكت عن شر تسلم من قول أن تندم ، فقبل له أخذا شيء تقوله أو شئ سمعته ؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه » وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « معي كف لسانه حتى الله عورته ، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره » وروى « أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله أوصني ؟ قال اعبد الله كأنك تراه ، وعد نفسك في الموتى ، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله ، وأشار بيده إلى لسانه » انظر [حى] وعن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : لسانى سبع إن أطلقته أكلنى : وعنه أيضا : هذا الذى أوردنى الموارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء من الجسد إلا يشكر إلى الله اللسان على حديثه » وفي [جص] « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوججنا » وفيه « إن الله هند (١) أن كل قائل ، فليقق الله عبد وليتظر ما يقول » قال الحنفى : ولذا نودى عبد في حومته فلم يرد فأكثروا عليه المدا فقال : ما تريدون إلى حابس لسانى عن الكلام لأنه يفضى بصاحبه إلى الحسرة اهـ . وفيه : « طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته » ورحم الله من قال :

يموت الفقى من عشرة من لسانه	وليس يموت المرء من عشرة الرجل
فعرثته من فيه ترمى برأسه	وعثرته بالرجل تبرا على مهل
ومن قال : أمسك لسانك أيها الإنسان	ليلد غنمك إنه ثعبان
كم في المنابر من قتل لسانه	كانت تهاب لقاءه الشجعان

ومن قال :

صن العرض وابذل كل مال ملكته	فإن ابتذل المال للعرض أصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوءة	فعندك عورات وللناس السن (١)
وعينك إن أهدت إليك معايبا	لقوم فقل يا عين (٢) للناس أعين

ومن قال :

لعمرك إن في ذنبى لشعلا لنفسى من ذنوبى بنى أمية

(٢) يحذف ياء التكلم للضرورة اهـ .

(١) جمع لسان اهـ .

على ربي حسابهم إليه تناهى علم ذلك لا إليه (١)
فليس بضائر ما قد أتوه إذا ما الله أصلح مآلديه

ومن قال :

وكم فاتح أبواب شر لنفسه إذا لم يكن قفل على فيه مقفل (٢)

وعن سيدنا عمر رضي الله عنه قال - لبعض إخوانه : أوصيك بستة أشياء : إن أردت أن تقع في أحد وتلدمه ، قدم نفسك فإنك لا تعلم أحداً أكثر عيوباً منها ، وإن أردت أن تعادي أحداً فعاد البطن فليس لك حدو أهدى منها ، وإن أردت أن تحمد أحداً فاحمد الله فليس أحد أكثر منه منة عليك والطف بك منه ، وإن أردت أن تترك شيئاً فاترك الدنيا ، فإنك إن تركتها فإنك محمود وإلا تركتك وأنت مذموم ، وإن أردت أن تستعد لشيء فاستعد للموت فإنك إن لم تستعد له حل بك الخسران والندامة ، وإن أردت أن تطلب شيئاً فاطلب الآخرة فاست تالها إلا بأن تطلبها اه (من غيبة) بكسر معجمة : وفي [س] غابه غابة وذكره بما فيه من سوء كإغتابه والغيبة فعلة منه تكون حسنة وقبيحة اه . وهل هي من الصغائر أو من الكبائر ؟ اعتمد بعضهم أنها من الصغائر إلا في حق العلماء وحمل القرآن . ونقل القرطبي الإجماع على أنها من الكبائر . وفي [جص] « من فكر رجلاً بما فيه فقد اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته » وفي « من ذكر امرأ بما ليس فيه ليعيبه حبسه الله في نأجهم حتى يأتي بنفاذ ما قال » وفيه « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنى إن الرجل قد يزني ويقرب فيثوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه » وفيه « لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لم أظافر من نحاس يمشون (٣) وجوههم وصدورهم ، فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » وفيه « إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك » اه . وفي [حى] اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسيبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته ، أنظره . قال تعالى - ولا يفتب بعضكم بعضاً أحب أحدهم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه - وفيه : عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » والغيبة تملأ العرض . وقد جمع الله بينه وبين المال والدم ، وقال صلى الله عليه وسلم : إن الدرهم يصيبه الرجل من الربى أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وإن أربى الربى عرض الرجل المسلم » وقال أبو هريرة : من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة ، وقيل له كله ميتاً كما أكلته حياً فأكله ويضج ويكالح . وقال مجاهد - ويل لكل همزة لمزة - الهمزة : الطعان في الناس ، واللمزة : الذي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة : ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من النية ، وثلاث من النية ، وثلاث من البول . وقال الحسن : والله للغيبة أسرع في دين الرجل المرم من الأكلة (٤) في الجسد . وقال بعضهم : أذكرنا السلف لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعراض الناس . وقال ابن عباس : إذا أردت

(١) الهاء هاء النكت اه .

(٢) يفتح فاء اسم مفعول من أقفل : أغلقه اه . (٣) يمشون يضم ميم وكسر ها من باب ضرب ونصر اه .

(٤) الأكلة كمرقة ونبقة اه .

أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة : يبصر أحدكم القلبي في عين أخيه ولا يبصر الجسد في عين نفسه . وسمع زين العابدين رجلا يغتاب رجلا فقال له إياكم والغيبة فإنها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضي الله عنه . عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء ، انظره . وروى « إن العبد يؤتي كتابه يوم القيامة فلا يرى فيه حسنة فيقول يا رب ابن صلاتي وصيامي وطاعتي ؟ فيقال ذهب عمالك كله باغتيابك للناس ، ويعطى الرجل كتابه بيمينه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتيابك به للناس وأنت لا تشهر » وفي [ثيق] وقد استغاب شخص من إخواننا شخصا فرأى تلك الليلة القيامة قد قامت ونصبت الموازين ورفع الحجاب بين يدي الله عز وجل كما يليق بجلاله ، وتعلقت الناس بعضهم بعضا فجاء ذلك الشخص المستغاب وتعلق بمن استغابه فعرض عليه سائر أعماله الصالحة في نظير تلك الغيبة فلم يرض بها ، فجاء آخر فادعا عليه مثل ذلك فأخذ جميع أعماله ثم جاء ثالث فلم يجد شيئا فألقى عليه من أوزاره ، ثم جروه للنار فاستيقظ قبل أن يلقى فيها فألقى على نفسه أن لا يستغيب أحدا حتى يلقى الله ، فأعلم ذلك وأعمل عليه اه . وقد كان سيدي عبد العزيز الدريني إذا بلغه أن أحدا اغتابه يقول له : يا أخى مالك ولتحمل ذنوبي على ظهورك يكفيلك ما على ظهورك من أوزارك اه . قلت وأهل ما في الواقعة في أعراض الناس تحكهم يوم القيامة في أعمال من وقع فيهم فلو أراد الواحد منهم لا يرضى في تنقيصه إلا جميع أعماله الصالحة كان له ذلك ، فمن رضى لنفسه أن يحكم مفسداً يوم القيامة فليس معه شيء من العقل أنظره . وفي [حم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتأون بوقوعنا في غيبة فضلا عن وقوعنا في البهتان ، ولا نرى لنا أعمالا مكفرة لذلك كما عليه طائفة المتهورين في أعراض الناس ، بل لا تزال خائفين من وقوعنا في ذلك وهذا دأبنا حتى نلقى الله عز وجل ونصدر على الحساب ، وهناك تظهر لنا الأعمال التي لنا ، هل تكفر تلك الغيبة أم لا ؟ فإن أعمالنا الصالحة عندنا تحتاج إلى مكفرات أخر لما فيها من العلل والآفات ، كما قيل :

ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة إذا عددت تكفيلك عن كل زلة

وكان سيدي على الخواص يقول : لا يقعن أحدكم في غيبة مسلم ، ثم قال : وهذا الداء قد عم غالب الخلق وما سلم منه إلا القليل ، ثم قال : فالعاقل لا يتكدر من الغيبة فيه بل ينبغي له الفرح لأن الله تعالى يحكمه يوم القيامة في أعمال الذي اغتابه فيأخذ منها ما شاء ، وقد سمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول عن شخص استغاب : اللهم اغفر له ما جناه من جهتي وأقسم له الإخلاص في أعماله ليعطى الناس منها يوم القيامة ، ثم قال : « وقد بلغنا أن سيدي الشيخ أبا المواهب الشاذلي كان يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت : يا رسول الله ما كفارة الغيبة إذا لم تبأخ صاحبها فقال : « كفارتها أن تقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين وتهدي ثواب ذلك في صدقة من اغتبت ، والله غفور رحيم » اه . وفي [حى] وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كفارة من اغتبت أن تستغفر له » وقال مجاهد : كفارة أكلك لحم أخيك أن تنهى عليه وتدمو له بخير . وقال الحسن : يكفي فيها الاستغفار دون الاستحلال ، وقيل لا بد من الاستحلال لحديث : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتى يوم ليس هناك دينار ولا درهم ، إنما يأخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فريدت على سيئاته » أنظره . وفي [ع] تنبيه : ينبغي لمن يعلم من نفسه أن عليه

للناس حقوقاً في المال والعرض وتعلم رضاهم أن يقرأ مع حضور قلب سورة الإخلاص اثنتي عشرة مرة
والمعوذتين كل ليلة ، ويهدي ثوابهن في مصائف أرباب الحقوق ، يقول بعد القراءة : اللهم صل وسلم
على نبيك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وأئمتي على ما قرأته واجعله في مصائف من له هلى تبعة^(١)
من عبادك في مال أو عرض اه : وفي [جنص] من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن
يقيه من النار وفيه ومن رد عن عرض أخيه رد الله من وجهه النار يوم القيامة وفيه إذا وقع في الرجل
فكن للرجل ناصراً أو للقوم زاجراً وقم عنهم انظره . وروى أبو داود مرفوعاً « ما من مسلم يخلد مسلماً
في موضع ينتهك فيه من حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا أخذله الله تعالى في موضع يحب فيه نصرته ، وما
من مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله تعالى في
موطن يحب فيه نصرته » اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
نرد عن عرض أخينا المسلم إذا استغابه أحد همدنا أو بلغنا ذلك عنه حسب الطاقة ، وهذا العهد قد صار
غالب الناس يخل بالعمل به حتى بعض مشايخ العصر من العلماء والصلحاء فتراهم يسكتون على غيبة
أخيه ، وربما اشتفوا بذلك في نفوسهم ، وهذا من أقوى الأدلة على عدم فظايتهم عن محبة الدنيا على
يد شيخ ناصح ، فإن محبة الدنيا يحب الانفراد فيها بالمقام ومحبة الصيت والشهرة بالكمال ، ويكره
من يعلوه في ذلك ، فهو يتوهم بغيبة الناس لمن يعاوه أن الناس إذا نقصوه يزول اعتقادهم فيه ويعكفون
على اعتقادهم له هو وغاب عنه أن من نوى شيئاً أو فعله رجع عليه نظيره ولو أنه تشوش ممن استغاب
أخاه المسلم ازاده الله رفعة على أقرانه كلهم لأن الحماية إنما هي من الله تعالى لا من الخلق : وقد أخذت
علينا اليهود من المشايخ أن تقوى نور إخواننا جهدنا ونطق : لو أنفسنا جهدنا ليرجع نظير ذلك علينا
فإن من سعى في إطفاء نور أخيه أطفأ الله نوره ، ثم قال : وهذا العهد بحمد الله تعالى من خلق مع
الأمراء الواردين هلى قلا أكاد أفر من ذكر محاسن غيري من مشايخ العصر عندهم لأصرفهم عنى
إلى غيري ، وذلك لأنى لا أقبل لهم هدية ولا أحب بحمد الله ترددهم إلى ، وأرى جميع مامى
من الأعمال لا يجرى من طريق ذلك الأمير إذا جاءنى مرة واحدة ، ولو ترددت إليه ألف مرة لا أرى
أنى كافأته هلى تلك المرة ، انظره .

[تلبيه] المستمع للغيبة شريك للمغتتاب . وفي الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم « مستمع
الغيبة أحد المغتابين » ورحم الله من قال :

وسمعتك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه

(و) صن لسافك أيضاً عن (نعمة) وهى نقل الكلام للغير على وجه الإفساد وإفشاء العداوة
والشحناء قال تعالى - وهل لكل همزة لمزة - وقال - هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذاك
زنيم - قال ابن المبارك : الزنيم ولد الزنى الذى لا يكتفم الحديث ، وأشار به إلى أن كل من لم يكتفم
الحديث ومشى بالنعمة دل على أنه ولد زنى ، وقال صلى الله عليه وسلم « السامع بالناس إلى الناس
لغير رشدة » يعنى ليس بولد حلال . وقال بعضهم : النعمة مهنية هلى الكذب والحسد والنفاق ، وهى
أثافي^(٢) الدل . وقال الحسن : من نم إليك نم عليك ، وهذا إشارة إلى أن التمام ينبغى أن يغيض

(١) تبعة كنية اه . (٢) جمع أئمة بضم همزة وكسر ها : وهى الأحجار الثلاثة التى توضع عليها القدر قاله
مرتضى على الإحياء تصحيح .

ولا يوثق بقوله ولا بصداقته ، وكيف لا يفيض وهو لا يشفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والفيل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة ، وهو ممن يسمى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض . وقال تعالى : إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق . والتمام منهم . وقال صلى الله عليه وسلم « من شرار الناس من اتقى الناس شره والتمام منهم . وقال « لا يدخل الجنة قاطع . قبل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس » وهو التمام . ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذن له في الكلام وقال : إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما يحب إن قبلته ، فقال قل ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورهبك بسخط ربهم ، يخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فلا تأمنهم على ما اتئمتك الله عليه ولا تصخ إليهم فيما استحققتك الله إياه ، فإنهم لم يألوا في الأمة خسفا ، وفي الأمانة تضییعا وفي الأهراض قطعا وانتهاكاه أعلى قريتهم البغي والغيبة ، وأجل وسائلهم الغيبة والوقیعة ، وأنت مسئول عما أجرموا وليسوا المسئولين عما أجرت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غيبا من باع آخرته بدنيا غيره ، انظره [حى] : ورحم الله من قاله :

عجبت لمن باع الفضيلة بالهوى ومن يشتري دنياه بالدين أحجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أحجب

قال رحمه الله :

(وَكَثُرَ مِنَ الْأَذْكَارِ مِنْ غَيْرِ غَفْلَةٍ عَنْ إِخْضَارِ مَعْنَاهَا بِقَلْبٍ مَدْلَةٍ
فَذَلِكَ عُتْوَانُ الْقَبُولِ وَرَوُحُهَا وَتَذِيرُ مَعْنَاهَا عَظِيمِ الْمَعُونَةِ)

(وكثر) من التكثير ضد التقليل (من الأذكار) جمع ذكر أى نوع من أنواع الأذكار ، وهم بعضهم : الأولى لأهل النفوس الأمارة لا إله إلا الله فإن لها سرا عجيبا في التطهير ، ولذا اختارها أولا أهل الله الملقنون للأذكار فإنها كالسيف القاطع ولا سيما عن شيخ وأصل اه : قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا . وقال : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . وقال صلى الله عليه وسلم « اذكروا الله ذكرا حتى يقول المنافقون إنكم تراءون » وفي [جص] « من أكثر ذكر الله برى من النفاق » وفيه « من أكثر ذكر الله أحبه الله تعالى » وفيه « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » وفيه « من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن ، ومن عصى الله فلم يذكره وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن » وفيه « ذكر الله شفاه للقلوب » وفيه « ذكر الأنبياء من العبادة وذكر الصالحين كفارة وذكر الموت صدقة وذكر القبر يقر بكم إلى الجنة » وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لداوم على الإكثار من ذكر الله سرا وجهرا ولا تترك الذكر لفظا إلا إذا حصل لنا ثمرته التي هي دوام الحضور مع الله في جميع أحوالنا ، ثم قال : وسمعت سيدي عليا المرصني رحمه الله يقول : مراد الشارع صلى الله عليه وسلم ومشايخ الطريق من يريد هم إذا أكثر من الذكر باللسان والقلب أن يحصل له الأنس ويصبر قلبه لا يغفل ولا يتكلف للذكر ، بل يكون الحق مشهوده على الدوام تارة يشهد بقلبه وتارة يشهد هو أنه في حضرة الله وإن الله يراه ، وكلا الحالين إذا دام بمنع العبد من وقوعه في المعاصي وسوء الأدب مع الله تعالى ، ومالم يكثر العهد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس بل يقع في كل معصية كالبهايم السارحة وسمعت مرة أخرى يقول : من خاصية

تسكن الذكر من القلب أن يهذب أخلاق صاحبه فهو لم يهذب فكأنه لم يذكر: فهذا مقصود الشارع والأشياخ بأمرهم المرید بإكثاره من الذكر، انظره: وفيه: أخذ علينا للعهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تغفل عن الإكثار من ذكر الله عز وجل ليلا ونهارا سرا وجهرا لإجلال الله تعالى وعهودية له، والمراد بذكر الله تعالى شهودنا ليلا ونهارا أننا بين يديه وهو يرانا ويرى أفعالنا وأقوالنا وخواطرنا، وأما الذكر اللفظي فلأنما هو وسيلة إلى حصول هذا الذكر ولا تصل يا أخى إلى هذا المقام إلا بالسلوك على يد شيخ مرشد ناصح، ومن لم يسلك كذلك فمن لازمه الغفلة عن الله تعالى ولا يتذكره إلا عند الحاجة لا غير فإذا أعطاه حاجته نسي ذكره ومنه شك فليجرب، انظره.

[تنبيه] قال تعالى - واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار - وقال - واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا - وعن النبي صلى الله عليه وسلم: لذكر الله عز وجل بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال صحا، وفي الحديث القدسي: إن الله عز وجل يقول: يا عبدي اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما، وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على جلوسنا في مصلانا للذكر بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وترتفع ونصلي ركعتين أو أربعاء، وعلى جلوسنا بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس، ويلحق بالجلوس للذكر بالجلوس لغير من علم شرعى أو لإرشاد أو صلح بين الناس ونحو ذلك، كما كان عليه فقهاء التابعين، فكان عطاء ومجاهد يقولان: المراد بذكر الله علم الحلال والحرام. وقال مشايخ الصوفية: المراد بذكر الله تعالى أن يذكره بأسمائه الحسنى، ثم قال: وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول: يفرق الله تعالى الأرزاق المحسوسة التي هي قوت الأجسام بعد طلوع الفجر إلى ارتفاع الشمس كرمح، ويفرق الأرزاق المعنوية التي هي قوت الأرواح من بعد صلاة العصر إلى الغروب، وسمعت أيضا يقول: إنما أمر الله تعالى نبيه بالصبر مع الذين يدهون ربهم بالغداة والعشي تقوية لقلوبهم وتنشيطا لهم إذا رأوه صلى الله عليه وسلم جالسا معهم ليحوزوا فضيلة هذين الوقتين العظيمين اه: وفيه: وكان سيدي محمد بن عثمان يشتغل بالأوراد سرا من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، ويقام بعد صلاة الترتيم يقوم ويتهجد ويصلي الصبح فلا يزال في قراءة حزب سيدي أحمد الزاهد حتى تطلع الشمس، ثم يشتغل بأوراد آخر إلى ضحوة النهار، وكان لا يلتفت لأحد كلمه في هذين الوقتين لإقباله على الله تعالى رضى الله تعالى عنه: وكان الشيخ نور الدين على الشوفي يصلي العصر ثم يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغروب، ويجلس كذلك بعد الصبح ثم يجتمع مجلس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس ذكره، انظره - ذلك هدى الله يهتدى به من يشاء من عباده والله يهتدى من يشاء إلى صراط مستقيم - يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم - (من غير غفلة) من غفل عن كذا كنصر: تركه وسهى عنه: وفي [حصص] الغفلة في ثلاث: عن ذكر الله، وحين يصلى للصبح إلى طلوع الشمس، وغفلة الرجل عن نفسه في الدين حتى يركبه. وروى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا آنس من أصحابه غفلة نادى فيهم أتستم المثية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة، ورحم الله من قال:

والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق زقاد

وفي مسلم عن أبي وائل قال: غلونا على عبد الله بن مسعود بعد ما صليتنا الغداة فسلمنا بالباب فأذن

لنا . قال : فكثنا بالباب هبة : قال : فخرجت الجارية فقالت ألا تدخلون ؟ فدخلنا فإذا هو جالس يسبح ، فقال مامنكم أن تدخلوا وقد أذن لكم ؟ فقلنا لا إلا أناظننا أن بعض أهل البيت نائم قال : ظننتم بآل ابن أم عبد غفلة : قال : ثم أقبل يسبح حتى ظن أن الشمس قد طلعت ، فقال يا جارية انظري هل طلعت ؟ قال فنظرت فإذا هي لم تطلع ، فأقبل يسبح حتى إذا ظن أن الشمس قد طلعت فقال يا جارية انظري هل طلعت ؟ فنظرت فإذا هي قد طلعت ، فقال الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا ، فقال مهدي : وأحسبه قال : ولم يهلكنا بذنوبنا ، انظرو . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نذكر الله تعالى في جميع مواطن الغفلات كالأسواق وموضع النزعات بقصد نزول الرحمة على الغافلين ، فمن فعل ذلك كتب من المحسنين ، وتسمى هذه خلوة العارف بربه عز وجل . قال الشيخ محي الدين ويكون ذكرنا في مواطن الغفلات سرا بحيث لا يتنبه أحدنا لنزول الرحمة على الخلق من حيث لا يشعرون اه : [قلت] : الوارد في الذكر أن يكون جهرًا برفع الصوت والله تعالى أعلم اه . وفي [حى] ومن دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة ، وفضل الله أوسع وما هتدنا إلا هو اه وفي [جد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : من ألهاه شيء من الدنيا عن ذكر الله أو عن صلاة الجماعة ونحوها فلا كفارة له إلا التصديق بذلك الشيء الذى ألهاه كائنا ما كان ولو ألف دينار . وقد صلى بعض الأنصار في حديثه فطار طير ليخرج فاقدر من التفاف أشجارها فأعجبته فلم يعرف كم صلى فتصدق بها كلها . ويشهد لذلك أيضا قصة سليمان حين طفق مسحا بالسوق والأعناق حين ألهاه عرض الخيل عليه عن صلاة العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ، ولا يقدر على العمل بهذا إلا من أثر جناب الحق تعالى على جانبه ، فقلت له : فلم لم يتصدق سليمان بالخيل كما فعل الأنصارى ؟ فقال رضى الله عنه : لم يتألك عليه السلام عقله في التأخير تعظيما لأمر الله ، ثم قال : وكان الشبلى رحمه الله يحرق بالنار كل ثوب ألهاه وأعجبه فكان سليمان المقام والله أعلم . وفي البخارى عن عائشة رضى الله عنها وحنانها آمين « أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في خبيصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال : اذهبوا بنحيمصتى هذه إلى أبى جهم واثبوني بأنبيجالية أبى جهم فإنها المثنى آنفا عن صلاتي » وفيه من أنس « كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أميطى عنا قرامك هذا فإنه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتي » وفي إرشاد السارى ونزع الخبيصة ليستن به فى ترك كل شاغل ، وليس المراد أن ألهاهم يصلى فى الخبيصة لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن ليبحث إلى غيره بما يكرهه لنفسه ، فهو كإهداء الحلة لعمر رضى الله عنه مع تحريم لباسها عليه لينتفع بها ببيع أو غيره اه (عن إحضار معناها) أى الأذكار بقدر الطاقة والإمكان لأن حقيقة الذكر دوام الحضور من غير تحلل غفلة وقصور ، وللشبلى رحمه الله :

ذكرتك لا أنى تسيتك لحظة	وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت هلا وجد أموت من الهوى	وهان على القلب بالخفقان
فلما أرائى الوجد أنك حاضرى	شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم	ولا حظت معلوما بكل عيان

وكان رضى الله عنه يقول : أليس الله تعالى يقول « أنا جليس من ذكرنى » ما الذى استفدتم من

مجالسة الحق : وفي [عم] وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : ما ثم كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى لأنه يصير جليسا للحق كلما ذكر : وقد اختلى مریدا سنة كاملة فما رأى نفسه وقعت له كرامة ، فذكر ذلك لشيخه فقال : أتريد كرامة أعظم من مجالسة الحق تعالى ؟ ثم قال له : ما رأيت أكشف حجابا منك لك في الكرامة العظمى سنة كاملة ولا تشعر بها اه انظره . وفي الحكم : لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكر وما ذلك على الله بعزيز - اه : قال بعضهم : الأصول التي ينبغي عليها المرید أمره أربعة : اشتغال اللسان مع حضور القلب بذكر الله ، وجبر القلب على مراقبته ، ومخالفة النفس والهوى من أجله ، وتصفية اللقمة لعبوديته ، وهى القطب وبها تزكو الجوارح ويصفو القلب اه . وفي [عف] كل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يعتد به كل الاعتداد فإنه عمل ناقص ولا يحقر الوسواس وحديث النفس فإنه مضر وداء هضال ، انظره وفي [مع] وقال القشيري : الذكر ركن قوى في طريق الحق بل هو العملة في ذلك ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر ، وذكر اللسان يصل به العبد إلى ذكر القلب . فإذا كان العبد ذا كرا بلسانه وقلبه فهو السكامل في حال سلوكه . وفيه : وقال الشيخ أفضل الدين : يجب على الشيخ أن يأمر المرید أن يذكر الله بلسانه بشدة ، فإذا تمكن من ذلك يأمره أن يسوى في الذكر بين قلبه ولسانه ، ويقول اثبت على استدامة هذا الذكر مستشعرا بأنك بين يدي ربك أهذا بقلبك ، ولا تترك الذكر حتى يحصل لك منه حال قوى وتصير أعضائك كلها ذاكرة لا تغفل عن ذكر الله تعالى ، انظره . وفي [غص] وسألته رضى الله عنه عما يفعله المشايخ من ترتيب الأوراد للمريدين هل هو مذهبكم ؟ فقال لا ، ذلك مما أكرهه ولا أقول به لأن الأوراد تصير حينئذ يفعلها العبد بحكم العادة يمر الإنسان عليها بحكم الغفلة والطبع والقلب في محل آخر ، وإذا لم يفتقد الإنسان بالأوراد وذكر الله تعالى متى وجد إلى ذلك سبيلا في أى وقت كان بحضور وإقبال صادق وهمة وهزم كان أقوى في استعداده ، فالمدار على عدم الغفلة في العبادة ، فمن رزقه الله تعالى الحضور في الأوراد المرتبة فلا بأس به اه .

[مشارة] روى عن سيدي محمد بن وفارضى الله عنه قال : رأيت سيد العالمين صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله صلاة الله عشرة لمن صلى عليك مرة واحدة هل ذلك لمن كان حاضرا القلب ؟ قال لا بل هو لكل مصل على غافلا ويعطيه الله أمثال الجبال من الملائكة تدهو له وتستغفر له ، وأما إذا كان حاضرا القلب فيها فلا يعلم ثواب ذلك إلا الله اه (بقلب مذلة) أى بحضور قلب ذليل منكسر غير لاه ولا ساه ، وفي الحديث «أنا عند المنكسرة القلوب من أجلى» ولأن الله تعالى لا يقبل من قلب غافل لاه بسواه ولا يقبل عليه لأنه معرض عن مولاه ومقبل على هواه ، وفي نصيحة الهلالى رحمه الله :

واذكر بقلب حاضر مجموع ومقلة تفيض بالدموع

(فذلك) أى إحضار معانيها مع حضور قلب منكسر ذليل (عنوان) بضم العين وكسرها للسمعة والعلامة (القبول) بفتح القاف وضمها ، وفي [س] وقبله كعلمه قبولاً وقد يضم أخذه ، والقبول كصهور ربيع الضيا والقائلة والحسن والسارة وأن تقبل العفو ، انظره : أى قبول الأذكار عند الملك الغفار (وروحها) أى حياتها وقوامها . وفي الحكم : الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص

فيها. قال ابن عباد: فإن خلاص كل عبد هو روح أعماله فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحياتها للتقرب بها. ويكون فيها أهلية وجود القبول لها ، وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار ، وتكون إذ ذاك أشباحاً بلا أرواح وصوراً بلا معان : قال بعض المشايخ : صحح عملك بالإخلاص وصحح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة اه . وعن أنس رضي الله عنه : الأدب في العمل علامة على قبول العمل اه وقال بعضهم : حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لقوله صلى الله عليه وسلم « لو شمع قلبه نلشمت جوارحه » اه (وتديبر) من تدبر الكتاب تأمله وأمعن النظر فيه (معناها) أى الأذكار (عظيم المعونة) ففتح الميم وضم العين المثوبة ، ويقال معونة يسكون العين وضم الواو الإعانة ، ومن أعظم ما يستعان ^(١) به على الحضور هذا الدعاء : اللهم افتح مسامع قلبي لذكرك وارزقني طاعتك وطاعة رسولك وعملًا بكتابك ، رب أغوذ بك من همزات الشياطين وأغوذ بك رب أن يحضرون ، رب إني مغلوب فانتصر اه . فكرر يا أخى ذلك متى استولت على قلبك الوسواس فإن الله يحول بينك وبينها بمحض فضله وكرمه : وفي [هب] إن للأعمال أجوراً وإن للأجور أنواراً وإن للأنوار اتصالاً بالذات اليوم في هذه الدار ، فإذا كانت الأعمال خالصة لله تعالى وجرت على سر حقيقة الذات كما سبق فإن أنوار أجورها تسطع على الذات ، فتفطن الذات بذلك فيحصل لها خشوع وقشعريرة وهكاه وغير ذلك مما يقتضيه ذلك للنور الساطع ، فيعلم صاحب البصيرة بذلك للنور أن العمل قبل وأن أجره يبلغ من القدر كذا وكذا ، وأكثر الناس يظنون أن الأجور لا تعلم إلا في الدار الآخرة وذلك في حق المحجوبين ، وأما غير المحجوبين فذلك مكشوف له غير خفى عنه : قال : وأما إذا كانت الأعمال لغير الله تعالى ولم تجر على حقيقة الذات فإنها عتاء وتعبد فلا أجور لها ولا يسطع بها على الذات نور : قال رضي الله عنه : فليختبر العامل قلبه عند العمل فإن لكل عمل وإن دق أجراً ولأجره نور ساطع تظن الذات به لا محالة ، فإن كان القلب عند العمل معموراً بالشواغل والقواطع فليعلم أن الله تعالى قد حرمه أجره ولذلك ملأ قلبه بالشواغل : وإن كان القلب فارغاً من الشواغل منقطعاً نحو الحق سبحانه فليعلم أن الله تعالى قد نجز له أجره . قال رضي الله عنه : وترى الطالب يسافر من قطر إلى قطر ليحصل العلم بنية أن يدرك الجاه والكلمة النافذة أو الدنيا أو غير ذلك من الأغراض الباطلة ويبقى على هذه النية السنين المتطاولة فيحرمه الله تعالى من نور العلم ، فلا يكون من الراسخين فيه أبداً لأنه لا يدرك حقيقة العلم إلا من توجه إليه بباطنه وباطن هذا معمور بأغراضه وشواغله والذي يتمحرك في العلم منه هو ظاهره فقط ، والعلم سر من الأسرار فلا يدركه الظاهر أبداً فكذلك أجور الأعمال التي ليست بمخالصة لله تعالى فلا يدركها العبد أبداً لأن الأجور من أسرار الله تعالى والظاهر بدون الباطن لا يدرك الأسرار أبداً اه . وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بترك الحضور مع الله في صلاتنا وجميع طاعتنا ولا بالخشوع فيها لأن روح كل عبادة هو الحضور والخشوع فيها ، وما أمرنا الله تعالى بفعل طاعة إلا لنشهده تعالى فيها وكل عبادة لا يجمع العبد بقلبه على الله تعالى فهي هادة لاهادة فلا أجر فيها ، ومن قال من الفقهاء : إن الخشوع في الصلاة لا يضر تركه فقد أخطأ طريق الكمال ، وإذا كان حامل القرآن والعلم يترخص هذا الترخيص فبمن يفتدى الناس؟ فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيوخ صادق حتى يزيل حجبه وعوائقه التي تبعده عن الله تعالى ويدخله حضرة

(١) وما يستعان به على الحضور في الذكر .

القرب ، وبصير الخشوع لله تعالى من شأنه لا يتكلف له ، وأما من أكل ونام ولغى في الكلام وارتكب الآثام وشبع حتى صار بطنه كبطن الدب^(١) من الحرام والشبهات فمن أين يأتيه الخشوع فإنهم أجمعوا على أن من شبع من الحلال قسى قلبه فما هلك بمشي شبع من الحرام ، وهذا حال أكثر الناس اليوم فيتعاطى أحدهم أسباب قسوة القلب ثم يقوم للصلاة ويطلب بحضور مع الله ويخشع وجوارحه كل واحدة في بلد وخارة وذلك لا يصح ، وقد قالوا في المثل السائر : من مشى في غير طريق يتيه^(٢) ولو كان بالنهار فاسلك يا أخى على يد شيخ ليذلك على طريق الوصول إلى الخشوع والتشوع ولا تكبر نفسك عليه ونقول أنا هالم متبحر فإن من شرط العالم أن يعرف دواء كل علة وينزل الدواء على الداء ، انظره : قال رحمه الله :

(تَجَنَّبَ عَنِ الْإِيمَانِ عِنْدَ التَّخَاطُبِ وَلَا تَغْفَلَنَّ عَنْ حَلِّهَا بِالْمَشِيشَةِ)

(تجنب) تبادل (عن) اقتحام (الإيمان) جمع يمين ، وهي القسم (عند التخطيب) والتحاور : كجلى والله ولا والله ونعم والله ، وقد عمت البلوى بذلك ، جبر الله حالنا وحال المسلمين وأصلح ما لنا وما لهم بمنه وكرمه آمين . وفي [جص] « البلاء موكل بالقول ما قال عبد لشيء لا والله لا أفعله أبدا إلا ترك الشيطان كل عمل وولع بذلك منه حتى يؤثمه » أى يوقعه في الإثم والحنث ، وفيه : « الحلف حنث أو ندم » ولذا قيل : مبادوة الإنسان باليمين علامة على نفاقه وخلفه ، وفيه « احلفوا بالله وبروا واصدقوا فإن الله يحب أن يحلف به » وروى « احلفوا بالله ولا تحلفوا بأبائكم » وحسنه صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر » وعنه صلى الله عليه وسلم أيضا « من حلف بيمينه فهو كما حلف إن قال هو يهودى فهو يهودى وإن قال هو نصرانى فهو نصرانى وإن قال هو برىء من الإسلام فهو برىء من الإسلام . قالوا يا رسول الله وإن صام وإن صلى ؟ قال وإن صام وإن صلى ، اه : وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نكثر الحلف بالله عز وجل على بيع أو شراء أو حكاية شيء من الوقائع المتعجب منها ونحو ذلك لإجلال الله تعالى ، وإن سبق لساننا إلى الحلف بالله تعالى في شيء من الأمور المذكورة بادرنّا إلى التوبة والاستغفار ، وهذا الأمر قد أخفله غالب الناس فأذهم الله فإن من أجل الله أجله ، انظره : وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بالحلف بغير الله عز وجل انظره : وفي [جبه] ولا يجب الإكثار من الحلف بخافة الوقوع في الحنث ، ويقول ينبغي للإنسان أن يعود نفسه عند إرادة الحلف قوله إن شاء الله مخافة أن يعقد اليمين فلا يبر ويحنث فلا يكفر اه . قال تعالى - ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم - أى لا تكثرُوا منها لأجل أن تصدقوا (ولا تغفلن) بضم الفاء من غفل كقعد (عن حلها) بفتح الحاء : أى عن عدم انعقادها من أول النطق بالله أو في أثناء اليمين أو بعد فراغه من غير فصل ، كما يقع لمن يقول للحالف قل إن شاء الله فيوصل النطق بها عقب فراغه من الحلو ف عليه من غير فصل امثالاً للأمر فينبغه ذلك (بالمشيشة) أى بقولك إن شاء الله ونحوه بشرط القية والاتصال : وفي [جص] « من حلف على يمين فقال إن شاء الله فقد استغنى : اه :

واعلم أن الاستثناء عند إيماننا مالك رضى الله عنه وعن جميع الأئمة وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم إنما ينفع في الحلف بالله دون كالاتفاق والعقود : وفي مختصر خليل رحمه الله : ولم يقد في غير الله

(٢) من فاه كباغ وقال صل عن الطريق اه .

(١) الدب بضم دال مهملة : سبع اه .

كالاستثناء بإن شاء الله إن قصد الاستثناء كإلا أن يشاء الله أو يريد أو يقضى على الأظهر، وأقاد بكإلا في الجميع إن اتصل إلا لعارض ولوى الاستثناء وقصد ونطق به وإن سزا بمركة لسانه اه . وحمل نفعه سرا إذا لم يحلف في حق وجب عليه أو شرط في نكاح أو عقد بيع وإلا لم ينفعه على المعتمد لأنها حينئذ على نية المستحلف لا على نية الحالف ، وفي العاصمية :

وهي وإن تعددت في الأحرف على وفاق نية المستحلف

وفي [جص] «اليمين على نية المستحلف» وفيه «من حلف على يمين صبر^(١) بقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر آق الله وهو عليه غضبان» وفي مسلم عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من اقتطع حق امرئ مسلم يمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» فقال له رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال «وإن قضيتا من أراك^(٢)» قال رحمه الله :

(وَكَانَ يَقْظًا وَارْتَدَ لِنَفْسِكَ إِخْوَةً لِدِينِكَ أَوْ دُنْيَاكَ أَوْ عَرَدٍ وَخَشَةً)

(وكن يقظا) بضم القاف وكسرهما كمضد وكثف : اليقظان ضد النومان من يقظ ككروم وفرح (وارتد) من الارتداد وهو الطلب (لنفسك) الأمانة بالسوء (إخوة) في الله إذا غفلت ذكرورك وإذا ذكرت أعانوك وإذا افتقرت وامسوك وإذا شمتك آلسوك، وروى «إن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام : يا ابن عمران كن يقظانا وارند لنفسك إخوانا وكل خدن» وصاحب لا يوازوك على مسرق فهو لك عدو» وأوحى الله إلى داود عليه السلام «يا داود مالي أراك مثلبا وحيدا قال : إلهي قلبت الخلق من أجلك» فقال يا داود كن يقظانا وارند لنفسك إخوانا وكل خدن لا يوافقك على مسرق فلا تصاحبه، فإنه لك عدو يقس قلبك ويباعدك مني» الفظه [حى] وعن بعضهم : خير ما اكتسب المرء بالإخوان فإنهم معونة على حوادث الزمان وشركاء في السراء والضراء. وعن آخر : للرجل بلا أخ كشمال بلا يمين . ورحم الله من قال :

وما المرء إلا بإخوانه كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجدم

ومن قال :

أخاك أخاك إن من لا أخاله كداع إلى الميحا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وليس بطير البازدون جناح

وفي [جص] «ما أحدث رجل إخاء في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة» اه ولذا حكى أن لبعض أهل الله تعالى ثلاثمائة وستة وستين أخا في الله تعالى يمحث عند كل واحد يوما عدة أيام السنة، وإن لبعضهم ثلاثين أخا يزور كل يوم واحدا، فيلبقى للإنسان أن يسفك من الإخوان الذين يعينون على الدين وفيه «إذا آخيت رجلا فاسأله عن اسمه واسم أبيه فإن كان غائبا حفظته وإن كان مريضا عدته وإن مات شهدته» انتهى . وعن الثوري رضى الله عنه : إذا أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه ثم دس^(٣) من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيرا أو كتم سرا فأغضبه : وقال بعض الحكماء : لا تصحب من يغير عند أربع : عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه ، بل ينبغي أن يكون صدوق الأخوة ثابتا على اختلاف

(١) صبر ، من صبر : كضرب . (٢) (قوله أراك) كسحاب : شجريستاك بعيداته اه .

(٣) (قوله دس) بضم دال من الشئ في التراب أخفاء فيه اه .

الأحوال . ورحم الله من قال :

وترى الكريم إذا تصرم وصله يخفى القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله يخفى الحميل ويظهر البهتانا

ومن قال :

أصبح^(١) من الإخوان من وده أصنى من اليافوت والجوهر
ومن إذا سرك أودعه لم يذكر السر إلى الخشر
ومن إذا غيبت عن عينه ألقه الشوق ولم يصبر
ومن إذا أذنت ذنبا أتى معتذرا عنك ولم يهجر

ومن لم يظفر بمن هذا وصفه وشيمته فليازم العزلة ، فإن عزلة المرء عز له وفي [عف] قيل لبعضهم :
من أصحب من الطوائف ، قال للصوفية فإن للقبيع عندهم وجهان المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم
مرفع يرفعونك به فتعجبك نفسك ، وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لأن الزاهد يستعظم الترك ويستقبح
الأخذ ، وهكذا الفقير ، وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم اه . وفيه : وكان سعيد بن العاص
يقول : بلخيسى على ثلاث : إذا دنا رحمت به ، وإذا حدث أقبلت عليه ، وإذا جلس أوسعت له .
وفيه : أن أبا عبد الله بن الحلاء سأله رجل على أى شرط أصحب الخلق ؟ فقال إن لم نبرهم فلا نؤذهم ،
وإن لم تسرهم فلا نسؤهم . وفيه : وقيل لحكيم أيما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ فقال إنما أحب أخى
إذا كان صديقى ، انظره . ورحم الله من قال :

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة وإخوتى أسوة عندى وخلاقى
عصاة جاورت آدابهم أدبى فهم وإن فرقوا فى الأرض جيرانى
أرواحنا فى مكان واحد وغدت أجسامنا فى عراق وخراسان

وعن بعضهم : أصحب من ينسى معروفه عندك ويذكر حقوقك عليه . وعن آخر : أصحب من إذا
صحبتك زانك^(٢) وإذا خدمته صانك وإذا أصابك خصاصة مانك ، وإذا رأى منك حسنة عدها ،
وإذا عمر على سيئة سدها ، لا تخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه اه . وعن بعضهم : العالم لا تعاده
لأنه لا بد لك من الرجوع إليه . والجامل لا تصافه لأنه يفشى سرك وإن لم يقصد ضررك ، والأخفى
لا تؤاخيه لأن صحبته تشينك . وعن الشافعى رضى الله عنه : احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب
والكوسج وهو الذى لا لحية له ، وكل من به عاهة فى بدنه وكل ناقص الخلق فإنهم أصحاب خب^(٣)
وقال : مررت فى طريق بفناء دار على رجل أزرق العينين نأى* الحبة منط^(٤) الشعر أى بغير لحية
فقلت هل من منزل ؟ قال نعم . قال الشافعى : هذا النعت أقبح ما يكون فى الفراسة ، فأترلتى
وأكرمتى ، فقلت أغسل كتاب الفراسة الذى ألقته لما رأيت هذا ، فلما أصبحت قلت له إذا قدمت مكة
فسل عن الشافعى ؟ فقال أمولى لأبيك كنت ؟ قلت لا ، قال أين ماتكلفت به لك البارحة ؟ فوزنت له

(١) قوله أصحب الخ من السريم المطوى المكسوف .

(٢) قوله زانك : أى خذتك اه . (٣) قوله خب بكسر خاء معجمة : الخداع . ويقال رجل خب بفتحها

الكثير الخداع اه . (٤) المنط بالضم كوسج لا لحية له أصلا ، أو الخفيف العارض ولم يبلغ حال الكوسج أولحيته
فى الدفن وما بالعارضين شىء قاله [س] اه تصحح .

ما تكلف وقلت : بقی لك شيء ؟ قال كراء الدار ، فوزنت له ، فقلت امض جزاك الله خيرا اذ لم أغسل كتابي ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

فصحبة الأعور دع والأحول وعن ذوى العاهات طرأفل
كأقصر وأبرص وأعرج وأزرق وأحدهم وكوصج

(لدينك) أى لتستعين به على أمور دينك ولا تراعى فيه إلا الدين (أو) لتستعين به على أمور (ديناك) ولا تراعى فيه إلا الخلق الحسن وما به قوام دينك الذى هو زاد أخراك (أو) لتستأنس وتستعين به على (طرده) وإزالة (وحشة) حلت بك من هم وخوف وخلوة وأرض مستوحشة ، ولا تراعى فيه إلا السلامة من شره ، ورحم الله من قال :

خالط جليسا صالحا للسأم يزيله عنك بغير مأم

ومن قال :

يا مريحا بصديق لست أبصره إلا تجدد لى أنس بمراه
وإن تغيب عن صديق فلم أره قل فؤاد يظهر الغيب برعاه

ونقل أن المأمون قال لابن سهل : نظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملولة إلا سبعة : قال وما السبعة
بأمر المؤمنين ؟ قال خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد ، والثوب الناعم ، والرائحة الطيبة ، والفرش الوطى ،
والنظر إلى الحسن من كل شيء . قال فأين ألت بأمر المؤمنين من محادثة الرجال أهل العقول ؟ قال
صدقت وهى أولاهن . ورحم الله من قال :

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدهم قليلا فقد صاروا أقل من القليل

وذيلهما بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه بقوله :

وخبز البر مع حذب المياه ولحم الضأن كالوجه الجميل
وطيب والوطى من الفراش وثوب ناعم فاحفظ مقولى^(١)

وفى [حى] عن بشر : الإخوة ثلاثة : أخ لآخرتك . وأخ لديناك ، وأخ لئاناس به ، وكلما تجتمع
هذه الخصال فى واحد ، بل تنفرد على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة . وقال المأمون : الإخوان
ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه ، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه فى وقت دون وقت ،
والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ، ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لأنس فيه ولا نفع . وقيل لا نصحب
إلا أحد رجلين : رجل تعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئا فى أمر دينة فيقبل
منك . والثالث فاهرب منه . وقيل الفاس أربعة : فواحد حلوكه فلا تشبه منه ، وآخر مركله
فلا يؤكل منه ، وآخر فيه حوضه فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك ، وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت
الحاجة فقط . وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : لا نصحب نخسة ، الكذاب فإنك منه على غرور
وهو مثل التراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحق فإنك لست منه على شيء تريد أن

(١) وإذا زدت محادثة أهل العقول على هذه السبعة صار المجموع ثمانية .

ينفعلك فيضرك ، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة ، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها ، فقيل وما أقل منها ؟ قال الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال سهل ابن عبد الله : اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس : الجبارة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين اه . ومن لم يجد من يواخيه ويستفيد منه فالوحدة أولى به . قال أبو ذر رضي الله عنه : الوحدة خير من الخليل السوء ، والخليل الصالح خير من الوحدة ، انظره . وفيه : إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخاؤه فإنه عن الفضيلة فيكثر حينئذ ملاقة الناس وبطرد الوحشة عن نفسه بالسكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة ، انظره . وقد قيل : من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس ، ولا ينبغي للإنسان أن يستأنس بالأقران بل يستأنس بتلاوة القرآن أو بحديث سيد الأكوام صلى الله عليه وسلم ، أو بذكر علام الغيوب قال تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - أي السليمة من الأدناس والعيوب وإلا فلا شيء أثقل من ذكر الله عند أهل الغفلة والذنوب ، نسأل الله السلامة والعافية في ديننا ودنيانا وأخراتنا آمين . وفي [عف] وروى أن مطرف بن الشخير كتب إلى عمر بن عبد العزيز : ليسكن أنسك بالله وانقطاعك إليه فإن لله عبادة استأنسوا بالله وكانوا في وحدتهم أشد استئناسا من الناس في كثرتهم ، وأوحش ما يكون الناس أنس ما يكونون وأنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون . قال الواسطي : لا يصل إلى محل الأنس من لم يستوحش من الأكوام كلها ، ثم قال : قال مالك بن دينار : من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره . قيل لبعضهم : من معك في الدار ؟ قال الله تعالى معي ولا يستوحش من أنس بربه ، ثم قال : وقد يكون من الأنس الأنس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب القربات ، وهذا القدر من الأنس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ، ولكن ليس هو حال الأنس الذي يكون للمحبين ، والأنس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه بصدق الزهد وكال التقوى وقطع الأسباب والعلاقات ومحو الخواطر والمواجس ، انظره . وفي ابن عباد عن محمد بن أسلم رضي الله عنه أنه كان يقول : مالي ولهذا الخلق ، كنت في صلب أبي وحدي ، ثم صرت في بطن أمي وحدي ، ثم دخلت الدنيا وحدي ، ثم تقبض روحي وحدي ، فأدخل في قبري وحدي ، ويأتيني منكرونيك فيستلاني وحدي ، فلما صرت إلى خير صرت وحدي ، وإن صرت إلى شر صرت وحدي ، ثم أوقف بين يدي الله وحدي ، ثم بوضع صلي وذنوبي في ميزاني وحدي ، فإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدي ، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي : فإلى ولاناس ، انظره . ورحم الله من قال :

أنت بوحدي ولزمت بيتي	فدام الأنس لي ونمي السرور
وأدبني الزمان فسا أبالي	هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل مادمت حيا	أسار الجيش أم ركب الأمير
إذا أرخى الظمول عليك ذبلا	فتم في ظله نلت المناسحا
فن لم يسأل السلطان عنه	ولا عن حاله فقد استراحا
أنت بوحدي حتى لوالي	أتاني الأنس لا يستوحش منه
ولم تدع التجارب لي صديقا	أميل إليه إلا مللت عنه

ومعنى قال: وزهدنى فى الناس . معرقى بهم
فلم ترقى الأيام خلا يسرنى
ولا كنت أرجوه لدفع ملمة
ومن قال: اهرب بنفسك تستأنس بوحدها
إن السباع لتهدا فى مراتبها

وليعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

بلوت زمانى فاصطفيت سلامة
عليك بقعر البيت كن من قواعده
نعيش سليم الصدر والدين سرمدنا
فيارب شفيع فى الجديع نديننا

قال رحمه الله :

(فَهُمْ زِينَةُ الدُّنْيَا وَأَفْضَلُ عُدَّةٍ
وَمَنْ لَمْ يُوَافِقْ دَعَا عَلَى فِعْلِ سُنَّةٍ
فَصُحْبَتُهُ تَأْتِي بِكُلِّ مَغْرَبَةٍ
يَصِيرُ مِنَ الْمِدَاءِ فِي يَوْمِ حَسْرَةٍ)

(فهم) أى الإخوان الصادقون وقليل ما هم (زينة) بكسر الزاى ما يترين به (الدنيا) تقيض الآخرة
(وأفضل عدة) بضم العين ما يستعد لنوائب الدهر . وفى [حصص] « استكثروا من الإخوان الأخيار
فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة » قال العريزى : قال المذاوى : فكما كثرت إخوانكم كثرت شفاعتكم
وخرج بالأخيار غيرهم فلا تغلب مؤاخاتهم بل يتعين اجتنابهم ، فصحبة الأخيار تورث الخير وصحبة
الأشرار تورث الشر كالربيع إذا مررت على النبق حملت ثقتنا ولما مررت على الطيب حملت طيبا اه . وفيه :
« استكثروا من الناس من دعاء الخير فإن العبد لا يدري على لسان من يستجاب له أو يرحم » قال الحنفى :
ولذا كان معروف الكرخى صائما فسمع من يقول : رحم الله من دنا وشرب منى ، فقدم عليه وشرب
منه ، فقيل له ألم تكن صائما فقال : نعم ، ولكن رجوت إجابة دعوته ، إذ لا يعلم المقبول من هو اه .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أكثروا من الإخوان فإن الله يحب كريم يستحب أن يعذب أحدا
بين إخوانه » وعن سيدنا على رضى الله عنه : عليكم بالإخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة ، ألا تسمع
إلى قول أهل النار - فما لنا من شافعين ولا صديق حميم - وعنه أيضا رضى الله عنه : عليكم بإخوان الصديق
فإنهم زينة فى الرخاء وعصمة فى البلاء . ومن شعره رضى الله عنه وعنا به آمين :

عليك بإخوان الصفاء فإنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور^(٢)

وليس كثيرا ألف خل وصاحب وإن صدوا واحدا لكثير اه

وفى [حى] وقال صلى الله عليه وسلم فى الثناء على الأخوة فى الدين « من أراد الله به خيرا وزقه
خلخلا صالحا ، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا التقيا مثل

(١) أى ليس يسكن من هذا بالهوى سكن . (٢) أى أعوان اه .

البيدين تغسل إحداها الأخرى ، وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا ، وقال عليه الصلاة والسلام في الترغيب في الأخوة في الله « من أخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله » وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ : إني أحبك في الله ، فقال له أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ينصب لطائفة من الناس كرامتي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يقزع الناس وهم لا يقزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال هم المتحابون في الله تعالى » ورواه أبو هريرة رضي الله عنه ، وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء ، فقالوا يا رسول الله صفهم لنا ؟ فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تحاب اثنان إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه » ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر إلى مقامه وأنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض ، انظره . وقد قيل : الأخوة لحمة كلحمة النسب (ومن لم يوافق دع) أي ترك من لم يساعدك من الإخوان (على فعل) وامثال أوامر كتاب الله و (سنة) رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى ترك واجتناب نواهيها فن تمسك بهما هدى إلى صراط مستقيم وما حاد عنهما قاده هو اه إلى صراط الجحيم (فصحة) أخوته تأتي (وتجلب إليك أحبيبت أم كرحت (بكل ضرة) وهاية ديننا ودنيا إذ للمرء دلي دين خليله ، ورحم الله من قال :

من لم تسكن في الله خلته فخليله منه على خطر

ومن قال : وعاشر بمعروف وجانب من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

(بصير) يرجع ويعود (من العداء) جمع عدو (في يوم حسرة) وندامة هو يوم القيامة قال تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين - وقال - ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا . لقد أضلاني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا - وفي الآيات تحذير من قرناء السوء وترغيب في أهل الخير والصلاح . وفي [صف] فن اختيار صحبة أو أخوة فأدبه في أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسألة والدعاء والتضرع ويسأله البركة في الصحبة فإنه يفتح على نفسه بذلك إما بابا من أبواب الجنة وإما بابا من أبواب النار ، فإن كان الله يفتح بينهما خيرا فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين - وقيل : إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله فإن قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول إني كنت أعمل لي وله فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ويرفع أوجه إلى درجته ، وإن فتح الله عليهما بالصحبة شرا فهو باب من أبواب النار قال الله تعالى - ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا - الآية ، ثم قال : واختيار الصحبة والأخوة اتفاقا من غير نية في ذلك وثبت في أول الأمر شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في كلام له : وهل يفسد الناس إلا الناس ، فالفساد بالصحبة متوقع والصلاح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يحذر في أوله وبحكم للأمر فيه بكثرة اللجوء إلى الله تعالى وصدق الاختيار وسؤال البركة والخيرة في ذلك وتقديم صلاة

الاستخارة ، وانظره . وفي [عم] : أخذ علينا العهد العام من رمثول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نجالس
الفسقة من الظالمة وغيرهم كالواقعين في أعراض الناس إلا لضرورة أو مصلحة شرعية ، وهذا العهد
قد كثرت خيانتة من الخاص والعام فصار الشيخ أو العالم يسمع الغيبة ولا ينكرها وربما شارك أهل المجلس
فيها وربما كان هو البادى بالغيبة والناس في ذلك له تبع ، كما يقع فيه الأقران الذين يتزاحمون على الوظائف
وعلى القرب من الولاة والقضاة وربما طلب من الحاضرين بالباطن أنهم يقفون معه في عرض ذلك الرجل
ويفرح بهم ويقر بهم لأجل ذلك ، فالعقل من اعتزل الناس إلا لفائدة تحصل له أو لم كاستفادة علم وتعليم
أخلاق وتعلم طرق سياسة الناس واحتمال الأذى ونحو ذلك ، انظره . وفي [حى] : وأما الفاسق المصر على
الفسق فلا خير في صحبتة لأن من يخاف الله لا يبصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يؤمن غائلته ولا يوثق
بصدافته بل يتغير بتغير الأغراض ، وقال تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه -
وقال تعالى - فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا
ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق اه . وقال تعالى - وإن تطع أكثر من في
الأرض يضلوك عن سبيل الله - وللغزالي رضى الله عنه في بداية الهداية : واحذر مخالطة متفقهة الزمان
لأسماء المشتغلين بالخلاف والجدال ، واحذر منهم فإنهم يتربصون بك لحسدكم ريب المنون ويقطعون
عليك بالظنون ويتغامزون عليك بالعبون ويحصون عليك عثراتك في عشرتهم حتى يجهولك بها في
حال غيظهم ومناظرتهم ، لا يقبلون لك عثرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون لك هورة ، يحاسبونك
على التقير والتقطير ويحسدون على القليل والكثير ويحرضون عليك الإخوان بالخميمة والبلاغات والبهتان
إن رضوا فظاهرهم المأثور وإن سخطوا فباطنهم الخفي ، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب ، هذا ما قطعت
به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى : فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان ، هذا حكم
من يظهر لك الصداقة فكيف بمن يجاهر بك بالعداوة . قال القاضي ابن معروف .

فاحذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

ولربما انقلب الصديق في فكان أعرف بالمضرة انظرها

هذا في أهل زمانه رضى الله عنه فكيف بأهل زماننا الذى هو آخر عجب الذنب ، نسأل الله
السلامة والعفو والعافية في ديننا ودنيانا وأخراتنا آمين . ولأئى المواهب السائى في بعض الأجوبة :
فاحذر أخى واحذر من تحبه من هذين الصنفين من الناس : أى الطلبة المتجمدين على العلوم الرسمية
والمتصوفة بمجرد الدعاوى بلا حق ولا حقيقة فإنهما من أعظم الفتن في الطريق وشر وسواس ،
ولأزال التحذير يصدر من أهل الخير في قديم الزمان وحديثه من العلماء الغير العاملين والمتصوفة الجاهلين .
وقد كان سيدى على بن وفا المتقدم الذكر يقول : علماء السوء أضر على الناس من إبليس لأن إبليس
إذا وسوس للمؤمن عرف المؤمن أنه عدو مضل مبين فإذا أطاع وسواسه عرف أنه قد عصى فأخذ
بالنوبة من ذنبه والاستغفار لربه ، وعلماء السوء يلبسون الحق بالباطل ويردون الحق بأهوائهم وزيغهم
وجادلهم فمن أطاعهم ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، فاستعد بالله منهم وجنبهم وكن مع العلماء
الصادقين وأما المتصوفة الجاهلون فإنهم يغفرون المرید الدخيل في الطريق بظواهرهم لما يرى عليهم من
زى الزهاد والعباد فيعترف بهم فيرتكس في شبكة ضلالهم اه المراد منه : قال رحمه الله :

(وصاحب ذوى صدق تمس في سعادة ولكنهم أعز من ينص رحمة)

(وصاحب) أي الأخ الصادق والحبيب الوافي إخوة (ذوى) أصحاب (صادق) بكسر الصاد وفتحها ضد الكذب . وفي [جص] « عليكم بالصدق فإنه باب من أبواب الجنة وإياكم والكذب فإنه باب من أبواب النار » وفيه « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » اهـ . قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين - وفي [جه] ويتحرى الصدق رضى الله عنه في حديثه ويحض عليه وعلى تحريه ويسره من صدقه في حديثه ويسوءه من يكذب عليه ، ويعجبه الصادق في فعله الذي يظهر كل ما من شأنه أن يفعله ولو كان قبيحاً ويستحسنة ويحظى عنده صدوق اللسان غاية الحظوة انتهى .

واعلم أن الصدق اليوم أعز من الكبريت الأحمر . وقد مر أن ذا النون سئل عن الصدق فأنشد :

قد بقينا مذنبين خيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل

هذا في زمانه رضى الله عنه فكيف زماننا ، اللهم اغسنا في دائرة فضلك وبحر رضاك ورضى رسولك صلى الله عليه وسلم وبحر رضى سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ، ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى الله عنه :

وجود نخل صادق من الخال كل يميل مع هواه حيث مال

وإن شككت بأخى فجرباً لكن فثق بقول من قد جرباً

(تعش) من العيش بمعنى الحياة (في صعادة) أهلية . وفي [جص] « اطلبوا الفضل عند الرءاء من أمتي تعيشوا في أكتافهم فإن فيهم رحمة ، ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم فإنهم ينتظرون مسخطي » وعن سيدنا عمر رضى الله عنه : عليك يا أخوان الصدق تعيش في أكتافهم فإنهم زينة في الرءاء وعلّة في البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يبعثك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من نحش الله اهـ . وكثيراً ما نشد أمنا عائشة الصديقة رضى الله عنها وهما بها آمين :

ذهب الذين يماش في أكتافهم وبقيت في خلف كجلا الأجر

وقد قالت ذلك في زمانها فكيف زماننا الذي هو آخر صجب الذنب - إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واجعلنا في كتفك الذي لا يفصم آمين بحاء سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، ورحم الله من قال :

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم

أديرت كلوس للمنايا عليهم

ومن قال :

مات أهل الفضل لم يبق سوى

والمقرف يقاف وفاء الرذيل والدني الأصل ومن قال :

وليس أخى من ودى رأى هينه
ومن قال : ولكن أخى من ودى وهو غائب

أخوك الذى لا ينقض النأى عهده
وليس الذى يلقاك بالبشر والرضا
ومن قال :

وليس أخى من ودى بلسانه
ولسيدنا على رضى الله عنه وحننا به آمين :

إن أخاك الحق من كان معك
ومن إذا ريب الزمان صدعك
ولا في مدين رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين :

مالدة العيش إلا صحبة الفقرا
فأصحبهم ونأدب في مجالسهم
واستغنم الوقت واحضر دائما معهم
ولازم الصمت إلا إن سئلت فقل
ولا ترى العيب إلا فيك معتقدا
وحط رأسك واستغفر بلا سبب
وإن بدا منك عيب فاعترف وأقم
وقل عبيدكم أولى بصفتكم
هم بالتفضل أولى وهو شمتهم
وبالتفنى على الإخوان جد أبدا
وراقب الشيخ في أحواله فعسى
وقدم الجلد وانفض عند خدمته
ففي رضاه رضا الباري وطاعته
واعلم بأن طريق القوم دارسة
متى أراهم وأنى لى برؤيتهم
من لى وأنى لمشلى أن زاحهم
أحبهم وأداريهم وأوثرهم
قوم كرام السجايا أيها جلسوا
يهدى التصرف من أخلاقهم طرفا^(١)
هم أهل ودى وأحبائي الذين هم

هم السلاطين والسادات والأمرا
وخل حظك مهما خلقتك ورا
واعلم بأن الرضا يخص من حضرا
لا هم عندي وكن بالجهل مستترا
عييا بداينا لكنه استترا
وقم على قدم الإنصاف معتبرا
وجه اعتذارك عما فيك منك جرى
فسامحوا وخلدوا بالرفق بافقرا
فلا تخف دركا منهم ولا ضررا
حسا ومعنى وغض الطرف إن عثرا
يرى عليك من استحسناته أثرا
هناه يرضى وحاذر إن تكن ضجرا
يرضى عليك وكن من تركها حلرا
وحال من يدعيها اليوم كيف ترى
أو تسمع الأذن منى عنهم خبرا
على موارد لم آلف بها كدرا
بجهتي وخصوصا منهم نقرا
يبقى المكان على آثارهم عطرا
حسن التألف منهم راقى^(٢) نظرا
من يجر ذبول العز مفتخرا

(٢) اسم كنى اه .

(١) أى عيلى اه .

(٣) (قوله طرفا) بضم طاء جمع طرفة كعرفة : ما يهدى من الأشياء النفيسة اه . (٤) (قوله راقى) : أى أعجبنى اه :

لا زال شملى بهم في الله مجتمعاً وذنبا فيه مغفورا ومغفورا
ثم الصلاة على المختار سيدنا محمد خير من أوفى بما نلدرا اه
ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أبيات ثلاث تنلى قبلها وهى :

ولأبى مدين الفوت عليه رضا قصيدة فاقت الجواهر والدورا
روح بها أنفوس القوم إذا شمت تجد بها نهضة في الحد للفقرا
وقل بقلب ذليل خاشع حزن^(١) وحسن صوت تأدب واصلح من حضرا

ما لذة العيش إلا صحة الفقرا

وفى [جه] وهم القوم الذين اصطفاهم الحق لخدمته وجعلهم أهلا للمناجاة وحضرته وأشهدهم أنوار
جماله وإحسانه وأجاسهم على بساط كماله وامتنانه ، وهم القوم الذين شربوا من محبته فطابوا ونجرت
قلوبهم في عظمتهم فغابوا فنالوا من مولاهم ما طلبوا وساعدتهم الوقت فيما رغبوا فهم السادات والأمراء
والسلطين في زى الفقراء الذين صلحوا أن يكونوا قادة لخليقته ممثلين قائمين بخدمته على وفق حكيمته
ومشيئته فلا تصفو الحياة إلا بهم ولا تطمئن القلوب إلا بذكرهم ، وحين هاجت القرينة بحبهم صاحت
وتأدت في حبهم على جهة الافتخار بقربهم فقالت :

فوالله ما طاب الزمان إلا بهم فوالله ما كنت أرضى بعيشى
فما العيش إلا بينهم تحت ظلمهم وهم راحتى : أنسى وسؤلى وبغيتى
لقد سكنوا قلبي ومالى غيرهم عليهم من الرحمن أركى نجيتى

لمحمد أبى العاشق إلى جماله والحب إلى طريقهم وكذا لهم وقربهم^(٢) عينا وتعلق بأذيالهم ولا
تلفت إلى شيء بصدك عن جنابهم اه (ولسكنهم) أى إخوان بالصدق أى ولكن وجودهم ولا سيما في
وقتنا هذا الذى هو آخر عجب الذنب (أعز) من عز الشيء قل فلا يكاد يوجد (من بيض رخمة)
يسكون معجزة للوزن . وفى [سر] الرخم حركة طائر معروف الواحدة بهاء كانت تبيض في أعلى وقلل
شواهد الخيال ولا يكاد أحد يظفر ببيضها فضلا عن أفرانها لأنها تحرسها وتذب^(٣) عنها فلا يظفر بها
إلا من خاطر بنفسه . وفى [جص] سياقى عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاثة درهم حلال
أو أخ يستأنس به أو سنة يعمل بها ، وفيه أقل ما يوجد فى أمقى فى آخر الزمان درهم حلال وأخ يوثق
به ، وللشير أرى رحمه الله :

سألت الناس عن خل وفى فقالوا ما إلى هذا سبيل
نعمك إن ضفرت بذيل حر فإن الحر فى الدنيا قليل

ورحم الله من قال :

لما رأيت بنى الزمان وما بهم خل وفى للشدائد أصطفى
أيقنت أن المستحيل ثلاثة القول والعنقاء والتخل الوفى

(١) مثلت أمين كدعى ورى وسمى اه .

(٢) قوله قر) بكسر قاف من قر كضرب وبفتحها من قر كعتب ويضمها من قر كضمر اه .

(٣) قوله تذب) يضم ذل معجمة من ذب كرد اه .

ومن قال :

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر
وفي [حى] وقال رجل للجنيذ قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخ لي في الله ؟ فأعرض عنه
الجنيذ حتى أهاده ثلاثا فلما أكثر قال له إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري
قليل ، وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندى جماعة أعرفهم لك ، فسكت
الرجل ، انظره . ولأبى المواهب الشاذلى رضى الله عنه :

تغير إخوان هذا الزمان فكل خليل هراه نخل
وكانوا قديما على صحة وقد دخلتهم حروف العال
قضيت التعجب من أمرهم فصرت أطلع باب الهدل

وكان رضى الله عنه يقول : إياك وعثرات اللسان عند بعض الأصدقاء فقد أصيب من هذا الباب خلق
كثير لثقتهم بأصدقائهم وما علموا أنهم جعلوا ذلك ساعا لوقت العداوة فإياك ثم إياك . وعن سيدنا على
رضى الله عنه وعنايه آمين إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب اه وفي [خل] من الصقلي رحمه الله :
الإخوان أربعة : أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كاللداء وأخ كالدفلى . فالأول معدوم ، والثاني مفقود ، والثالث
موجود ، والرابع مشهود اه . أما الذى كالدواء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله لتربية المريد والصلحاء
والعلماء فهم قدوة للمحتقين ومجالسهم تشفى الأسقام ظاهرا وباطنا فهم دواء للخلق أجمعين وأنت ترى
تعدى هذا الزمان غالبا من هذه صفته ، وأما الذى كالغذاء فهو مثل الأخ في الله المشفق الودود الخنون
الذى يؤمله ما يؤملك ويسره ما يسرك ويخون نفسه بلحوقك ويتعزى لعريك ويسكب ما نزل بك أكثر
من مكابدة ما نزل به ، وأنت ترى فقده في هذا الزمان ، وأما الذى كاللداء فلاشك أنك إذا خالطت
كثيرا من الناس في هذا الزمان أو عاشرتهم بما لبسته ما تجد من كثير منهم إلا الإذابة البالغة أما في دينك
أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذى لا شك فيه ، وأما الذى كالدفلى فلاشك أنك إذا تكلمت
مع أحد من أبناء الزمان في صلاح دينه في شىء مما قابلتك بازعاج وخلق سيى ويتسلط عليك ببذاءة
اللسان وينظرك عورات يظهرها أو حسنات يرددها سيئات وهذا فيه من الماراة بحيث المشى كما هي
الدفلى إذا تناولت منها شيئا وقد يفضى ذلك إلى العدم إذ قيل إنها سم ، فيتعين عليك أن تفر من هذه
صفته اه (يخ) انظره ولصاحب لامية المعجم رحمه الله :

أهدى هدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس وأصحبهم على دخل
وحسن ظنك بالآهام معجزة فظن شرا وكن منها على وجل
فلما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل
غاض الوفاء وفاض القدر وانفجرت مسافة الخلاف بين القول والعمل

انظرها فلما غرر ودرر ، ورحم الله من قال :

ألا إن إخواني الذين عهدتهم أفاعى رمال لا تقصر في السع
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم نزلت بواد منهم غير ذى زرع
ومن قال : ما في زمانك هذا من مصاحبه ولا خليل إذا خان الزمان وفي
فعلن فريدا ولا تركن إلى أحد فقد نصحتك نصحا بالغا وكفى

والشافعي رضى الله عنه وعن جميع الأئمة الرضا الأبدى :

الناس داء دفين لادواء لهم تخير العقل منهم فهو منزهل
إن كنت منبسطا سموك مسخرة أو كنت منقبضا قالوا به ثقل
وإن تخالطهم قالوا به طمع وإن تجانبهم قالوا به ملل
وإن تعففت عن أموالهم كرما قالوا غنى وإن تسئلهم بخالوا
لأنى تخبرت فى أمرى وأمرهم شبه النعمة لا طير ولا جمل

وله أيضا رضى الله عنه :

صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سالما والقول فيك جميل
ولا تولين الناس إلا تجملا نهابك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد صنى نكبات الدهر عنك تزول
ولا تخير فى ود امرئ متلون إذا الربيع مالت مال حيث تميل
وما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم فى النائبات قليل

ورحم الله من قال :

لأنى لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا
ومن قال : لا أرى كثرة التصديق إلا تعب القلب فى اقتضاء الحقوق
فاصرف الود عن كثير من النا من فاك كل من ترى يصدوق

وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن ندور مع أهل زماننا وتتخذ لهم كما يتخذون لنا لكن صورة لاحقية . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : من خدعنا اتخذنا له بمعنى أظهرنا له نظير ما أظهره لنا . وفى صحف إبراهيم عليه السلام : وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه . وقد فسدت الأحوال كما هو مشاهد ونغيرت المراسيم وتبدلت الأعمال بالأقوال وعم البلاء العاصى والطائع فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اه . ونقل أن ابن عمر رضى الله عنه كان إذا اشترى عبدا ورآه مقبلا على طاعة الله أعنته ، فلما علم منه ذلك صار كل عبد اشتراه يلزم المسجد والعبادة فإذا رآه على تلك الحالة أعنته فقبل له إنما يفعلون ذلك لتعتقهم ، فقال من خدعنا اتخذنا له اه . وفى الحديث : « لى لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس » وفى آخر « هلا شققت قلبه » قال رحمه الله :

(وَخَالِطْ خُصُوصًا إِنْ أَرَدْتَ صَفَا الْحُجَا سَلَامَةً صَدْرٍ مَعَ عُلُومٍ سَنِيَةٍ)

(وخالط) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (خصوصا) ضد العموم وفى [حى] ويستحب مصبة الراغبين فى الآخرة قال عليه الصلاة والسلام « أحبوا الساعات بمجالسة من يستحى منه » وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ما أوقنى فى بلية إلا صحبة من لا أحشمه . وقال لقمان لابنه : جالس العلماء وزاحمهم بر كيتيك فإن القلوب لتحميا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر ، نظره . وفى [عف] وإنما العزلة والوحدة محمد بالذمة إلى أراذل الناس وأهل الشر ، فأما أهل العلم والصفاء والوفاء والأخلاق الحميدة فيغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم ، فإن الاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما أن محبتهم محبة الله ، والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع ، انظره . وفى [جه] ويدل على معنى سيدنا أبا الفيض

رضى الله عنه وعنا به آمين على الله بصحبة أهل الله الدالين على الله الجامعين هاهنا الموصلين إليه ،
ويذكر قوله تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - الآية - وحديث « المرء على
دين خليله » ويقول : أصل كل خير الخلطة والنقمة كل ما دئت ففعله تعمل وتحافظ من شئت ففعله
تفعل ، وشكوته يوما سوء حالي فقال لي : لا تسكمني الآن في شيء من ذلك وافعل ما أمرك به ،
وأشار على مجالسته رضى الله عنه ، فقلت له يا سيدي ما أفضل هل النوافل والأذكار وغير ذلك أم
مجالسة الأشياخ ؟ فقال بل مجالسة الأشياخ أفضل لا يعادها شيء فجلوسك بين يدي ولى أفضل من
الدنيا وما فيها لما ورد : « جلوسك بين يدي ولى قدر حلب شاة الخ » ولا شك أن مجالسته رضى الله عنه
ترهاق محروب للأمراض القلبية والعقل النفسية ، وكم تعرض لنا ولغيرنا أمراض معنوية وتتراكم على
القلب ظلمات ردية فتتجلى بسبب مجالسته والحمد لله - حق حمده كما ينبغي للجلالة لا أحصى ثناء عليه ،
ويقال النظر في التقى استقامة وفي الخصوص كرامة ، ومن رحمة الله بعبده وعنايته أن يصخر له قلب
مخصوص من أهل ولايته ويقال كل الناس يحبون الخصوص والحكمة أن يحبك الخصوص ، ومن لم
يأق صاحب بصيرة لم تفتح له بصيرة ، وليس شيخك من تجعل بينك وبينه عهدا بلسانك وتعتقد
مشيخته بمخائلك ، إنما شيخك من جالباك بقلبه وأخذ بمجامع ليلك ونفعتك نظرت وأحاطتك همته ،
انظره . فيه : وإذا جالسته تداركك لحاته وسرت فيك نفحاته وعلق بك طيبه الفائح ورأيت حسنه
الواضح وعلمت أنه الخليل الصالح ونور النبوة فيه لائح ، لا يخيب أبدا جليسه ولا يعدم شيئا من
الخيرات أنيسه كما قال فيه بعض مادحيه : هو من أناس لا يخيب جليستهم البيت ، يقدح النور في
قلب من أبصره ويبيت محبه الله فيمن حضره وزج في الذكر من غشيه ويقذف في الجلد من لقيه ،
رؤيته طب للقلوب وكلامه شفاء من العيوب مجلسه مجلس حلم ووقار وإجلال وإكبار ، لا يبتدئه
أحد بالكلام غالبا ولو كان في ذلك صائب بل يفتحه هو إن أراد فيحصل به الهداية والمراد ، لا يكتر
الحاضرون من الكلام لديه ، ولا يتسابقون فيما بينهم إليه بل دأبهم الإنصات والتدب إلا من نوجه له
منه الخطاب والطلب ، انظره .

بأي الجواب فلا يراجع هيئة والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو لمطاع وليس ذا سلطان

(إن أردت صفاء) قصره لاوزن الصفاء والصفو نقيض الكدر (الحجاء) بالكسر والقصر العقل
والقطنة . وفي [جه] وإذا سمع كلامه أحد خصوصا من فيه قابلية القبول تحول في الخلق قلبه وطاربه
إلى الله له يأتيه الإنسان في كرب وأحزان وجحود وكفران وضلال وطغيان وذنس وأدران فيعود
حزنه سرورا وجحوده شكورا وبعدة حضورا وذنس ظهورا وظلامه نورا ، فتتقارب به في القلوب
حقائق الأعيان وتنطرب به القلوب والأحيان ، ونجده يتكلم مع الرجل كلا ما عاديا وهو يفعل في قلبه
الإفاعيل ويرحل به إلى الله المراحل ، انظره . وفيه : ويحضره الحاضرون ما بين متوجه وغافل
ودنيوى وغيره فيعمل في الجميع حاله ويؤثر فيهم مقالته ويعمهم الفرح ويحول عنهم الترح حتى يظن
أحدهم أنه لا يبالي بالدنيا أبدا ولا يلتفت إليها بعد سرمد لما يلوح عليه حينئذ من اليقين بالله والفرح
بأنعم الله ، انظره . وخاطبهم أيضا إن أردت (سلامة صدر) من الأحقاد والأغيار والأكدار
فهم أطية القلوب وأدوية العيوب بإذن علام الغيوب سبحانه وتعالى (مع) يسكون العين أى مع استفادة

(علوم) منهم نافعة (سنية) نيرة ورفيعة ، ورحم الله من قال :

فله قوم كلما جئت زائرا وجدت قلوبها كلها ملئت حلما

إذا نطقوا جاءوا بكل فضيلة ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

وفي [مع] مخالطة العوام تذهب بنور القلب وهيبة الوجه ومن مات على مخالطة العموم جاء يوم القيامة كالقمر المكسوف لانور له ، فليجتهد العاقل على مخالطة الخصوص وفي مخالطة الخصوص ثلاث خصال : اكتساب العلم ، وصفاء القلب ، وسلامة الصدر . وقال بعضهم : إن الوسواس يأتي الشخص من جلساء سوء . وقال : ما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح ، ولا هلك من هلك إلا بمجالسة من هلك انتهى . وفي الحديث « إن لله عبادا من نظروا إليه نظرة سعد معادة لا يشقى بعدها أبدا » اهـ .

[قلت] وكيف لا يسعد شخص تعلق بقوم جعلهم الله نواب أنبيائه ورساله ، وبهم أقام أمر العباد وبهم يرزق كل مرزوق ، وبهم يصرف البلاء والعذاب عن الخلق ، انظره . قال رحمه الله :

(ودع خلطة العوام تذهب بالها وهيبة وجه وفي أقبح علة)

(ودع) ترك عنك (خلطة) وصحبة (العوام) ضد الخواص . وعن الغزالي رضي الله عنه : ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه ترك الخواص في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء أفعالهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم اهـ : أي والتنبية على منكرهم باللطف والنصح هندرجاء القبول منهم وإلا فالإعراض عنهم أولى : قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وفي [عف] ومن أدبهم ترك صحبة من هم شيء من فضول الدنيا قال الله تعالى - فأعرض هن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - انظره . وفي [جه] فإذا جلس مع الناس كان الغالب عليه التغافل عن أحوالهم ، يؤدب بذلك كل من حضر لديه ولا يحب الإكثار من ملاقات الناس ولا الخوض معهم على ما هم فيه ، انظره . ورحم الله من قال :

عش خامل الذكر بين الناس وأرض به فذاك أصل في الدنيا وفي الدين

من هاشم الناس لم تعلم ديانته ولم يزل بين تحريك وتسكين

(تذهب) خلطتهم وصحبته (بالها) قصره للوزن الحسن والجمال (وهيبة وجه) وهي الخفاة والتقية (وهي) يسكون الماء أي خلطة العوام (أقبح علة) بالكسر المرض ، وفي الحديث « اجتنبوا مجالس العشيرة » أي المتعاشرين المكثرين للكلام في غير ذكر الله وما والاها : أي لما فيها من كثرة اللهو واللغو وإضاعة الأوقات والواجبات واقتراف السيئات والملهيات ويجاهرون بالمعاصي والفواحش ويتفخرون بذلك كل الافتخار ، نعوذ بالله من حال أهل النار آمين . وقيل : مخالطة الأشرار تورث سوء الظن بالبرار . وعن بعضهم : لاتصاحب الأشرار فإن ذلك يحرمك صحبة الأخيار وعن الأوزاعي رحمه الله : التصاحب للصاحب كالرقعة للثوب إن لم تكن مثله شانتته انتهى . ورحم الله من قال :

كن عن مجالس الفسوق بعدا ولا تصاحب فاسقا فتردى

وفي [هب] التاسع : أي مما يوجب الانقطاع عن الله تعالى مخالطة المحجوبين كدوى الرياضات فإن في ذات العبد المؤمن خيطا من نور يخرج من ثقبه من ذاته يتصل ذلك النور بعطية الحق سبحانه وتعالى يزيد بمخالطة أوليائه تعالى ويقل بعدمها . ويخاف عليه من الانقطاع أصلا وانسداد للثقب بمخالطة أرباب

الرياسات فإتاهم برياساتهم وأموالهم وجاعهم يستولون على ذاته فيكون تحت أسرهم وفي حكم قبضتهم ، فلا يزال يعضي إليهم بقلبه وقالبه ويبقى على ذلك المدة الطويلة ولا يقع سبحانه في فكره ولا في خاطره ، فلا يزال كذلك مستقر صلا في أغراضه وانقطاعه حتى تنسد الثقبة أصلا والعياذ بالله ، وهذه آفة حاصلة من ذوى الرياسات نسأل الله السلامة انتهى . وفيه : وسمعت الشيخ رضى الله عنه يقول : إن الرجل إذا كان فيه عرق الولاية وأقامه الله مع أهل المخالفة وبقي معهم مدة فإنه إذا مربه ولّى من الأولياء وهو مع أولئك القوم فإن عرق الولاية الذى فيه يحيا بإذن الله ويقع لصاحبه انشراح وفرح وانطلاق صدر هذا بمجرد مرور الولى عليهم وإن كان صاحب العرق لا يعرفه ولا تكلم معه الولى ولا جرى بينهما حديث ، أما إذا جرت بينهما معاشرة وحصلت بينهما معرفة فلا تسأل من حياة العرق الذى فيه وزيادة الخير فيه في كل لحظة ، وإذا كان في الرجل عرق الشر الذى فيه كالسرقة مثلا وأقامه الله مع أهل الولاية والعرفان وصار يخلمهم ويخالطهم مدة فإذا مر بأولئك الجماعة سارق مثلا فإن الرجل الذى فيه عرق السرقة يحيا وينشرح صدره للشر الذى فيه وتقوم قيامته بمجرد مرور السارق عليه من غير معرفة منه ولا مخالطة له ، أما إذا حصلت المعرفة بينهما فلما شره يتم والعياذ بالله وكل ميسر لما خلق له .

[قالت] : وهذا باب واسع وطريق نافع يعرفه من مارس تعليم الناس العلم أو نحوه ، فإنه إذا عرض عليه هذا الكلام في القابلية وجده كأنه نسخة منقولة مما جرى عليه في زمان التعلم ومعاناته ، انظره . ثم قال : فإن كنت كيسا فطنا حاذقا ليبيبا فأجعل هذا الكلام نصب حينئذ فإنك تطرح به عن نفسك أحوالا كثيرة في معاشرة أصناف الناس على اختلاف طبائعهم والله الموفق اهـ وفي الخالص السنية على الأربعين النووية [نكتة] : قال الإمامون رحمه في بعض مؤلفاته : في الحديث « إذا أراد الله بالعبد خيرا ساق إليه من يذكره إذا غفل » ، وإذا أراد به شرا ساق إليه جليس سوء ينهيه عن الأخذ بالموعظة ولما تولى هارون الرشيد جلس للناس مجلسا عاما فدخل عليه بهلول ^(١) المجنون فقال له يا أمير المؤمنين احذر جلساء السوء واعتمد جلسا صالحا يذكرك بمصالح تخلفه إذا غفلت والنار فيهم إذا هوت فإن هذا أنفع لك وللناس ، وأكثر في الأجر مما تأتي به من صوم وصلاة وقراءة وحج ، إن الرجل كان يلقى الكلمة عند ذى السلطان فيعمل بها فيملا الأرض فسادا ، وقال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً فيهوى بها في النار سبعين خريفاً ولا تكن يا أمير المؤمنين كن قال الله تعالى في حقه - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد - فقال له : زدنى ، فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد أفاد لك الناس وجعل أمرك فيهم مطاعا وكلمتك فيهم نافذة وأمرك فيهم ماضيا ، وما ذلك إلا لتحميلهم على الإتيان بما أمر الله به والالتزام عما نهى الله عنه ، وتعطى من هذا المال الأرملة واليتيم والشيخ الكبير وابن السبيل ، يا أمير المؤمنين أخبرني فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد أحضر الملوك وغيرهم من ولادة أمور الناس فيقول لهم ألم أمكنكم من بلادى وأطع لكم عبادى لا لجمع الأموال وحشد الرجال بل لتجمعوهم على طاعنى وتنفذوا فيهم أمرى ونهى وتغزوا أوليائى وتذلوا أعدائى وتصرخوا المظلومين من الظالمين » يا هارون تفكر كيف يكون جوابك عما تسأل عنه من أمر العباد في ذلك الموقف إذا حضرت وبداك معاولتان إني عنك وجههم بين يديك والزبانية مبطنة بك تنتظر ما يؤمر بك ، فبكى هارون بكاء شديدا ،

فقال له بعض الحاضرين : كدرت على أمير المؤمنين مجلسه ، فقال لهم هارون قلت لكم إن المغرور من غرر تموه والسعيد من بعدتم عنه ، ثم خرج من عنده ، فانظر يا أخى إلى هذه التصبحة ما أعظمها اه : قال تعالى - ولكن لا تحبون الناصحين - وفى [غ] فائدة ذكر الشيخ زروق رضى الله عنه أن من كان له قرناء سوء خرج عنهم وأراد أن لا يرجع إليهم فليشخصهم وليصل عليهم صلاة الجنائزاة أخذاً من تكبيره صلى الله عليه وسلم أربعاً على قوم لم يغزوا معه اه . وندجرب ذلك فصيح . قال رحمه الله :

(مُخَالَطَةُ الْأَخْيَارِ رُكْنٌ مُؤَسَّسٌ وَأَصْلٌ كَبِيرٌ فِي انْتِفَاعِ الطَّبِيعَةِ
فَمَنْ غَيَّرَهَا تُفْنِي وَكَمْ يَفْنَى غَيْرُهَا فَذَاوٍ بِمَا قَالَتْ أَسَاءَةُ الطَّرِيقَةِ)

(مخالطة) ومصاحبة (الأخيار) جمع خير كفلس . وفى [س] الخير الكثير الخير كخير ككيس جمعه أخيار وخيار اه . وفى [جص] « خيركم من ذكركم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقته ورضيكم في الآخرة عمله » . وفيه « خير الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك » . وفيه « ألا أخبركم بخياركم خياركم الذين إذا رءوا ذكر الله أى إذا رآهم الناس ذكروا الله لما شاهدوه من حسن السمات ونور الصلاح ، وذكر فى [جه] إن هذا الحديث لا يصدق إلا فى طائفة وهم مفاتيح الكنوز لامن هدام حتى انقلب اه . وفيه « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس : إن من خير الناس رجلاً حمل فى سبيل الله عز وجل على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتية الموت ، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شيء منه وفيه « خيار أمتي الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وشرار أمتي الذين ولدوا وفى النعم وغدوا به وإنما نهتهم ^(١) ألوان الطعام والثياب وهمشددون فى الكلام » ، وفيه « خير المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده » وفيه « خير الناس أقرؤهم وأفقههم فى دين الله وأتقاهم لله وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم » وروى أبو هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على ناس جلوس فقال ، ألا أخبركم بخيركم من شركم فسكتوا ، فقال ذلك ثلاثاً ، فقال رجل بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا ؟ فقال خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره » اه (ركن) بالضم الجانب الأقوى (مؤسس) من أسس الدار بين حدودها ورفع قواعدها وبنائها أصلها (وأصل كبير) عظيم (فى انتفاع) واقتباس (الطبيعة) وعن الشافعى رضى الله عنه : لولا صحبة الأخيار ومناجاة الحق بالأسفار ما أحبيت البقاء بهذه الدار . وعن الشافعى رضى الله عنه : عليك بصحبة الفقراء فإنه لو لم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامة مع ما يحملون من أصحابهم فى دار الدنيا من المصائب لكان فى ذلك كفاية اه . ورحم الله من قال :

اصحب خيار الناس حيث لقيتهم خير الصحابة من يكون عفيفاً
والناس مثل دراهم ^(١) ميزتها فوجدت فيهم فضة وزهواً

ومن قال :

مخالطة السفه فساد رأى ومن عقل مخالطة الحكيم
فلأنك والقرين معاً سواء كما قد الأديم على الأديم

(١) نهتهم بفتح ناء كفتحة . الحاجة والحرس على الطعام اه .

(٢) قوله دراهم) بتووين للضرورة اه .

ومن قال :

فصاحب خيار الناس تنج من الردى ولا تصحب الأشرار يوما فتندما
وفي الحكم : لا تصحب من لا يهذبك ^(١) حاله ولا يدلك على الله مقالته ، ربما كنت متسببا فأراك
الإحسان منك مصيبك إلى من هو أسوأ حالا منك . وفي شرحه للشمس نوري رحمه الله : فصحة الأخيار
أصل كبير في طريق القوم ، وأما صحة الأشرار ففيها كبير اللوم لما فيها من عظيم الآفات الموجبة إلى
رجوع القهقري والانهطاط عن على الدرجات اه . وفي [جص] « مثل الجليس الصالح والجليس
السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكبير
الحداد يحرق يبتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة » وفيه « مثل الجليس الصالح كمثل العطار إن لم
يعطك من عطره أصابك من ريحه » ورحم الله من قال :

عليك بأهل الخير إن شئت صحة ففي صحبة الأخيار تنال الفوائد
فمن جالس العطار طاب بطيبه ومن جالس الحداد لاقى السوائد

ومن قال :

ما عادة المرء اللبيب لنفسه والمرء يصاحبه الجليس الصالح
فينبغي للأخ الصادق والخبير الوافي الضمين بدينه وعرضه المشفق على نفسه أن يجتنب من يتأذى
بمجالسته في الدين والدنيا وأن يرغب فيمن ينفع بمجالسته فيهما ، فالصالح إن لم تنتفع بأقواله انتفعت
بأحواله وأفعاله والنظر إليه فإن النظر إليه يورث السرور في القلب كأنظر إلى الماء الجاري والخضرة
والجمال ، بل هو أقوى من ذلك كله . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن نختار للمجالسة الجليس الصالح وهو الذي لا يلحقنا إثم بمجالسته ، وذلك إما بالتوبة فإذا وقع
أحدنا بسببه في ذنب تاب على الفور من غير إصرار ، وإما بعدم وقوعنا في الإثم بسببه أصلا ، ويحتاج
من يريد العمل بهذا العهد إلى سياسة وفراسة ليعرف من يستحق المجالسة ممن لا يستحق ، ومن لا سياسة
عنده يقبل على مجالسة كل من يراه ثم بعد ذلك يقطع مجالسته فيصير عدوا له . وقد قالوا العاقل من
يقدم التجريب قبل التعريب ، والله إن الإثم الذي يقع فيه من يعتزل الناس اليوم يكفيه ويغنيه عن
زيادة الأوزار التي يكتسبها من مجالسة الناس فلا يكاد الإنسان يجد مجلسا واحدا لا يخلو من الإثم أبدا ،
إما غيبة وإما نسيمة وإما غفلة عن الله تعالى وإما تحريض على طلب دنيا وإما غير ذلك فالوحدة خير
من مجالسة الناس اليوم ، إلا أن تتعين المجالسة عليه بطريقة الشرع . ففتش بأخى على الصالحين وجالسهم
وإن لم تجدهم فاجلس وحدك ، فقد قالوا الوحدة ولا القرب السوء ، وقالوا الجلوس مع السكاب أولى
من الجلوس مع من يحملك على الآثام . واعلم يا أخى أن كل من حصل لك بواسطة مجالسته إثم فهو
جليس سوء ، فهل سلم لك على هذا جليس واحد ؟ لا والله لا تكاد تجده ، فالوحدة أولى والسلام اه ،
وفي [عف] فليتنفد الإنسان نفسه عند الميل إلى صحبة شخص وينظر ما الذي يميل به إلى صحبته ويزن
أحوال من يميل إليه بميزان الشرع فإن رأى أحواله مسددة فليشر نفسه بحسن الحال . فقد جعل الله
تعالى مرآته بمجاوله ، يلوح في مرآة أخيه جمال حسن الحال ، وإن رأى أفعاله غير مسددة فيرجع إلى نفسه
باللائمة والانتقام فقد لاح له في مرآة أخيه سوء حاله فبالخبر أن يفر منه كفراره من الأسد ، فإنهما إذا

(١) (قوله يهذبك) بضم تحتية وكسر هاء من أنهضه أقامة بسرعة وشدة اه .

اصطحبها ازدادا ظلمة واعوجاجا ، انظره . ثم قال : وقد يفسد المرید الصادق بأهل التصالح أكثر مما يفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقهم فأخذ حذرهم وأهل التصالح غره صلاحهم فقال إليهم بجنسية الصلاحية ، ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله فاكتمسب من طريقهم الفتور في الطلب والتخلف عن بلوغ الأرب : فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ويأخذ من الصحبة أصفى الأقسام ويدو منها ما يسد في وجهه المرام . قال بعضهم : هل رأيت شراً قط إلا آمن تعرف ، ولهذا المعنى أنكر طائفة من السلف الصحبة ورأوا الفضيلة في العزلة والوحدة كإبراهيم بن أدهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الخواص . وحكى عنه أنه قبل له جاء إبراهيم بن أدهم أما تلقاه ؟ قال لأن أتى سبعا ضاريا أحب إلى من أن أتى إبراهيم بن أدهم : قال لأنى إذا رأيت أحسن له كلامى وأظهر نفسى بإظهار أحسن أحوالها وفى ذلك الفتنه ، وهذا كلام عالم بنفسه وأخلاقها وهذا واقع بين المتصاحبين إلا من عصمه الله ، انظره (فعن غيرها تغنى) أى فبسبب ذلك كانت مخالطة الأخيار تغنى عن غيرها من الخصال الحميدة المرغوب فيها لأن المرأ على دين خليله والمرأ مع من أحب ومن أكثر سواد قوم فهو منهم (ولم يغن) بحذف الباء للجازم عن مخالطتهم (غيرها) من الأوصاف الحميلة وفى [عف] أن أبا بكر التلمسانى يقول : اصحبوا مع الله فإن لم تطبقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركة صحبتهم إلى صحبة الله ، انظره . وفى [غ] وفى مختصر الأحياء بهذا كلام فى الصحبة ما نصه : فاصحب الأخيار ، وإن لم تكن منهم فألت معهم اه . يريد اصحبهم بالحببة والتسليم لتكون معهم وإن لم تكن منهم فإن المرامع من أحب . وبالمخلة فى مخالطة الأخيار مع التسليم والحببة خير كثير بل المخالطة أصل كبير فى الانتفاع ، ولذا قالوا إنها أعنى المخالطة تغنى عن غيرها ولا يغنى غيرها عنها اه . وقد قيل ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ولا فسد من فسد إلا بصحبه من فسد ، ولذا قيل :

اختر لنفسك الذى أطاعا إن الطباع تسرق الطباعا

(فداوى) من داواه عالجها (بما قالت) ووصفت لك (أساة) بضم الهمزة جمع آس كقاض وقضاة ويجمع على إساء بكسرهما كراع ورعاء والآسى الطبيب الماهر بالدواء (الطريقة) الصوفية إذ هم أطبة القلوب من الأغراض والذنوب وأدوية العيوب ، بإذن علام الغيوب رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عابدين مأواهم آمين . قال رحمه الله :

(ففى خلطة الجذمى أنانا المحصارها فليست بسبحه ولا بلويحة)

(ففى خلطة الجذمى) جمع جذم من به جذام حسى أو معنوى وهو غاة يحدث من انتشار السوداء فى البدن كاه ففسد مزاج الأعضاء وهيئتها وربما انتهى إلى نأكل الأعضاء وسقوطها عن تفرح . وفى [جص] « اتقوا صاحب الجذام كما يتقى السبع إذا هبط واديا فاهبطوا غيره » اه ولا ينافى هذا الحديث حديث « لا عدوى » لأنه خطاب لمن قوى يقينه وهذا لمن ضعف يقينه ، وقيل لا عدوى أى بطبع المرض فمن اعتقد أن المؤثر هو الله تعالى وتباعده فقد عمل بالحديثين وهذا هو الأليق بمن ضعف يقينه كأمثالنا والله أعلم . والمراد بالجذمى فى البيت عامة المؤمنين فى مخالطتهم بخير الدنيا والآخرة لمن طهر الله نفسه من الأدناس وبلغ مبلغ الإرشاد والهداية وقدر على الإحسان إليهم واحتمل الأذى منهم قال تعالى - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة - الآية ، وفى [عف] وقد رغب جمع من السلف فى الصحبة

والأخوة في الله ورأوا أن الله تعالى من على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا فقال سبحانه وتعالى - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا - وقال تعالى - هو الذي أبدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقد اختار الصحبة والأخوة في الله سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرهما انظره . وفيه : وقيل لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لا استغنوا بها عن العدالة . وقيل العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة . وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة فإن طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج . ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض في البعض لأنهم لما تحابوا في الله تواصلوا بحسن الأخلاق ووقع القبول بينهم لوجود المحبة فانتفع لذلك المرید بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد أهل كل درب وكل حلة وفي الجامع في الأسبوع مرة أهل كل بلد ، وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة الحج ، كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين ، وقال عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » انظره (أتانا) عن الثقات الأثبات انحصارها : أي الطريقة الصوفية (فليست بسبيحة) أي بمجرد اتخاذ السبيحة (ولا بالويحة) تصغير لوحة وهي كل صحيفة هريضة خشبا أو عظما . وفي [غ] وقد ذكر عن العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن بن محمد القاسمي رضي الله عنه أنه قال لرجل من أصحاب بعض الأولياء من أهل عصره وقدرآه لا يخالط الفقراء : ماذا يأمركم به شيخكم ؟ فقال بالسبيحة والويحة ، فقال رضي الله عنه : ليست هذه الطريقة بالسبيحة والويحة ، وإنما هي بالخالطة ، خالط الجدي تجلسم له . قال رحمه الله :

(لقاء ذوى صدقٍ لقاء لباطنٍ وقد يشتقى العليلُ منهمُ بنظرة)

(لقاء) بكسر اللام إخوة (ذوى صدق) أي الصادقين في الأخوة والصحبة في الله . وفي [ع] وممن تمسك المرید بالصدق والإخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يحقق صدقه وإخلاصه شيء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات التي دخلت على أهل الهدايات لموضع نظرهم إلى الخلق ، وبلغنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يسكل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالآباهر ، ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر صاغر » إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم . قال أحمد بن خضرويه : من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال فليلزم الصدق فإن الله تعالى مع الصادقين . وورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصدق يهدي إلى البر » انظره : ثم قال : ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى . قال ذو النون : لله تعالى في أرضه سيف ما وضع على شيء إلا قطعه وهو : الصدق ، انظره (لقاء) بفتح اللام كسحاب ما تلقح به النخلة وطلع الفحل (لباطن) أي ولظاهر (وقد يشتقى) الأخ الصادق والحبيب الوامق (العليل) بقلل حسية أو معنوية (منهم) أي من الإخوان الصادقين (بنظرة) أي بمجرد نظرة منهم إليه أو منه إليهم إذ هم ترياق الله في أرضه : اللهم اشف عللنا الحسية والمعنوية بنظرة منك يا أرحم الراحمين ، وبنظرة من نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبنظرة من سيدنا أبي الفيض

أحمد بن محمد التجاني رضى الله عنه وعنايه آمين ، وبنظرة من خلفاه ونوابه رضى الله عنهم وعنايتهم آمين . وفي [ع ف] والصحبة مع الأنبياء مؤثرة جدا . وقد قيل إلقاء الإخوان لقاح . ولاشك أن البواطن تتلفح ويتقوى البعض ببعض بل بمجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر في الصور يؤثر أخلاقا مناسبة للمنظور إليه كدوام النظر إلى المحزون يحزن ودوام النظر إلى المسرور يسر . وقد قيل من لا ينفعلك لحظه لا ينفعلك لفظه ، والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول ، فالمقارنة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد ، والماء والهواء يفسدان بمقارنة الحيف ، والزرع تنقى عن أنواع العروق في الأرض والنبات لموضع الإفساد بالمقارنة ، وإذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الأشياء ففي النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا وسمى الإنسان إنسانا لأنه يأنس بما يراه من خير وشر ، والتألف والتودد مستحب للمزيد ، نظره : وللقطب الرباني مولاي عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلا عيّن مأواه :

إذا نظرت هينى وجوه أحبى	فذلك صلاة في ليالى الرغائب
وجوه إذا ما أسفرت عن جمالها	أضاءت لها الأكوان من كل جانب
حرمت الرضا إن لم أكن باذلا دى	أزاحم شجعان الوغى بالمناكب
أشقى صفوف العارفين بعزمة	تعدى بمجدى فوق تلك المراتب
ومن لم يوف الحب ما يستحقه	فذلك الذى لم يأت قط بواجب

وبعضهم رحمه الله في صلاة الرغائب :

صل الرغائب عشرا واثنين وكن	في كل ركعة تقرأ الحمد منقردا
والقدر معها ثلاثا مثل ما ذكروا	واقرا اثنين وعشرا معهما الصمدا
وصل من بعد إكمال الصلاة على النبي	سبعين واسجد مثل من سجدا
وفيه صبح وقدس مثلها وإذا	رفعت قل رب سبعين احصها عددا
واسجد لربك واخلص السجود وسل	تعطى فن جد في إخلاصه وجدا

وذكر في [ج ه] أن التعلق بأهل الله واللياذ بمنابهم والانبياش إليهم والوقوف بأبوابهم تعلق بمناب الله الكريم ووقوف ببابه العظيم وتعرض لرحمته العظيمة ونعمته الحسيمة ، وفي حديث الطبراني « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا » فيها فوز الذين نهضوا إليها وتعرضوا لها فاستمدوا من تلك النفحة مددا ، وإذا كان عند ذكرهم كما في الأثر الموقوف والخبر المعروف تنزل الرحمت وتتم عواطر النسيات فما بالك بتشر محاسنهم ومفاخرهم وتعداد مناقبهم ومآثرهم وذكر سيرهم النبوية وأخلاقهم المصطفوية التي هي هدى ونور وشفاء لما في الصدور ودواء للقلوب وجلاء للسكراب وفتح للبصائر ونفع للسرائر وهدى للسالك والسائر يطرب السامع حديثها وبحث الأشواق إلى حضرتهم حيثما ومما ملك الدواوين والدفاتر ولا فاهت الأفواه والخوابر بعد شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيره وشيمه انظاهرة وأثره بأفضل من أخبارهم ومكارمهم ومآثرهم إذ هم أمجابه الصحبة المعنوية ومعجزته الباقية السرمدية والله در القائل :

يا سادنى يا أفضل السادات	لأزيتن بذكركم أوقانى
يا خير صعب محمد من بعده	يا أفضل الأحياء والأموات

ونحن وإن لم نكن من الأتباع ولا من الأشياع حقيقة فحول نفحاتهم نحوهم ولشيء من ركاتهم نروم :

خذ مادني إن فأتك الأجل إن لم يصيبها وابل فطل
وجدير لمن ردد أخبارهم واستمع آثارهم وأكثر حديثهم وأحب قديهم وحديثهم أن يدخل ديارهم
وبنال برهم ، أو يعلق منها بفائدة تكون منفعتها عليه عائدة وفي معنى ذلك قيل :

حدث السمع بالمحاض منهم فالحديث لنا نديم النفوس
فلذا ما سقيت منها بكاس زال عنك من العنا كل يوم

جعلنا الله من أحبهم وانبغ طريقهم وحزبهم ورزقنا التلذذ بنجرهم واستحسان سيرهم وأثرهم
آمين ، أنظره . قال رحمه الله :

(وكل ما تشاء ففعله صلح تفعل أساس التقي في لقمة وبخلطة)

(وكل) أيها الأخ الصادق والحبيب الوافي (ماتشا) قصره للوزن : أي من الحلال الطيب أو من
الحرام الخبيث . قال الله تعالى - والبلد الطيب - الآية ، وقال - اعملوا ما شئتم إنه بما تعلمون بصير -
(ففعله) ونظيره خبثا وطيبا (صلح) أي بإصاحبي (تفعل) وعن أبي هريرة رضي الله عنه : المعدة
حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صححت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت
بالسقم ومثل اللقمة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع
وإذا ضعف الأساس واعوج انهار البنيان ووقع . قال الله عز وجل - أفمن أسس بنيانه على تقوى من
الله ورضوان خير - الآية ، وعن سهل : من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى ، علم أولم يعلم ،
ومن كانت طعمته حلالا أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات ، أنظر [حى] . وفي [ثيق] وقد كان
سفيان الثوري رحمه الله يقول : أكل الحرام يضر ، ولو لم يعلم به آكله كما أن السم يضر ولو لم يدرك آكله ،
فأعلم ذلك اه . وعن بعضهم : الطعام يذر الأفعال إن دخل حلالا خرج حلالا ، وإن دخل حراما
خرج حراما ، وإن دخل شبهة خرج شبهة . وقال بعضهم : استسقيت جنديا فسقاني شرية فصارت قسوتها
في قلبي أربعين صباحا . وقيل لإبراهيم بن أدهم ، ألا تشرب من ماء زمزم ؟ فقال لو كان لي دلو لشربت .
إشارة إلى أن الدلو من مال السلطان ، فكان شبهة . وقال زيد بن ثابت : لا شيء أسهل من الورع إذا رايتك
شيء فدعه وهذا سهل على من سهل الله عليه صعب على كثير من الناس أثقل من الجبال اه :

قلت : نقد صدق ونصح قال تعالى - ولا ينفمكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد
أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون - (أساس) كسحاب أصل كل شيء (التقي) منحصر ومنطوي في
(لقمة) بضم اللام وتفتح ما يهيا لقم والابتلاع (وبخلطة) وكان سيدنا أبو الفيض رضي الله عنه وعنايه
آمين يقول : أصل كل خير الخلطة واللقمة كل ما شئت ففعله تعمل وخائظ من شئت ففعله تفعل كما مر
عن [جه] . وفي [حى] إن بعض السوء دفع طعاما إلى بعض الأهدال فلم يأكل ، فسأله عن ذلك فقال :
نحن لانا كل إلا حلالا فلذلك نستقيم قلوبنا وبدوم حالنا ونكشف المسكوت ونشاهد الآخرة ، وأو
! كلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا ، فقال
له الرجل إني أصوم الدهر وأختم القرآن في كل شهر ثلاثين مرة ، فقال له البذل : هذه الشربة التي رايتني
شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين خزمة في ثلاثمائة ركعة من أعمالك ، وكانت شربته من لبن ظهية

وحشية وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نتعفف عن أطعمة الناس جهلنا فإن اللقمة تؤثر في كل آكل بحسب درجته ، فأثرها في المؤمنين أعمال مدمومة لم يكن لهم بها عادة ، وأثرها في الكاملين كثرة الخواطر التي لا منفعة فيها ، وأثرها فيمن هو أعلى من ذلك لا يعرفه إلا صاحب تلك الرتبة اه .

ولا يخفى عليك يا أخى إذا جرى عليك المقدور وأكلت ما لا ينبغي أكله مما للشرع عليه اعتراض فينبغي إلقاؤه ، انتهى كما وقع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه والله غفور رحيم اه . وفي [غص] وسألته رضي الله عنه عن الأكل من أطعمة الناس الذين بيننا وبينهم صداقة ؟ فقال لا تأكل لأحد شيئا ولو صدقاً إلا إذا علمت الحل في طعامه وعلى ذلك يحمل قوله تعالى - ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آباءكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم - الآية ، فيقيد هذا الإطلاق بالحل في طعامهم والله أعلم اه .

قلت : لقوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حللاً لا طيباً - والقرآن بقيد بعضه بعضاً وكذلك حديثه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفيها وسعته بقول « عليكم بإصلاح الطعمة ما استطعتم فإنها أساسكم التي يتم لكم بها دينكم وأعمالكم الصالحة فإن كنتم متجردين عن الأسباب فاقبوا كل ما أرسله الحق تعالى إليكم من غير سؤال ما عدى الذهب والفضة والثياب الفانخة ، وإذا بلغ أحدكم مبلغ الرجال أطلع الله تعالى على موضع كل لقمة من أين جاءت وعلى من يستحق أكلها من الناس ، كالبناء لكل طوبة عنده مكان يضعها فيه اه . قال رحمه الله :

(فوائدٌ صحيحةٌ كففع برؤوة وجاه وعلم واعتناء لدعوة)

(فوائد صحيحة) وهي عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة. وفي [نخل] عن أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله: الصحبة على وجوه فالصحبة مع الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه والرضا بقضائه والصبر على بلائه والشفقة على خلقه، والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنة واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجه وذريته ومجانبة مخالفته فيما دق وجل، والصحبة مع أولياء الله بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن أنفسهم وعن مشايخهم والصحبة مع الساطن بالطاعة إلا أن يأمر بمعصية أو بمخالفة سنة فلا سمع ولا طاعة والدعاء له بظهر الغيب والنصيحة له في جميع أموره، والصحبة مع الوالدين ببرهما بالنفس والمال ونحوتهما في حياتهما والدعاء لهما في الحياة وبعد الممات وإكرام أصدقائهما، والصحبة مع الأهل والولد بالمدارة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والأدب وحملهم على الطاعات، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر وبدل المعروف ونشر المحاسن وسر القبايح وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغى والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه ، والصحبة مع العلماء بملازمة إكرامهم وقبول قولهم والرجوع إليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ما عظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفاء نبيه صلى الله عليه وسلم ووارثيه، والصحبة مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث وإظهار السرور ورؤية فضله واعتقاد المنة له حيث أكرمه بدخول منزله وتناول طعامه ، وقال بعضهم :

من دعانا فأبينا فلسه الفضل علينا
فإذا نحن أنينا رجع الفضل إلينا اه يخ

وفي [هـ] وقد قسموا الصحبة إلى ثلاثة أقسام : صحبة من هو أعلى وهي في الحقيقة خدمة له ، وصحبة من هو أدنى وهي تقضى على المتبوع بالشفقة والرحمة وعلى التابع بالوفاق والرحمة ، وصحبة الأكفاء والنظراء وهي مبنية على الإيثار والفتوة والتغاي أي التغافل عن زلات الصديق ، فإن ذلك من مقتضيات الأخوة على حد ما قيل :

ليس الغني بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغاني

وفي [حـ] ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية ، أما الدنيوية فكما لا تنتفع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة : إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ، ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد من العبادة ، ومنها الاستفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ، ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ، ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة ، انظره . وفي [ثـ] أخذ علينا العهد أن نخالص الصحبة لله تعالى عز وجل في حق كل من صحبناه من الخلق فإن من صحب أحدا أهله زالت صحبته بزوال تلك العلة ، ومقصود الفقراء في جميع أمورهم الدوام لا الانقطاع . وقد ذكرنا من العلل الخفية المفعولة من الجهلة صحبتنا لإنسان بقصد اثواب على ذلك في الآخرة أو أن يأخذ يدينا هناك ونحو ذلك ، بل تقصد وجه الله تعالى بالصحبة كما قال تعالى - إنما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - وإن كان ولا بد من العلة فلتسكن العلة بحكم التبع لا بالقصد الأول كما أننا نعبد الله عز وجل امتثالاً لأمره لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته ، وأما صحبتنا لإنسان بقصد انتفاعه هو بذنا فقيه رائحة دعوى رياسة عليه إلا إن كنا نرى نفوسنا دونه - انظره (كنز بثره) بفتح مثله كثرة المال . وفي [جـ] « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » . وفي [غـ] وأما السعي في منافع الإخوان فهو من أخلاق الأولياء والصالحين ، وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه عن بعض رجال الطيقات أنه كان يقول : سعى الإخوان في الدنيا يكون لإخوانهم لا لأنفسهم اه . قال الشعراني رضي الله عنه : ولما حججت سنة كذا جعلت دعائي حول البيت وفي البيت وفي مواضع الإجابة كله لإخواني . قال : لأن الفتوة أن يقدم الإنسان حظ إخوانه ويؤخر حظ نفسه ليكون الحق تعالى في حاجته بالقضاء والتيسير ، والحمد لله رب العالمين اه . الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه . ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته اه . وفي [حـ] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى » وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان إنما تتم أخوتهم إذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد ، وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاثة مراتب : أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سئحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيتها ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلك حتى تسمح بمشاطرته في المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين . ثم قال :

ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغي أن لا تعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنيالك وإنما أراد من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله - وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون - أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز أحدهم رحله عن بعض ، وكان منهم من لا يصحب من قال تعالى لأنه أضافه إلى نفسه . وجاء فتح الموصلي إلى منزل لأخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاهما فقال : إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل ، انظره . ثم قال : وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت ، فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا ، فدخل الحسن فقال يا مويلك هكذا كان لا يحترق بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك ، وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صديقكم - وقال - أو ما ملككم منكم - إذ كان الأخ يدفع مغانج بيته إلى أخيه ويفوض التصرف كما يريد وكان يتخرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية ، وأذن لهم في الانبساط في بيوت الإخوان والأصدقاء انظره . وفي [عفا] ومن أدهم أن لا يرون أنفسهم ملوكا يختصون به . قال إبراهيم بن شيبان : كنا لانصحب من يقول تعالى ، ثم قال أحمد بن القلانسي : دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة فأكرموني وبخافوني ، فقلت يوما لبعضهم : أين إزارى ؟ فسقطت من أعينهم . وكان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه إنسان شارطه على ثلاثة أشياء : أن تكون الخدمة والأذان له وأن تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيدته ، فقال رجل من أصحابه أنا لأقدر على هذا ، فقال أعجبني صدقت ، وكان إبراهيم بن أدهم ينظر البساتين ويعمل في الحصاد وينفق على أصحابه . وكان من أخلاق السلف أن من احتاج إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله تعالى - وأمرهم شورى بينهم - أي مشاخ هم فيه سواء اه . وفيه : وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا حرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صديقكم - قيل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وأكلوا ، فدخل سفيان ففرح ، وقال : ذكرتموني أخلاق السلف ، هكذا كانوا ، انظره . وفي [هب] وسمعت رضى الله عنه يقول : كان لبعض المريدين أخ في الله عز وجل فمات ذلك الأخ وبقي المريد فجعل إذا فتح الله عليه بشيء يقسمه بين أولاده وبين أولاد الأخ في الله ، وكان لهذا المريد أرض مع إخوانه فبيعت عليهم من جانب الخزن ظلما ، فلما أخذوا ثمنها كان نصيب المريد منها أربعين مثقالا سكة زمانا ، فقال له إخوانه مات فعل بدراهمك ؟ فقال أقسمها بيني وبين أولاد أخي في الله ، فاستحقوه وقالوا ما رأينا مثلك في نقصان العقل ، تسبب بدراهمك واشتر بها كذا راصنع بها كذا ، واثرك عليك هذه الخدمة التي أنت مشغول بها ، فأرادت نفسه أن تميل إلى قولهم فقال لها : يا نفسي مات قولى لله عز وجل وإذا وقفت بين يديه غدا حيث يقول لك رزقتك أربعين مثقالا فاستأثرت بها وضيعت حق الأخوة فالיום أضيعك كما ضيعتها ، فوفقه الله فقسم الدراهم بينه وبين أولاد أخيه ، فلما خرج من عندهم فتح الله عليه وأعطاه مالا عينا رأته ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وجعله من العارفين لصديق بيته ولصدقة عزه ونفوذه جزمه ، والله الموفق اه . وفي [عم] وقد أجمع

أهل للطريق هل أن أقل مراتب الأخوة في الله تعالى : أن أخاه لو طالب نصف ماله أو ما بيده من ثياب وطعام وغير ذلك لأعطاه له بانشرح صدر . وقالوا اك من ادعا أنه أخوك فزته بهذا الميزان ، انظره :
ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

إني أقول من المحال وجود من تسخو سريره بنصف المال
إني بلوت فلا أرى من يسمح بالمشي من مال له بالبال
لكن ترى من قد يعنى بقلعه وبكل ما يعطى من الأموال
من شك في ذا فليجرب هل يرى في الوقت من يعطيه للمتعال

(وجه) أي وكنتفع بجاه وهو القدر والمنزلة . وفي [عف] ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للإخوان والمسلمين كافة ، فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتنا وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة في إصلاح ذات البين ، وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ، ولا يصلح ذلك إلا لصوفي تام الحال عاظم راني .
وروى عن زيد بن أسلم أنه قال : كان نبي من الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس ، انظره . ثم قال سهل بن عبد الله : لا يستحق الإنسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال : يصرف جهله عن الناس ، ويحتمل جهل الناس ، ويترك ما في أيديهم ويبذل ما في يده لهم وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التي زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه ، وإنما هذه رياسة أقامه الحق فيها لإصلاح خلقه ، فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى ، انظره . وفي [هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نقبل هدية ممن شفعا فيه عند ظالم بل تردا عليه جزما ، فإن علمنا كسر خاطره بذلك قبلناها وفرقناها على شوايخ المسلمين ، ولا نذوق منها شيئا إن كانت طعاما ولا تلبسها إن كانت تلبس ولا نشمها إن كانت تشم ولا غير ذلك ، وهذا العهد قد كثرت خيانتته من طائفة الفقراء الذين يشفعون في الناس عند الأمراء أو الكشاف ومشايخ العرب وهو جهل وقلة دين ولا سيما هدية الفلاحين فإن تحتمل ألف بلية وتأمل لولا شفاعتك ما أتاك ذلك الفلاح بشيء وكلم له سنة وهو يسمع بك فلا يعطيك شيئا ، ثم من أقبح ما يقع فيه الشافع الحب للدنيا أنه إذا استحل قبول الهدايا يصير يشفع لأجل ذلك ويعدم الإخلاص فيعدم الأجر في الآخرة من ثبوت الأقدام على الصراط ونحو ذلك مما ورد ، انظره . وروى أبو داود : من شفّع شفاعة لأحد فأهدى له هدية عليها فقباها فقد أتى بابا عظيما من الكبائر وفي البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال « اشفعوا تؤجرو ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء » انظره وأخبرني من أثق به أنه شفّع للمض عند بعض الولاة في دفع ما وظيف عليه من الدراهم وأخذ بطاقة تبرئه من ذلك ، فرأى في ليلة كأن جلد بغل ميت وضع أمامه يقطع منه قطعا ويدفعها لذلك الوالي ، فلما انتبه استغفر الله تعالى وذهب من ذلك ، ولذا كتب رحمه الله ورضي عنه لمن استشفّع به من الإخوان في مسجون عند بعض الولاة جبر الله حالنا وحالهم وغفر لنا ولهم آمين :

واعلم أخي يقينا غير منهم أن ليس جاه لغير الدرهم الحسن
وإن شككت فجرب صدق قول أخ قد جرب الأمر عند قادة الزمن

ولا ينبغي لعاقل فضلا عن فاضل أن يتصدر للشفاعات عند ذوى الولايات والرياسات فإنها من الرزايا والبلايا ، ولا تسلم عاقبة من أخذ تلك الرايات ونصب نفسه لتلك البليات - قل هل تلبسكم بالأخسرين أعمالا - الآية - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - (وعلم) أى وكفيع بعلم لإفادة واستفادة : وفي [حتى] فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال ، فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا ، فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة ، انظر د . وفي [جع] وليعمل بعضا من أوقاته فيما يجرى على يديه من النفع لعباد الله لا عموما بل خصوصا الأقرب فالأقرب من غير إفراط ولا تفريط ، وليكن شديد الاهتمام في حقوق إخوانه في طريقته التي لا يمكنه التأخر عنها ولكن ملازمة الواجب منها فقط من غير أن يجعلها همجيرا ، فإن لكل عاقل أوقاتا يخلو فيها بربه لا يمكنه التأخر عنها والاشتغال عنها وأوقاتا يجالس فيها إخوانه في الطريقة لله تعالى للتذكير أو تعليم أو استفادة مما لم يكن عنده من العلم من غير إفراط ولا تفريط ، ثم ليتحين مع الله الأوقات الفاضلة كوسط الليل بعد نوم الناس إلى طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء هاما في ذلك بالتسديد والتقريب في معرفة ما يقدر عليه ولا يوجب للنفس كسلا وضمجرا جاريا على حد قوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وبشروا ولا تنفروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة »^(١) وقوله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الدين متين فتوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله فإن المنبت »^(٢) لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى الحديث ، وقوله صلى الله عليه وسلم « خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يعمل حتى تمهلوا » ويحذر كل الحذر من المجالس وما أخذ العلم التي تؤدي إلى الدخول في مداخل العامة أو الأحوال الخزنية فإن من تبسع ذلك لا يفلح لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وليكن اهتمامه في الأخذ في خاصة نفسه ولا يجعل لإخوانه في منافعهم إن أهل لذلك إلا ما فضل عن أوقاته . قال مالك رضي الله عنه : وقد سئل عن طلب العلم وقال : حسن ولكن اعرف ما يلزمك من صباحك إلى مسائك فالزمه فإنه أكد على لوازم الشخص في خاصة نفسه من الأمور التي يطالبه الله بها ولا يسامحه في تركها ، ومن أعرض عن ذلك متعللا بطلب العلم فقد خسر الدنيا والآخرة ، والقول الحق في ذلك فليس لك إلا الله سبحانه وتعالى فلا تشتغل عنه بغيره ولا تجعل لنفسك سواه متتبعها ولا إلى الإعراض عن بابه تعللا ولا عن الانحياش إليه في الشدائد والمضايق والكروب ملجأ ، ولا في الرخاء وتواتر النعم عن مراعاة شكره مصرفا ، وليكن الأمر في ذلك جاريا على قول أبي العباس المرسى : وأوقات العبد أربعة لأخامس لها : وهي إما أن تكون في وقت نعمة ففقتضى الحق منك وجود الشكر ، أو تكون في وقت شدة ففقتضى الحق منك وجود الصبر ، أو تكون في وقت معصية ففقتضى الحق منك وجود التوبة ، أو تكون في وقت طاعة ففقتضى الحق منك شهود المنة وهذه الحدود التي ذكرها فيها استغراق أوقات العبد كلها وهي المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم « من أعطى فشكر وأبطل

(١) (قوله الدلجة) يضم دال ويفتحها كفرة ونقرة : السير أول الليل اهـ

(٢) (قوله المنبت) يضم ميم وسكون نون وفتح موحدة وتشديد فوقية نأى المنقطع في سفره لسكونه أجهد دابته اهـ

فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر ، ثم سكنت صلى الله عليه وسلم حتى قال له بعض الجالسين ماذا له يا رسول الله ؟ قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » أراد بقوله صلى الله عليه وسلم « لهم الأمن » يعني الأمن من هذاب الله في الآخرة » وهم مهتدون » في الدنيا ، وليكن في جميع ما ذكرناه خالصا لله لا يخالطه شيء من غير الله تعالى ، وهذه النصيحة لأصحاب المحجابين من السالكين أما من صفت له المعارف حتى رسخت قدمه فيها فهو ما يعطيه وقته وحاله ومقامه وتجليه ليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار ، انظره . وفي [ج ه] وينبغي لك يا أخى أن لا تطلب من العلوم إلا ما تكمل به ذاتك وينتقل معك حيث انتقلت وليس ذلك إلا العلم بالله تعالى من حيث الوهب والمشاهدة ، فإن علمك بالطب مثلا إنما يحتاج إليه في عالم الأسقام والأمراض فإذا انتقلت إلى عالم مافيه سقيم ولا مريض ، من تداوى بذلك العلم ؟ ، فقد هلمت يا أخى أنه لا ينبغي للعاقل أن يأخذ من العلوم إلا ما ينتقل معه إلى العرش دون ما يفارقه عند انتقاله إلى عالم الآخرة ، وليس المنتقل معه إلا علمان فقط العلم بالله عز وجل والعلم بمواطن الآخرة حتى لا يشكر التجليات الواقعة فيها ، ولا يقول للحق إذا تجلى له تعوذ بالله منك ، فينبغي لك يا أخى الكشف عن هذين العلمين في هذه الدار لتجنى ثمرات ذلك في تلك الدار ، ولا تحمل من علوم هذه الدار إلا ما تمكن الحاجة إليه في طريق سيرك إلى الله عز وجل هل مصطلح أهل الله تعالى ، وليس طريق الكشف عن هذين العلمين إلا بالخلوة والرياضة والمجاهدة والحب الإلهي ، انظره (واغتنام) من اغتنام الشيء عده غنيمة (لدعوة) بصلاح الحال والمآل ، وما ينبغي لك أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق أن تعتنى بالدعاء لكل أخ في الله حيا وميتا حاضرا أو غائبا بكل ما تحبه لنفسك ولاهلك فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك » وفي لفظ آخره يقول الله عز وجل لك أبدأ يا عبدي » ولقوله صلى الله عليه وسلم « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب لا ترد » وكان أبو الدرداء يقول : إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم . انظر [حى] وفي [جص] « دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك بمثل ذلك » قال الحنفى : وتختلف الإجابة لعائق من عدم أكل الحلال وعدم صدق نية اه : أى وعدم التوبة ورد المظالم ، وفي الحديث « أفى يستجاب لأحدكم ومطعمه حرام ومشربه حرام ومسكنه حرام وملبسه حرام » أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، وفيه « استكثر من الناس من دعاء الخير لك فإن العهد لا يدري على لسان من يستجاب له » اه ، أى أو يرحم . ومرت قضية معروف الكرخى مع من قال : رحم الله من دنا وشرب منى فتقدم وشرب منه مع أنه صائم رجاء إجابة دعوته وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا ننسى إخواننا في الدعاء لهم بظهر الغيب كلما وجدنا في قلوبنا حلاوة للإجابة وفاء بحقهم ، وليكن الدعاء لهم من غير تمجيد على الحق تعالى في حصول شيء معين لهم إلا إذا طلبوه ، وذلك لأن الله تعالى أعلم بمصالحهم وما يستحقونه في هذه الدار من المراتب وغيرها منا ومنهم ، وكان سيدى على الخواص يقول : أكثروا الدعاء لإخوانكم في هذا الزمان واسألوا لهم باسم الله اللطيف وأخوانه كالغيث والرحيم والغفار والحنان ، وأن أهل حضرات الأسماء قد استندارت إلى الغروب والله سميع عليم اه . وأخبرني من أثق به أنه قال : ما خطر ببالي أحد من الإخوان إلا ودعوت له بخير الدنيا والآخرة وأحببت له ما أحب لنفسى ، إلهاما

من الله تعالى فله المنة وله الحمد في الأولى والآخرة . وفي [عَف] ومن المستحب أن يودع إخوانه إذا أراد السفر ويدهوهم بدهاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال بعضهم : سمعت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة ، فلما أردت مفارقتهم شيعني وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان لابنه يا بني إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه وإلى استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أراد أحدكم سفر أفليودع إخوانه فإن الله تعالى يجاعل له في دعائهم البركة » وروى عنه عليه الصلاة والسلام أيضا « أنه كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت » ويلبني أن يعتقد إخوانه إذا دعى لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه ، فقد روى أن عمر رضي الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك ، فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين إنني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به ، فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة ، فقلت استودع الله ما في بطنك ، فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت فجلستنا نتحدث فلما نار تلوح على قبرها ، فقلت للقوم ما هذه النار ؟ فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة ، فقلت والله إنها كانت صوامع قوامه ، فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا وإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب ، فقيل إن هذا وديعتك ولو كنت استودعنا أمه لوجدتها ، فقال عمر : هو أشبه بك من الغراب بالغراب ، انظرو . قال رحمه الله :

(وَمِنْهَا التَّعَاوُدُ التَّعَاوُنُ فِي التَّقَى وَمِنْهَا انْفِتَاحُ أَعْيُنٍ لِلْبَصِيرَةِ)

(ومنها) أي ومن فوائد الصحبة والأخوة في الله (التعاضد) من تعاضد القوم تعاونوا (التعاون) تأكيد لما قبله وتفسير له (في التقى) قال الله تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان - وفي [عَف] ويقع بطريق الصحبة والأخوة التعاضد والتعاون ، وتقوى جنود القلب وتستروح الأرواح بالتشام وتتفق في التوجه إلى الرفيق الأعلى ، ويصير مثالا في الشاهد كالأصوات إذا اجتمعت خرقت الأجرام وإذا تفردت قصرت عن بلوغ المرام . وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن كثير بأخيه » وقال الله تعالى مجبرا ممن لا صديق له - فما لنا من شافعين ولا صديق حميم - ثم قال : وقال عمر : إذا رأى أحدكم ودأ من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك : وقد قال القائل :

وإذا صني لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد انظره

وفيه : وهكذا كان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويحتجون على المصالح الدينية ومواساة الإخوان بالمسال والبدن اه ، وفيه : وأما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئا ولم يلق طعم المعاملة ولم يتقنه لنفائس الأحوال أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمته ، ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله إليه فتشمله بركة ذلك ، ويعين الإخوان المشغولين بالعبادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمنون إخوة يطلب بعضهم إلى بعض الخواص يقضي الله حاجاتهم يوم القيامة » فيحفظ بالخدمة عن البطالة التي تميمت القلب ، والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق المواجهات فكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ، ولا يرون استخدام من لبس من جلستهم ولا متطلعا إلى الاهتمام بهم ، ثم قال : فالقوم يكرهون خدمة الأغيار ويأبون مخالطتهم أيضا فإن من لا يحب

طريقهم ربما استضر بالنظر إليهم أكثر مما ينتفع فلانهم بشر ، وتبدو منهم أمور بمقتضى طبع البشر
ويذكرها الغير لقله عامه بمقاصدهم ، ليسكون إياهم موضع الشفقة على الخلق لامن طريق التعزل
والترفع على أحد من المسلمين ، والشاب الطالب إذا خدم أهل الله المشغولين بطاعته يشاركهم في الثواب
وحيث لم يؤهل لأحوالهم السنية يخدم من أهل لنا فخدمته لأهل القرب علامة حب الله تعالى انظره .
وفي [جص] « المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوظه من ورائه » اهـ .
ومما ينبغي للإنسان أن يعتني بقضاء حاجات إخوانه وتفقد أحوالهم ، لكن مع بشاشة واستبشار وإظهار
فرح وسرور بلامن ولا أذى ، ورحم الله من قال :

تفقد الخلال (١) مستحسن فن يدها فنعما بدا
سن سايان لنا سنة فكان فيما سنه المقتدا
تفقد الطير على رأسه فقال مالي لا أرى الهددا

وفي [عف] عن رؤيم : لا يزال الصوفية بخير ما تناقروا ، فإذا اصطلمحوا ملكوا . وهذه إشارة من
رؤيم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض إشفافا من ظهور النفوس يقول : إذا اصطلمحوا أوزعوا
الناقرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن المساهلة والمرآة ، ومساحة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم ،
وبذلك تظهر النفوس وتستولي . وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدي
إلى عيوني ، انظره . وفي [حى] قال بعضهم : إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية
فلعله أن يكون قد نسي ، فإن لم يقضها فكبر عليه وأقرأ هذه الآية - والموتى ببعضهم الله - ثم قال :
وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويقرد كل يوم إليهم
ويموتهم من ماله ، فكانوا لا يفتقدون من أبيهم إلا عينه ، بل كانوا يرون منه مالم يروا من أبيهم في
حياته ، وكان الواحد منهم يقرد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت ؟ هل لكم ملح ؟
هل لكم حاجة ؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه ، وبه - لذا تظهر الشفقة والأخوة ،
فإذا لم تشعر بالشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها . قال ميمون بن مهران :
من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا وإن لله أوائى في أرضه
ومى القلوب فأحب الأوائى إلى الله تعالى أصفاه وأصلبها وأرقها » أصفاه من الذنوب ،
وأصلبها في الدين ، وأرقها على الإخوان ، ثم قال : ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة ،
بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد ، كان الحسن يقول :
إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا ، لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة ،
ثم قال : ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيل أو بحضور في مسرة دونه بل يتنقص لفراقه ويستوحش
بانفراده عن أخيه ، وفي قوله تعالى - رجاء بينهم - إشارة إلى الشفقة والرأفة ، انظره .

(ومنها) أى ومن فوائد الصحية والأخوة في الله (انفتاح) ضد الانغلاق (أعين) جمع عين
(للبصيرة) عقيدة القلب والفتنة . وفي [عف] وفائدة الصحية أنها تفتح مسام الباطن ويكتسب الإنسان
بها علم الحوادث والعوارض . قيل : أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفات ويتصلب الباطن برزين العلم

(١) قوله تفقد من السريم مطوون مكسوف .

ويمكن الصدق بطروق وهبوب الآفات ، ثم التخلص منها بالإيمان ، انظره . وفي [ع] بعد هذا النقل قلت ، ويريد بهذا والله أعلم أنه يتقوى نور الفراسة الإيمانية باستعداد البعض من البعض وسريان من البعض إلى البعض إذ من فوائد ما يسرى من الفاضل إلى المفضول من السر الباهر الذي هو منتهى القصد من الصحبة وغاية السؤل . وقد قيل من تحقق بحاله لم يخل حاضره منها ، وأحط الناس مرتبة في مقام الصحبة للأخبار المحب لهم فقط ، وكفاه إن لم يكن منهم أنه معهم لحديث « المرء مع من أحب » اهـ . ولذا قال رحمه الله :

(كَذَا سَرَيَانُ النُّورِ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الذِّكْرِ وَهُوَ مِنْ نَتَائِجِ صُحْبَةٍ)

(كذا) أى من فوائد الصحبة والأخوة في الله (سريان) يقال سرى عرق للشجر دب تحت الأرض (النور) من بعضهم لبعض (عند اجتماعهم) أى الإخوان الصادقين كأنهم على قلب رجل واحد إذ هم القوم لا يشق جليسهم (على الذكر) بأى نوع كان أو المداكرة في العلم النافع (وهو) يسكون الماء لغة : أى سريان النور من بعضهم لبعض (من نتائج) جمع نتيجة وهى ثمرة الشيء وفائدته (صحبة) وأخوة في الله . وذكر في [ع] أن المرید الصادق يبذل في أراضى القلوب بذر الفلاح ويكثر ببركة نفسه وصحبته أهل الصلاح وهذا مثل هذه الأمة الهادية في الإنجيل - كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه - تعود بركة البعض على البعض وتسرى الأحوال إلى البعض ، ويكون طريق الوراثة معمورا وعلم الإفادة منشورا وعن سيدى على الخواص رحمه الله ، وينبغى للمرید أن يذكر مع جماعة فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيرا في رفع الحجب ليكون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة ، ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة جماعة فكذلك فسوة القلب لا تزول إلا بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد لأذقوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد ، وأما من حيث الثواب فلكل ثواب نفسه وثواب سماع رفيقه اهـ . قال رحمه الله :

(وَمِنْهَا تَحْمَلُ الْأَذَى وَالْمَصَائِبَ وَمِنْهَا شَفَاعَةُ يَغْفِرَانِ زَلَّةً)

(ومنها) أى ومن فوائد الصحبة والأخوة في الله (تحمل) أى تكلف حمل واحتمال (الأذى) بفتحين وبمعجمة المسكروه من صدر من الإخوان . وفي [ع] ومن آداب الصوفية . القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم فبذلك يظهر جوهر الفقير . روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أمر بقطع ميزاب كان في دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفا والمروة ، فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بيده ؟ فقال إذا لا يردده إلى مكانه غير يدك ، ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر ، فأقامه على عاتقه ورده إلى موضعه . انتهى . وفيه : وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس . وقد قيل : لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل ، وجوهر العقل الصبر . ثم قال عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يحاط بهم ولا يصبر على أذاهم » وفي الخبر « أبعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟ قيل ماذا كان يصنع أبو ضمضم ؟ قال كان إذا أصبح قال : اللهم إني تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى ، فن ضربنى لأضره ومن شتمنى لأشتمه ومن ظلمنى لأظلمه » انظره . وفي [ح] قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الخوارى : إذا واخيت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فإنك لا تأمن من أن

ترى في جوابك ما هو شر من الأول. قال فجربته فوجدته كذلك. وقال بعضهم الصبر على مضض (١)
الأخ خير من معاتبته ، والمعاتبه خير من القطيعة ، والقطيعة خير من الوقعة . وينبغي أن لا يبالغ في
البغضة عند الوقعة. قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة - وقال عليه الصلاة
والسلام : أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك هوما ما ، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون
حبيبك يوما . انظره . ونقل أن سيدنا عليا رضي الله عنه وعنايه أمين كان كثيرا ما يذكّر أصحابه وجلالته
في استعمال حسن الأدب بقوله :

وكن معدنا للخير واصفح عن الأذى فإنك راء ما علمت وسامع
واحبيب إذا أحببت حبا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت تازع
وابغض إذا أبغضت بغضا مقاربا فإنك لا تدري متى الحب راجع
ورحم الله من قال :

إذا كنت لم تصبر على الذم من أخ بقيت فريدا لم تجد من تقاربه
وإن أنت لم تشرب مرارا (٢) على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معاليه
ومن قال : لا تظهرن لذي جهل معاتبه فرما هيئت بالشيء أشباه
بالماء يحمده حر النار بطفئها وليس للجهل غير الحلم لإطفاء
ترى السفينة له عن كل محملة زبح وفيه إلى التسفيه إصغاء
ومن قال : ما كنت مذكنت إلا طوع إخواني ليست مؤاخدة الإخوان من شأني
يحنى الصديق فأستحل جنابته حتى أدل على عفوى وإحساني
ويتبع الذنب ذنبا حين يعمرق هذا فأتبع غفرانا بغفران
يحنى على فأعفو صانعا أبدا لا فني أحسن من جان على جان

(و) تحمل (المصائب) والبلايا. وفي [غ] ومن فوائد الصحبة أيضا تحمل البعض من المتصاحبين
عن البعض في دار الدنيا ما ينزل بهم من المصائب والأحزان ، وتلقيهم للوارد عليهم منهم في البرزخ
بحسن البشر ومزيد الكرامة والبرور والإحسان اه . وفي [غص] وسألته رضي الله عنه عن الفقراء
الذين لا يتحملون شيئا من بلايا الخلق ويزعمون أنهم مسلمون لله ، هل هم أكمل أو الذين يتحملون البلايا
عن الناس ؟ فقال رضي الله عنه : الذين يتحملون أكمل لزيادتهم بتفهم للناس مع أن التحمل لا يتنافى
التسليم ، فقلت : له فهل يحمل للمتحملين للبلايا أن يأكلوا من مال من تحمّلوا عنه البلايا ؟ فقال نعم ، لأنه
كأنه يعمل على عمل معلوم من قضاء الحوائج ، بل هو من أجل المكاسب ، لأن صاحبه قد خاطر بالروح
في دفع ذلك البلاء ، والله تعالى أعلم اه .

(ومنها) أي ومن فوائد الصحبة والأخوة في الله (شفاعة بغفران زلة) أي شفاعته لبعضهم لبعض
في مغفرة الذنوب ورفع الدرجات في الجنة عند المولى الكريم قال تعالى - يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده
إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا - وقال - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - وقال في حق أقوام - فما

(١) قوله مضض مفتحين : كسب الأهل الحامض ووجع النصيبة . (٢) يكسر ميم جمع مرة اه .

لنا من شافعين ولا صديق حميم - وفي [حى] ومنها أى ومن فوائد الصحبة انتظار الشفاعة في الآخرة ، فقد قال بعض السلف : استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك : وروى في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - قال : يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ، ويقال : إذا خفر الله للعبد شفع في إخوانه ، ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد اه . وورد أن الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه ويقول عز وجل : أوليائي لم أزو عنكم الدنيا لهوائكم على ، ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيبكم عندي ، اذهبوا فاخترقوا الصفوف ، فمن سلم عليكم من أجل أوزاركم من أجل ، أو أطعمكم لقمة من أجل فخذوا بيده وأدخلوه الجنة ، فيأتون المحشرونهم يحرون أذيال الفخر ، فيقول أهل المحشر ياربنا ما بال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أنتم متم في الدنيا مرة واحدة ، وهؤلاء كان الواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرة [خل] وقد مر أن أحد الأخوين في الله إذا قيل له ادخل الجنة يسأل عن منزله أخيه فإن كان دونه لم يدخل حتى يعطى أخوه مثل منزله راجعه - لمثل هذا فليعمل العاملون - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وفي [جص] « المرء مع من أحب وله ما اكتسب » قال الحنفى : أى وله جميع ما اكتسبه المحبوب : أى مثل ما اكتسبه من الخير فمن أحب إنسانا كان له مثل عمله الصالح لأنه معه في درجته اه قال رحمه الله :

(ومنها تودد وإيثار إخوة بدين ومهجة ودنيا دنية)

(ومنها) أى ومن فوائد الصحبة والأخوة في الله (تودد) وتحب في الله وفي [جص] « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى التودد إلى الناس » . قال العزيزى : أى التحبب إليهم بفحو زيارة والمراد بالناس الصالحون اه . وفيه « رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة ومن كان له درجة في الجنة فهو في الجنة ونصف العلم حسن المسألة والاقتصاد في المعيشة نصف العيش يبقى نصف النفقة ، وركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط ، وماتم دين إنسان قط حتى يتم عقله ، والدعاء يرد الأمر ، وصدقة السر تطفى غضب الرب وصدقة العلانية تقي ميتة سوء ، وصنائع المعروف إلى الناس تقي مصارع سوء والآفات والمهلكات ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة والمعروف ينقطع فيما بين الناس ولا ينقطع فيما بين الله وبين من افتعله » وفيه « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداهى له سائر الجسد بالسهر والحمى » اه . فالأمر من السكامل ينبغي له أن يتألم لمصيبة تنزل بالمؤمنين كما يتألم الجسد لتألم بعض أعضائه . وفي [حى] قال خالد بن معدان : يقول الله عز وجل « أن أحب عبادى إلى المتحابون بحبى والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالمسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم » انظره : وفيه ، وقيل لابن السك : أى الإخوان أخلق ببقاء المودة ؟ قال الوافر دينة الوافى عقله الذى لا يملك على القرب ولا ينسك على البعد إن دنوت منه دهاك وإن بعدت عنه راحاك ، لا يقبضه عنك يسره وإن قطعه عنك عسره إن استغثته عضدك وإن احتجت إليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المودة من صديقه اه

(و) منها (إيثار) مصدر أثره أكرمه وقدمه على نفسه ، قال تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو

كان بهم خصاصة - وعنه صلى الله عليه وسلم « أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه غفر له » (أخوة) قال تعالى - إنما المؤمنون إخوة - وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نأمر إخواننا بالإكثار من إيثار إخوانهم وغيرهم على أنفسهم في المأكل والملبس وغير ذلك ليعتصروا على تحمل الشدائد ، وهذا مطلوب منهم ماداموا تحت حكم الطبع فإذا بلغوا مبلغ الرجال - موا نفوسهم على إخوانهم عملا بالعدل في تقديم الأقرب فالأقرب أو لأقرب إليك من نفسك وعلى ذلك يحمل قوله صلى الله عليه وسلم « ابدا بنفسك ثم بمن تعول » فالأمر درجات ، وإنما مدح الله المؤمنين على أنفسهم تشجيعا لهم ليخرجوا من حكم الطبع لأن ذلك أعلى ممن يبدأ بنفسه فليتأمل . ومن كلام سيدي أحمد بن الرفاعي رحمه الله تعالى : لا تصحب من يؤثر على نفسه فإنه لا يدوم فاعلم ذلك فإنه نفيس اه (هدين) أي عرايب الدين وبدرجة الآخرة وفي [هف] قال بعضهم : حقيقة الإيثار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فإن الدنيا أقل خطرا من أن يكون لأيثارها محل أو ذكر ، ومن هذا المعنى ما نقل أن بعضهم رأى أخاله فلم يظهر البشر الكثير في وجهه ، فأنكر أخوه ذلك منه فقال : يا أخي سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر ، انظره وفي [خل] أن الفقيه المعروف بابن الحميري جاء زيارة الفقيه إلى المعروف بالظهير التزمتي وكان إذ ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجيء الفقيه ابن الحميري لزيارته انقبض عن ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض ، فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يزد عليه شيئا ولم يكن كلامه له إلا جوابا ، فلما أن خرج رجع إلى ما كان عليه من البسط مع من حضره فستل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسي أن يكون مثل هذا السيد يزور مثل فأردت أن أكافئه ببعض ما يستحقه فوجدت نفسي عاجزة عن مكافأته فأثرته بالأجر كله حتى يكون في صحيفته دوني لما ورد « إذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه » فأثرته بذلك وهذا له أصل في الاتباع السنة المطهرة وهو ما روى « أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كنت إذا لقيت عليا ابتدأني بالسلام فلقبته اليوم فلم يسلم علي حتى ابتدأته بالسلام ؟ فقال له اجلس فجلس وإذا بعلي رضي الله عنه قد جاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم لم تهتدي ؟ أبا بكر اليوم بالسلام ؟ فقال يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم قصرا في الجنة لم أرمثله فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقبل لمن يهتدي ؟ أخاه بالسلام ، فأردت أن أوتر اليوم أبا بكر على نفسي » أو كما قال ، وهذا أعظم في الإكرام وأبر في الاحترام ، انظره (ومهجة) بضم الميم الدم أودم القلب والروح كما في [من] وفي [عف] قال سهل بن عبد الله الصوفي : من يرى دمه هديرا وماله مباحا . وقال رؤيم : التصوف مبني على ثلاث نوصال : التمسك بالفقر ، والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار . قيل لما سعى بالصوفية وتميزا بالحنيد الفقه وقبض على الشحام والرقام والنزري وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النوري فقيل له إلى ماذا تبادر ؟ فقال أوتر إخواني بفضل حياة ساعة ، نظره . ورحم الله من قال :

الجود بالمال جود فيه مكرمة والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وروى « أن سيدنا عليا رضي الله عنه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل ومكائيل عليهما السلام إنى أخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأبكما

يؤثر صاحبه بالحياة فاختر كلاهما الحياة فأوحى الله سبحانه إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب أنحيث بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب وربك يباهى بك الملائكة اه (ودنيا دنية) خسيصة المقدار عند الملك الغفار الحديث ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسق للكافر منها جرعة ماء وفي [عفت] ومن شرط الحب في الله إيثار الأخ بكل ما يقدر عليه من أمر الدين والدنيا . قال الله تعالى - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - فقله تعالى « لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا » أي لا يحسدون إخوانهم على ما لهم ، وهذان الوصفان بهما بكل صفو المحبة : أحدهما انتزاع الحسد على شيء من أمر الدين والدنيا ، والثاني الإيثار بالمقدور . وفي الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام « المرء على دين خليله ولا خير لك في محبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه » انظره . وفيه : ومن أخلاق الصوفية الإيثار والمواساة ، ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً وقوة اليقين شرعاً يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود . قال أبو يزيد البسطامي ^(١) : ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجاً فقال يا أبا يزيد ما أحد الزهد ؟ قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا ، فقال هكذا عندنا كلاب بلخ ، فقلت له وما أحد الزهد عندكم ؟ قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا . وقال ذو النون : من علامة الزهد المشروح صدره ثلاث : تفريق الجموع ، وترك المفقود ، والإيثار بالقوت . وروى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم النضير للأُنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم شيئاً من الغنيمة ، فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ، فأمر الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - » انظره . ثم قال : قال أبو حفص : الإيثار أن يقدم حظوظ الإخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة . وقال بعضهم : الإيثار لا يكون من اختيار إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف بن الحسين : من رأى لنفسه ملكاً لا يصح منه الإيثار ، لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الإيثار ممن يرى الأشياء كلها للحق ، فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك إليه يرى نفسه وبده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبه أو يؤديها إليه ، انظره . وفي [ثبوت] أخذ علينا العهد أن لا نرى نفوسنا أحق بما عندنا من المال والثياب والطعام وسائر ما نحتاج إليه من أمعة الدنيا من إخواننا المسلمين ، بل نرى الحق مشتركاً بيننا وبين جميع إخواننا ، ولكن كل من اشتدت حاجته منا أو من إخواننا كان أحق من الآخر ، كل ذلك عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ثم إنه لا يستطيع العمل بهذا العهد إلا من حقه التوفيق وخرج عن الطبع والله غفور رحيم اه . وفي [غ] وانظر ما ذكره من أن المرید لا ينبغي له أن يؤثر بفضله الشيخ ونحوها مما يخصه به كما قال الشيخ زروق رضي الله عنه : ومتى أعطاكم ما كؤلا أو غيره فلا تؤثروا به الغير ولا تشاركوا قريباً ولا بعيداً فيه ، فقد يكون جمع لكم فيه سر آفقت من المدد بحسب الشراكة فيه اه : هل هو مستغنى مما تقدم أولاً ؟ والظاهر والله تعالى

أعلم أن المرهدين المتواخين في الله تعالى الصادقين في طريق الإرادة موكلون في ذلك إلى ما تنتجهم لهم
أحوال محبتهم وصدقهم ، فلا يعترض على من امتنع منهم من الإيثار كما لا يعترض على من جنى إليه
فكل منهما على صواب بحكم ما أنتجته له حال صدقه ومحبتهم فافهم اهـ . وللبعض الإخوان رحمه الله
ورضى عنه :

إياك والإيثار يا مريد بفضل الشيخ بها مزيد
لما بها لك من الأسرار يسرى إليك النقص بالإيثار
وقبل إن ذاك موكل إلى ما أنتج الصدق بذاتك أعملا

قال رحمه الله :

(وَتَرْكُ الْمَرَاءِ وَالْجِدَالِ وَخُلْفِهِمْ وَتَرْكُ زِحَامٍ فِي حُطُوظٍ رَدِيَةٍ)

(و) من فوائد الصلحية والأخوة في الله (ترك المراء) بكسر الميم مصدر مراء جادله (والجidal)
عطف تفسير . وفي [عف] قال بعضهم : المجادل الممارى يضع في نفسه عند الخوض في الجدال أن
لا يفتح بشيء ومن لا يفتح إلا أن لا يفتح فما إلى قناعاته سبيل ، فنفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب
عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدلت باللين والرفق والسهولة والطمأنينة ، انظره . وفي [حص]
« إذا أخيت رجلا فلا تماره ولا تشاره »^(١) ولا تسأل عنه أحدا فعسى أن توافى له عدوا فيخبرك
بما ليس فيه فيفرق ما بينك وبينه وفيه « لا تمار أخاك ولا تمارحه ولا تعده موعدا فتخلفه » اهـ . وقال ميمون
ابن مهران : لا تمار من هو أعلم منك فإنه يجتاز عنك حاجه ولم تضره شيئا وقال لقمان لابنه : من لا يملك
لسانه يندم ، ومن يكثر المراء يشتم ، ومن يدخل مداخل السوء ينهم . بابني لا تمار العلماء فيمقتوك :
وقال مالك بن أنس رضي الله عنه : المراء يقسى القلب ويورث الضغائن ، وقال بلال بن مسعدة : إذا
رايت رجلا بالخوجا مماريا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته ، ولمعمر بن كدام يخاطب ابنه كدام :

إني منحتك باكدام نصيحتي فاسمع لقول أبي عليك شفيق
أما المزاحمة والمراء فدعهما خلقتان لا أرضاهما لصديق
إني بهوتهما فلم أخترهما لهما جار ولا لرفيق

وفي [حى] ومن ذلك : أى ومن حقوق الأخوة السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم
به أنتوك . قال ابن عباس : لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ريبض »^(٢) البهتة ، ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في
أهل البهتة « هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم ، لأن السكوت عن الحق أشد
على النفس من السكوت على الباطل ، وإنما الأجر على قدر النصب ، وأشد الأسباب لإثارة نار الحق
بين الإخوان المماراة والمنافسة فإنها عن التدابر والتقاطع ، فإن التقاطع يقع أولا بالآراء ، ثم بالأقوال
ثم بالأبدان . وقال عليه الصلاة والسلام « لا تدابروا ولا تهاضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد
الله إخوانا » المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم « وأشد الاحتقار المماراة
فإن من رد على غيره كلامه فقد نسب إلى الجهل والحمق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو

(١) قوله تشاره : يشديد المراء : لا تخاصمه اهـ . (٢) ريبض : ريبض كسب .

عليه ، وكل ذلك استحقاق وإيفاء للصدور وإباحاش . وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب وقال « فذروا المراء لقله خيره وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يهيج العداوة بين الإخوان » وقال بعض السلف : من لاحى الإخوان وماراهم قلت مروءته وذهبت كرامته . وقال عبد الله بن الحسن : إياك وبمارة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم . وقال بعض السلف : أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ظفر به واحد منهم فتركه ، وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة . وقد قال الحسن : لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل ، انظره .

(و) منها ترك (خلفهم) بالضم أى خلافهم إذ الخير كله في الائتلاف والشر كله في الاختلاف ، فالتألف من ائتلاف الأخلاق والأرواح لحديث «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها في الله ائتلف وما تناكر في الله اختلف » ورحم الله من قال :

إن القلوب لأجناد مجندة قول الرسول فمن ذا فيه يختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

ومن قال :

لعمرك ما الإخوان إخوان نطفة تصور في الأرحام في عالم الجسد
ولكنها الإخوان من كان وصفهم يطابق وصف الروح في عالم المدد

وفي [صف] ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والمرافقة مع الإخوان وترك المخالفة : قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشداه على الكفار رجاء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتودد والتألف من ائتلاف الأرواح على ما ورد في الخبر الذي أوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى - فأصبحتم بنعمته إخوانا - وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليمين تغسل إحداها الأخرى » وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيرا ، انظره . وفيه قال الجنيد رحمه الله : ماتوا في الله وامتزجوا أحدهما من صاحبه إلا لعله في أحدهما ، فالمواخاة في الله أصفى من الماء الزلال ، وما كان لله فالله مطالب بالصفاء فيه ، وكل ما صفا دام ، والأصل في دوام صفائه عدم المخالفة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمار أخاك ولا تمازجه ولا تعد موعدا فتخلفه » قال أبو سعيد الخراز : صفت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف ، فقبل له وكيف ذلك ؟ قال لأنى كنت معهم على نفسى ، انظره وفي [هم] واعلم أن من أقبح الصفات في الفقراء خصامهم بين الناس وتمزيقهم أعراض بعضهم بعضا ، وإن ادعوا أنهم تحت تربية شيخ كذبوا وشيخهم يرى منهم إلا أن يتوبوا ، وكذلك من أقبح كل قبيح خصام الظالم والمظلوم لشيخه إذا لم يطاوعه على غرضه الفاسد ، ومن فعل ذلك مع شيخه مقتله الله وطرده من حضرات الصالحين وربما هوقب بتركة التوبة حتى يموت على أسوأ حال ، وهذا المقت قد عم غالب الفقراء في هذا الزمان فقتلوا وصاروا أبدانا بلا أرواح ، فالله يلهيهم التوبة من ذلك بفضله وكرمه إن شاء الله تعالى ، ويهيب شيخهم عليهم وعلى سوء أدبهم آمين آمين انتهى .

وليعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وأفصح الصفات في الإخوان	تخاصم على الدين والفا
وأفطع الخلل بين الفقرا	تساب والشتم من بين الوري
وإن يكن من بينهم تداع	ليبت وال قلى بالاسترجاع
لأن ذا من أعظم المصائب	في الفقراء إذ هم كالأقارب
ثم الدين أهون عند الفقرا	من الوقوف عند باب الأمرا
والصلح في حقهم من القرب	فاسع للإصلاح تنل خير الرب
وإن يكن خصامهم لشيخهم	فهو أعظم الردى في حقهم
وذلك من علامة الحرمان	والطرد والإبعاد والخللان
وشيخهم منهم برى أبدا	إلا إذا تابوا وكل جددا
بارب وفق سائر الإخوان	إلى المسامحة والفران
والحلم والإغضاء والإيثار	والعفو والصفح عن الأوزار
بجاه سيد الورى محمد	صلى عليه الله دون عدد
وبأبي الفيض التجاني أحمد	عليه وأبل الرضى مجددا اه

(و) منها (ترك زحام) بكسر الزاى مصدر زاحمه ضايقه (في حظوظ ردية) والردى الضعيف من كل شيء . وفي [مع] وفي تحفة الإخوان والخللان في آداب أهل العرفان : وأما الآداب التي عاينها على الأخ في الطريقة في حق إخوانه : أن يكون محبا لهم كبيرهم وصغيرهم ، وأن لا يخصص نفسه بشيء دونهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، وأن يعودهم إذا مرضوا ، وأن يسأل عنهم إذا غابوا ، ويبذلهم بالسلام وطلاقة الوجه وأن يراهم خيرا منه وأن يطلب منهم الرضا وأن لا يزاحمهم على أمر دنيوى ، بل يبذل لهم ما فتح عليه به ، يوقر الكبير ويرحم الصغير ويعضدهم على ذكر الله تعالى وعبادته معهم على حب الله تعالى ، ويرغبهم فيما يرضى الله تعالى كافا عن عيوبهم مسامحا لهم فيما وقع منهم ، وليجعل رأس ماله مسامحة إخوانه ظاهرا وباطنا ، لا يمانهم على شيء صدر منهم ، يعادى من يعادهم ويحب من يحبهم ، يرشدهم إلى الصواب إن كان كبيرا ، ويتعلم منهم إن كان صغيرا ، لا يوسع على نفسه وهم في ضيق يخدمهم ولو بتقديم النعال لهم وأن يكون بشوشا لهم في مخاطبتهم ومحاورته اه . وفي [لائق] أخذ علينا اليهود أن لا نزاحم على شيء من الدنيا لما في المزاحمة عليها من توجير القلوب وتكدير النفوس لاسيا ما فيه رياسة كتدريس العلم وأخذ العهد على القرين . واعلم أن كل ما حصل لك بواسطة نزاع من الناس فهو دنيا فتأمل فإنها ميزان تطيش على الدر ، فإن أعمال الآخرة الصرفة التي لا يتخالطها دنيوى كصيام النهار وقيام الليل ووزن المال عن المديونين لا نزاع فيه ولا مزاحمة ، وما رأينا أحدا قط فعل ذلك فاشتكاها أحد أو حط فيه عند حاكم أو غيره أبدا ولولا محبة العبد لنفسه وحده في بلده ما شوش من أقبل عليه الناس وعظموه فيها أبدا . ولو أنه كان زاهدا في الدنيا لفرح بكل من ظهر في بلده واستمر هو . وقد قال الأشياخ : آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة : أى لأن تمام انقياد الخلق للفقير لا يكون إلا بعد تمام مجاهدته فهناك تحصل له الرياسة ، فيجب عليه أن يخرج عن حبها من حيث طبعه فافهم ومن كلام الشيخ أبى العباس الغمرى رحمه الله حب الرياسة يقطع الظهور ، فاعلم

فلك والله غفور رحيم اهـ . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

حب الظهور يقطع الظهورا ويجلب الآثام والنبورا
آخر ما يخرج من صديق حب الرياسة على التحقيق

وفي [خل] وعلامة المريد النظر إلى من هو دونه في الرزق وإلى من هو فوقه في عمل الآخرة ويتواضع ولا ينافس أهل الكبر والفخر والرياء والتكاثر ، ولا يأخذ ما أخذ لنفسه إلا بنية التقوى على دينه وإقامة فرائضه والاستغناء عن غيره ، ويدع جميع ما كان للناس من ذلك اهـ . قال رحمه الله :

(وَلَا بُدَّ مِنْ حُسْنِ ابْتِدَاءٍ وَمُنْتَهَى لِنَيْلِ جَمِيعِ مَا أُنِيَ فِي الْأُخُوَّةِ)

(ولابد) أى لالحالة ولا مندوحة (من) شرط (حسن ابتداء) الأخوة والصحبة في الله (و) شرط حسن (منتهى) أى انتهائها (لنيل) أى لإصابة وإدراك (جميع ما أُنِيَ) وورد من الفضائل والمزايا (في الأخوة) والصحبة في الله . وفي [عف] ثم إن اختيار الصحبة والأخوة محل وكل محل يحتاج إلى النية وإلى حسن الخاتمة . وقد قال عليه الصلاة والسلام في الخبر الطويل «سبعة يظلمهم الله تعالى ، فمنهم اثنان تحابا في الله فعاشا على ذلك وماتا عليه» إشارة إلى أن الأخوة والصحبة من شرطهما حسن الخاتمة حتى يكتب لهما ثواب المؤاخاة . ومتى أفسدا المؤاخاة بتضييع الحقوق فيهما فسد العمل من الأول قيل ما حسد الشيطان متعاونين على بر حسده متآخيين في الله تعالى متحابين فيه فإنه يجهد نفسه ويحث قبيله على إفساد ما بينهما . وكان الفضيل يقول : إذا وقعت الغيبة ارتفعت لأخوة انظره . وفي [حى] من حقوق الأخوة الوفاء والإخلاص ، ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإنما يراد للآخرة فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله «ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه» وقال بعضهم : قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ، ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم أكرم هجوزا دخلت عليه ، فقيل له في ذلك ، فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين «فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ، ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر ، حتى الكلب الذى على باب داره يلبغى أن يميز في القلب على سائر الكلاب ، ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فإنه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما قال الله تعالى - وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان يترغ بينهم - وقال مخبرا عن يوسف عليه السلام - بعد أن ترغ الشيطان بينى وبين إخوتى - ويقال ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما ، وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه ، وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ، ولذلك قال ابن المبارك : ألد الأشياء مجالسة الإخوان ، والانقلاب إلى كفاية المودة الدائمة هى التى تسكون في الله ، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ، انظره . قال رحمه الله :

(وَوَاسِ ذَوِي قَرَبٍ بَلَا مَنْ أَوْ أَدَى وَذَا الْوَصْفُ خَاصٌّ بِالْفُقُوسِ الزَّكِيَّةِ)

(وواوس) من واساه : أناله من ماله وجعل فيه أسوة ، ولا يكون ذلك إلا لمن كفاف فإن كان من فضلة

فليس بمواساة ولا سباحة ، وقد در القائل :

ليس العطاء من الفضول سباحة حتى تجود وما لديك قليل

وفي [حى] اعلم أن الناس ثلاثة : رجل تفتنع بصحبته ، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تنضرر به ولكن لا تنفع به ، ورجل لا تقدر أيضا أن تنفعه ، وتنضرر به ، وهو الأحمق أو السوء الخلق ، فهذا الثالث ينبغي أن تجتنبه . وأما الثانى فلا تجتنبه لأنك تنفع فى الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به ، وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، إن أظعننى فما أكثر إخوانك إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم ، انظره . وفى [جص] ، أشد الأعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ، والإنصاف من نفسك ومواساة الأخ فى المال ، قال الحنفى : والسنة تقديم الأقارب ، ثم الأصدقاء ، ثم الجيران ثم الفقراء ، وينبغى تقديم الأحرار من كل نوع من هؤلاء أه (ذوى) أى أصحاب (فقر) بفتح الفاء وبضم ضد الغنى . وفى [جص] للفقر أزين على المؤمن من العذار ^(١) الحسن على خد الفرس . وفيه : الفقر أمانة فمن كتمه كان عبادة ومن باح به فقد قلد لإخوانه المسلمين : وفيه : الفقر شين عند الناس زين عند الله يوم القيامة . وفيه ، الغنى : الإيأس مما فى أيدي الناس ، وإيالك والطمع واجتنبه فإنه الفقر الخاضر . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحب الفقر وقلة ذات اليد وكذلك نحب من كان يهله العسفة أيضا من الفقراء والمساكين والمستضعفين ونحب مجالستهم عملا بقوله تعالى - ولا نعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - وذلك لأن رحمة الله لا تفارقهم ، فنحهم ونجالسهم بحبة الله لهم ، وكذلك نحب الفقر لما فيه من كثرة سؤالنا للحق وتوجهنا إليه لعلنا نلقى أخرى ، وإيضاح ذلك أن حاجة العبد تذكركم بالله تعالى ، وعدم حاجته تنسبه الحق ، قال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وقال تعالى - وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أمرضتم - ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » أى لا يفضل عنهم من غداثهم ولا عشايتهم شئ . وذلك ليصيروا متوجهين إلى الله تعالى كل حين لا ينسون ، فانظر ما أشد شفقتك صلى الله عليه وسلم على أهل بيته ، ويقاس بأهل بيته غيرهم ، فوالله لو علم الإنسان قدر الفقر لقتله ليلا ونهارا . انظره . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء اهبرهم جلساء الله إلى يوم القيامة » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام » ومن أدعيتك صلى الله عليه وسلم : « اللهم أحيى مسكينا وتوفى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » قال المهروردى : لو سأل أن يحشر المساكين فى زمرة لكان لهم الفخر العظيم والفضل العظيم فكيف وقد سأل أن يحشر فى زمرة أه (بلام) على المنفق عليه بنحو أحسنت إليك وجبرت حالك ولولا أنا لم تكن ونحو ذلك مما عمت به البلوى فالحق رحمتنا بفضل ورضاء (أو أذى) له بأن تتناول عليه بسبب ما أعطيتك أو تخبر بإحسانك إليه من لا يجب اطلاعه عليه قال تعالى - الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى - الآية . وقد قيل : إذا صنعت صنعة فانسها . وفى الخازن قال عبد الرحمن بن يزيد : كان أبى يقول : إذا أعطيت رجلا شيئا وأريت أن سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه ، والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على إظهارها

(١) العذار ككتاب : السير الذى على خد الدابة من اللجام أه .

والمن بها . قال قائلهم في المدح بترك المني :

زاد معروفك عندي عظيما أنه عندك مستور حقير
تتناصاه كأن لم تأته وهو في العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يلزم المنان بالمعطاء :

أثبت قليلا ثم أسرعت مئة فبذلك بمنون لذلك قليل انظره

وفي مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم . قال : فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فقال أبو ذر نجابوا وخسروا من هم يارسول الله ؟ قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب . وفي رواية عنه : المنان الذي لا يعطى شيئا إلا منه والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل إزاره . أي المرخي له البحار طرفه خيلاء وكبرا . وفي [مب] ومنها أي ومن أضر الأقوال الامتنان والتحدث بما يفعله من الخير مع الشخص هل طريق المن دواؤه أن يعلم أنه يبطل الأجر قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى - وأن لا يرى أنه أوصل إليه مما كان في يده إلا ما هو له في علم الله وأن ذلك كان أمانة بيده ما كان له وقد أحسن الأخذ إليه بأخذ هذه الأمانة من يده وقد كان مخاطبا بأدائها بقوله تعالى - إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - وهو لم يعرف لمن قبل أخذه لها فيشكر الله على أدائها ، ومن أعطى هذا النظر فلا يصح منه أصلا انظره (وذا الوصف) وهو مواساة الفقراء والمساكين بلا من عليهم ولا أذى (خاص بأصحاب (النفوس الزكية) أي المطهرة من الأدناس ، ورحم الله من قال :

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وفي [عف] ومن أخلاق الصوفية الإنفاق من غير إقتار وترك الادخار ، وذلك أن الصوفي يرى خزان فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطئ بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء في قربه وراويته . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلا له ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » وروى أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد » . ثم قال : وروى أن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم كان يأكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ شيئا لغد ، فالصوفي كل نهباه في خزان الله لصدق توكله وثقته ، بربه فالدنيا للصوفي كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار . قال عليه الصلاة والسلام « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو نحاصا وتروح بطانا » انظره ، قال تعالى - ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض - . قال رحمه الله :

(وَدَارِ بَيْدَلِ الْمَالِ لَا تَكُ مُدْهِنًا وَلَا تُخَوِّجُنَ أَحَا لِمُدَّرٍ وَكَفَّةً)

(ودار) من المداراة وهي بدل المال لسلامة الدين (بيدل) بذلك معجزة أي بإعطاء (المال) لسلامة الدين والعرض لحديث «ذير»^(١) عن أعراسكم بأموالكم لكن عن طيب نفس لئلا يطعم إخوانه الحرام لحديث « لا يحمل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه » وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تأخذ من أحد مالا ولا تأكل له طعاما إلا إن علمنا طيب نفسه

(١) (قوله ذير) بضم ذال معجزة فعل أمر من ذب كرد اه .

بلا حلة ولا نية فاسدة تتبعه على ذلك من حب محمدة أو شهرة تذكره ونحو ذلك ، ونعرف طيب نفسه وعدم طينها بنور الكشف أو باحتفاف القرآن فإن القرآن إحدى الأدلة الشرعية فيحتاج من يريد العمل بذلك إلى سلوك على يد شيخ ناصح حتى يخرج به من أدواء الطمع وشره النفس ويصير يقدم أمر إخوته على دنياه ويؤخر رضا نفسه إذا عارضه رضا الله ، وما رأيت أحدا قام بهذا العهد مثل ما قام به سيدى على الخواص رحمه الله كانوا يأتونه بالأموال والأطعمة وفيها العلل فيردها فإذا قالوا له والله خاطرنا بها طيب يقول لم أنا خاطري بها ما هو طيب رضى الله عنه ، فعلم أننا نراعى حفظ أعمال إخواننا من الآفات ، كما نراعى أعمالنا ولا نساعدهم فيما ليس فيه أجر لم فنأخذ أموالهم ونأكل طعامهم المعلوم لأجل نفع نفوسنا ولا نلتفت لنقص رأس مالهم فن فعل ذلك فقد أساء على نفسه وعلى إخوانه والله غنى حميد اه . وفى [جص] « مداراة الناس صدقة » وفيه « رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة » ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة ، ويؤخذ منه الحث على مداراة الناس بكل ما أمكن من الإحسان إليهم وتحمل أذاهم وكف الأذى عنهم وملاطفتهم . وفى [عف] « ومن أخلاق الصوفية : المداراة واحتمال الأذى من الخلق ، وبإخ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة من قبله ، وإن بأصحابه حاجة إلى بعير واحد يتقوون به . وكان من حسن مداراته أن لا يلبس طعاما ولا ينهر خادما ، ثم قال : عن أنس قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعتته ولا لشيء تركته لم تركته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمداراة مع كل واحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق كافة من أخلاق الصوفية ، انظروه ، ورحم الله من قال :

ودرهم مادمت في دارهم وأرضهم مادمت في أرضهم
ومن قال : مادمت حيا فدار الناس كلهم فلما أنت في دار المداراة
من يدر دارى من لم يدر سوف يرى عما قليل ندبما^(١) للندامات

(لا تلك مداهنا) بذاك مهملة قال تعالى - ودوا لو تدن فيدهنون - وفى [س] المداهنة خلاف ما يضممر كالإدهان والغش اه وهى حرام لأنها نوع من النفاق . وفى [عف] ومن أدبهم في الصحبة المداراة وترك المداهنة ، وتشبه المداراة بالمداهنة ، والفرق بينهما أن المداراة ما أردت به صلاح أخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ما تكره ، والمداهنة ما قصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ أو إقامة جاه اه . وقيل : المداراة بذل المال لإصلاح الدين ، والمداهنة بذل الدين لإصلاح الدنيا ، ولذا قيل : المداراة من أخلاق الأبرار ، والمداهنة من شيم الأشرار . ولابن آدم رحمه الله :

نرفع دنيانا بشمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع
نطوي لعهد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

فقدار أخى ما دمت حيا فتغنيا
ولست ترى من قد يدارى بيومنا
ولا تارك ممن قد يداهن للمفت
ولكن ترى من قد يداهن في الوقت

(ولا نحوجن) بنون خفيفة من أحوجه إلى كلبا أقره إليه (أخا) في الله تعالى (لعذر) أى إلى الإتيان بعذر فيما صدر منه من زلة أو هفوة بل قابل ذلك بالحلم والاحتفال والعفو والإغضاء . وفي [عف] ومن أدهم أن لا يحوجوا صاحبهم إلى المداراة ولا يلجئوه إلى الاعتذار ولا يتكلفوا للصاحب ما يشق عليه ، بل يكونوا للصاحب من حيث هو مؤثرين مراد الصاحب على مراد أنفسهم . قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار أو تكلفت له . وقال جعفر الصادق : أثقل إخواني من يتكلف لي وأتخفظ منه ، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي ، انظره . وفي [حى] وقد قيل : يلغى أن تستنيط لزلة أخيك سبعين عذرا فإن لم يقبله قابلك فرد اللوم على نفسك ، فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلم تقبله ، فأنت المعيب لا أخوك : قال الأحنف : حق الصديق أن تحتل منه ثلاثا : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة . وقال آخر : ما شتمت أحدا قط ، لأنه إن شتمني كريم فأنا أحق من ضررها له ، أولئيم فلا أجعل عرضي له غرضا ، ثم تمثل وقال :

وأعرض عن شتم اللئيم تكريما انظره
ورحم الله من قال :

تخذ من خليلك ما صنى
فالعمر أقصر من معا
ودع الذى فيه الكدر
تبه الخليل على الغير

ومن قال :

حسب الأحبة أن يفرق بينهم
ريب الزمان فما لنا نستعجل

وفيه : ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره ، قال عليه الصلاة والسلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه إثم صاحب المكس » انظره . ورحم الله من قال :

إذا اعتذر الصديق إليك يوما
فإن الشافعى روى حديثا
تجاوز عن مساويه الكبيره
عن المختار أن الله يمحو
بإسناد صحيح عن المغيرة
بعذر واحد ألقى كبيره

وقال بعضهم : لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل عنك مؤونة نفسك ويكفيك مؤونة نفسه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

هذا أعز من الغراب الأعصم
هذا لعمري من المحال وجوده

وفي [جص] « من أتاه أخوه في الدين متصلا فليقبل ذلك منه محقا أو مبطلا ، فإن لم يفعل لم يرد على الخوض » وفي [س] تنصل إليه من الجناية خرج وتبرأ اه ورحم الله من قال :

اقبل معاذير من بأتيك معتذرا
لقد أطاعك من يرضيك ظاهره
إن ير عندك فيما قال أو فجرا
وقد أجلك من يعصيك مستترا

ومن قال :

وهبني مسيئنا كالذي قلت ظالما
فإن لم يكن للعفو عندك للذي
فعموا جيلا كي يكون لك الفضل
أتيت به أهلا فأت له أهل

ومن قال :

إذا شئت أن تدها حكما مهذبا
إذا ما بدت من صاحبك زلة
حليما سريا ماجدا فطنا حرا
فيكن أنت محتالا لزلته عذرا

ومن قال :

إذا اعتذر الصديق إليك يوما
فصنه عن عتابك وأعف عنه
من التقصير عذر أخ مقر
فإن العفو شيمة كل حر

ومن قال :

إذا اعتذر الجاني بما العذر ذنبه
وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

(وكافة) أي ولا تحوجن أخاك أيضا إلى ما فيه كلفة ومشقة للحديث « المؤمن يسير المؤنة » أي قليل الكلفة على إخوانه . وفي [عف] ومن أخلاق الصوفية : ترك التكلف وذلك لأن التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس وذلك يبين حال الصوفية ، وفي بعضه خفي منازعة للأقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار ، ويقال التصوف ترك التكلف ، ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأوى الصديقين . روى أنس بن مالك قال « شهدت وليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها خبز ولا لحم » أنظره : وفي [حى] وقال الفضيل : إنما تقاطع الناس بالتكلف ، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطع ذلك عنه ، وقال الجنيد ماتوا أخى اثنان في الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش لإلحمة في أحدهما ، وقيل لبعضهم : من نصحب ؟ قال من يرفع عنك ثقل التكلف ؟ وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ ، وكان جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما يقول : أثقل إخواني على من يتكلف لى وأتخفظ منه ، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي . وقيل : من سقطت كلفته دامت ألفتة ومن خفت مؤنته دامت مودته . وقال بعض الصحابة : إن الله لعن المتكلفين . وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا وأتقياء أمتي برءاء من التكلف » وقال بعضهم : إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به إذا أكل عنده ودخل الخلاء وصلى ونام ، أنظره وفيه : ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسى* الظن بنفسه ، فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم . وقال أبو معاوية الأسود : إخواني كلهم خير مني ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضائي على نفسه فهو خير مني ، وقال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله ، ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

تدلل لمن إن تدللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال عن الأصدقاء يرى الفضل له أنظره

وفيه : ومن تنمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه في كل ما يقصده ويقبل إشاراتهم ، فقد

قال تعالى: «وشاورهم في الأمر» وينبغي أن لا يخفى عنهم شيئا من أسرارهم ، كما روى أن يعقوب ابن أخي معروف قال : جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مواخيا له ، فقال : إن بشر بن الحارث يحب مؤاخاتك ، وهو يستحي أن يشافهك بذلك وقد أرسلني إليك بسألك أن تعقد له فيها بينك وبينه أخوة يحسبها ويعتد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يجب أن يشتر بها ، ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقة فإنه يكره كثرة الالتقاء ، فقال أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقتة ليلا ونهارا ولزرتة في كل وقت وآثرته على نفسي في كل حال ، ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ، ثم قال : فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فشاركه في العلم وقاسمه في البدن وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاتة ، وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوة بيني وبينه وهقدت إخاءه في الله لرسالتك ولمسألته على أن لا يزورني إن كره ذلك ، ولكنني أزوره متى أحببت ومره أن يلتقاني في مواضع نلتقي بها ومره أن لا يخفى علي شيئا من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله ، فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به ، أنظره . قال رحمه الله :

(وَسَاعِدُهُ فِي أَمْرِ يُوَافِقُ سُنَّةَ وَخَالَفَهُ فِي شَيْءٍ يُؤَدِّي لِبِدْعَةٍ)

(وساعده) من ساعده وافقه (في أمر) أى في كل أمر من الأمور (يوافق) كتاب الله تعالى و (سنة) رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي [حى] اعلم أن قوام الأخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة . قال أبو عثمان الجبرى : موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم ، انظره . ورحم الله من قال :

أحب من الإخوان كل موافق	وكل غصبيض الطرف عن عثراني
يوافقني في كل أمر أريده	ويحفظني حيا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ، ليت أنى أصبته	فقاسمته ما لي من الحسنات
ومن قال :	وكنيت إذا علق حبال قوم
فأحسن حين يحسن محسنوهم	واجتنب الإساءة إن أسأوا
أشياء سوى مشيتهم فأتى	مشيتهم وأترك ما أشاء

وفيه : واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة له انظره . واعلم أن أخاك من صدقك ونصحتك وإن خالف صدقه ونصحه هواك ، وأن عدوك من كذبك وغشك وإن وافق ذلك هواك . وفي [غ] ومن الأخلاق التي يدوم بها التودد والتآلف أيضا : محافظة الأخ على مساعدة أخيه وترك مخالفته في كل شيء دق أو جل إلا فيما يخالف الشريعة المطهرة اهـ . وكان بعضهم يقول لشبيخه : أحبك وأحب الحق ما اتفقنا وإذا اختلفنا فأحب الحق وحده . والمؤمن يدور مع الحق حيثما دار ولا يبالي . وفي [خل] وينبغي للعابد أن يكون حذرا من مخالفة السنة فإن من خالف السنة خالف الحق ومن خالف الحق هلك ، انظره . ولذلك لا ينبغي مساعدة الأخ فيما يخالف السنة بل يعلمه إن كان جاهلا وينبهه إن كان غافلا وينبذ به إن كان معاندا مجاهرا ويطلب الله له في الغيب بالهداية والغفران ، ولذا قال رحمه الله (وخالفه) من المخالفة ضد الموافقة (في) كل (شيء) من الأشياء (يؤدى) ويوصل (لبدعة) بكسر موحدة الحدث في الدين بعد إكماله أو ما استحدث

بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الأهواء المضاة والأعمال المردية . وعن الأبياني رحمه الله ثلاث لو كتبني على الظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة : اتبع ولا تبتدع ، واتضع ولا ترتفع ، ومن ورع لا يتسع . وعن ابن مسعود رضي الله عنه : « عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة » وعن حذيفة رضي الله عنه : « لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حججا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا ، يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين » وأخرج البيهقي « أبى الله أن يقبل عمل صاحب البدعة حتى يدع بدعته » وفي [خل] غن الغزالي اتفقت الأمة قاطبة على ذم البدعة وزجر المبتدع وتعتيب من يعرف بالبدعة ، ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم : « اتبعوا ولا تبتدعوا فلم تاهلك من كان قلبكم بما ابتدعوا في دينهم ، وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا بأرائهم فضلوا وأضلوا » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات صاحب بدعة فقد فتح على الإسلام فتح » وقال صلى الله عليه وسلم : « من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام » وقال صلى الله عليه وسلم « من أعرض عن صاحب بدعة بغضاله في الله ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ، ومن اتهم صاحب بدعة رفع الله له مائة درجة ، ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر أو استقبله بما يسره فقد استخف بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » انظره . وأخرج أبو نعيم : « أهل البدع شر الخلق » وقال سهل بن عبد الله : من داهن مبتدعا سابه الله خلاوة الإيمان . وحكى عن أحمد بن حنبل أنه قال : كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدعون الماء فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمغترز : فلم أتجرد فرأيت تلك الليلة في المنام قائلا يقول : أبشر يا أحمد فإن الله غفر لك باستعمال السنة ، فقلت : من أنت ؟ فقال جبريل : وقد جعلك الله إماما يقتدى بك » اهـ . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « من أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أحب صاحب بدعة لم يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر » وكان الإمام مالك رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذا البيت :

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

وفي الحديث : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وعن بعضهم لما نزل قوله تعالى - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيم صرخ إبليس صرخة عظيمة اجتمع إليه فيها جنوده من أقطار الأرض قائلين ماهذه الصرخة التي أفرغتنا بها ، قال أمر نزل في لم ينزل قط أعظم منه قالوا : وما هو ؟ فتلى عليهم الآية الكريمة وقال لهم : هل عندكم من حيلة ؟ قالوا : لا ، قال : اطلبوا فإني سأطلب فابشوا ما شاء الله ، ثم صرخ فاجتمعوا إليه وقالوا : ماهذه الصرخة التي لم يسمع منك مثلها إلا التي قبلها ؟ قال : فهل وجدتم شيئا ؟ قالوا : لا . قال : لكنني قد وجدت قالوا : وما وجدت ؟ قال : أزين لهم البدع التي يتخذونها ديناً ثم لا يستغفرون : أي لأن صاحب البدعة يراها بجهله حقاً وصواباً ولا يراها ذنباً حتى يستغفر الله فألحق بالأخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وقال تعالى - وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون - الآية - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً - الآية ، ورحم الله من قال :

بني اجتنب كل ذي بدعة ولا تصحب من بها يوصف
فيسرق طبعك من طبعه وأنت بذلك لا تعرف

قال رحمه الله :

(وَلَا تُضْمِرْنَ سُوءًا لِأَمْرِ نَقِمَتِهِ مِنْ الْأَخِ بَلْ فَانصَحْ بِالطَّيِّبِ كَلِمَةً
وَقَدْ شَرَطُوا لَهَا اخْتِفًا عِنْدَ بَيْتِهَا وَإِلَّا فَقَدْ أَفْرَقْتُمَا فِي الْفَضِيحَةِ)

(ولا تضمرن) بنون خفيفة من الإضمار ضد الإظهار لأخيك في الله تعالى (سوءا) بالضم أى قبيحا ومكروها وكزازة في قلبك (لأمر) أى لأجل أمر يخالف الشرع (نقمته) كرهته منه ونقم كضرب قال تعالى - وما تقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله - وقال - وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا - (من الأخ) في الدين . وفي [عف] والأخوة في الله تعالى مواجهة ، قال تعالى - إخوانا على سرر متقابلين - ومتى أضمر أحدهما للآخر سوءا أو كره منه شيئا ولم ينبه عليه حتى يزيله أو يتسبب إلى لإزالة منه فمواجهة بل استدبره ، انظره . وفيه : فهم أى الفقراء المجتمعون في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ، ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف . قال الله تعالى - في وصف المؤمنين - كأنهم بنيان مرصوص - وبالعكس ذلك وصف الأعداء فقال - تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى - روى النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع ، وإذا اشتكى مؤمن من المؤمنين اشتكى المؤمنون » فالصوفية من وظيفتهم اللازمة حفظ اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح اجتمعوا وبرابطة التأليف الإلهي اتفقوا وبمشاهدة القلوب تواطؤا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرباط رابطوا ، فلا بد لهم من التألف والتودد والنصح . وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » ثم قال : فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم وتنقيد نفوسهم لأن بعضهم عين على البعض على ماورد « المؤمن مرآة المؤمن » ثم قال : وإذا ظهرت نفس الصوفي بغضب وخصومة مع بعض الإخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فإن النفس إذا قوبلت بالقلب انحسرت مادة الشر ، وإذا قوبلت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا - ثم الشيخ أو الخادم إذا شكك إليه فقير من أخيه فله أن يعاتب أيهما شاء فيقول للمتعدي لم تعديت وللمتعدي عليه ما الذى أذنبت حتى تعدى عليك وسلط عليك وهلا قابلت نفسه بالقلب رققا بأخيك وإعطاء للفتوة والصحبة حقها ، فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد إلى الدائرة بالنفار فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الإصرار ، ثم قال : وسمعت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة : قم واستغفر ، فيقول الفقير ما أرى باطنى صافيا ولا أؤثر القيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن ويقول : أنت قم فبركة سعيك ، وقيامك تزرقي الصفاء فكان يجد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترق القلوب وترفع الوحشة ، وهذا من خاصية هذه الطائفة لا يبيتون والبواطن منظوية على وحشة ، ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضمر وحشة ، ولا يرون الاجتماع ظاهرا في شيء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشعث ، فإذا قام الفقير للاستغفار لا يجوز رد استغفاره بحال . روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ارجعوا ترجعوا واغفروا يغفر لكم » انظره (بل) إذا نقمت منه مانهى عنه شرعا (فانصح) أى فاذا ذكر له ذلك على

وجه النصيحة ولو بالتعريض والتلويح إن ظننت الإفادة ولم يعلم بالحكم وإلا فعليك بخوبصتك ويكون نصحتك له (بألفظ) وأسهل وأحسن (كلمة) كسندرة أي بكلام لطيف حسن فإنه أجدر بالقبول وأرجى في نيل المأمول . وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن نعلم أصحابنا طرق السياسة إذا تصدوا للنصح في بلدهم فإن كثيرا من الناصحين ينصح من غير سياسة فيثير فتنا في البلد أعظم ممانصع هو فيه . وقد رأيت مرة بواب مسجد يقول لواحد دخل المسجد وباطن نعله إلى أسفل من غير تطبيق طبق نعلك يا يهودي يا نصراني يا كلب يا زربول يا من لا يخاف الله ، قال الأمر إلى أن تشاكوا في بيت الوالي وانقسمت أهل الحارة فرقتين ، فتخاصموا وراحوا إلى بيت الوالي وغرموا مالا له جرم ولم يزالوا متعادين وعمجرت في الصلح بينهم حتى في ليلة النصف من شعبان ، فعلم أن من نصح بغير سياسة ففساده أكثر من صلاحه ، ولو أن بواب الجامع قال له يا أخي طبق نعلك لئلا يسقط منه نجاسة في المسجد لقال له جزاك الله خيرا وطبق نعله . وكان الشيخ محي الدين يقول : شرط الناصح إذا أراد أن ينصح أحدا أن يمهله بساطا قبل النصح حتى يكون ذلك المنصوح هو المبادر لفعل ما أراد نصحه لأجله اه : واعلم أنه يحصل كثيرا لمن ينصح بلا سياسة الندم على نصحه ، ويقول أنا الظالم الذي نصحته إذا أذاه المنصوح فيصير النصح الذي هو واجب ظلما وإنما حصل له الأذى من جهله بطريق السياسة في ذلك ، فاعلم ذلك فإنه نفيس . وفيه : وكان أخي أفضل الدين إذا رأى إنسانا مرتكباً أمورا شنيعة أو عازما على فعل أمور قبيحة يقطع عليه من قدام ، ويقول لأصحابه أنا ما يعجبني إلا حال فلان الذي يكره الأفعال الردية ويتجنب كذا وكذا ، ويعدله ما هو متلطخ به أو عازم على فعله ، فيقف ذلك الشخص عن الإقدام على ذلك الفعل الردي أو يتوب عما كان يرتكبه أو يترك التجاهر به بعد أن كان يتجاهر به والكذب يجوز لمصلحة . وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله يقول : لا ينبغي لأحد أن ينصير للنصح الناس إلا إن أعطاه الله حسن السياسة بحيث يمهّد للمنصوح مهادا حتى يكون هو المبادر لذلك الفعل بنفسه لما رأى لنفسه فيه من الخط والمصلحة ، ومن لم يعطه الله هذه السياسة فإفساده أكثر مما يصاحبه ، انظره . وفي [جه] وعليكم بمناصحة إخوانكم في الطريقة برفق ولين وسياسة من غير ضغينة ولا حقداه . وفي [غ] ومنها أن يحفظ الأخ قلبه بقدر استطاعته من أن يضمّر فيه سوا لأخيه إذا رأى منه ما يكره ، وحفظ القلب من ذلك يكون بتنبه إياه على ما كرهه منه لئلا يظن أنه مقصود من أخيه بذلك التنبيه ، وهذا أولى متى أمكن لجريه على سنن الأخلاق المحمدية ولبعده عن مظان الضغينة وغيرها مما يؤدي إلى فساد الطوية ، فإن لم يمكن هذا أو أدى الحال إلى التنبيه بالكلام فليكن في الخلا لا في الملأ ويتقديم تمهيد يأنس به المنصوح بحيث يقع في نفسه ذم ما أراد أن يأمره الناصح بالتخلية عنه قبل أن يأمره بذلك وبإخلاص القصد في ذلك لله تعالى والعزم على أن لا يذكر ذلك لأحد كائنا من كان اه . وفي الحديث : « المؤمن أخو المؤمن لا يدع نصيحته على كل حال » وفي آخر : « المؤمن مرآة المؤمن » و « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضغينة ويحوطه من ورائه » اه . وفي آخر : « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى به أذى فليمطه عنه » فينبغي لمن رأى في أخيه أذى حسيا أن يزيله عنه ويسن أن يريه إياه لئلا يظن أنه يعيب به ، وكذا الأذى المعنوي كارتكاب معصية فينصحه ويسعى في توبته ويدعو له بظهر الغيب . وثبت أن سيدنا عمر كان مع جماعة من الصحابة رضى الله عن جميعهم الرضا الأبدى وعناهم آمين فقال لهم : كيف تصنعون إذا رأيتم مني اعوجاجا ، فسكنوا فأعادها فقال سعد بن بشير :

إذا رأينا منك اعوجاجا قومناك بسيوفنا ، فقال الحمد لله الذى أبقي فى هذه الأمة من يقومنى بسيفه إذا اعوججت أو كما قال رضى الله عنه وعنايه آمين . قال تعالى - يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم - (وقد شرطوا) أى ساداتنا الصوفية رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين (لها) أى للنصيحة (اختفا) قصره للوزن من اختفى استتر (عندئذ) بثلاثة أى نشرها وبلغها للمنصوح (وإلا) بأن يشتها جهرا وعلائية بين الناس (فقد أفرغتها) من الإفراغ وهو الصب (فى) قوالب وأساليب (القضية) المنهى عنها شرعا وطبعيا . وفى [حى] فإن علمته : أى الأخ فى الدين ، وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك بالنصيحة ، وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده وتركه وتخوفه بما يكرهه فى الدنيا والآخرة ليفزجر عنه ، وتنبيهه على عيوبه وتقبح القبيح فى عينه وتحسن الحسن ، ولكن ينبغى أن يكون ذلك فى سر لا يطلع عليه أحد ، فإكان على الملاء فهو توبيخ وفضيحة وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » أى يرى منه ما لا يرى لنفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ، ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة . وقال الشافعى رضى الله عنه : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه : وقيل لمسر : أتحب من يخبرك بعيوبك ؟ فقال إن نصحتني فيما بيني وبينه فنعيم وإن قرعني بين الملاء فلا . وقد صدق فإن النصيح على الملاء فضيحة ، والله يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه فى ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا . وقال ذو النون : لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة : ثم قال : وهذا فى عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه فإتما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغى أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه ، وإن كان يظهره فلا بد من التلطف فى النصيح بالتعريض مرة وبالتصریح أخرى إلى حد لا يؤدى إلى الانحياض ، فإن علمت أن النصيح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى ، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك فى دينه أو دنياه ، أما ما يتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعاضد عنه ، والتعرض لذلك ليس من النصيح فى شيء ، انظره . وفى [عف] فمن أدبهم التغافل عن زلل الإخوان والنصح فيما يجب فيه النصيحة وكنم عيب صاحبه وإطلاعه على عيب يعلم منه . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى . وهذا فيه مصلحة كلية تكون للشخص ممن ينبيه على عيوبه . قال جعفر بن برقان . قال لى ميمون بن مهران : قل لى فى وجهى ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكرهه ، فإن الصادق يحب من يصدقه والكاذب لا يحب الناصح . قال الله تعالى - ولكن لا تحبون الناصحين - والنصيحة ما كانت فى السرا . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نبادر لنصح كل من علمنا ثبات قلبه فى الدين ولو بحضرة ملاء من الناس ، ولا نترقب وقتا ننصحه فيه فربما نسينا ذلك قبل مجئ ذلك الوقت ، والنصح بلا شك خير والخير لا يؤخر ، فإن علمنا منه تزلزل القلب والتسكيد من نصحنه له فى الملاء نصحناه سرا أو نترقب له وقتا آخر . ثم قال : اعلم يا أخى أن كل من لامك على نصحه فى الملاء فإتما ذلك لتفاق فى قلبه ، والمنافق لا يراعى ، بل الواجب لإصداعه ^(١) بالحق ، ولو أنه كان سالما من التفاق لفرح بالنصح لاسيا فى هذا الزمان الذى قل فيه النصاح ، لكن يكون ذلك بلين

ورحمته وشفقة ما أمكن خشية من أن يزداد بغلظتك عليه نفرة^(١) من الخير إما لعدم توفيقه بالخصوص أو مع عدم كمال إخلاصك ، انظره . وفي [غ] ومن آداب المنصوح هنا أن يروض^(٢) نفسه لتلقى نصيحة أخيه بالقبول ويعلم أنه إنما فعل معه ذلك لسكمال مودته وصفاء إخوانته فينتهي عليه ويجازيه بدعاء الخير على ما أسداه إليه . وقد روى عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه كان يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبه . ومعلوم أن الصادق يحب من يصدقه والكاذب بخلافه فلا يحب الناصح كما قال تعالى : ولكن لا تعجبون الناصحين . وليحذر المنصوح من ثورة النفس عند سماعه النصيحة فيحقر الناصح ويقول له مثلك ينصحنى أو ما فى سننى ذلك فإن ذلك من الجفاء . ومن أعظم أسباب الانتكاس والسقوط من عين الله والعياذ بالله تعالى . قال الشيخ محي الدين : ومن قال لناصحه على سبيل شقوق نفسه عليه مثلك ينصحنى أولئكى يقال هذا ، فاعلم أنه سقط من عين الله تعالى وقد حجبته الله تعالى عن عبوديته وعن الإيمان فإن الله تعالى يقول - وذكر فإن الله كرى تنفع المؤمنين - اه . قال رحمه الله :

(وَلَا تَتَكَلَّفْ فِي ثِيَابٍ رَفِيعَةٍ سِوَى لِلْوُفُودِ أَوْ لِعِيدٍ وَجُمُعَةٍ
وَفِي مَنَظَرٍ إِلَّا لِإِبْضَاحٍ مُّشْكِلٍ وَلِلضَّيْفِ فِي الْقَرَى مَخَافَةَ بَقْضَةٍ)

(ولا تتكلف في) لبس (ثياب رفيعة) فاخرة تفاخرا وتكاثرا . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله تعالى من حل الجنة » وفي [جص] « من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها » وفيه : « إن الله يحب المؤمن المبتذل الذى لا يبالي ما لبس » وفيه « اللبس الحسن الضيق حتى لا يجحد العز والفخر منك مساغا » أى مدخلا عند الحاجة إلى قمع النفس وتطهيرها ، فمن لبس الحسن الضيق زال عنه الكبر وادعاء العظم لأن هذه اللبسة تؤذن بانكسار النفس وانخفاضها ، هذا هو الغالب من حال المؤمن ولكن لا يبالغ في ذلك فإن الله يحب أن يرى على عبده أثر نعمته إذا أنعم عليه ويكره التباؤس ، ولأن الله جميل يحب الجمال ونظيف يحب النظافة ، ولذا قال أبو الحسن الشاذلى رحمه الله لذى هيئة رثة أنكر عليه جمال هيئته : يا هذا هيئتي هذه تقول الحمد لله وهيئتك تقول للناس أعطوني من دنياكم . وقد قال تعالى - قل من حرم زينة الله - اه . وروى : « إياكم ولبستين لبسة مشهورة ولبسة مخقورة » وفيه « احذروا الشهرتين الصوف والخز » فلبس الصوف يشهر النفس بالصلاح ولبس الخز يشهرها بالتجمل . وفيه « نهى عن الشهرتين دقة الثياب وغاظتها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سواء فيما بين ذلك واقتصاد إذ خير الأمور أوساطها » وفيه « من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه ، ومن لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار » وفيه أبيض العباد من كان ثوباه خيرا من عمله أن تكون ثيابه ثياب الأنبياء وعمله عمل الجبارين » اه . وفي [جح] وأما لباسه رضى الله عنه فيلبس المتوسط من الثياب مما يقيه الحر والبرد كما يلبس عامة الناس ، ولا يحب الامتياز بثوب حسن ولا قبيح ، انظره . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تترك الترفع في اللباس تواضعا واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

(١) نفرة بضم النون كنفرة اه . (٢) قوله يروض من راض نفسه كقال فلانها وقهرها اه .

ولو كان معنا قناطير من الذهب فنجعل ذلك في مرضاة الله تعالى من الإنفاق على الفقراء والمساكين والمحاييج ، وهذا العهد يخل به كثير من الفقراء فضلا عن العوام ، ثم قال : وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : ينبغي التسليم لمن لبس الثياب الفاخرة من الأولياء كسيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي علي بن وفا وسيدي مدين وأضرابهم . وقد كان سيدي عبد القادر الجيلاني يلبس كل ذراع من الخام بدينار فاعترض عليه بعض الناس فقال : العبد إذا مات كفن مرة وأنا قدمت أكثر من مائة مائة في مخالفة نفسي فلي أن ألبس كل بدلة ثمن مائة كفن اه . . ثم السر في ترك اللباس الرفيع أن النفس تميل إليه بالخاصية وتفرح به ، وكل شيء فرح به العبد من الدنيا حجبته عن دخول حضرة الله عز وجل كما تحجب المعصية ف يريد الإنسان أن يجد قلبه حال لبس الرفيع الفاخر مثل حاله في حال لبس الخلق القليل الثمن فلا يقدر ومن شك فليجرب ، وكذلك جربنا السجود على الأرض الطاهرة بلا حائل يجد الإنسان انفساحا وانسراحا ووصلة بالله عز وجل ، بخلاف الصلاة على بساط أو حصير ، ومدار كلام الشارع ونصحه لنا على عكوفنا في حضرة الله عز وجل ليعطي الخدمة للحق حقها ويتحلى بشهوده تعالى لأنه صلى الله عليه وسلم أشفق علينا من أنفسنا فضلا عن والدينا ، فما منعنا من فعل شيء إلا وهو يبعدنا عن حضرة الحق تعالى ، ثم قال : ففتش يا أخي نفسك فيما تأكل وفيما تلبس فمن فتش لا يجد شيئا في هذا الزمان يشتري به جوخة نفيسة ولا شاشا نفيسا أبدا . وربما كان ذلك الشاش الرفيع أو الجوخة البندق التي على العالم أو الصالح من هدايا بعض الولاة أو ثمنها من وظائف لا يسد فيها لا بنفسه ولا بنائيه ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نتمكن أحدا من إخواننا أن يتكلف من مآكل الدنيا وملابسها ما لا يقدر على المداومة عليها ، ومن خالف ولم يقنع باليسير طوعا فعن قريب يقنع كرها وكذلك لا نتمكن أحدا منهم يتوسع من مال الغير إلا من الربح الحاصل فمن توسع من مال الحبس لاصيا من صرف ذلك في مآكل قد صارت عنزة في الأخلية لا يمكن استرجاعها ، وكذلك لا نتمكنهم من كسوة أولادهم في العيد وغيره من ذلك ولو بكوا واعتاضت أمهم فإن احتماله بكاءهم وغيظ أمهم أهون من خصام صاحب المال له ومن دخوله في الحبس والله غني حميد اه . وفيه : أخذ علينا اليهود إذا وسع الله علينا الدنيا أن لا نسرف في التوسع بها على أنفسنا وعبائنا وإنما نجعل التوسع في الصرف على الفقراء والمحاييج والأرامل والأيتام ، ونلبس الثوب بعشرة دراهم ونحوها من غير زيادة ، وذلك كاف لنا في إظهار النعم المأمور بها إن شاء الله تعالى ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له : «يا رسول الله عندي كل المال من البقر والإبل والغنم» قال : « أفلا ترى أثر نعمة الله عليك » فعبير بالأثر إشارة للقللة في الملابس والمآكل ، هكذا فهمنا . ومن كلام عمر بن الخطاب : اخشوشنوا : أي في جميع أحوالكم في هذه الدار ، فكلوا الخبز ولو بالملح ، واركبوا الحمار ولو عريانا ، والبسوا الثياب ولو غليظة ، وانسكبوا النساء ولو جارية شوهاء ، لأن هذه ماهي داركم ولا محل استقراركم . ثم إنه يجب علينا الرضا بذلك عن ربنا عز وجل . وقد كان عيسى عليه السلام يقول للحواريين : بحق أقول لكم إن لبس المسوح الخشن وأكل الشعير غير منخول والنوم على المزابل كثير على من يموت . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لمن وسع الله عليه في هذا الزمان لبس الأصواف الرفيعة ولا الجوخ البندق ولا الشاش الهنداوي ولا الظهر الإسكندراتي ، ولا أن يأكل في أواني الصين ، هذا في حق الكبير

نفسه فكيف بمن يكسو عبده من ذلك . قال : وأما الذي يكسو دابته البراذع ^(١) المثمثة والدبابي الحمر واللجام والركاب المطلية ويركب على بساط قيمته ثلاثون دينارا فحكمه حكم البهائم ، وذلك لكثرة المحاويع من المسلمين من أهل حارته وغيرهم ، فكان الواجب عليه أن يتفقد ذلك الفقير المسكين كما تفقد دابته في الملابس ، هذا فيما إذا وجد ثمن هذه التبسطات من كسب حلال لاتبعة فيه ، فكيف بمن يحصل ذلك من كسب كله غش وحيف وخداع ونصب ^(٢) وحيل ، مع قلوب مائلة ونفوس كالبة وعقول سالبة ، في زمان لا يوجد فيه القوت إلا بمعينة أسباب الموت ، كما يعرف ذلك أرباب الصنائع والحرف من السوق ^(٣) ، انظره . فهذا حال زمانه فكيف بزماننا الذي هو آخر عجب الذنب ، فمنهم من يركب على سرج قيمته ألف دينار فصاعدا وعليه هو مايساوى مثل ذلك ، ومع ذلك لا تسخو نفسه بفلس نحاس لمسكين لا يجد مايسد به الرمي :

رفقا بها قد بلغ السيل الزبي ^(٤) واتسع الخرق على الخرق

- إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأخرانا آمين . وفي [خل] عن أبي طالب المكي في كتابه . ومما أحدثوا . من البدع ليس الثياب الكثيرة . قال : وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم ثوب أحدهم من سبعة دراهم إلى عشرة دراهم ، وكانوا لا يجاوزون هذا إلا نادرا أو كما قال . وأما الخروج به عن حد السميت والوقار فلا يخفى على ذي بصيرة حالهم به كيف هو انظره . ونقل أن محمد بن واسع سيد أهل زمانه لما دخل على أمير البصرة وكان ثوبه إلى أنصاف ساقه قال له : ما هذه الشهرة يا ابن واسع ؟ فقال له أنتم شهرتمونا ، هكذا كان لباس من مضى وإنما أنتم طوأنتم ذبولكم فصارت السنة بينكم بدعة وشهرة اه . وحكى أن عمر رضي الله عنه لما قدم الشام وكان على جمل خطامه ليف ورحله وزاده تحته ومرقته عليه سأله الأجناد أن يلبس ثوبا أبيض وأن يركب برذونا ليرهب العدو بذلك ففعل ، فلما أن استوى على البرذون نادى بأعلى صوته أقبوا عمر عشرته أقال الله عشرتكم ، فرجع إلى مرقته وحمله وقال : بالإيمان اعتزنا ، فكان ذلك سببا لفتح البلاد - ولينصرن الله من نصره إن الله لقوى عزيز - وفي [عق] فالصوف يرد النفس في اللباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية ثوبك ممزق ، قال : ولكنه من وجه حلال ، وقيل له : وهو وسخ ، قال : ولكنه طاهر . فنظر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » أي قريضة ولا نافذة ، ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا ، لأن طهارة الثوب شرط في صحة الصلاة ، وما عدا هذين النظيرين فنظره في كونه يدفع الحر والبرد لأن ذلك مصلحة النفس ، وبعد ذلك ما تدعو إليه النفس فكله فضول وزيادة ونظر إلى الخلق . والصادق لا ينبغي أن يلبس الثوب إلا لله وهو ستر العورة أو لنفسه لدفع الحر والبرد ، ثم قال : وروى أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه لبس قيصا اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كفه من رؤوس أصابعه . وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا أردت أن تلقى صاحبك فرقع قيصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشيع . وحكى عن الجريري قال : كان في جامع بغداد رجل لا تكاد تجده إلا في ثوب واحد في الشتاء والصيف ،

(١) البرذعة بمجمة وإعمال ذالها أكثر . (٢) قوله نصب كقفل : الغر والعداب اه .

(٣) قوله السوق بضم سين مهملة : الرعية . (٤) قوله الزبي بضم زيبه يضم أولهما : حفرة في أعلى الجبل اه .

فستل عن ذلك فقال : قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأنى دخلت الجنة ،
 فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة ، فأردت أن أجلس معهم فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا
 بيدي وأقاموني وقالوا لى : هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قيصان فلا تجلس معهم ، فأنتهيت
 ونذرت أن لا ألبس إلا ثوبا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى . وقيل مات أبو يزيد ولم يترك إلا قيصه الذى
 كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه ، ثم قال : قال أبو حفص الحداد : إذا رأيت وضاعة الفقير
 في ثوبه فلا ترجو خيره ، ثم قال : وقيل كان عمر رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه
 بالدرة^(١) وقال : دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نوروا
 قلوبكم بلباس الصوف فإنه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم »
 ثم قال : وللعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها لا يرون النزول إلى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد
 في الدنيا ، واللباس الناعم من الدنيا . وقد قيل : من رقى ثوبه رقى دينه . وقد يرخص في ذلك لمن لا يلتزم
 بالزهد ويقف على رخصة الشرع . وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر » ، فقال رجل إن الرجل
 يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال فتكون
 هذه الرخصة في حق من يلبسه لاهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومختال ، فأما من لبس الثوب للتفاخر
 بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيده : وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزرة
 المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار » من جر لزاره
 بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة ، فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر في رداءه إذ أعجبه رداؤه فخسف
 الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » والأحوال تختلف ومن صح حاله بصحة علمه صحت
 نيته في مأكوله وملبوسه وسائر تصاريفه ، وفي كل الأحوال يستقيم ويتسدد باستقامة الباطن مع الله
 تعالى ، وبقدرك ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى اه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم :
 « ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب : رجل أراد أن يغسل ثوبه فلم يجد له خلقة يلبسها ، ورجل لم ينصب
 على مستوقده قدرين ، ورجل طلب شرا به فلم يقل له أيهما تريد » وفي [شب] وكان الإمام على رضى الله
 عنه يرقع قيصه ويقول : إن لبس المرقع يخشع القلب . وما ينسب له رضى الله عنه :

حقيق بالتواضع من يموت ويكنى المرء من دنياه قوت
 فما للمرء يصبح ذا هموم وحرص ليس تدركه النعوت
 فيا هذا سترحل عن قريب إلى قوم كلامهم السكوت

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وضع ماله ومال زوجته فاطمة بنت عبد الملك في بيت مال
 المسلمين وصارا كآحاد الناس ، حتى صار أنه لا يملك إلا قيصا واحدا وهى كذلك ، فإذا أراد غسله
 مكث في البيت حتى يجف ، على حد ما قيل :

قوم إذا غسلوا الثياب رأيتهم ليسوا البيوت وزوروا الأبواب

ومع ما كان عليه من الورع والزهد والعدل الذى ضرب به المثل كان له سرب ينزل فيه كل ليلة
 ويضع الغل في عنقه فلا يزال يبكى ويتضرع إلى الصباح : وقيل له في مرض الموت : تركت أولادك
 وهم ثلاثة عشر لبس لهم درهم ولا دينار . فقال لم أمنعهم حقهم ، ولم أعطهم حقا لغيرهم ، وإنما ولدى

(١) قوله : الدرة بكسر الدال : آلة يضرب بها اه .

أحد رجلين إما مطيع لله تعالى فإله كافيه وهو يتولى الصالحين ، وإما عاص لله فأبلى بما وقع له اه .
 وفي [هب] إن الذي يتميز عن الناس في مركبه وملبسه وداره ومأكله قبيح ، فقلت وما سبب قبحه ؟
 فقال : إنه يشغل قلوب الناس بالالتفات إليه فيقطعهم عن الله تعالى فيكون تمييزه عنهم سببا في قطعهم .
 قلت فالحجويون الذين يلتفتون إليه مقطوعون فلا يضرهم التفاتهم إليه ، فقال يزيدهم قطيعة على قطيعة .
 قال : وأيضا فإن الروح تفر من الذات المشتغلة بهذا التمييز لأن بذلك التمييز يحصل للروح ذلة ومسكنة
 فتكره فعل الذات وتفر عنها فلا تسددها ولا ترشدها إلى ما يليق بها مع خالقتها فيكون ذلك سبب هلاكها
 فقلت : فلتمييز حينئذ آفتان آفة في نفسه وآفة في غيره اه [تمة] من الناس من يقصد بالتجمل
 السلامة من إذاية الناس والتوصل إلى حقوقه كما هو شأن الوقت ومن شك فليجرب ، ولذا نقل عن
 ابن زكري رحمه الله أنه قال : إسقاط الجاه ليس مطلوبيا لذاته بل لما يتبعه من غلط النفس ، ولا بد
 للإنسان من جاه ما لثلا تبخس حقوقه وتنتهك حرمة لأن الناس إنما يعتبرون ظاهر الصور . وقد كان
 مالك رضي الله عنه يتجمل في ملبسه ولا يتبدل ، ولذا قيل : ينبغي للعالم أن يظهر مروءته في ثيابه
 إجلالا للعلم وصيانة لعرضه ودينه قال تعالى - يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
 عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين - ورحم الله من قال :

حسن ثيابك ما استطعت فإنها	زين الرجال بها تفر وتكرم
ودع التواضع في الثياب تخشنا	فإله يعلم ما تسر وتسكتم
فراث ثوبك لا يزيدك رفعة	عند الإله وأنت عبد عجم
وجديد ثوبك لا يضرك بعدما	تخشى الإله وتنتق ما يحرم

وروى أبو داود عن أبي الأحوص عن أبيه قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب دون :
 أى خاق ، فقال ألك مال ؟ قلت : نعم ، قال : من أى المال ؟ قلت : قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيول
 والرقيق ، فقال إذا أتاك الله مالا فليز أثر نعمة الله عليك وكرامته وإن الله يكره البؤس والتباؤس »
 ربنا آتانا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا - آمين (سوى للوفود) جمع وفد . وفي [من] وقد
 إليه وعليه قدم وورد ، وهم وفود ووفد كصحب وأوفاد ووفد كركع ، انظره : أى سوى لملاقاة
 الوفود والإخوان ، فينبغي للإنسان أن يتجمل لذلك كما هو سيرته صلى الله عليه وسلم في ملاقاتهم .
 وفي [جص] أحسنوا لباسكم وأصلحو أحوالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس اه ولذا قيل :
 ينبغي للمرء أن يحسن ثوبه ويدنه لملاقاة إخوانه ، وأن يتحرز من المذمة ويطلب راحة إخوانه فلا
 يستقلرونه . وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها : إن الله يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج
 إليهم . وفيه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليه الوفد لبس أحسن ثيابه وأمر عليه (١)
 أصحابه بذلك » وفي الحنفى : « كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد الخروج لمقابلة الجماعة أخذ ماء من
 الركوة وغسل وجهه ويديه وشرح لحيته ولبس أحسن ثيابه وأمر الصحابة بذلك عند إرادة الاجتماع
 بالناس ، وقال إن الله جميل يحب الجمال » وفي [ثيق] وقد كان الفضيل بن عياض رضي الله
 عنه يقول : لو قيل لى إن أمير المؤمنين يدخل عليك الآن فسويت لحيتى بيدي لأجل دخوله لخفت
 أن أكذب في جريدة المنافقين .

(١) عليه بكسر عين جمع على كسبية جمع صبي : أى جله اه .

قالت : وهذا كله محمول على من لم تحضره نية صالحة ، أما من حضرته نية صالحة كأن أصلح عمامته أو لبس أحسن ثيابه لدخول أحد عليه ليأخذ عنه علما أو أدبا فهو محمود ، وقد كان صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليه وفد يلبس أحسن ثيابه ويتعمم ويصلح طيات عمامته في جب الماء ، والله أعلم اه . وفي الحديث : « إن الله تعالى يبغض الوسخ والشعث » أي لأنه تعالى نظيف يحب النظافة : وفي آخر : « اغسلوا ثيابكم وخذلوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » وفيه أيضا : أخذ علينا اليهود أن نسرع بغسل الثوب إذا اتسخ ونلبس أحسن ما نجد إظهارا لعظمة ربنا من حيث إن ضخامة العبد تدل على عظمة الله سيده ، ومن هنا اتخذ الفقراء الصادقون الثياب النفيسة وجلسوا على السجادات النفيسة في الصلاة وغيرها من حيث كونهم أهل حضرة الله عز وجل لا لعلة أخرى ، وأما من لبس الثوب الوسخ الخلق والعمامة المشرطة من الفقراء فلأنما هو إظهار للذل والعبودية لله عز وجل . فرجع أمرهم أيضا إلى الله ، فلجمال أقوام وللجلال أقوام وكل كامل في مرتبته والله عليهم حكيم اه . قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » الحديث (أولعيد) أي لأجل يومه فيستحب فيه لبس الحسن من الثياب ولو غير أبيض . وفي مختصر خليل رحمه الله : وندب إحياء ليلته وغسل وبعد الصبح وتطيب وتزين وإن لغير مصل . قال بعضهم : راجع للأمور الأربعة . قال الزرقاني : أي إلا النساء الخارجات له فلا يقربن طيبا ولا زينة وإن كن عجائز ، ولا ينبغي لأحد ترك إظهار الزينة والطيب في الأعياد تقشفا مع القدرة عليه فن تركه رغبة عنه فهو مبتدع قاله الخطاب . لكن ينبغي أن ينضم لذلك طهارة القلوب من الأدناس والعيوب ومراقبة علام الغيوب التي عليها المدار عند أولى الأبصار ، ورحم الله من قال :

ما عيذك الفخر إلا يوم يغفر لك	لا أن تجر به مستكبرا حلك
كم من جديد ثياب دينة خفاق	تسكاد تابعه الأقطار حين سلاك
وكم مرقع أثواب جديد تقى	بكى عليه السماء والأرض حين هلك
ومن قال :	وما العيد باستعمال طيب وزينة
ولكن رضا الرحمن هو الذي يقا	ل فيه عليه في الحقيقة عيد

وليعرض الإخوان رحمه الله ورضي عنه مما كتب به لبعض الأحاب يوم عيد :

الحمد لله إذ شفاك من سقم	يا أحمد بن محمد ومن ألم
عافاك ربى من الأهوال والحن	أبقاك ربى بقاء الدهر للأهم
عيد يعود بعفو وعافية	وبالأمان من الأسواء والنقم

(و) سوى لحضور صلاة (جمعة) أي وجماعة ، وفي مختصر خليل : وندب تحسين هيئة وجميل ثياب الخ . قال الزرقاني : وهو البياض وإن عتيقا وهما للصلاة لاليوم بخلاف العيد فلاليوم . وندب فيه الجديد ولو أسود ، فإن كان يوم الجمعة يوم عيد لبس الجديد غير الأبيض أول النهار والأبيض للصلاة الجمعة ولو عتيقا كما مر ، ويدل له خبر الموطأ « ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته » (١) إذ الاتخاذ يشعر بتقديمه : انظره . وفي [جص] « ما على أحدكم إذا وجد سعة أن يتخذ

ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته « أى ليس على أحدكم حرج فى ذلك فلا إسراف فيه بل هو محبوب فإنه تعالى جميل يحب الجمال ويجب أن يرى أثر نعمته على عبده قاله العزيرى . وفى [جه] ويداوم رضى الله عنه على غسل الجمعة ويؤكد سنيته ويفعله على الوجه المسنون من كونه متصلا بالروح ، ويلبس ثيابه إن كان وإلا ذهب للمسجد الجامع بما عليه ، ولا تراه بتطيب بالمسك ونحوه يومها وإن كان الطيب لها مستحب ، ولا فى سائر الأيام وهو يحبه كثيرا ويحب إليه ، ولعله من أجل ماكثر استعماله لأهل الرفاهية وكثير من السفهاء بقصد الترفه ، ويمشى هونا فى سعيه للصلوات كلها ، ويجب فاعل ذلك عملا بمقتضى الحديث « إذا أتيتم الصلاة فأتوها بسكينة ووقار » اه . وفى [خل] وينهى ، يعنى الإمام الناس عما أحدثه بعضهم من الإتيان للجمعة من غير غسل ولا تغيير هيئة فإن هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم ، وقد كانوا رضى الله عنهم إذا أراد أحدهم أن يؤكد الأمر لصاحبه يقول له ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة : ومن كتاب الفتوى : وكان أهل المدينة يتساقون ويقولون لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة . وقد قال مالك فى موطنه : إن غسل الجمعة واجب وهو ظاهر الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » واختلاف العلماء فى ذلك هل هو واجب وجوب القرائن أو وجوب السنن المؤكدة ، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على غسل الجمعة صيفا وشتاء ولا نتركه إلا لعذر شرعى ، وفى ذلك من الأسرار مالا يذكر إلا مشافهة . وكان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول : ما تركت غسل الجمعة فى شتاء ولا صيف ولا سفر ولا حضر . وهذا العهد يخل به كثير من الناس حتى بعض الفقراء وطلبة العلم . فتراهم يتساهلون به ويستثقلونه إما كسلا أو لعدم سباحة نفوسهم بفلوس الحمام . ومن الحكمة الظاهرة فى الغسل انتعاش الأعضاء بالماء حتى يصير بدنه كله حيا فيناجى الله بكل عضو فيه ، ولذلك أمرنا الشارع بالغسل قبل الذهاب إلى الجمعة لتصلى على أثر الغسل ، ولو أمرنا بالغسل أول ليلة الجمعة بما تخلل ذلك معصية أو غفلة فيموت البدن وإذا مات ، فابقى يناجى ربه ويتضرع إليه على الوجه المطلوب من العبد ، فتأمل ذلك والله تعالى أعلم ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تهاون بترك السنن الشرعية ونقول الأمر سهل كما عليه طائفة من المتهورين كغسل الجمعة مثلا ، والتطيب والتزين لدخول المسجد ، وأبدء بخلع النعل اليسرى إذا دخلنا المسجد أو خرجنا ، ونحو ذلك فقد أخبرنى سيدى على الخواص رحمه الله أن بكل سنة من السنن درجة فى الجنة لا ينالها إلا فاعل تلك السنة . وفى الحديث « ولا يشبع مؤمن من خبز » فاعلم ذلك واعمل عليه فإنه نفيس اه .

ومما ينبغى للإنسان أن يواظب عليه ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الجمعة فى صلاة الفجر - الم - تنزيل - السجدة ، و- هل أتى على الإنسان - » وفى كفاية الطالب لأبى الحسن عند قول أبى زيد فى الرسالة ويسجد لها من قرأها فى الفريضة والنافلة . وروى ابن وهب : لا تتركه قراعتها فى الفريضة ابتداء : وصوبها اللخمى وابن يونس وابن بشير وغيرهم لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يداوم على قراءة السجدة فى الركعة الأولى من صلاة الصبح يوم الجمعة ابن بشير : وعلى ذلك كان يواظب الأخيار من أشياخي وأشياخهم اه - فبهذا هم اقتدوا -

وفي [عف] فعلى المبتدئ التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه في بدايته ويراعى يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لا يمزجه بشيء من أحوال نفسه وما آربها ، ويكر إلى الجامع بعد الغسل للجمعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها هريرة اغتسل للجمعة ولو اشتريت الماء بعشائك ، وما من نبي إلا وقد أمره الله تعالى أن يغتسل للجمعة » ويشغل بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة وأنواع الأذكار من غير فتور إلى أن يصلي الجمعة ، ويجلس معتكفا في الجامع إلى أن يصلي قرض العصر ، وبقيّة النهار يشغله بالتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه يرى بركة ذلك في جميع الأسبوع حتى يرى ثمرة ذلك يوم الجمعة . وقد كان من الصادقين من يضبط أحواله وأقواله وأفعاله جميع الأسبوع لأنه يوم المزيد لكل صادق ، ويكون ما يجد يوم الجمعة معيارا يعتبر به سائر الأسبوع الذي مضى فإنه إذا كان الأسبوع سليما يكون يوم الجمعة فيه مزيد الأنوار والبركات ، وما يجد في يوم الجمعة من الظلمة وسامة النفس وقلة الانشراح فلما ضيع في الأسبوع يعرف ذلك ويعتبره ، انظره . وفي [جص] « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم رمضان سلمت السنة » قال العزري : لأنه تعالى جعل لأهل كل ملة يوما يتفرغون فيه لعبادته فيوم الجمعة يوم عبادتنا كشهر رمضان في الشهور ، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان ، فمن سلم له يوم جمعة سلمت أيامه ، ومن سلم له رمضان سلمت له سنته اهـ .

(و) لا تتكلف أيضا (في منطق) أى في الكلام بالتصنع والتشديق والفصاحة والبلاغة لأجل أن تمدح بذلك الحديث : « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تحلل البقرة بلسانها » أى يتمشّدق بلسانه في الكلام ويلفه كما تلف البقرة الكلا بلسانها لفا ، وفي آخر : « هلك المتنطعون » أى المتعمقون في الكلام البليغ تكبرا وتصنعا وتفاخرا على الأقران لاسجية وسليقة ، فمن كانت فصاحته وبلاغته سجية فهو وصف ممدوح لحديث : « جمال الرجل فصاحة لسانه » ورحم الله من قال :

لسان فصيح معرب في مقاله فياليت في موقف الحشر يسلم
وما ينفع الإعراب إن لم يكن تقى وما ضر ذا تقوى لسان معجم

وفي [عف] والتكلف مذموم في جميع الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التملق الذي صار دأب أهل الزمان ، فما كاد يسلم من ذلك إلا آحاد وأفراد وكم من متملق لا يعرف أنه تملق ولا يفظن له ، وقد يتملق الشخص إلى حد يخرج به إلى صريح النفاق وهو مبين لحال الصوفى ، وأخرج عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الجيأ والعي ، شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان ، شعبتان من النفاق » البذاء : القبح ، وأراد بالبيان هنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم وإظهار التفصيح ، وذلك ليس من شأن أهل الصدق : انظره (إلا لإيضاح) وتبيين كلام (مشكل) من أشكل الأمر التبس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا . وفي [جه] وكثيرا ما يقول رضى الله عنه : العالم على الحقيقة من يشكل الواضح ويوضح المشكل لسعة علمه وكثرة فهمه وحسن نظره وتحقيقه ، فهذا الذي يجب حضور مجلسه والاستماع من غرائب وفوائد علمه ، كما قال الشيخ ابن عرفة في أبياته المنسوبة له :

إذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة بتقرير إيضاح لمشكل صورة

وغزو غريب النقل أو حل مشكل أو إشكال أبدته نتيجة فكرة
فدح سعيه وانظر لنفسك واجتهد وإياك تركا فهو أقبح خطه

انظره (و) لا تتكلف أيضا (للضيف) للواحد والجمع وقد يجمع على أضياف وضيوف
وضيفان وهي ضيف وضيقة . انظر [س] (في) كل ما تقدمه له من (القرى) وغيره ، والقرى
بالكسر والقصر : ما يقدم للضيف أول نزوله ، وهو من المسائل التي يندب فيها التعجيل الجموعة
في قول من قال رحمه الله :

بأدر بتوبة قرى والدفن بكر صلاة مع جهاد دين
وذيلها من قال رحمه الله :

تعجيل أوبة كندارى الجمار ثم الزكاة أدها قبل انكسار
ومن آدابه تقديم الموجد وترك التكلف بالمفقود ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

أقول لمن حل لي مرحبا فأحضره مالدى حضر
ولو كان خبز شعير وما فحسبي سنة من قد غير
فأما الكريم فيشكره وأما التيم فقد احتقر
بخبز وخل قرى جابر وأقرى بكسرة خبز عمر
بهديهم يا أخى فاهتدى ودع من يباهى ومن افتخر
فإن زمانك لا يقبل ١١ حلال به صرفا فالخدر

وفي [جص] « كفى بالمرء شرا أن يتسخط ما قرب إليه » وفيه « إذ اشتد عليك كلب ^(١) الجوع
فعليك برغيف وجرة من ماء القراح ^(٢) » وقل على الدنيا وأهلها الدمار ^(٣) وفيه « أكرموا الخبز
فإن الله أكرمه ، ومن أكرم الخبز أكرمه الله » وروى « ما استحق أحد الخبز إلا ابتلاه الله بالجوع »
ورحمه الله من قال :

أرى خبز الشعير بماء وملح لمن طالب النجاة له كثيرا
[لطيفة] قد أخبرني من أثق به أنه سمع من دعا إنسانا ليأكل معه خبز شعير وزيتا فقال له
ذاك غداء الشيطان نعوذ بالله من الخسران والخذلان . وفي البخارى عن أنس رضي الله عنه وعنايه
أمين « ومشييت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبز شعير وإهالة سنخة » وإهالة بكسر الهيمزة
ما أذيب من الشحم والسمنخة كنبقة المتغيرة الريح . وفي سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه « أن
النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم :
« أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة » وزاد غيره « وذكركم الله فيمن
عنده » وفي [حتى] وأما آداب التقديم فترك التكلف أولا وتقديم ما حضر ، فإن لم يحضره شيء ولم
يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه ، وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه ،
بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال : لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه .

(١) قوله كلب فتعني مصدر كلب الكلب كتب : أصابه داء كالجنون اهـ .

(٢) قوله القراح كحجاب : الماء الحامض اهـ . (٣) قوله الدمار : كهلاك وزنا وموتى اهـ .

وقال بعض السلف في تفسير التكلف : أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة . وكان الفضيل يقول : إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعوا أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه ، وقال بعضهم : ما بأبالي بمن أتاني من إخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ، ولو تكلفت له لكرهت مجيئه وملته . وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لي فتكلف لي فقلت له إنك لا تأكل وحده هذا ولا أنا وحدي فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه فلما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المحبة ، فقطع التكلف ودام اجتماعهما بسببه . ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم . وروى أن رجلا دعا هانيا رضي الله عنه فقال على : أجيبك على ثلاث شرائط : لا تدخل من السوق شيئا ، ولا تدخر في البيت ، ولا تجحف بعيالك . وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه . وقال بعضهم : دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزا وخلا وقال : لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم . وقال بعضهم : إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر ، وإن استقرت فلا تبقى ولا تذر . وقال سلمان : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا . وفي حديث يونس النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم : أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسرا وجز لهم بقل كان بزرعه ، ثم قال لهم كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفتم لكم . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة : أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ، ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحضر ما عنده أن يقدمه اه . وفيه : روى الأعمش عن أبي وائل قال : مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم لنا خبز شعير وملحاً جريشا ، فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعترا كان أطيب ، فخرج سلمان فرفهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا ، فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة ، انظرو . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تحتقر ما تقدمه للضيف ولا تحتقر ما قدم لنا إذا كنا ضيوفا ولو كسرة يابسة أو تمر واحدة ، لاسيما في هذا الزمان الذي قل فيه الحلال حتى إنه لا يكاد يوجد منه شيء في يد شيخ من مشايخ الفقراء فضلا عن آحاد الناس ، ولم يكلفنا الله تعالى أن نضيف الناس بالحرام والشبهات وإنما أمرنا أن نضيفهم بالحلال ، ثم قال : وقد بلغنا أن الحسن البصري زار عمر بن عبد العزيز أيام خلافته ، فأخرج له عمر نصف رغيف ونصف خيارة وقال : كل يا حسن فإن هذا زمان لا يتحمل الحلال فيه الإسراف اه . وقال ميمون بن مهران : زرت الحسن البصري فدققت الباب فخرجت لي جارية خماسية فقالت من تكون ؟ فقلت لها ميمون ، قالت كاتب عمر بن العزيز ؟ فقلت لها نعم ، فقالت وما حياتك يا شقي إلى هذا الزمان الخميث ، ثم استأذنت الحسن فأذن لي فدخلت عليه ، فأخرج لي كسرة وشقة بطيخ ، وذكر لي زيارته لعمر بن عبد العزيز وتقديمه له الكسرة والخيارة فإذا كان هذا حال الخلفاء أمراء المؤمنين في المئة الأولى فما ظنك يا أخي بالنصف الثاني من القرن العاشر صاحب الغرائب والعجائب في عدم تورع أحد من أهله ذلك التورع ، فأطعم يا أخي لله تعالى بشرط الحل فإنك مسئول عن كل لقمة تطعمها لضيوفاك من أين اكتسبتها والله يتولى هداك ، انظرو ، وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله

(١) هو يونس بن متى نسب إلى أمه ، وقيل هو اسم أبيه صلى الله عليه وسلم اه مرفعى .

صلى الله عليه وسلم أن تقرى^(١) الضيف ونكرمه ونأمر جميع إخواننا بذلك ونبين لهم ما ورد في تأكيد حقه ، وهذه السنة عظيمة والعامل بها قليل لاسيما قرى الأمراء لا تكاد ترى لهم رغيفا إلا في النادر ، وكان الأولى لهم إحياء هذه السنة التي اندرست ، ويقرون كل وارد عليهم حسب الطاقة لأن حامل العلم والقرآن من نواب النبي صلى الله عليه وسلم وصغيرته كبيرة ، فينبغي لكل عالم أن يدعو طلبته إلى طعامه كلما قرءوا عليه ولورغيفا يفرقه عليهم ، ثم قال : وسمعت أخى أفضّل الدين يقول : إياك أن تضيف إنسانا ويخطر ببالك المقابلة إذا وردت أنت الآخر عليه بل أطعمه لوجه الله لا تريد منه جزاء ولا شكورا ، ومتى خطر في بالك أنه يقابلك إذا وردت عليه فليست مخلصا بل أنت مرء والمرأى أجره حابط من أصله ، وهذا حال غالب الناس اليوم ، فإن علمت ذلك يا ولدى من إنسان فلا تأكل له طعاما لاسيما الفلاحين فإن أحدهم لا يتكلف لمن ورد عليه إلا على نية طلب العوض لعجزهم عن بلوغ مقام الإخلاص ، وإن شككت فجرب اه . ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : إياك أن تأكل لمن استضافك لأجل اعتقاده فيك الصلاح فإنك إن كنت صالحا في نفس الأمر فقد أكلت بدينك وإن لم تكن صالحا فقد أكلت حراما بنص الشريعة ، فقلت له ممن أكل ؟ فقال لا تأكل إلا ممن لو آك تشرب الخمر لا يقطع ضيافته عنك فإنه حينئذ يطعمك الله تعالى ، بخلاف من غلب ظنك فيه . أنك لو سلمت من الصلاح لم يطعمك لقمة اه . وهذا ورع الفقراء الذين مضوا ، وأما اليوم فلا تكاد ترى أحدا يتورع من ذلك ، ثم قال : ومن أعان ضيفا على تعدى آداب الشارع فهو إلى قلة الأجر أقرب ، فينبغي للفقير أن يكون أشفق على الناس وعلى دينهم من أنفسهم ، فقلت له ربما خاف الإنسان من نسبته إلى تقصير إذا أخرج للضيف كسرة يابسة ؟ فقال من يخاف العتب من الناس ما هو من رجال هذا المقام إنما هذا لمن يراعى الله وحده . وقد جربنا أنه ما أخلص عبد في شيء ورد عليه أبدا فإن رد عليه بسوء فإنما ذلك لشيء يخالطه من أهوية النفوس ، ثم قال : وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله يقول : إذا صرت موردة للناس فإياك أن تتكلف للضيف فإنك تهرب ولو على طول ، والله عليم حكيم اه . وفي [عف] ويكره أكل طعام المباهاة وما تكلف للأعراس والتعازي ، انظره . وفي [جه] ومن عادته رضى الله عنه أنه لا يخرج من داره شيئا لأضيافه أو غيرهم إلا بعد كفاية من بداره منه ، وإن أخرج يوما طعاما لم يكن فيها غيره حاضرا عوضهم آخر مثله لا محالة ، وينبه على ذلك ويربى به غيره مخافة التوصل لحق بترك حق ، ومن شأنه رضى الله عنه حفظ الطعام واحترامه متى فضل شيء منه التمس في الحين من يأكله ، وإذا خرج الطعام من داره للأضياف وفضل عنهم يتصدق به فلا يرجع إلى الدار منه شيء أصلا لأنه خرج الله تعالى اه .

[قلت] للحديث « العائد في صدقته كالكتاب يعود في قبته » وأما من لم يخرج له على تلك النية فله أكل ما فضل للضيف ولا سيما إن صحّت النية ، فقد عدوا فضلة الضيف من الأمور التي لا حساب فيها على الإنسان ، وجمعها من قال رحمه الله :

قد جاء لا حساب في أكل السحور كذا مع الإخوان أو أكل الفطور
وزد لهذا فضلة الضيف فقد صرح بعض أن هذا قد ورد

وفي [خل] وقد كان بعض السلف إذا جاءه الأضياف يقدم لهم في وقت واحد ما يقوم بنفقته شهرا ونحوه ، فيقال له في ذلك فيقول قد ورد أن بقية الضيف لا حساب على المرء فيها ، فتكان لا يأكل إلا فضلة الضيوف لأجل ذلك اهـ (عقافة) أي من أجل خوف (بغضة) بكسر موحدة: شدة البغض الحديث : « لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله » وفي [عف] ومن أدبهم أن لا يتكلفوا للإخوان . قيل لما ورد أبو حفص العراق تكلف له الجنيذ أنواعا من الأطعمة فأنكر ذلك أبو حفص وقال : صير أصحابي مثل المخائث يقدم لهم الألوان والفتوة عندنا ترك التكلف ، وإحضار ما حضر فإن بالتكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف ويترك التكلف يستوى مقامه وذهابه اهـ . وفي [ثيق] أخذ علينا العمود أن لا يتكلف قط لضيف ولو كان من أعز الناس أو من الصالحين سدا لباب التكلف الذي تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « نحن معاشر الأنبياء برءاء من التكلف » ثم قال : واعلم يا أخى أن كل من تكلف للضيف فلا بد له من كراهته للقائم وقفل بابيه عليه والهرب منهم ولو على طول حيث أخطأ السنة ومن شك فليجرب ، ثم قال : وكان سيدى الشيخ على الخواص يسقى الضيف الماء فقط ويقول الماء أحل ما وجدناه اليوم والأكل كثير عند غيرنا ولكل مقام رجال . والله واسع عليم - اهـ . وفي [غ] وفي الحديث : « من مكارم الأخلاق التزاور في الله » وحق على المزور أن يقرب إلى أخيه ما تيسر عنده وإن لم يجد إلا جرعة ماء وإن احتشم أن يقرب إلى أخيه ما تيسر له لم يزل في مقت الله يومه وليلته اهـ . وفي [جص] « لا خير فيمن لا يضيف » وفيه « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » وفيه « إذا دخل الضيف دخل برزقه وإذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم » وفيه « من ذبح لضيفه ذبيحة إكراما لله كانت فداءه من النار » قال الحنفى : أى ذبيحة كانت ولو دجاجة ونحوها اهـ . وقال : وإكرام الضيف بحسب ما يقتضيه الحال من إطعامه حتى يشبع ولا يجلس فوقه بل تحته ويهيئ له ما يركبه إن كان منزله بعيدا اهـ . وفيه : سخافة بالمرء أن يستخدم ضيفه . وقد علمت أن السين والتاء للطلب أما لو تطوع بخدمة بنية صالحة فلا يضر . ونقل أن بعض الأولياء كان يضرب أضيافه فاستغرب بعضهم ذلك فقصدته ليخبره فصار يصب الماء على يده بنفسه ويقدم له النعل ، وكل ما يفعل معه شيئا من ذلك يقول له الضيف واجب عليك ذلك ، فقال له لم لم تضربني كغيزى من الضيوف ؟ فقال لأنك لم تمنعني من السنة فضربني لم لأجل كفهم عن منعني من خدمتهم اهـ . ومما ينبغى أيضا مواكلة الضيف لقوله صلى الله عليه وسلم لأمتنا عائشة رضى الله عنها وعناها أمين « وآكلى ضيفك فإن الضيف يستحي أن يأكل وحده » اهـ . وأن يلقمه لقمة الحديث : « إذا أكل أحدكم مع الضيف فليلقمه ^(١) بيده فإذا فعل ذلك كتب له بكل لقمة عمل سنة صيام نهارها وقيام ليلها » اهـ ومما ينبغى للضيف أن لا يسأل عما قدم إليه من الطعام أحلال أم لا ؟ الحديث « إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم فأطعمه من طعامه فليأكل ولا يسأل عنه وإن سقاه من شرابه فليشرب ولا يسأل عنه » أى اللهم إلا أن يعلم حرمة فلا يقربه وليتستر على نفسه بالصيام ونحوه كما وقع لبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه غير ما مر ، ومما ينبغى له أن لا يصوم إلا بإذن رب المنزل الحديث « إذا نزل الرجل بقوم فلا يصم

(١) بضم تحتية وتشديد فاف : من التلقم اهـ .

إلا بإذنهم اه . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نكرم كل ضيف ورد علينا سواء كان إنساناً مؤمناً أو كافراً أو غير إنسان من سائر الحيوانات أو غيرها حتى الأيام والساعات والدرج والدقائق والثواني والحواطر والواردات كل صنف بما يناسبه ، فيكرم الضيف المسلم بالباشة وإطعام الطعام والفرش والغطاء وتحلية الكلام له ونحو ذلك . قال بعضهم : وينبغي أن يزيد في الباشة والإكرام للضيف الكافر تأليفاً له على الإسلام ، ونكرم الأيام والساعات والدرج^(١) والدقائق والثواني بالطاعات والإكثار من ذكر الله عز وجل وكثرة الاستغفار لتفارقنا ، وهي شاكرة غير دامة إذا رجعت إلى خالقها ، والواردات والحواطر بتنظيف بواطننا من الحرام والشبهات فإن لم يقع منا إكرام لما ذكر أكثرنا من الاستغفار اه . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - قال رحمه الله :

(وَكُنْ مُتَوَاضِعاً حَيِّاً وَلَيِّناً وَكُنْ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ مَعَ كُلِّ ذَرَّةٍ)

(وكن متواضعاً) من تواضع : تخضع وتذل . وفي [عف] ومن أحسن أخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ، ومن ظفر بكفر التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل أحد مقداراً يعلم أنه يقيمه ويقيم كل أحد على ما عنده من نفسه ، ومن رزق هذا فقد استراح وأراح وما يعقلها إلا العالمون ، ثم أخرج بسنده عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض » وقال عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال « على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس » وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمساكين ، ثم أخرج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر » وورد أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام : « طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة مثل الجنيد عن التواضع فقال : خفض الجناح ولين الجانب ، وسئل الفضيل عن التواضع فقال : تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه ، وقال أيضاً : من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب ثم قال : قال أبو حفص : من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليلتزم بحرمتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام : لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع . وقال النووي : خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا : عالم زاهد ، وفقه صوفي ، وغني متواضع ، وفقير شاكرك ، وشريف سني . وقال يوسف بن أسباط : وقد سئل ما غاية التواضع قال : أن تخرج من بيتك فلا تاتي أحداً إلا رأيته خيراً منك . ثم قال بعضهم : من تكبر فقد أخبر عن ندالة نفسه ، ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذي : التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونهيه فإن النفس لطلب الراحة تتلهى عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نهيه فإذا وضع نفسه لأمره ونهيه فهو تواضع ، والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فإن اشتهت نفسه شيئاً مما أطلق له من

(١) قوله الدرج يتحتين جمع درجة كقصب وقصبة وكفرة وغرف : المراقبة التي يصعد بها اه .

كل نوع من الأنواع منعها ذلك ، وجملة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى : واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه ، فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب ، قتلين وتطبيع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها ، انظره . وفي [حى] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وماتواضع أحد الله إلا رفعه الله » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة ^(١) يسكانه بها فإن هو رفع نفسه جهنماها ثم قال : اللهم ضعه ، وإن وضع نفسه قال اللهم ارفعه » وقال صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة ، ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله » وفيه : وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ، إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي وألزم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أبجلى . وقال صلى الله عليه وسلم : « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى » وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة ، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله يوم القيامة . وفيه قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة » وقال صلى الله عليه وسلم : « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا رحمكم الله » ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم المتواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار » وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل ، وأن ترفع نفسك عن من فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل : وقال الحسن : التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جلالاً أو ثياباً أو علماً فلم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة ، أنظره . وفي الحكم : من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً إذ ليس التواضع إلا عن رفعة ، فمَنْ أثبت لنفسك تواضعاً فأنت المتكبر حقاً . وعن أبي يزيد رحمه الله ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر . قيل فمَنْ يكون متواضعاً ؟ إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالاً . وفي [جد] سألت شيخنا رضي الله عنه عن حقيقة التواضع ؟ فقال رضي الله عنه : حقيقته أن يرى نفسه دون كل جليس ذوقاً لا علماً ، وذلك لأن الذوق لا يصير عند صاحبه بقية كبر ولا يتكدر قط ممن يزدريه ، بخلاف من كان تواضعه لجليسه علماً فإنه يطرده الكبر في بعض الأوقات ويتكدر ممن ينقصه ، ثم قال : شروط التواضع الغيبة عن التواضع ، وذلك لأن من يشهد تواضعه لا بد أن يكون أثبت لنفسه مقاما غالباً ، ثم تواضع وتنازل منه لأخيه وكفى بذلك كبرا ، وفي الحديث : « لا يدخل الجنة من في قلبه ذرة من كبر » أنظره وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتواضع لإخواننا المسلمين بمعنى أننا نرى نفسنا دونهم في المقام لا أننا نرى مقاما فوقهم ونتنازل لهم منه كما هو ظاهر لفظ التواضع ، أنظره .

(١) حكمة كقصبة : مقدم وجه الإنسان ، وما أحاط بحكك الفرس من بجام اه .

وفي [ثيق] فاشهد نفسك يا أخى دون جليستك المسلم لتصير من أهل التواضع ويرفعك الله تعالى فوق أقرانك فإن في الحديث الصحيح: «من تواضع لله رفعه الله» فإن رأيت نفسك فوق إخوانك صرت تحتهم وإن شهدتهم فوقك صرت فوقهم ، ولم يتعبدنا الحق تعالى بأن نرى نفوسنا فوق أحد من الخلق إلا من حيث الشكر فقط ، لا من حيث الزهو والعجب والكبر ، بل نهانا عن الكبر أشد النهي ، وقال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» يعنى على أخيه المسلم : ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يبلغ العبد مقام التواضع حتى لا يرى له مقاما على شيء في الوجود عند الله تعالى : أى على سبيل التواضع إلا بنص صريح من الشارع صلى الله عليه وسلم ، بل ينزل نفسه تحت الأرضين السفلى الذى هو مقر نفوس العارفين ، وما دام يرى له مقاما عاليا يتنازل منه إلى الناس فهو من المتكبرين ، فهو وإن تواضع يرى نفسه على الناس الذين تواضع لهم لأنه أثبت له مقاما فوقهم تنازل لهم منه ، وما هكذا يكون تواضع العارفين . وسمعت مرات يقول : من علامة المتخلق بمقام التواضع على الحقيقة أن يتحمل أذى الخلق أجمعين ولا يقابلهم بأذى كما يفعل العبد مع سيده ، وهذا الأمر هو الذى أعان الفقراء على تحمل الأذى من الخلق ، فإنهم لو رأوا نفوسهم أعلى أو متساوية لما احتملوا أذى أحد من الخلق ، بل كانوا يقابلونهم بنظير ما فعلوا معهم ، وتأمل يا أخى العبد لما ظهر له مقام سيده الذى اشتراه ووزن ثمنه كيف يشتمه سيده ويضربه وهو ساكت منكس الرأس ، ومن علامة المتحقق به أيضا : إن لا يمنع أحدا شيئا طلبه منه إلا لغرض صحيح شرعى كما يفعل العبد مع سيده ، ومن علامته أيضا أن لا يخطر في باله أن أحدا يقوم له أبدا أو أنه يستحق القيام له كما هو شأن العبد مع سيده ومن علامته أيضا أن لا يتأثر ممن يهجو ويذكروه بالنقائص ، بل يقول إن الهجو ورميه بالنقائص وقع من أهله في محله إلا أن يكون الأولى في الشرع خلاف ذلك ، ومن علامة المتحقق به أيضا أن لا يتجرأ على دخوله المسجد إلا تبعا للناس وإذا جاء فوجد المسجد ليس فيه أحد يقف على الباب حتى يدخل أحد فيدخل تبعاله لأسرار يذوقها أهل الله تعالى ، ثم قال : ومن علامة المتحقق به أيضا كثرة تسليمه للخلق في كل ما يدعونه من مراتب الكمال ويقول إن أهل الأرض لا يعرفون أخبار من هو في السماء : أى إن الأدنى بعيد عن الإحاطة بحال الأعلى فليمتحن العبد نفسه بهذه العلامات فإن رآها متخلقة بها فليشكر الله وإلا فليتب إلى الله تعالى من التكبر ، انظره . وفي [جص] «تواضعوا لمن تعلمون منه العلم وتواضعوا لمن تعلمون ولا تكونوا جبابرة العلماء» قال المناوى : وتماه «فيغلب جهلكم علمكم» قال الحفنى : فإن من خضع لشيخه تجلى الله عليه بالأنوار وكان سببا لإتحافه بالفهم حيث راغى حق شيخه في السر والعلانية ، ومشايخ التسليك أولى بذلك فقد قالوا : لا ينبغي له أن يجالس شيخه إلا إذا وصل إلى حالة لا ينتقد شيخه في فعل ما ، ولا يقدرى شيخه يخالط الناس ويمارح فينتقده فيحرم بركته مع كون شيخه يفعل ذلك ظاهرا وقلبه مع الله تعالى ، فالوفق من كان في مرضاة شيخه وقضاء حاجته وإن لم يسأله وأن يعتقده أفضل أهل العصر ولا يشتغل بغيره عنه ، وقد وقع أن الشيخ خليلا صاحب المختصر جاء يوما فلم يجد شيخه فسأل عنه فقيل له : إنه ذهب يأتى بسرباقى ينزح الحش^(١) ، فخلع ثيابه ونزح الحش فجاء الشيخ فوجده

(١) قوله ينزح فتج معجزة من نزح كنع : وقوله الحش فتج جاء وضها : الكنيف اه .

يترج الحش فتوجه إلى الله تعالى ودعاه بأن يكون من أهل الفقه والتأليف والوصول فوجدت عنده أنوار المعارف في الجلال اه . وفيه « وقرؤا من تعلمون منه العلم ووقروا من تعلمونه العلم » قال المناوي : فحق المعلم أن يجري طلبته مجرى بنيه فإنه لهم في الحقيقة أب ومن توقيرهم أن لا يستعملهم في قضاء حوائجهم اه .

[قلت] فالسبب والتناء للطلب والمذموم أن يطلب منهم ذلك طوعا أو كرها ، وأما من تبرع منهم بشيء بنية صالحة فلا يمنع من ذلك إن كان حرا مكلفا وإلا فلا . وفي [حى] ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائية وينصر وليه ويعادى عدوه ويتنهض جهارا له في حاجاته ومسخر بين يديه في أوطاره ، فإن قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأحسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي أن يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه ، أنظره وانظر [خل] فقد أفاد وأجاد فيما عمت به البلوى معلمى الوقت من استعباد واسترقاق تلامذتهم طوعا وكرها في أغراض فانية وحظوظ نفسانية وأهواء شيطانية ، عافانا الله وإياهم من الخن والقتن وأغرقنا وإياهم في دائرة فضله ورضاه بمحض جوده وكرمه آمين . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فیدعون بالردی علی من تلمذوا	إذا لم يساعدهم بأهوا مضلة
فمن لم ينلهم من دراهم المني	ينل منهم شرا وأسوأ غلظة
ودار بخدمة ومال جميعهم	تنل منهم الرضى بأسرع لحظة
بلوت فلا أرى سوى من يعلم	لأغراض نفسه وأهوا خبيثة
ومن شك فليخبر ^(١) أهيل زمانه	يرى صدق ما أقول من غير مربة

(حييا) أى وكن كثير الحياء وهولعة تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاقب به ، وشرعا خلق يبعث على ترك القبيح وفعل الحسن ، وقيل الحياء ما يمنعك عما يضرك . وقال الحليمي : الحياء من الله طريق إلى كل طاعة وترك كل معصية فيفوز صاحبه بكمال الإيمان ، وفي [جص] « الحياء والإيمان مقرونان لا يفترقان إلا جميعا » وفيه « الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار » وفيه « الحياء زينة ، والتقى كرم ، وخير المركب الصبر ، وانتظار الفرج من الله عبادة » وفيه : « الحياء خير كله والحياء لا يأتي إلا بخير » وفي [عف] قال سهل : أدنى مقام من مقامات القرب الحياء . وقال النصر باذى : باتباع السنة تنال المعرفة ، وبإداء الفرائض تنال القرية ، وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة ومنها الحياء ، والحياء على الوصف العام والوصف الخاص ، فأما الوصف العام فما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحي يا رسول الله ، قال ليس ذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى : ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء » وهذا الحياء من المقامات ، وأما الحياء الخاص فمن الأحوال وهو ما نقل عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : إني لأغتسل في البيت المظلم فأنظوى حياء من الله ، أنظره . ولذا قال فيه صلى الله عليه وسلم « أحبي هذه الأمة عثمان » وقال فيه لما غطى فخذه الشريفين في

(١) قوله فليخبر فتح تحية وضم موحدة من خبر كنصر اه .

فضية البئر المعلومة : ألا أستحي لمن تستحي منه الملائكة ، وفي [شب] قيل لأبي سفيان ما أول الحياء ؟ فقال أن تستحي منه أن يراك حيث نهاك . قبل فإغايته ؟ قال أن تستحي منه أن يعلم أنك تريد بقلبك سواء . وقالت عائشة رضي الله عنها « مكارم الأخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق اليأس ، وأداء الأمانة ، وإكرام الجار ، وصلة الرحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف ، وحفظ الزمائم للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء . وقال بعض السلف لابنه : يا بني إذا دعيتك نفسك إلى معصية فارم ببصرك إلى السماء واستح ممن فيها ، فإن لم تفعل فارم ببصرك إلى الأرض واستح ممن فيها ، فإن لم تفعل فعد نفسك من البهائم وافعل ماشئت ، ورحم الله من قال :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وروى آخر : ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » ورحم الله

من قال :

إذا لم تحصن عرضاً ولم تخش خالقاً وتستح مخلوقاً فما شئت فاصنع

وفي الحديث القدسي : « يا عبدى إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك الحساب يوم القيامة » انظره . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تستحي من الله حق الحياء سرا وجهرا حتى لا تكون لنا سريرة سيئة نخشى من ظهورها وفضيحتها لآفي الدنيا ولا في الآخرة ، ونأمر جميع إخواننا بذلك وبحاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح يسلك به حضرات القرب ويدخل به حضرات الإحسان حتى لا يكاد يخرج منها إلا في النادر ، وهناك يكون شهوده للحق مستداما فتارة يرى أن الله يراه وتارة يؤمن بأنه جليس الله وإن كان لا يراه ، كالأعمى يعرف أنه جليس زيد وإن كان لا يراه ، ومن لم يسلك على يد شيخ فمن لازمه غالبا قلة الحياء مع الله تعالى حتى في صلاته . وسمعت أني أفضل الدين رحمه الله يقول : لا يبلغ أحد مقام الحياء مع الله تعالى حتى يتعطل كاتب الشمال فلا يجد شيئا يكتبه في حقه أبدا ، وحتى يصير لا يتجرأ على مدرجله إلا إن استأذن الحق ، ولا يتكلم كلمة إلا إن استأذنه وهكذا ، هذا في الأمور العادية أما الأمور المشروعة فيمكنني فيها بالإذن العام ، وبالجملة فكل من وقع في سهوة كمعصية أو مكروه فما استحي من الله حق الحياء المشروع ، ثم قال : وسألت شيخ الإسلام زكريا رحمه الله عن الفرق بين الحياء الشرعي والحياء الطبيعي ؟ فقال : الفرق بينهما هو أن الحياء الشرعي يكون فيما أمر به الشارع أو نهى عنه فيستحي من الله أن يترك مأمورا أو يقع في منهي . والحياء الطبيعي يكون فيما سكنت عنه الشارع من الأمور العادية كأن يستحي أن يخرج بعمامة لا نلق به أو يخرج إلى السوق بغير رداء على كتفه ونحو ذلك ، ومن الفرق أيضا أن يكون تقبيحه للأمور تبعا للشارع لا بحكم الطبع كما يقع فيه غالب الناس فيقع في الغيبة والنميمة ولا يستقبح ذلك ، ويستقبح أكل الشيء المخدر أو شرب القهوة أو الجلوس على دكان حشاش مع أن ذلك أخف من إثم الغيبة والنميمة بيقين ، ولو أنه مشى على الحياء الشرعي لاستقبح ما قبحه الشارع أكثر مما قبحه الطبع اه . فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك ، انظره . وفي جد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول : من استحي من الله تعالى في هذه الدار استحي الله منه في الدار الآخرة ، فقلت

ماصفة استحياء الله من عبده ؟ فقال رضى الله عنه : أن يباسطه ويقول يا عبدى لا تخف منى فإن جميع ما كان وقع منك من الخلفات والتقصير فى دار الدنيا إنما كان بقضائى وقدرى وتنفيذ مشيئتى وإرادتى التى لم أكلف أحدا بمخالفتها فأنت يا عبدى كثرت موضعاً لجرىان أحكامى وظهور سلطانى ، فيأنس العبد بذلك ألد المؤانسة ولو أن العبد قال هو ذلك القول لربه فى دار الدنيا أو الآخرة لأساء الأدب مع الله تعالى ولم يسمع منه ، فاعرف أدب الخطاب تفتح لك الأبواب ، فقلت له فما هى الأسباب الحافظة للعبد عن الوقوع فىم لا ينبغى ؟ فقال رضى الله عنه هى أربعة : الحياء والخوف ، والرجاء ، والعصمة أو الحفظ فى علم الله تعالى لهذا الشخص اهـ (ولينا) بتشديد تحتية وتخفيف كهين وهين وميت وميت ، لكن قال ابن الأعرابى : إن العرب تمدح بالهين واللين مخففين وتلزم بهما مثقلين . وفى [جص] « المؤمن هين لين حتى تخاله من اللين أحمق » وفيه « المؤمنون هينون لينون كالجمل الآنف ^(١) » إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ » وفيه « ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غدا : كل هين لين قريب سهل » وفيه « من كان سهلاً هيناً ليناً حرمه الله على النار » وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية : السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف ، ثم قال أبو مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال « أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل فكلمه فأرعد ، فقال هون عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » وعن بعضهم فى معنى لين جانب الصوفية :

هينون لينون أيسار بنو يسر سواس ^(١) مكرمة أبناء أيسار

لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا بإكثار

من تلق منهم نقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى انظره
وفيه : ومن أدبهم فى الصحبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة : قال أبو على الروذبارى : الصولة على من فوقك قحة ^(٢) وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز اهـ .
وعن النبي صلى الله عليه وسلم « من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حرم خطه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » وعنه صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق فى الأمر كله » وعن الغزالي رحمه الله : فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به ، رفيق فيما ينهى عنه ، حلیم فيما يأمر به حلیم فيما ينهى عنه ، فقيه فيما يأمر به ، فقيه فيما ينهى عنه . ووعظ بعضهم المأمون فأخلف عليه فقال له : يا هذا أرفق فقد بعث من هو خير منك إلى من هو شر منى . قال تعالى - فقولا له قولاً ليناً - ويؤخذ منه أنه يتعين على العالم الرفق بالطالب وأن لا يوبخه ولا يعنفه ولا يشدد عليه فى شىء ، قال تعالى - وقولوا للناس حسناً - وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعود نفوسنا طيب الكلام وطلاقة الوجه لكل مسلم من عدو وصديق ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يدخل به الحضرات الإلهية فيشهده بحاسن الوجود ويحجبه عن مساويه ، إذ الحاسن هى الأصل والمساوى عارضة عرضت من حيث الأحكام الشرعية لا غير ، فإذا شهد تلك المشاهد صار مخاطب من الخلق السر القائم بهياكلهم لاهم ، ومن كان يخاطب سر الله تعالى

(١) قوله الألف بكسر التون ككتف اهـ .

(٢) قوله سواس : جمع سائس .

(٣) القحة : الخالص من اللوم .

فكانه يخاطب الله ، ومن كان هذا مشهده رزق من طيب الكلام وطلاقة الوجه مالا يقدر قدره وجنبه الله كل كلام جاف . ثم قال : فعلم أن من لم يسلك على يد شيخ كما ذكرنا فن لازمه غالبا الكلام الجاف للناس لاسيما أصحاب الموازين على ظاهر الشرع فإنهم يزدرون ويحتقرون كل من خالف ما فهموه ويغلظون عليه الكلام إلا إن كان له مال أو جاه كما هو مشاهد منهم حال خطابهم الأمراء والمباشرين مع علمهم بمظالمهم وشربهم الخمر وتضييع الصاوات وغير ذلك ، فيتلطفون بهم في حال خطابهم أشد الملاطفة ، ومن لا مال له ولا جاه من الحشاشين وأصحاب الكتب ولو فتح الله عيون بصائر هؤلاء لتلطفوا في كلامهم لسائر المسلمين ، فإن ذلك أقرب إلى إقيادهم وسماع وعظهم . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : من شرط الداعى إلى الله تعالى أن لا يكون عنده غلظة ولا فظاظة على الفسقة المارقين ، بل يجب عليه تليين الكلام والتقرب إلى خواطرهم بالإحسان إليهم حتى يميلوا إليه فإذا مالوا فابنصحهم إذ ذاك . وقد بلغنا أن داود عليه السلام كان يغلظ القول على عصاة بني إسرائيل حتى أنه يقول : اللهم لا ترحم من عصاك ، فلما وقع في الخطيئة التي ذكرها الله تعالى صار يقول اللهم اغفر للخطاة حتى تغفر لداود معهم ، ثم أوحى الله تعالى إليه : يا داود المستقيم لا يحتاج إليك والأعوج أغلظت عليه بالقول حتى تفر منك ونفرت منه ، فلماذا أرسلت ، فتنبه داود لذلك وصار يطوف على بني إسرائيل في بيوتهم ويكلمهم بالكلام اللين ويعظهم بالموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن ، ثم قال فاعرف يا أخى طرق السياسة وعود نفسك طيب الكلام سواء كان المخاطب صالحا أو طالحا ، انظره (وكن حسن الأخلاق) جمع خلق بضمين (مع كل ذرة) في الوجود ناطقة أو صامتة ساكنة أو متحركة :

وفي [حى] وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه الصلاة والسلام إذ قال - وإنك لعلى خلق عظيم - وقال صلى الله عليه وسلم : « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق » وقال أسامة بن شريك « قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق » وقال صلى الله عليه وسلم « أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيقطع عنه النار » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق ، قال أبو هريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك » وفيه « وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلى قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - » وسئل صلى الله عليه وسلم « أى الأعمال أفضل ؟ قال خلق حسن » وفيه : قال الفضيل « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها ؟ قال لا خير فيها هى من أهل النار » وقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ، ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوئى فقواه بالبخل وسوء الخلق » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله استخاض هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق الأفريقين دينكم بهما » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله : تقوى تحجزه ^(١) عن معاصي الله ، أو حلم يكف به السفهية أو خلق يعيش به بين الناس »

(١) قوله تحجزه بفتح فوقية وضم جيم من حجز كنصر اهـ .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة: اللهم أهدني لأحسن الأخلاق ولا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت» وقال صلى الله عليه وسلم «من سعادة المرء حسن الخلق» وقال أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف في العبادة» وقال صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح» وقال عليه الصلاة والسلام: «إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم وقال أنس: إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة الجنة وهو غير عابد، ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك جهنم وهو عابد». وقال وهب بن منبه: مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترفع ولا تعاد طينا، لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى عابد سيء الخلق. وقال يحيى بن معاذ: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا تنصر معها كثرة السيئات، انظره. وفي [جص] «الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» وفيه «الخلق الحسن لا يفرغ إلا من ولد حيضة أو ولد زنية» وفيه «حسن الملكة بالمعروف نماء وسوء الخلق شؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء» وفيه «حسن الملكة بمن وسوء الخلق شؤم وطاعة المرأة ندامة والصدقة تدفع القضاء السوء» وروى «من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه ومن لاحى الرجال ذهبت كرامته وسقطت مروءته» وروى «ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وسوء الخلق شؤم وشراركم أسوأكم خلقا» اهـ. وروى «مكتوب في التوراة صلة الرحم وحسن الخلق وبر القرابة يعمر الديار ويكثر الأموال ويزيد في الآجال وإن كان القوم كفارا: اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق ولا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها ولا يصرف سيئها إلا أنت يا أرحم الراحمين آمين. وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحسن خلقنا مع الناس ما استطعنا ونرغب جميع إخواننا في ذلك، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح حتى يُلطف كفافه ويخرجه من دركات الجفاء إلى درجات حسن الخلق ومن لم يسلك على يد شيخ فمن لازمه غالبا سوء الخلق إلا أن تحفه العناية من الأزل فثقل هذا لا يحتاج إلى شيخ في ذلك إن شاء الله، ثم قال: وكان السلف الصالح رضى الله عنهم كلهم يقولون: الدرجات هي الخلق الحسن فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدرجات، وكانوا إذا آذاهم إنسان يعتذرون إليه ويقولون نحن الظالمون عليك ولو أننا أطعناك فيما طلبته منا ما آذيتنا فاللوم علينا لا عليك، وكانوا إذا بلغهم عن امرأة أو عبد سوء خلق تزوجوا أو اشتروا العبد وصبروا على سوء خلقهما، وكذلك كانوا يشترون الحمارة أو البغلة الحرون فيركبونها ولا يضربونها يروضون نفوسهم في الصبر عليها، وكان على هذا القدم سيدي أفضل الدين رحمه الله فكان لا يحرك رجله على الحمارة أبدا إذا ركبها، ثم قال: فعلم أن من أعظم حسن الخلق صبرك على من تقدر على تنفيذ غضبك فيه ثم تركه كزوجتك وفنالك. وقد كان سيدي على الخواص رحمه الله يقول: لي مع ابنة عمي سبع وخمسون سنة ما أظن أننا بتنا ليلة واحدة صلحاء إلى يومنا هذا. وحكى عن الشيخ جلال الدين شارح المنهاج أنه كان له فتى قوى الرأس كثير اللعب فكان الشيخ يذهب إلى القرن يخبز ويمر عليه وهو يلعب فيقف عليه وهو حامل طبق الخبز ويقول ويلك قم تعال كل من هذا الخبز السخن، فلا يقوم له فيذهب الشيخ إلى البيت ويرجع له ثانی مرة يطلبه للغداء رضى الله عنه، وكذلك من أعظم حسن الخلق أن تغفر وتسامح من آذاك من الناس عملا بقوله تعالى - وإذا

ما غضبوا هم يغفرون. وكذا من أعظم حسن الخلق أن يكون الإنسان نفاعا للناس ومع ذلك يذمونهم ويتقصونه فلا يمنعه ذلك من النفع لهم وذلك كغيب الفقراء وناظر وقفهم فإن من لازمهم غالبا ذم الفقراء لهما وحملهما على محامل سيئة، وإن جميع ما يصل إليهم إنما هو فضلة الغيب والتناظر. وقد كان الشيخ يدور الدين شيخ نقباء سيدي أبي السعود بن أبي العثائر يعمل الطعام الفاخر من عنده للفقراء والزوار، ويقول شخص خرج لكم عن هذا الطعام ويوهمهم أن ذلك من غيره، ثم يسمعونهم يقعون في عرضه ويقولون هذا لا يأتينا إلا بما فضل عنه، ومع ذلك فلا يصدده ذلك عن الإحسان إليهم بل يفرح ويقول: العبد لا يعامل إلا الله وأما الخلق ففاليك ليس معهم شيء يأخذونه منهم يوم القيامة، وحكى ذلك لسيدى على الخواص فقال: هذا من أعظم أخلاق الرجال فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك، انظره.

وفيه: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتدخل بالفظاظة وعدم الشفقة والرحمة على أحد من المساكين وسائر الحيوانات بل نكون رحما بخلق الله كلهم بطريقة الشرع لإدخالنا لعدم الأذى عليهم كما نحب أن يفعل بنا ذلك فإن من لا يرحم لا يرحم، فتجد الشفرة (١) للذبح مasher لنا ذبحه وقتله من الحيوانات المؤذية ولا نمثل بشيء منها قط ولو قلة أو بعوضة فضلا عن الكلب والهر، ثم قال: وكان سيدي أحمد بن الرفاعي يأمر أصحابه بالصبر على أذى القمل، ويقول: كيف يدعى أحدكم الصبر على البلاء وهو ينفذ غضبه في قملة أو برغوث ولا يحمل أذاها فضلا عن أذى أعدائه من الناس؟ فإن أردت يا أخي العمل بهذا العهد فاسلك على يد شيخ ناصح يلطف (٢) كثافتك ويزيل عنك الغلظة والتجبر ويلحقك بالملازمة الكرام وتصير تشفق على غيرك من سائر خلق الله كما تشفق على نفسك ولا تتجبر إلا على من أمرك الله بالتجبر عليه والله يتولى هداك، أنظره. وفي الحديث «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليجد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» اه. وفي [شب] قال بغض العارفين: علامة حسن الخلق عشر خصال: قلة الخلاف، وحسن الإنصاف، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المصلحة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب النفس دون عيوب الغير، وطلاقة الوجه للصغير والكبير، ولطف الكلام مع كل أحد. وقد عرفوا علم الأخلاق بأنه علم بأصول يعرف بها أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها وأنواع الرذائل وكيفية اجتنابها، وفائدته: تخلق الإنسان بالأخلاق الحمودة وتجنبه الأخلاق المذمومة، ورحم الله من قال:

بمكارم الأخلاق كن متخالفا ليفوح مسك ثنائك العطر الشدي (١)

وانفع صديقك إن أردت صداقة وادفع عدوك بالتى فإذا الذى

وروى أن لقمان اختار من حكمه أربعا وأوصى بها ولده فقال: له تذكر اثنتين، وانس اثنتين، فأما اللتان أوصاه بتذكرهما فالذنب والموت، وأما اللتان أوصاه بنسيانهما فأحسانه للناس وإسماهم عليه. ونظم ذلك الأجهورى رحمه الله فقال:

إذا شئت أن تحيى ودينك سالم وعقلك موفور يزيد ويكمل

(١) قوله الشفرة بفتح معجمة كثرة: السكين اه.

(٢) قوله يلطف بضم تحتية وكسر طاء مشددة من التلطيف كالتخفيف وزنا ومعنى اه.

(٣) قوله الشدى: أى الشديد الرائحة اه.

فكن معرضا عن كل بر صنعته مع الناس والسوء الذي بك يعمل
وكن ذا كرا للذنوب والموت تعبلا بما اختار لقمان الحكيم المفضل
وكان الإمام على كرم الله وجهه يترنم بهذه الأبيات :

إن المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أني لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصيا
والعين تعلم من عيني محدثها إن كان من حزبي أو من أعاديها

وفي الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم قال « أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » والله در القائل :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لجمع الأنام فستحسن من ذوي الجاه لين (١) أنظره

وفي [عف] وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذًا بوصية جامعة لمحاسن الأخلاق فقال له : « يا معاذ أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة : وحفظ الجوار ، ورحمة اليتيم ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، وحسن العمل ، وقصر الأمل ، وقصد العمل ، ولزوم الإيمان ، والتفقه في القرآن ، وخب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وخفض الجناح . وإياك أن تسب حليما ، أو تكذب صادقا أو تطمع آثما أو تعصى إماما عادلا ، أو تفسد أرضا . أوصيك بتقوى الله عند كل حجر وشجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية ، بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب » وروى معاذ عنه صلى الله عليه وسلم : « حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب » اه . قال رحمه الله :

(تَبَسُّمٌ وَلَا تَضْحَكُ وَلَا مَزْجٌ قَلِيلًا وَلَا تَقُلِ الْاَلْقَى فِي مَزْجِ اخْوَةٍ)

(تبسم) التبسم أقل الضحك وأحسنه . وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان كثير التبسم » وفي [حص] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا بلساقة ألين الناس : ضحكا بساما : أي كثير التبسم ، وهو تفسير الضحك . وفيه : كان لا يضحك إلا تبسما ، قال الحنفى : أي غالبا وإلا فقد ضحك بصوت وبقية الأنبياء والرسل مثله اه . وثبت أنه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه لكن غلبه التبسم . وأنه لا ينبعث في الضحك فكان إذا غلبه الضحك قطعه لشدة خوفه من جلال مولاه ، فكان غالب أوقاته الحزن لأنه أشد الناس خوفا من الله ، وإذا انسرب تبسم وربما ضحك لبيان الجواز . وفيه : « تبسمك في وجه أخيك لك صدقة » وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر لك صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة اه (ولا تضحك) أي لا تكثر من الضحك فإنه يمت القلب ويخل بالمروءة ويدل على الغفلة عن الآخرة ، والاسترسال فيه من فعل السفهاء وأهل البطالة

المسترسلين في شهواتهم وعدم تفكيرهم في الآخرة ، وعن ذلك تنشأ جميع الشرور . وكان الحسن البصري رحمه الله يقول : أعجب ممن يملأ فاه بالضحك وهو لا يعلم في أي ديوان اسمه هل في الجنة أو في النار . وفي [عف] والضحك من خصائص الإنسان ويميزه عن جنس الحيوان ، ولا يكون الضحك إلا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعي الفكر ، والفكر شرف الإنسان وخاصته ، ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ، ولهذا قيل : إياك وكثرة الضحك فإنه يمت القلب . وقيل : وكثرة الضحك من الرعونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : إن الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء في غير أرب اه . وفي [حى] وقال عمر رضى الله عنه : من كثر ضحكك قلت هيئته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه . وقال صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا وضحكتم قليلا » ونظر وهب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد الفطر فقال : إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين ، أنظره . وفي [جص] « الضحك ضحكان ضحك يحبه الله وضحك يمقته الله ، فأما الضحك الذى يحبه الله فالرجل يكشر في وجه أخيه حدثا عهد به وشوقا إلى رؤيته ، وأما الضحك الذى يمقته الله تعالى عليه فالرجل يتكلم بالكلمة الجفاء والباطل ليضحك أو يضحك يهوى بها في جهنم سبعين خريفا » وفيه « كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما ، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » قال الحنفى : فإذا غلبك الضحك فامنع نفسك ، وهذا الخطاب لعامة الناس ، وهتك طائفة أنسها بالله فتضحك كثيرا لما شاهدوه من الأنوار فلم يضرهم ، ولذا وجد في مجلس بعض أهل الله شاب يضحك مع أن الناس يبتعدون من الوعظ فقبل له ما هذا ؟ فقال إن أنسى برى فلم أفكر في جنة ولا نار لأنه سبى يفعل بي ما شاء ، بل اشتغالى برى فلما أفاض الأنوار على قلبى صرت أضحك فرحا بذلك وأسلم له كل ما فعل بي اه (وللمزح قللا) بألف مبدلة من الخفيفة للوقوف ومزح كنع دعب مزحا ومزاحا ومزاحة بضم أولهما وهما اسمان ، ويقال مازحه مزاحا بكسر الميم داعبه ولاعبه ، وقيل في الفرق بينهما المداعبة مالا يغضب جده والمزاح ما يغضب جده وفي [حى] وإياك أن تمارح لبيبا أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى عليك ، لأن المزاح يخرق الهيبة ، ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ، ويذهب بحلاوة الود ، ويشين فقه الفقيه ، ويجترى السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ، ويمقته المتقون ، وهو يميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ، ويكسب الغفلة ويورث الدلة ، وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر ، وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب . وقد قيل : لا يكون المزاح إلا من سخف أو من بطر ، ومن بلى في مجلس بمزاح أولغظ فليذكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك لا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » أنظره . وفيه : إن المزاح للكلام بمنزلة الملح للطعام فالمنهى عنه الإفراط فيه والمداومة عليه فالمداومة عليه اشتغال باللعب والهزل والإفراط فيه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة وتسقط المهابة والوقار . وقال عمر بن عبد العزيز : اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه

يورث الضغينة ويجر إلى القبيح ، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال ، قال عمر رضى الله عنه : أتدرون لم سمي المزاح مزاحا؟ قالوا : لا ، قال : لأنه أزاح صاحبه عن الحق ، وقيل لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ، ويقال المزاح مسلبة لهم مقطعة للأصدقاء ، أنظروه (ولا ثقل إلا الحق) ضد الباطل (في) حال (مزح إخوة) تطيبوا لقلوبهم وترويحاً لنفوسهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل مع أصحابه ، وفي الحديث « إن الله تعالى لا يؤخذ المزاح الصادق » وذلك قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن شخص « الذي في عينيه بياض » إذ كل شخص لا تخلو عيناه من بياض وكقوله لعجوز « لا تدخل الجنة عجوز » لقوله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً - وفي [حى] روى أبو هريرة « أنهم قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن داعبتكم لا أقول إلا حقاً » وقال عطاء : إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح؟ فقال نعم ، قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كسى ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها البسيه واحدى وجرى منه ذيل كذيل العروس . وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكه الناس مع نسائه . وعن عائشة رضى الله عنها - أنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريزة طبختها له وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها : كلى فأبت فقلت لها : كلى ، فأبت لتأكلن أو لألطخن بها وجهك ، فأبت فوضعت يدي في الحريزة فلطخت بها وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه وقال لسودة الطخى وجهها فلطخت بها وجهي ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، فر عمر رضى الله عنه على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاعسلا وجوهكم . وروى « أن عجوزاً أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها لا يدخل الجنة عجوز فبككت ، فقال إنك لست بعجوز يومئذ ، قال الله تعالى - إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً . عرباً أتراباً » وقال أنس : كان ابن لأبى طلحة يقال له أبو عمير ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا ويقول « يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ كان يلعب به وهو فرخ العصفور » ثم قال : وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وأما غيره إذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيف ما كان ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها في النار أبعد من الثريا » أنظروه . وفي [عف] قال سعيد بن العاص لابنه : اقتصد في مزاحك فلا إفراط فيه يذهب بالبهاء ويجرى عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤمنين ويوحش المخالطين . قال بعضهم : المزاح مسلبة للبهاء ، مقطوعة للإخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال في ذلك يصعب معرفة الاعتدال في الضحك ، أنظروه : وصف بعضهم ابن طاووس فقال : كان مع الصبي صبياء ، ومع المكهل كهلاء ، وكان فيه مزاحة إذا خلا ، وروى معاوية بن عبد الكريم قال : كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونمزح عنده ويمزحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك ، وكنا إذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نسكى . وفيه عن أنس رضى الله عنه قال « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : احملني على جمل ؟ فقال أحملك على ابن الناقة . قال أقول لك احملني على جمل تقول أحملك على ابن الناقة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام فاحمل ابن الناقة » وروى صهيب فقال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر يأكل ، فقال

أصيب من هذا الطعام، فجعلت آكل من الثمر فقال أنا كل وأنت رمد؟ فقلت إذا أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « وزوى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم « ياذا الأذنين » وسئلت عائشة رضى الله عنها كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت : كان ألين الناس بساما ضحكا . وروت أيضا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقتها ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك » ثم قال : وروى بكر بن عبد الله قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتازحون حتى يتبادحون بالبطين ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال ، يقال بدهج يبدح إذا رمى : أى يترامون بالبطين ، انظره قال رحمه الله :

(وَأَحْسَنُ لِمُحْسِنٍ بِقَدْرِ اسْتَطَاعَةٍ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَكَافِرٌ خَيْرٌ دَعْوَةٍ)

(وأحسن) من الإحسان ضد الإساءة (لمحسن) إليك ومنعم عليك حسا ومعنى ، كما روى أن المحسن رحمه الله قيل له إن فلانا اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق^(١) وقال قد بلغني أنك أهديت إلى من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإنى لا أقدر أن أكافئك على التمام . وفى [خل] وإذا نظرت إلى المسيء بعين التحقيق فهو محسن أكثر ممن أحسن إليك بالفانى لأنه أحسن إليك بالباقى إذ أنك تأخذ من حسناته إن كانت موجودة وإلا أخذ من سيئاتك ، وشأن أهل التوفيق اغتنام الباقي ، فينبغى لك أن تكافئه على إحسانه قال الله تعالى - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - وحكى عن إبراهيم ابن آدم أنه لقى إنسان فصفعه ، فقيل له إنه إبراهيم بن آدم فرجع إليه فطأطأ على قدمه فقبلها ، فقال ياسيدى والله ما عرفتك ، وطلب منه أن يسامحه ؟ فقال والله ما ارتفعت يدك عني حتى سألت الله تعالى لك المغفرة ، فقال له وما حملك على ذلك ؟ فقال لأنك لما صفعتنى علمت أن الله يثيبني على ذلك ، وما كنت بالذى توصل إلى خيراً فأوصل إليك شراً . وعن بعضهم : لو كنت مغتاباً لأحد لا غتبت والذى ، لأنهما أحق بحسناتى ، فهم رضى الله عنهم أبداً ينظرون إلى بواطن الأمور وهو اقربا وغيرهم إلى ضدها ، نسأل الله السلامة والعافية (بقدر استطاعة) أى بحسب الطاقة والإمكان . وفى [عف] ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الإحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار ، ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما من الناس أحد أمن علينا في صحبته وذات يده من ابن أبى قحافة ، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أباً بكر خليلاً » وقال « ما نفعتنى مال كمال أبى بكر » فالتحق حجبوا عن الله بالخلق فى المنع والعطاء فالصوفى فى الابتداء يفتنى عن الخلق ويرى الأشياء من الله حيث طالع ناصية التوحيد ، ويحرق الحجاب الذى منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعاً ولا عطاء ويحجبه الحق عن الخلق ، فإذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجوداً فى المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولاً وذلك لسعة علمه وقوة معرفته ، يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعمامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الإرادة والمبتدئين ، فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطى والمسبب ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب ، انظره . وفى [جص] « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » إذ لا يتم

إلا يشكر الوسائط فأشكر الناس لله أشكرهم للناس ، وفي الحديث القدسي : « عبادي لم تشكروني إذا لم تشكروني من أجريت النعمة على يدي » وفيه : « دعاء المحسن إليه للمحسن لا يرد » أي ولا سيما بظهر الغيب للحديث : « دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب » عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك مثل ذلك » وفيه : « من أعطى شيئاً فوجد فليجز^(١) به ومن لم يجد فليثن به فإن أثني به فقد شكره وإن كتمه فقد كفره » ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور » يظهر أنه عالم أوزاهد أو متواضع وليس كذلك ورحم الله من قال :

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

وفي [حى] ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقلك بل على نيته وإن لم يتم ذلك . قال على رضى الله عنه : من لم يحمد أخاه على حسن نيته لم يحمده على حسن الصنعة ، انظره . ورحم الله من قال :
لاشكرنك معروفاً همت به إن اهتمامك بالمعروف معروف
وينبغي لمن لا يشكر الناس أن لا يقبل عطاياهم ، ورحم الله من قال :
لا أقبل الدهر نبلاً لا يقوم به شكري ولو كان مهدياً إلى أبى

وفي [جه] وكان سيدنا رضى الله عنه وعنايه أمين لا يغفل عن مجازاة من أحسن إليه ويقبل منهم في الظاهر ويجازيهم بالدعاء وغيره لأجل أن لا تكون لأحد منه عليه ، لأنه رضى الله عنه تأبى همة أن تكون للخلق يد عليه لفساد الزمان وأهله وفساد أغراضهم : وقد شاهدت يوماً وأنا حاضر عنده أنه رجل فقال له يا سيدى جعلت لك من مالى كذا وكذا محبة فيك وهدية لك ، فقبل منه ذلك وطرحه بين يديه ، ثم أسر له في أذنه قال له سيدى أطلب منك أن تفعل لى ما هو كيت وكيت^(٢) ، فقال له سيدنا رضى الله عنه : أرفع متاعك ولم يقبله منه . وكنت جالسا أيضا بين يديه فأتاه إنسان فسلم عليه وقبل يديه ودفع لى دراهم بقصد الزيارة لسيدنا رضى الله عنه فقال له يا سيدى خذ هذه الصدقة التى أتيتك بها فقال لى أردد عليه متاعه وقال له لا تحل لى الصدقة إنما أنا ضئى عن الصدقة . ويتحرز من مقاصد العامة غاية ويدفع بالحقى هى أحسن ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهد أن نحذر ممن يحسن إلينا فى هذا الزمان أكثر ممن يسيء علينا لأن غالب الإحسان اليوم لا يسلم من العلل والمث لا سيما إن وقع بيننا وبينه نفس ومن شك سوف يجرب ، أقل العلل أنه يخلصنا بالبر لا اعتقاده فىنا الصلاح والدين ولولا ذلك ما أعطانا شيئاً ، فقد أكلنا حينئذ بدبنا وتساهلنا فى ديننا حتى صرنا أسوأ حالا ممن يحترف معيشته بمحرمات الآلات . وكان سفيان الثورى يقول : لو علمت أنهم يكتمون ما يعطونه لى لقبته ولكنهم يقولون أعطينا سفيان اليوم كذا وكذا ، وقد عمل لى مرة شخص من الإخوان دجاجة مسمية وحشاها بالحراوات وأرسلها لى فأعطيتها لشخص ضرير فأكلها فهاهنا عليه مع أنها حينئذ فى ميزانه يوم القيامة أثقل مما لو أكلها أنا لأن ذلك الضرير ما ينظر مثل ذلك إلا فى النوم ، ولو أنه كان مخلصا فى الدجاجة لشكرنى على ذلك والله عليم حكيم اهـ (وإن لم تجد) ما تحسن به إليه (فكافه) وجازه (خير دعوة) بصلاح حاله ومآله وغفران ذلته وستر عوراته وإقالة عثراته للحديث « جزاء الغنى من الفقير النصيحة له والدعاء » أى لأنها مقدوره فإذا نصبح ودعاه فقد كافاه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قوله فليجز بفتح نعتية من جزى كرى اهـ . (٢) قوله كيت وكيت بفتح فوقية وكسرها وضمها فيها اهـ .

« من قال لأخيه نجزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء » وفي [جص] « من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء » قال العريزي : وهذا عند العجز عن مكافأته بالإحسان فإن قدر على مكافأته فالجمع بينهما أفضل من الاختصار على الدعاء وفيه « من استعاذكم بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » وروى « من أسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب له » وروى أبو داود عن جابر رضى الله عنه أنه قال « صنع أبو الهيثم طعاما ودعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلما فرغ من الأكل قال أثيبوا أخاكم وادعوا له بالبركة فإن الرجل إذا أكل^(١) طعامه وشرب شرابه ثم دعى له بالبركة فذلك ثوابه منهم » اهـ . وثبت « أنه صلى الله عليه وسلم وعده أيضا بخادم فلما أتاه أبو الهيثم وجد عنده رأسين من الرقيق فقال له خذ أيهما تختار فقال له اختر لي يا رسول الله فقال خذ هذا فإني رأيتك يصلي » الحديث . وفي [عم] « أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشكر كل من أسدى إلينا معروفا ونكافئه على ذلك ولو بالدعاء أدبا مع الشارع صلى الله عليه وسلم في أمره لنا بذلك ، وقد كثرت الحياة لهذا العهد من غالب الناس حتى صرت تربي اليتيم إلى أن يصير له أولاد ولا يتذكر لك نعمة ولا يحفظ معك أدبا ، وصار من وقع له ذلك يحذر من يريد يفعل مثله مع الناس فيبتدئ أن المنعم من أولياء الله تعالى لا يلتفت إلى شكره فالمنعم عليه لا يستحق ذلك كما سيأتي والكامل على الأخلاق الإلهية والله عز وجل يحول النعم حين تكفر . فاشكر يا أخى من أسدى إليك معروفا لكن من غير وقوف معه فتراه كالقناة الجارية لنا منها الماء أو كالأجير الذى بغرف لنا من طعام رجل غيره بأجرة جعلها له ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ مرشد حتى يصل به إلى حضرة الإحسان ، ويرى الأمور كلها لله تعالى كشفا وشهودا ، ويصير يرى النعم من الله تعالى ببادى الرأى ولا يضيفها إلى الخلق إلا بعد تأمل وتفكير ، عكس من لم يسلك الطريق فإنه لا يكاد يشهد النعمة من الله تعالى إلا بعد تأمل وتفكير . فاسلك يا أخى الطريق لتفوز بالأدب مع الله تعالى ومع خلقه كما أمرك فقال تعالى - أن اشكروا ولو الديك إلى المصير - وقد قرن الله تعالى السعادة بشهود الأمور كلها من الله وقرن الشر بشهودها من الخلق ومقام الكمال في السعادة شهود الأمور كلها ببادى الرأى من الله خلقا وإيجادا ومن العبد نسبة وإسنادا لأجل إقامة الحدود ، انظره . ثم قال : واعلم أن كفران النعم للوسائل مما يحولها وإذا حولت فلا يقدر من كفرت نعمته أن تجرى لك نعمة على يديه - سنة الله التى قد خلت في عباده - لأن كفران النعمة يقطع طريقها ، فيبتدئ أن من كفرت نعمته لا يؤاخذك فأنت لا تستحق تلك النعمة ، فلا بد من وجود صفة الاستحقاق في المنعم عليه وعدم كفرانه نعمة من كان واسطة فيها من زوج ووالد وسيد ونحوهم ، وقد كثرت كفران النعم في هذا الزمان من الزوجة والأولاد والأرقاء والمرئيين وبذلك تعمست عليهم الأرزاق ، وكلما تأخر الزمان زاد على الناس الأمر في تعب الأرزاق وفي تحويلها عنهم بالسكينة لقلة الشكر بالعمل من قيام الليل وغيره حتى تتورم منهم الأقدام ، فإن الشكر بالقول مابقى يكفي لغالب النعم في هذا الزمان لكون الموازين قد أقيمت فيه على الناس لقرب الساعة وماقارب الشيء أعطى حكمه ولقاة الإخلاص في القول ، وقد قال تعالى في حق آل داود - اعملوا آل داود شكرا -

(١) قوله أكل يضم همزة وكسر كاف مبنى للمفعول اهـ .

ولم يقل قولوا آل داود شكراً ، وهذه الأمة المحمدية أولى بأن يشكروا بالعمل لأنهم أعظم نعمة بنبيهم وشريعتهم ، فليقتبها من كان غافلاً عن ذلك ليدوم الماء في مجاريه ، انظره . قال رحمه الله :

(وَخَصَّ ذَوِي فَضْلٍ بِأَصْنَى التَّجَالِسِ وَحَافِظَ مِنَ الْإِخْوَانِ عَنْ سَفَرِ حَوْرَةٍ)

(وخص) من خصه بكذا فضله به (ذوى) أصحاب (فضل) وشرف كأهل العلم والصلاح واللسبة : وفي [جص] : « ذو السلطان وذو العلم أحق بشرف المجلس » أى ولو كان السلطان جائراً تسكيناً لشرفه لأن تقديم غيره عليه يورث الضرر منه ، وكذا العالم وإن لم يكن عاملاً بعلمه تعظيماً للعلم لحديث « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » وفيه : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وعنه صلى الله عليه وسلم : « من إجلال الله إكرام ذى الشبهة المسلم » وعنه صلى الله عليه وسلم : « ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قبض الله من يكرمه عند كبر سنه » وقال النووى فى قوله صلى الله عليه وسلم « ليلنى منكم أولو الإحلام والنهى » الخ ولا يختص هذا التقديم بالصلاة بل السنة أن يقدم أهل الفضل فى كل مجمع إلى الأمام وكبير المجلس كالمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسراع الحديث ونحوها ، ويكون الناس فيها على مراتبهم فى العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة فى ذلك الباب اهـ (بأسنى) وأشرف (المجالس) لحديث « أفضل الحسنات تكرمة المجلساء » وفى آخر : « إن للمسلم حقاً إذا رآه أخوه أن يقرح له » أى ويجلسه بجانبه إكراماً له فيندب ذلك لاسيما للعلماء والصلحاء تعظيماً لهم وكذا ولاية الأمر تأليفهم واتقاء لشرمهم ، وفى آخر « ثلاث تصفين لك ود أخيك : تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه » وفى [جص] : « خير المجالس أوسعها » وفيه : « شر المجالس الأسواق والطرق وخير المجالس المساجد فإن لم تجلس فى المسجد فالزم بيتك » أى لتسلم من الناس ويسلموا منك . وفيه « أدوا حق المجالس اذكروا الله كثيراً وأرشدوا السبيل وعضوا الأبصار » وفيه « إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتهم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وللعلامة ابن حجر رحمه الله فى آداب الجلوس على الطريق :

جمعت آداب من رام الجلوس على الطريق من قول خير الخلق إنساناً
أفش السلام وأحسن فى الكلام وشمت عاطفاً وسلاماً زاد إحساناً
فى الحمل عاون ومظلوماً أغث واعف عن لطفان واهد سبيلاً واهد حيراناً
بالعرف مر وانه عن نكر وكف أذى وغض طرفاً وأكثر ذكر مولانا اهـ
وفيه « كفارة المجلس أن يقول العبد سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك وأتوب إليك » وفيه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس فأراد أن يقوم استغفر عشر إلى خمس عشرة » وفيه : « كان إذا قام من المجلس استغفر الله عشرين مرة » أى يقول أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه اهـ . وفى [عف] ومن أدبهم : تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له فى المجلس والإيثار بالموضع . روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً فى صفة ضيقة فجاء قوم من البدريين فلم يجدوا موضعاً يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله تعالى - وإذا قيل انشزوا فانشزوا - الآية » وحكى أن على بن بندار الصوفى ورد على أبى عبد الله بن خفيف زائراً فهاشياً فقال له أبو عبد الله

تقدم ، فقال بأى علم ؟ فقال بأنك لقيت الجنيد وما لقيته اه : وفي [غ] ومعلوم قيام الصديق الأكبر رضى الله عنه لمولانا على كرم الله وجهه وإيثاره بالجلوس بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله له عليه الصلاة والسلام : « إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوه اه » . ونقل أن الأصمعي دخل على الخليل وهو جالس على حصير ضيق ، فقال له اجلس ، فقال له : أجلس أخيق عليك ؟ فقال له : مه ، الدنيا تضيق بمبأغضين وما ضاق مجلس بمتحابين ، وللشافعي رضى الله عنه :

من لم يكن بين إخوان يسر بهم فإن أوقاته تقص وخسران (١)
وأطيب الأرض ما للنفس فيه هوى سم (٢) الخياط مع الأحباب ميدان
وأخبت الأرض ما للنفس فيه أذى خضر الجنان (٣) مع الأعداء نيران
ورحم الله من قال :

صل من هويت وإن أبدى مباغضة فأطيب العيش وصل بين إلقين (٤)
واقطع حبال خلدن لا تلائمه فقلما تسع الدنيا بغضين
ومن قال :

ألا أدن (٥) وإن ضاق الندى (٦) فإنه رحيب بود ضمته الأضالع
يفيق الفضا عن صاحبين تباغضا وسم خياط بالحييين واسع
ومن قال :

رحب الفلاة مع الأعداء ضيقة سم الخياط مع الأحباب (٧) ميدان
ومن آداب المجلس إذا كان فيه سعة أن يكون بين كل اثنين ثلثا ذراع وأن لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه أو قريبه أو صديقه إلا بإذنها لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه في المجلس » وقوله أيضا : « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنها » وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجلس بين اثنين إلا إن علمنا ولو بالقرائن رضاها بذلك لا سيما إن رأيناها يتحادثان ويتسارران فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى حذق وفراصة والله أعلم اه . (وحافظ) من حافظه راعاه (من) جميع (الإخوان) في الله (عن ستر) بفتح السين ضد الكشف وبالكسر ما يستر به أى على ستر كل (عورة) بدت منهم حسية أو معنوية . وفي [عف] ومن أدبهم ستر عورات الإخوان قال عيسى عليه السلام لأصحابه : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما فكشف الريح عنه ثوبه ، قالوا نستره ونغطيه ، فقال بل تكشفون عورته ، قالوا سبحان الله ! من يفعل هذا ؟ قال : أحدكم يسمع في أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستر جميع عورات المسلمين مع تبينها لهم سترنا على نقائصهم ، وأول ما ترجع فائدة ذلك علينا في الدنيا والآخرة فإن من ستر الناس ستر ومن هتك الناس هتك جزاء

(١) وفي رواية بدل البيت الأول :

لو ضنى بيت نمل والحبيب به لكان ذلك لى ظل وبستان وأطيب الخ مصححه .

- (٢) قوله سم بتثنية السين اه . (٣) قوله الجنان بكسر جيم جمع جنة بفتحها اه .
(٤) قوله إلقين تنبيه ألف بكسر همزة كضرس : الصاحباه . (٥) قوله أدن فعل أمر من دنا كدعا قرباه .
(٦) قوله الندى كنى المجلس اه . (٧) ميدان يفتح ميم اه .

وفاقا . واعلم أن كل من كمل عقله لا يستبعد وقوعه في شيء من الذنوب فإن لم يكن وقع فيها فهو معرض للوقوع فيها ، فليُنظر في جميع ما وقع فيه الناس فسحبوا إلى بيت الوالى يجد نفسه قابلة له لأن طينة البشر واحدة إلا من عصمه الله كالأنبياء ، ثم قال وهذا العهد قد صار العمل به أعز من الكبريت الأحمر ، فلا تكاد تجد أحدا من إخوانك الأصدقاء فضلا عن غيرهم يستر لك عورة إذا اطلع عليها بل ينشرها في الناس وكلما وصيته على السكتمان تحركت عنده الداعية للإفشاء . وقد قال الإمام الغزالي : لا تركز إلى صديق حتى تمتحنه غاية الامتحان ، وربما أحصى عليك الزلات حال رضاه عنك ليهجوك بها حال سخطه عليك كما هو مشاهد كثيرا فيمن يصحب الناس لغير الله ، ثم قال : وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إذا نازعتك نفسك في إظهار عورة مسلم فقل لها انظري ثمرة ذلك فإنك إذا أظهرتها للناس لا بد من إظهار جميع زلاتك على رؤوس الأشهاد يوم القيامة حتى تفتضحى بحضرة من كان يعتقد فيك الصلاح في دار الدنيا فربما أن النفس تكتم ما رأت ، ولتأمل الذى يظهر عورات الناس بعينه يجد نفسه أغضب الله وتعرض للهتكة ولا يعطيه الناس لأجل ذلك شيئا إنما ذلك رفث ومقت وفسوق لا غير نسأل الله تعالى العافية . وبالجمله فلا يتجسس على عورات الناس إلا فاسق ، فإن القلب المطهر من سوء لا يظن في الناس إلا خيرا ، انظره . ورحم الله من قال :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة » وروى ابن ماجه : « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة » ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته » وفي [جص] : « من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا ميتا » وفيه : « من رأى عورة وسترها كان كمن أحيا مؤودة في قبرها » وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تتبصع عورة إخواننا بل ولا عورة أحد من خلق الله تعالى ، بل وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : كان قد بقي في الناس بعض سترة لبعضهم بعضا فرفع الله حكمها في سنة سبع وأربعين وتسعمائة ، وما بقي أحد يقدر على كشف عورة أخيه ويسترها إلا قليل من الناس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وسمعت رضى الله عنه يقول : لا يكمل المؤمن حتى لا يصير يرى لأحد في الوجود عورة لا ظاهرة ولا باطنة ، فلا ينظر إلا محاسن الوجود ، ومادام يرى للناس العورات فالواجب عليه المجاهدة على يد شيخ عارف يصفيه من كدورات البشرية حتى يلحقه بالملائكة أو المحفوظين من الأولياء اه . وفي [حى] ولا يتم إيمان الرجل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك أنه يحب منه أن يستر عورته ويسكت عن عيوبه ومساويه ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة » وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة » وقال : « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشى على صاحبه ما يكره » قيل لبعض الأدباء كيف حفظك السر ؟ قال أنا قبره . وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار . وقيل إن قلب الأحق في فيه ، ولسان العاقل في قلبه : أى لا يستطيع الأحق إخفاء ما في نفسه فيبيديه من حيث لا يدري به ، فمن هذا تجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم ، بل عن مشاهدتهم ، انظره . ورحم الله من قال :

وما السر في صدرى كذا وبقبره لأنى أرى المقبور ينتظر التشرى

ولكنني أنساه حتى كأنني
ولو جاز كتم السر بيني وبينه
ومن قال : السر عندي في بيت له غلق
وليس بكم سرا غير ذي كرم
وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نفشي سرنا لصاحب
ولا لزوج ولا لأحد من المسلمين إلا لعذر شرعي ، ثم قال . وهذا العهد قد كثرت خيائته من غالب
الناس حتى صار لا يسلم من خيائته إلا القليل ، وذلك لكثرة انحلال القلوب وعدم ارتباطها بعضها
ببعض ، فمن أفشى سره وطلب من الناس كتمانته فهو أحق . وقد أنشد الإمام الشافعي رضي الله عنه :
إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحق
إذا ضاق صدر المرء عن حمل سره فصلى الذي يستودع السر أضيق

ثم قال : ومن كلام الشافعي : من كتم سره كانت الخيرة في يده ، وقال : من لم لك ثم عليك
ومن نقل إليك نقل عنك . فانظر يا أخي من تودعه سر كما فإن رأيت ينقل عن الناس ما يسمعه منهم
فاعلم أنه لا يكم لك سرا ، ثم قال : فعلم أن من كتم الأسرار ما يتعلق بعزل الولاة وأضرابهم . فإياك
أن يطلعك الله على شيء من أحوالهم وأحوال السلطان الأعظم فتخبر به الناس واضربوا كتم ذلك حتى
يقع في الوجود ويشهده الخاص والعام والله عليهم حكيم . وكان سيدي إبراهيم المتبولي يقول : إياكم
وإطلاعكم الناس على ما كشف من أحوال الخلق ، فإن المفشي لها حكمه حكم الجالس في بيت الخلاء
مكتشف العورة مفتوح الباب ، ومن مر عليه من العقلاء يلغنه لكشفه عورته وهتكه سريره وتعرضه
نفسه للقتل بذلك . وقد قال رجل من أهل الكشف مرة لرجل من الناس : رأيت فلانا مع امرأتك
فجاء ذلك الماتم وقتل ذلك الشيخ الذي أخبر بالزنى ، ثم قال فاكم السر المتعلق بك وبالمسلمين والله
يتولى هداك ، انظره (١) . قال رحمه الله :

(فَكُنْ مُحْسِنًا لِأَهْلِ عِلْمٍ وَسُنَّةٍ وَلَا تَكُ مُبْفِضًا لِجُمَالِ شِرْعَةٍ
فَهُمْ سُرُجُ الدُّنْيَا وَآخِرَتِهَا فَلَدِّهِمْ تَقَلَّ مِنْهُمْ شَفَاعَةٌ يَوْمَ حَمْرَةٍ)

(فكن) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (محسنا) ومعينا بحسب طاقتك وقدرتك فإن الله
يحب المحسنين (لأهل علم) شرعي من تفسير وحديث وفقه وما يتوصل به إلى ذلك من نحو ومنطق
وغير ذلك . وفي [جص] «أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله» :
أي فينبغي للإنسان أن يعاملهم بالإجلال والإعظام والتوقير والاحترام والإحسان إليهم بالقول والفعل ،
وفي [هب] ومنها : أي ومن الأمور التي تزيد في الإيمان تعظيم العلماء الذين هم حلة الشريعة رضي
الله عنهم فتعظيمهم يزيد في الإيمان جعلنا الله من الذين يعرفون قدرهم : قال رضي الله عنه : ولو علم
العامة قدر العلماء عند الله عز وجل ما تركوهم يمشون على الأرض ولتناوب أهل كل حومة العالم
الذي فيهم وحماؤه على أعناقهم والله تعالى أعلم اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن نبجل العلماء والصلحين والأكابر ولولم يعملوا بعلمهم ، ونقوم بواجب علمهم

وحقوقهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى ، فمن أخل بواجب حقوقهم من الإكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله ، فإن العلماء نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملته شرعه وخدامه ، فمن استهان بهم تعدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر . وقد مال إلى ذلك من كفر من قال عن عمامة عالم هذه عميمة عالم بالتصغير ، انظره . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكرم العلماء ونجلهم ونوقرهم ، ولا نرى لنا قدرة على مكافأتهم ولو أعطيناهم جميع ما نملك أو خدمناهم العمر كله ، وهذا العهد قد أخل به غالب طلبة العلم والمريدين في طريق الصوفية الآن حتى لا تسكاد ترى أحدا منهم يقوم بواجب حق معلمه ، وهذا داء عظيم في الدين مؤذن باستهانة العلم وبأمر من أمرنا بإجلال العلماء صلى الله عليه وسلم ، فصار أحدهم يفخر على شيخه حتى صار شيخه يداهنه ويمالقه حتى يسكت عنه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقد بلغنا عن الإمام النووي أنه دعاه يوما شيخه الكمال الأربلي^(١) ليأكل معه فقال ياسيدي أعفني من ذلك فإن لي عنرا شرعيا فتركه فسأله بعض إخوانه ما ذلك العذر ؟ فقال أخاف أن تسبق عين شيخي إلى لقمة فأكلها وأنا لا أشعر . وكان رضى الله عنه إذا خرج للدرس ليقرأ على شيخه يتصدق عنه في الطريق بما تيسر ويقول اللهم استر عني عيب معلمي حتى لا تقع عيني له على نقیصة ، ولا يبلغني ذلك عنه عن أحد رضى الله عنه . ثم من أقل آفات سوء أدبك يا أخى مع الشيخ أنك تحرم فوائده فلما بكتمها عنك بغضا فيك وإما أن لسانه يتعقد عن إيضاح المعاني لك فلا يتحصل من كلامه على شئ يعتمد عليه عقوبة لك ، فإذا جاءه شخص من المتأدبين معه انطلق لسانه له لموضع صدقه وأدبه معه ، فعلم أنه ينبغي للطالب أن يخاطب شيخه بالإجلال والإطراق وغض البصر كما يخاطب الملوك ، ثم قال : وكذلك ينبغي له أن لا يتزوج امرأة شيخه سواء كانت مطلقة في حياته أو بعد مماته ، وكذلك لا ينبغي له أن يسعى على وظيفته أو خلوته أو بيته بعد موته فضلا عن حياته إلا لضرورة شرعية ترجع على الأدب مع الشيخ ، وكذلك لا ينبغي أن يسعى على أحد من أصحاب شيخه أو جيرانه فضلا عن أولاده ، فإن الواجب على كل طالب أن يحفظ نفسه عن كل ما يغير خاطر شيخه في غيبته وحضوره ، انظره . وروى صاحب البستان : « إن لله مدينة تحت العرش من مسك أذفر على بابها ملك ينادى كل يوم ألا من زار عالما فقد زار أنبيائي ، ألا من زار أنبيائي فقد زارني ألا من زارني فله الجنة » وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكرم عالما فقد أكرم سبعين نبيا ، ومن أكرم متعلما فقد أكرم سبعين شهيدا ، ومن أحب العلم والعلماء لم تكتب عليه خطيئة » وروى : « أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمني ومن أكرمني فقد أكرم الله » وفي [غصص] وسألته رضى الله عنه متى يكمل العالم في درجة العلم ؟ فقال إذا صار الشارع مشهودا له في كل عمل مشروع وصار يستأذنه في جميع ما يأمر به الناس وينهاهم عنه من الأمور المستنبطة ويفعل بما يأذن له فيه منها فإن المجتهد قد يخطئ ، فقلت له هذا فيما يأمر به الغير فكيف حاله فيما يفعله هو ؟ فقال لا يكمل في مقام العلم حتى يستأذنه في كل أكل وشرب ولبس ودخول وخروج وجماع وغير ذلك من سائر الحركات والسكنات ، فإذا فعل ذلك كان كاملا في العلم والأدب وشارك الصحابة في معنى الصحبة والله تعالى أعلم اهـ (و) كن محسنا لأهل (سنة) محمدية ولا تجدهم إلا العلماء النعمالين ، وقد قيل : إن لم تكن العلماء أولياء الله

(١) الأربلي نسبة إلى أربل كآحمد اسم بلد يقرب الموصل ، والموصل بين الفرات والجلية .

فليس لله ولي ، وروى « العلماء قادة والمتقون سادة ومجالستهم زيادة » وروى أيضا « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما يكرم الله » وعن سيدي علي الخواص رحمه الله : من إكرام الله وإكرام رسوله صلى الله عليه وسلم إكرام جميع المسلمين اه . وروى الطبراني : « ما من مسلم يدخل عليه أخوه فيكرمه إلا غفر الله له » اه .

وفي [جص] « العلم أفضل من العبادة ، وملاك الدين الورع » وفيه : « العلم حياة الإسلام ، وعماد الدين ، ومن علم علما أتم الله له أجره ، ومن تعلم فعمل علمه الله مالم يعلم » ولذا قال بعضهم لسيدي علي بن وفا لما ثبت عليه علوما كثيرة بمثل هذا العلم ؟ قال بكوني عملت بما علمت . ونقل أنه مكتوب في الإنجيل : لا تطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه « إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم . قالوا يا رسول الله كيف يسوفنا بالعلم ؟ قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم ، فلا يزال العبد في العلم قائلا وللعلم مسوفا حتى يموت وما عمل ، نسأل الله السلامة والعافية . وفيه : « العلم خزان ومفاتيحها السؤال فاسألوا برحمتكم الله فإنه يؤجر فيه أربعة : السائل والمعلم ، والمستمع والمحب لهم » وفيه : العلم خليل المؤمن والعقل دليله والعمل قيمه والحلم وزيره والصبر أمير جنوده والرفق والده واللين أخوه » وفيه العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة على ابن آدم » وفيه « العلم والمال يستران كل عيب ، والجهل والفقر يكشفان كل عيب وفيه ساعة من عالم متكىء على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما » وفيه طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة والصيام ، والحج والجهاد » وفيه « طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة ، وطلب العلم يوما خير من صيام ثلاثة أشهر » انظره . وقال بعضهم : إن سماع مسألة واحدة من العالم أفضل من سبعين حجة مبرورة اه . وفي [حى] عن أبي الدرداء أنه قال : لأن أتعلم مسألة من العلم أحب إلى من قيام ليلة ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة » وقال صلى الله عليه وسلم : « باب من العلم يتعلمه الرجل خير من الدنيا وما فيها » . وقال صلى الله عليه وسلم : « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعبادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة ، فليل يا رسول الله : ومن قراءة القرآن ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : وهل ينفع القرآن إلا بالعلم » وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس السوء ، انظره . وفيه قال الشافعي رضي الله عنه : طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله : كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال : يا هذا ما الذي قت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهد فقد نقص في رأيه وعقله . وفيه : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة ، وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة في خلقتهم وبأجنحتهم تمسحهم وكل رطب ويابس لم يستغفر حتى حبتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوت الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد

منازل الأبرار والدرجات العلى ، والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يتمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء اه . وروى : « من علم علما شرعيا فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيئا ، ومن علم آية من كتاب الله تعالى أو بابا من العلم أنهى الله أجره إلى يوم القيامة ، ومن طلب العلم لله تكفل الله برزقه من حيث لا يحتسب » وورد « لطالب العلم رزقان رزق بسبب ورزق بلا سبب » وروى : « تناصحوا في العلم ولا يكتم بعضكم بعضا فإن خيانة في العلم أشد من خيانة في المال » اه (ولاتك مبغضا لحمال) جمع حامل كعذال جمع عاذل (شرعة) بكسر معجمة الشريعة المحمدية المطهرة ، فإن مبغضهم والعياذ بالله من - الأخسرين أعمالا - الآية . قال تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين -

وفى [جص] « العالم سلطان الله في الأرض فمن وقع فيه فقد هلك » وفيه : « أغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة قتهلك » اه . قال الحنفى : قال ابن عبد البر : الخامسة معادة العلماء وبغضهم فمن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب وفيه الهلاك ، انظره : أى ولهذا كانت الغيبة في العلماء وحلة القرآن كبيرة . وعن ابن عساكر : اعلم بالأخى وفقنى الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حتى تقاته أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالسب (١) ابتلاه الله قبل موته بموت القلب - فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم - أنظر العزرى ، ورحم الله من قال :

لحوم أهل العلم مسمومة ومن يعاديهم سريع العطب
ومن قال : والعلماء أنجم للوقت مؤذيهم استحق كل المقت

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه : « اطلبوا العلم فإن عجزتم فاحبوا أهله فإن لم تحبوه فلا تبغضوهم » وفى [جص] « ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق بئس النفاق : ذو الشبهة في الإسلام وذو العلم وإمام مقسط » وعن الشافعى رضى الله عنه : من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة فإنه حياة القلوب ومفتاح البصائر اه . ولسيدنا على رضى الله عنه وعنايه آمين :

الناس من جهة التمثيل أكفاء (٢) أبوهم آدم (٣) والأم حواء
فإن يكن لهم من أصلهم نسب يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم لأنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففر بعلم تعيش حيا به أبدا والناس موتى وأهل العلم أحياء

ورحم الله من قال :

أخو العلم حى خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت (١) وهو ماش على الثرى بعد من الأحياء وهو عديم

(١) قوله بالسب وفى نسخة بالثب بثلثة : الجهر بالغيب اه . (٢) بسيط مقطوع اه .

(٣) قوله ميت بكون تحتية تخفيفا اه .

(٤) قوله آدم بثنون .

ومن قال :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
وإن امرأ لم يحيى^(٢) بالعلم ميت
فأجسامهم قبل القبور قبور
فليس له حتى النشور نشور

ومن قال :

تعلم فإن العلم زين لأهله
وكن مستفيدا كل يوم زيادة
تفقه فإن الفقه أفضل قائد
هو العلم الهادي إلى سنن الهدى
فإن فقيها واحدا متورعا
وفضل وعنوان لكل المحامد
من العلم واسبح^(٣) في بحور الفوائد
إلى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو الحصن ينجي من جميع الشدائد
أشد على الشيطان من ألف عابد

وللشافعي رضي الله عنه :

رأيت العلم صاحبه كريم
وليس يزال يرفعه إلى
ويتبعونه في كل حال
فلولا العلم ما سعدت رجال
ولو ولدته آباء لثام
أن تعظم أمره القوم الكرام
كراعى الضأن تتبعه السوام^(٤)
ولا عرف الحلالا ولا الحرام

وللقشاشي رضي الله عنه :

إذا ما اعتز ذو علم بعلم
فكم طيب يفوح ولا كسك
فعلم الفقه أشرف في اعتزاز
وكم طير بطير ولا كبا

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « كن عالما أو متعلما أو محبا أو مستمعاً ولا تكن خامساً فتهلك »
يعنى المبعوض. وعنه صلى الله عليه وسلم : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو معلماً أو متعلماً »
وقال أبو الدرداء : العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج^(٥) لا خير فيهم (فهم) رضي
الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم (سرج) بضمين جمع سراج أى مصابيح (الدنيا)
يستضاء بهم فيها من ظلمات الجهل (و) سرج (أخرى) أى الآخرة كذلك قال تعالى - يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - وقال - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وفي [حصص]
العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثي وورثة الأنبياء وفيه : « اتبعوا العلماء فإنهم سراج الدنيا ومصابيح
الآخرة » وفيه : « عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة » قال الحنفى : أى يشرق لهم كإشراق السراج
أو المراد ينتفعون بهديه بأن يسألوه كـ بعض العلماء حين يقول الله تعالى لهم تمنوا على فيتحIRON ويذهبون
للعلماء فيأمرونهم بطلب رؤية الله تعالى اه . وفي [حى] قال بعضهم : العلماء سراج الأزمنة كل واحد
مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم :
أى أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة : إن لهذا العلم ثمناً ،
قيل وما هو ؟ قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ : العلماء لرحم بأمة محمد

(٢) قوله واسبح من سبح كنع : عام في الماء اه .

(٥) قوله همج بفتحين : السقطة من الناس اه .

(١) قوله يحيى بفتح تحتين من حي كفرح اه .

(٣) قوله السوام جمع سائمة كراعية وزنا ومعنى اه .

صلى الله عليه وسلم من آباؤهم وأمهاتهم . قيل وكيف ذلك ؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة اه . وفى [عف] أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر فقال : « لا تسألونى عن الشر وسلونى عن الخير ، يقولها ثلاثا ثم قال : إن شر الشر شرار العلماء ، وإن خير الخير خيار العلماء » قال العلماء أدلة الأمة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية ونقباء ديوان الإسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله فى خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفة وحلة عظيم الأمانة فهم أحق الخلق بمحقق التقوى وأحوج العباد إلى الزهد فى الدنيا لأنهم يحتاجون إليها لنفوسهم ولغيرهم ففسادهم فساد متعدد وصلاتهم صلاح متعدد قال سفيان بن عيينة : « أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم ، وأعلم الناس من عمل بما يعلم ، وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى » وهذا قول صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلا يترك تشدقه واستطالته وحناقته وقوته فى المناظرة والمحادثة فإنه جاهل وليس بعالم إلا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فإن العلم فى الإسلام لا يضيع أهله ويرجى عود العالم ببركة العلم ، انظره . وفى الحديث : « اتقوا زلة العالم وانظروا فيته » وفى [جص] : « العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان وبدخلوا الدنيا فإذا خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسول فاحذروهم » اه . قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون - وقال - إن الله لا يحب الخائنين - والعلم أمانة عند العلماء جبر الله حالنا وحالم وأعاننا وإياهم على حفظ ورعاية ما أودعنا من شرائع آمين . وفيه : « إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص » وفيه : « إن أبغض الخلق إلى الله العالم يزور العمال » وفيه : « سيكون قوم بعدى من أمى يقرءون القرآن ويتفقهون فى الدين يأتهم الشيطان فيقول لو أتيتم السلطان فأصلح دنياكم واعتزلتموهم بدينكم ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا » قال تعالى - ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار - قال الحنفى : ومثل السلطان نوابه ما لم يكن المخالط لهم محظوظا مطهرا يحفظ نفسه من المداينة ونحو مدحهم بغير حق ومما يدمسه الشيطان على بعض أهل العلم أن يقول لهم لازموا الأمراء لأجل قضاء حوائج المسلمين فإن ذلك خير مع أن ملازمهم تؤدى إلى الخيانة فى الدين لبذل جهدهم فى طلب ما يرضيهم اه . وفى [حى] ومنها أى ومن علامات علماء الآخرة أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم ألبنة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا ، بل ينبغى أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين ، ومخالطهم لا يخلو عن تسكف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم ، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدى نعمة الله عليه أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مدهنا لهم ، أو يتسكف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتجنسين حالهم وذلك هو البهت ^(١) الصريح أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت ، ثم قال : وعلى الجملة فخالطتهم مفتاح للشروع وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم « من بداجضا - يعنى من سكن البادية جفا : أى كان من طبعه الغلظة - ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن » وقال صلى الله عليه وسلم : « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتكرهون ، فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ، ومن رضى وتابع أبعد الله تعالى ، قيل أفلا

(١) البهت بفتح . وموحدة كقاس الكذب الصريح اه .

تقاتلهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لا ، ما صلوا . وقال سفيان : في جهنم وادلا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك . وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وما هي ؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه . وقال صلى الله عليه وسلم : « العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالفوا السلاطين ، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسول فاحذروهم واعتزلوهم » رواه أنس ، وقيل للأعمش : لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذ عنك ، فقال لا تعجلوا : ثلث يموتون قبل الإدراك : وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق ، وثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل ، ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله : إذا رأيتم العالم يغشى ^(١) الأمراء فاحذروا منه فإنه لص . وقال الأوزاعي : ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا أي حاكما ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شرار العلماء الذين يأثرون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأثرون العلماء » وقال مكحول الدمشقي رحمه الله : من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا إليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه . وقال سحنون : ما أسمع ^(٢) بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيستل عنه فيقال هو عند الأمير . قال : وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك ، ثم قال : وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ، ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجات لا ستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاتهم عند ربهم ، ثم قال : قال أبو ذر لسلمة ياسلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه ، وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة ^(٣) مقبولة وكلام حلو لا يزال الشيطان يلقي إليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويدهن ويأخذ في الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين ، وكان يقال : العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن رحمه الله : أما بعد فأمر على بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى ، فكتب إليه الحسن : أما أهل الدين فلا يريدونك ، وأما أهل الدنيا فلن تريداهم ، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يندسوه بالخيانة ، انظره . ورحم الله من قال :

إنما السلطان نار كلما زدت في القرب إليه تحترق
وإذا لم تحترق بالنار منه أنت في الدنيا إليه تحت رفق

ومن قال :

قل للأمير مقالة من عالم فطن نبيه
إن الفقيه إذا أتى أبوابكم لاخير فيه

وفي [جص] « ما ازداد رجل من السلطان قربا إلا ازداد عن الله بعدا ، ولا كثرت أتباعه إلا كثرت شياطينه ، ولا كثر ماله إلا اشتد حسابه » قال الحنفى : ومثل السلطان نوابه فهو تحذير عن الاجتماع بهم إلا بقدر الحاجة لأن غالب مجالسهم هو وشغل عن الله تعالى ، وأكثر أموالهم حرام ، وكثرة الاجتماع

(٢) قوله أسمع أي : أسمع اه .

(١) قوله يغشى من غشى كفرج : أتاه اه .

(٣) قوله لهجة كتمرة وقصة : لسان فصيح اه .

هم توقع في تعاطي أموالهم ، وهو حسرة وندامة اه . قال تعالى - سباعون للكذب أكالون للسحت -
وروى « إن أخوف ما أخاف عليكم كل منافق عليم باللسان » يفتدون في أبواب الملوك ويقعون في أعراض
المسلمين ويتطلبون لهم الرخص في نهب أموالهم وسفك دماهم ، ويفتنونهم بالأباطيل التي تناسب أغراضهم
وشهواتهم في المسلمين ، فيباغون المبلغ الرفيع عندهم ليفسدوهم أخراهم بدنيا غيرهم - إنا لله وإنا إليه
راجعون - وفي [خل] وينبغي للعالم أو يتعين عليه أن لا يتردد لأحد من أبناء الدنيا لأن العالم ينبغي أن
يكون الناس على بابه لا عكس الحال أن يكون هو على أبوابهم ، فإن التردد إلى أبواب من لا ينبغي
كالذي يفعله بعض الناس سم قاتل لأنه لا خفاء في أحوالهم وزادوا على ذلك ما هو أشنع وأقبح وهو أنهم
يقولون إن ترددهم إلى أبوابهم من باب التواضع ، أو من باب إرشادهم إلى الخير إلى غير ذلك
من القسويلات النفسانية والتحسينات الشيطانية وحيث اعتقدوا ذلك فلا ترجى ثوبتهم ولا رجوعهم
عن ذلك إذ لا يتوب أحد من فعل الخير - إنا لله وإنا إليه راجعون - على أن بعضهم قد نقل أن العدل
إذا تردد إلى باب القاضي فلن ذلك جرحه في حقه وتردشادته فإذا كان هذا في التردد إلى باب القاضي
وهو عالم من علماء المسلمين فماذا يقال فيمن تردد إلى أبواب الظلمة الجهلة الفسقة نعوذ بالله من المسخ
والخللان ، وفيه : وينبغي للعالم أن يصون هذا المنصب الشريف من التردد إذا انقطع عنه المعلوم لمن
يرجى أن يعين على إطلاق المعلوم أو التحدث فيه أو إنشاء معلوم عوضه . وحدثني من أئق به أنه رأى
بعض العلماء كان يدرس في مدرسة فانقطع المعلوم عنه وعن طلبته أو نقص عنه ، فقالوا للمدرس
لعلك تمشي إلى فلان وكان من أبناء الدنيا لتمعن به عسى أن يأمر بإطلاق ذلك المعلوم ، فقال نعم مرارا
إلى أن عزموا عليه فقال والله إني لأستحي من ربى أن يكذب هذه الشبهة عنده فقالوا : وكيف ؟ فقال
إني أصبح كل يوم أقول : اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، فأقول هذا وأقف بين يدي
مخلوق أسأله ذلك والله لا فعلته فلم يمش إليه - لمثل هذا فليعمل العاملون - ونقل أن الخليفة المنصور لقي
سفيان الثوري فقال له ما يمنعك أن تأتينا يا أبا عبد الله ، فقال إن الله سبحانه نهانا عنكم حيث يقول -
ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار - ودخل عليه يوما وقد أرسل إليه فقال له : سل حاجتك ؟ فقال
أو تقضيها ؟ قال : نعم ، قال حاجتي أن لا ترسل إلى حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك ، ثم خرج فقال
المنصور ألقينا الحب للعلماء فلنقطوه إلا ما كان من سفيان ، وقيل له : ألا تدخل على الولاة فتتخفظ وتعظمهم
وتنهاهم ؟ فقال : أنا مروني أن أصبح في بحر ولا تبطل قدماي إني أخاف أن يرحبوني فأميل إليهم فيحبط
عملي . وكان يقول : إذا أرضيت ربك أسخطت الناس ، وإذا أسخطتهم فنهيا للسهم والتهيو للسهم أحب
إلى من أن يذهب دين الرجل ، ورحم الله من قال :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تبهما (١)

وكتب رحمه الله إلى بعض العباد : اعلم يا أخي أنك في زمان كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتعوزون أن يدركوه ومعهم من العلم ما ليس معنا ولهم من القدم ما ليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه
على قلة العلم وقلة الصبر وقلة الأعوان على الخير وفساد من الزمان ، فعليك بالحمول فإن هذا زمان

خول و عليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس فقد كان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض . وأما اليوم فقد ذهب ذلك فالنجاة الآن في تركهم فيما نرى ، وإيالك يا أخى والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء ، ويقال لك تشفع أو تدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإن ذلك من خديعة إبليس ، وإنما اتخذ ذلك القراء سلما للقرب منهم واصطليداً للدنيا بذلك . وكان يقول للمهدى : احذر من هؤلاء الأعوان والمتردين عليك من الفقراء والفقهاء فإن هلاكك على أيديهم يأكلون طعاندك ويأخذون دراهمك ويفشونك ويمدحونك بما ليس فيك . ونصح يوماً إنساناً رآه في خدمة الولاية فقال فما أصنع بعيالى ؟ فقال ألا تسمعون لهذا يقول إنه إذا عصى الله رزق عياله وإذا أطاعه ضيعهم . وكان يقول إذا رأيتم العالم يلوذ بباب السلطان فاعلموا أنه لص وإذا رأيتموه يلوذ بباب الأغنياء فاعلموا إنه مرء انظر [شب] وفيه : وكان بشر الخافى يقول : يا طالب العلم إنما أنت مثل مذمتك بالعلم تسمع وتحكى لا غير ، ولو عملت بما علمت لتجرعت مرارة العلم ، ويحك إنما يراد بالعلم العمل فاسمع يا أخى وتعلم ثم تعمل واهرب ، ألا نرى إلى سفيان الثوري رضى الله عنه كيف طلب العلم وتعلم وهرب ، فإن طلب العلم إنما يدل على الهرب من الدنيا لا على حبها ، وكان يقول : كان العلماء رضى الله عنهم موصوفين بثلاثة أشياء : صدق اللسان ، وطيب المطعم ، وكثرة الزهد في الدنيا . وأنا اليوم لا أعرف في هؤلاء واحداً فيه واحدة من هذه الخصال ثم قال : ويحكم بأعلماء السوء أنتم ورثة الأنبياء وإنما ورثوكم العلم فحملتموه وزغتم عن العمل به وجعلتم علمكم حرفة تكسبون به معاشكم . وكان إبراهيم البلخي يقول : إذا كان العالم طامعاً ولئالٍ جامعا فيمن يقتدى الجادل . وكان إبراهيم بن أدهم يقول : قد غلب على العباد والنسك والعلماء في هذا الزمان التهاون باللذون حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهود عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون أقبلوا على أكل الحرام وتركوا طلب الحلال ورضوا من العمل بالعلم ، يستحى أحدهم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم ، هم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة إذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح ، إن سألوا ألحوا وإن سئلوا شحوا لبسوا الثياب على قلوب الذئاب ، اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيه اسمه لرفع أصواتهم باللغو والجidal والقتال ، واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا ، فإياكم ومجالستهم اه . فتخلص يا أخى من هذه الأوجال وتأمل قول من قال :

العلم نور فلا تهمل مجالسته وأعمل بحيلة يرى فالفضل في العمل
وقول بعض أهل الإشارات :

تعلم ما استطعت لقصد وجهى فإن العلم من سفن النجاة
وليس العلم في الدنيا بفخر إذا ما حل في غير الثقافة
ومن طلب العلوم لغير وجهى بعيد أن تراه من الهداة انظره

ورحم الله من قال :

لو كان للعلم من دون التقى شرف لكان أفضل خلق الله إبليس

وفي [نخل] وعن ذى النون المصري رحمه الله أنه قال : كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركها ، فالיום يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا ولها طلبا ، وكان الرجل ينفق ماله على العلم ، واليوم يكتسب الرجل بعلمه مالا ، وكان يرى على طالب العلم زهادة وإصلاح في باطنه وظاهره ، فالיום ترى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر ، وفيه قال مالك رحمه الله : إذا علمت علما فليزك عليك أثره

وسمته وسكنته ووقاره وحلمه لقوله عليه الصلاة والسلام : « العلماء ورثة الأنبياء » انظر : وفيه قال ابن مسعود رضي الله عنه : العالم يعرف بلبه إذا الناس نائمون ، وبناهاره إذا الناس مفطرون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، بخشوعه إذا الناس يختالون ، وبجزئه إذا الناس يفرحون . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : لا ينبغي للعالم أن يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل ولكن يعفو ويصفح اه . ثم قال : قال الفضيل بن عياض رحمه الله : لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوا حيث أنزله الله تعالى لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت لهم الناس وكانوا لهم تبعاً وعز الإسلام وأهله ، واسكنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيروا بذلك ما في أيديهم فذلوا وهانوا على الناس ، وفي الحديث إن الصفا الزلال^(١) الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع ، قال الحنفى : ألا ترى أن طمع العالم يؤدي إلى مدح الأمراء الظلمة ليعطوه شيئاً فيغيروهم في الظلم ويوقع كلام الناس في عرضه ، ولربما اقتدى به غيره في الطمع وجلب الدنيا ولو من حرام : قال المناوي في كبيره : قال أبو جعفر البغدادي : ست خصال لا تحسن بست رجال : لا يحسن الطمع في العلماء ، ولا العجلة في الأمراء ، ولا الشح في الأغنياء ، ولا الكبر في الفقراء ، ولا السفه في المشايخ ، ولا اللؤم في ذوى الأحساب اه . وعليك بمطالعة فيه درر الفوائد - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - (فلذ) من لاذ بالشيء استأثر وتحصن به (بهم) دنيا وأخرى (تنل) تصب وتترك (منهم) في الدارين (شفاعة) عظيمة (يوم حمرة) وندامة هو يوم القيامة . وفي [جص] : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » وفيه : « وإذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قبل للعابد ادخل الجنة وتنعم بعبادتك ، وقيل للعالم قف هنا فاشفع لمن أحببت فلنك لا تشفع لأحد إلا شفعت فقام مقام الأنبياء » وفي [خل] وقدرى أن يحيى ابن يحيى راوى الموطأ لما أن جاء إلى مالك ليقرأ عليه فقال له مالك اجتهد يا بني فإنه قد جاء شاب في سنك فقرأ على ربيعة ، فما كان إلا أيام وتوفي الشاب فحضر جنازته علماء المدينة ولحدته ربيعة بيده ، ثم رآه بعد ذلك بعض علماء المدينة في النوم وهو في حالة حسنة فسأله عن حاله ؟ فقال غفر الله لي وقال ملائكتك هذا عبدى فلان كانت نيته أن يبلغ درجة العلماء فبلغوه درجاتهم فأنامهم أنتظر ما ينتظرون . قال : فقلت وما ينتظرون ؟ قال الشفاعة يوم القيامة في العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، انظره وروى : « إن الله تعالى يقول للمجاهدين والعابدين ادخلا الجنة فيقول العلماء يا ربنا بفضل علمنا جاهدوا وعبدوا فما لنا عندك ؟ فيقول أتمت عندى كيعض ملائكتى ، اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » وروى « إنه يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء » ولا شك أن أعلى ما للشهيد دمه وأن أدنى ما للعالم مداده . قال بعضهم : والمراد بالعلماء العاملين بعلمهم - الذين يوقنون بههد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب - والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مآرزقناهم سرا وعلانية ويدرمون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار - الآية ، وإلا فليسوا من أهل الشفاعة بل ليتهم يشفعون في أنفسهم ، وأنى لهم ذلك قال تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون -

(١) قوله الصفا مفردة شفاعة : صخرة بيضاء والزلال ككثرة كثير الزلال اه .

وروى « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وإن العالم ليعذب عذابا يطيف (١) به أهل النار استعظاما لشدة عذابه ، وإنه يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه (٢) فيدور بها كما يدور الخمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك؟ فيقول كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهي عن الشر وآتية » وقال الشعبي : يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون : إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهي عن الشر ونفعله . وقال حاتم الأصم رحمه الله : ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو . وقال مالك بن دينار « إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا . ورحم الله من قال :

يا واعظ الناس قد أصبحت متها	إذا عبت منهم أمورا أنت تأثها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا	فالموبقات لعمرى أنت جانها
تغيب دنيا وناسا راغبين لها	وأنت أكثر منهم رغبة فيها
ومن قال : وغير تقي يأمر الناس بالتقى	طبيب يداوى المريض وهو عليل
ومن قال : فأصبحت تنهى ولا تنهى	متى تلحق الناس يا أكوع
ويا حجير السن لا تنفضي	سن (١) الحديد ولا تقطع

وفي البخاري عن إبراهيم التيمي « ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبا » اه قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون - وقال - ولكم الويل مما تصفون - وقال - أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون - وقال صلى الله عليه وسلم : « أبعد الناس من الله تعالى يوم القيامة القاص الذي يخالف إلى غير ما أمر به » وفي [حى] وقال كعب رحمه الله : يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ، ويخوفون الناس ولا يخافون ، وينهون عن غشيان الولاة ويأثونهم ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة ، يأكلون بألسنتهم ، يقرّبون الأغنياء دون الفقراء ، يتغيرون على العلم كما تتغير النساء على الرجال ، يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن » وقال تعالى لعيسى عليه السلام : « يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ للناس وإلا فاستحي مني » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى في بأقوام تقرض شفاهم بمقاريض من نار فقلت من أنتم ؟ فقالوا كنا نأمر بالخير ولا تأتية وننهي عن الشر ونأتية » وقال صلى الله عليه وسلم « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشر شرار العلماء وخير الخير خييار العلماء » وقال الأوزاعي رحمه الله : شكت النواويس ما يجدون من تن جيف الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء سوء أتت مما أنتم فيه . وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك (٢) السكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبي

(١) قوله يطيف بضم تحتية من أطاف : أحرق اه . (٢) قوله أفتابه جمع قتب كضرس : الأمعاء اه .

(٣) يفتح فوقية وضم سين من سن السكين كرو : أحده اه .

(٤) قوله مسوك جمع مسك ، كفلس وفلس : الجلد اه .

يسهزون لأنيح^(١) لهم فتنة نذر الحليم فيهم حيران^(٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه : سيأتي على الناس زمان تملح^(٣) فيه غدوية القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباح من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها غدوية ، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة ، فعند ذلك يسلبها الله تعالى يتابع الحكمة ويطنى مصابيح العلم من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في علمه ، فأنخصب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب ، فو الله الذي لا إله إلا هو ما ذاك إلا أن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمعلمين تعلموا لغير الله تعالى . وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طلب علما يبتغي^(٤) به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » وعرفها : ربحها . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فن فعل ذلك فهو في النار » وقال صلى الله عليه وسلم : « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا » وقال عيسى عليه السلام : مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت ، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة على رموس الأشهاد . وفي أخبار^(٥) داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى « إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيله مناجاتي ، ياد داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي ، أولئك قطاع الطريق على عبادي ، ياد داود إذا رأيت لي طالبا فكُن له خادما ياد داود من رد لي هاربا كذبته جهيذا^(٦) » ومن كذبته جهيذا لم أعذبه أبدا ، ولذلك قال الحسن رحمه الله : عقوبة العلماء موت القلب وموت القلوب طلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولذلك قال يحيى بن معاذ : إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا ، وقال سعيد بن المسيب رحمه : إذا رأيتم العالم يقش^(٧) الأمرار فهو لص . وقال عمر رضي الله عنه : إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب . وكتب رجل إلى أخ له : إنك قد أوتيت علما فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب ، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم . وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول لعلماء الدنيا : يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية ، وبيوتكم كسروية ، وأثوابكم ظاهرية ، وأخفافكم جالوتية ، ومراكبكم قارونية ، وأوانيسكم فرعونية ، ومآتمكم^(٨) جاهلية ، ومذاهبكم شيطانية ، فإن الشريعة المحمدية . ورحم الله من قال :

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

ومما ينبغي في حق العالم أن لا يكون مائلا إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعيم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن ، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرق القلة ميله ازداد من الله قربا وارتفع في علماء الآخرة حظه ، أنظره . وانظر فيه ما وقع لحاتم الأصم مع ابن المقاتل والطنافسي وأهل المدينة المنورة بأنواره صلى الله

(١) لأقدرن وأسهلن اه . (٢) قوله تملح بفتح اللام وكسرها من ملح كنعن وضرب اه .

(٣) قوله يبتغي يضم تحتية وفتح غين مبنى المفعول اه .

(٤) جمع خبر اه . (٥) جهيذا بمعنى كزرج : القاد الخبير اه .

(٦) قوله يقش من غش كرضي اه . (٧) مآتم جمع مأتم كقعد : كل مجتمع لحزن أو فرح أو خاص بالثناء ،

(٨) (٢٥ - الدرر الخريدة - ٢٦)

عليه وسلم ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا علم العالم فلم يعمل كان كالمصباح يضيء على الناس ويحترق نفسه » ورحم الله من قال :

ما هو إلا ذبالة^(١) وقدت تضيء للناس وهي تحترق

ورحم الله من قال :

منعتك الذنوب عن كل علم نافع للقلوب يجلو صداها
فاغنم توبة لعلك تنجو وأزجر النفس يأخى عن هواها

وعنه صلى الله عليه وسلم : « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا » وقد قيل : كثرة العلم في غير طاعة مادة الذنوب ، وفي ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

كثرة العلم في سوى طاعة الله من أصل الذنوب خف من رداها

وفي [عم] وكان سفيان الثوري رضي الله عنه إذا لاموه على عدم جلوسه لتعليم الناس العلم يقول : والله لو علمنا منهم أنهم يطلبون بالعلم وجه الله العظيم لأتيناهم في بيوتهم وعلمناهم ، ولكنهم يطلبون العلم ليجادلوا به الناس ويحترقوا به أمر معاشهم . وكان الفضيل بن عياض يقول : والله لو صحت النبوة في العلم لم يكن عمل مقدم عليه إلا العمل بما يحتاج منه ولكنهم يتعلمون لغير العمل . وحكى أن سفيان الثوري دخل على الفضيل يوما فقال : يا أبا علي عظنا بموعظة ؟ فقال الفضيل وماذا أعظكم ، كنتم معاشر العلماء سرجا يستضاء بكم في البلاد فصرتم ظلمة ، وكنتم نجوما يهتدى بكم في ظلمات الجهل فصرتم حيرة ، يأتي أحدكم إلى هؤلاء الأمراء فيجلس على فرشهم ويأكل طعامهم ثم بعد ذلك يدخل المسجد ويدرس العلم والحديث ويعظ الناس ويقول حدثني فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والله ما هكذا كان يحمل العلم ، فيكي سفيان وانصرف . ثم قال : وكان كعب الأسيار يقول : سيأتي على الناس زمان يتعلم جهالهم العلم ويتغيرون على القرب من الأمراء كما يتغيرون على النساء وكما يتغيرون النساء على الرجال وذلك حظهم من علمهم . ثم قال : وكان عبد الله بن المبارك يقول : قد غلب على القراء في هذا الزمان أكل الحرام والشبهات حتى إنهم غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم واتخذوا علمهم شبكة يصطادون بها الدنيا فإياكم ومجالستهم ، وكان يقول : لولا نقص دخل على أهل الحديث والفقهاء لكانوا أفضل الناس ، ولكنهم صاروا يحترقون بعلمهم ويصطادون به الدنيا فهانوا في ملكوت السموات والأرض ، وكان يقول : من عقل الرجل أن لا يطلب الزيادة من العلم إلا إذا عمل بما علم ، فيتعلم العلم كي يعمل به إذ العلم إنما يطلب للعمل ، وكان الشعبي يقول : اطلبوا العلم وأنتم تبكون فإن أحدكم إنما يريد به زيادة إقامة الحججة على نفسه يوم القيامة . ثم قال : وكان الثوري يقول : عليكم بالإخلاص في العلم لينفع الله به العباد . قال : ولم يبلغنا عن أحد من العلماء غير العاملين أنه رأى بعد موته فقال : غفر لي بعلمي أبدا قال : ومن الدلائل الصريحة على رياء العالم أن يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره ، وكان الشافعي رحمه الله يقول : ينبغي للعالم أن تكون له خبيثة من العمل الصالح فيما بينه وبين الله ولا يعتمد على العلم قط ، فإنه قليل الجدوى في الآخرة . ثم قال : وروى النسائي والترمذي مرفوعا : « أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، فقال : فاعملت فيها ؟ قال : قاتلت

فيك حتى استشهدت، فقال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فألقى به فعرّفه نعمه فعرّفها فقال: فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت لي قال عالم وقرأت القرآن لي قال قارىء فقد قيل، ثم سحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع عليه وأعطاه من أصناف المال فألقى به فعرّفه نعمه فعرّفها فقال: فاعملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال كذبت ولكنك فعلت لي قال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. أنظره. ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه:

أول من يسحب للثيران	ثلاثة في خير العبداني
من قاتل الكفار ثم قتلا	وعلم العلوم ثم بذلا
ماله للسمعة والرياء	يارب نجنا من البلاء
واغفر ذنوبنا بمحض الفضل	وشفعن نبينا في الكل
عليه دائما صلاة الله	والآل والصحب بلا تناء

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله أعلم وأحكم.

[فصل في النهي عن إضاعة المال]

(وَمَا لَكَ صُنْ عَنِ الضَّيَاعِ كَهَرَفِهِ بِرَجِّ رَبِّي زَيْ وَخَمْرٍ وَخَطَّةٍ
فَمُرْتَكِبٌ لِدَاكَ يُبْنَى بِسَكْبَةٍ وَمُسْتَوْجِبٌ بِذَنْبِهِ سَلَبَ نِعْمَةٍ
فَمَنْ لَمْ يَصَبْ فِي نَفْسِهِ أَوْ عَمَالِهِ فَمُسْتَذَرَجٌ وَبَا بِأَخْصِ صَفَقَةٍ)

(وما لك) هو ما مملكته من كل شيء (صن) من الصيانة وهي الحفظ (عن الضياع) بفتح الضاد مصدر ضاع هلك وتلف. واعلم أن النهي عن إضاعة المال ولزوم حفظه أمر اجتمعت عليه الأمة قال تعالى - وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - وقال - وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين - وفي [جص] : « إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال » قال العزيزي : هو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف، وسبب النهي أنه إفساد، والله لا يحب الفساد، ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس اه. وفي [خل] واعلم أن إبليس يأتيك من وجوه كثيرة لا يغفل ولا يألوك خيالا إن كنت مقلا عندك من الدنيا شيء يسير تريد أن تقوته نفسك أمرك بالصدقة ورغبت فيها لتخرج ما في يدك وتحتاج رجاء أن يظفر بك في حالة الغفلة، وإن كنت غنيا أمرك بالإسكاف ورغبت فيه وخوفك الفقر والحاجة، وقال لك ابدأ بمن تعول ولعلك تسكبر وتضعف ويطول عمرك، يريد بذلك أن تصير إلى حال البخل فيظفرك. انتهى. وفي [د] : « والله من لم يحاول على نفسه حتى تجلى دار أبيه » وإذا قاله لمن بين يديه في الإسراف في الإنفاق، ذكر ذلك تحذيرا وتحويها

وتفطيعا لما يترتب على ذلك من الفتنة في الدين واختلال العقل وذهاب المروءة، ولفظ يحاول يحتمل الاقتصاد في المعيشة ويحتمل الخدمة والسكد والعمل اه . وفي [جه] ومما أملاه علينا رضى الله عنه قال : لله تصرف في بعض خلقه فجعل الدنيا في أيديهم فمن حفظها منهم مع المحافظة على أمر الله تعالى فيه من غير تضییع حفظها الله في يده وصانه بها وجعلها له بركة ، ومن ضيعها من يده تهاونا بها ضيعه الله وأحوجها إليها ولم يجدوها اه . وفيه : واعتن بتحصين مالك من التلف فإن مالك به يمان إيمانك بالله تعالى فإن أنلفته أنلفت إيمانك بالله فإنه وقع في الخبر : « إن من الناس من لا يصلح لإيمانه إلا بالغنى ولو افتقر لكفر » اه وفيه : وقد كان بعض الأصحاب من خاصته دخل بيده مال فأعطاه منه ثم أراد إعطاء ما بيده جملة وتفصيلا ، فعلم به سيدنا رضى الله عنه فقال له لا تفعل ودع مالك عندك ، لأنك إن فعلت ذلك وجدت فقدان ذلك من قلبك وأثر ذلك فيك ، فيحصل لك بذلك ضرر عظيم وتقطع الحبة من أصلها ، فلا تقتدي في هذه العطايا ، فأنا إن رأيتني فعلت شيئا منها فني ذلك أقامني الله عز وجل . اه . وفي [عف] قال جعفر الخلدی : جاء رجل إلى الجنيد وأراد أن يخرج عن ماله كله ويجلس معهم على الفقر ، فقال له الجنيد ، لا تخرج عن مالك كله : احبس منه مقدار ما يكفيك وأخرج الفضل وتقوت بما حبست ، واجتهد في طلب الحلال ، لا تخرج كل ما عندك فليست آمن عليك أن تطالبك نفسك ، ثم قال : وقد يكون الشيخ يعلم من حال المرید أنه إذا خرج من الشيء يكسبه من الحال مالا يتطلع به إلى المال ، فحينئذ يجوز له أن يفسح للمرید في الخروج من المال ، كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وقبل منه جميع ماله . اه : أى ولم يقبل ذلك من سيدنا عمر لحكمة بالغة قال تعالى - حريص عليكم بالمؤمنين رهوف رحيم - وصح أن عمر أتى بنصف ماله فدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ما خلقت وراءك لأهلك يا عمر ؟ قال خلقت لهم نصف مالى » وأن أبا بكر جاء بماله كله فدفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ما خلقت وراءك يا أبا بكر ؟ فقال عدة الله وعدة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فسكى عمر فقال بأبى أنت يا أبا بكر والله ما سبقنا إلى باب خير إلا كنت سابقنا » اه . وفي البخارى عن كعب بن مالك قال : قلت يا رسول الله إن من توبى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم . قال : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قلت فإني أمسك سهمي الذي بخير » اه . وروى : « يأتي أحدكم بماله لا يملك غيره فيتصدق به ثم يقعد بعد ذلك يتكفف الناس ، إنما الصدقة عن ظهر غنى » ورحم الله من قال :

وحفظ المال خير من فناه وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبتقى الكثير مع الفساد

(كصرفه) وإنفاقه (بهرج) من هرج الناس وقعوا في فتنة واختلاط وقتل : أى في قتال بين المسلمين عدوانا وظلما . وفي [جص] « إن بين يدي الساعة لأياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج » والهرج : القتل ، وفيه : « إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتخذ سيفا من خشب » وذلك كناية عن عزل أهل الفتن والسكف عنهم . ونقل أن بعض الصحابة اتخذ سيفا من خشب أيام الفتنة لهذا الحديث . وفيه : « بلجهم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمي » وفيه : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » وفيه : « من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله » وفيه : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار : قيل يا رسول الله

الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه « وفيه : » ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماضي والماضي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذب به « وفيه : » سلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته « وفي [هب] إن ذات بني آدم عليها ثلاث مئة وستة وستون ملكا ، وهذا العدد على كل ذات ذات ، فمن قتل ذاتا بغير حق فإن هذا العدد من الملائكة الذين في الذات المقتولة إذا خرجوا منها بعد القتل لا يكون لهم شغل إلا الدعاء باللجنة على من قتل الذات وأخرجهم منها بغير حق ، ودعاء الملائكة مستجاب ، وأيضا فإن الذات عليها سبعة من الكرام الحفظة الكاتبين فإذا قتلت الذات بغير حق فإنهم لا شغل لهم إلا نقل كل ما في صحيفة المقتول من سيئات ، فينقلونه من صحيفته ويجعلونه في صحيفة القاتل ، وكل ما فعل القاتل من حسنة ، فإنهم ينقلونه منها ويجعلونه في صحيفة المقتول وهذا شغلهم إلى أن يموت القاتل ، ثم يصير هذا ذكرا لهم فيذكرون ما فعل القاتل من السيئات ، وذكر الملائكة كالمطر ، وكل ذكر ينزل معه فإن ذكروا أحدا بسوء نزل عليه سوء ، وإن ذكروه بخير نزل عليه خير ، فلا يزالون يذكرون المقتول بخير والخير ينزل عليه ، ولا يزالون يذكرون القاتل بشر والشر ينزل عليه ، انظروا . وكصرفه في (ربي) بالكسر والقصر وسواء ربي الفضل وربى النساء ، وقد قيل كل عقدة فاسدة فهي ربي ، وروى : « درهم ربي يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية في الإسلام وهو في الحطيم » وفي [جص] « الربى سبعون حوبا ^(١) أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه » وفيه : « لعن الله الربى وأكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون ، والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة ^(٢) والمنتمصة » وفيه : « الربى وإن كثرت فإن عاقبته تصير إلى قل » والقل بالضم القلة قال تعالى - يمحى الله الربى ويرى الصدقات - وفيه : « أربى ربي شتم الأعراض وأشد الشتم الهجاء والراوية ^(٣) أحد الشاتمين » وفيه : « أربى الربى تفضيل المرء على أخيه بالشم أي زيادته واستطالته بلسانه في عرض أخيه بأكثر مما يستحقه . وفي [د] الله يغرقك في بحر الكرم وذا قاله لرجل ارتكب شيئا من الربى فغضب عليه غضبا شديدا فتأب إلى الله وسأله أن يسامحه ويدعوله فسامحه وذكره ، اه . قال تعالى : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله - الآية . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تأكل طعام من يعامل بالربى والحيلة إلا لضرورة شرعية كأن لم يجد شيئا تسد به الرفق أو ترتبت على ذلك مصلحة دينية ترجح على تركه . ثم قال : فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ صادق يسلك به الطريق حتى يدخله حضرات القناعة وحضرة الزهد في الدنيا وتصير نفسه تقنع بالخير الجاف اليابس من غير إدام وتلبس الحصى بدل الثياب : ومن لم يسلك فمن لازمه محبة الدنيا غالبا وعدم صبره عن شهواتها ، فكلما طلبت نفسه شهوة تحمل الدين لأجلها ورضى بالربى له وعليه . وكان سفيان الثوري يقول : والله لو أجبت نفسي إلى ما طلبت لحقت أن أكون شرطيا أو مكاسا اه . فاسلك يا أنسى كما ذكرنا لتخلص من ورطة ^(٤) الربى والوقوع فيه ، والله يتولى هداك ، أنظروا . وقد ثبت أن من حكمة الله تعالى وعادته أن من أكل الربى يحول الله صورته عند الموت كصورة حمار ، إما في الدنيا وإما في الآخرة ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة آمين (زنى) بالكسر والقصر : وفي [جص] : « الربى يورث الفقر » وفيه : « عفوا تعف

(٢) قوله النامصة : أى الناقصة للشعر بقصد التزين اه .

(٤) قوله ورطة كثيرة : الهلاك اه .

(١) قوله حوبا بضم حاء وفتحها الذئب .

(٣) قوله الراوية : أى الناقلة لها اه .

نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركم أبناءكم ، ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء بلغه عنه « زاد في رواية :
 « محقا كان أو مبطلا فلم يقبل عذره لم يرد على الخوض » وفيه : « إذا ظهر الزنى والربى في قرية فقد
 أحلوا بأنفسهم عذاب الله » وفيه : « إن السموات السبع والأرضين السبع والجبال ليلعن الشيخ الزاني ،
 وإن فروج الزناة ليؤذى أهل النار ريحها » وفيه : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى ، مدرك ذلك
 لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ،
 والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذب به » وفيه : « من زنى زنى به ولو لم يحيطان
 داره » أى فمن عقوبة الزانى أن يقع الزنى ممن حوته حيطان داره كزوجته وبنته .

ونقل أن امرأة وجدت زوجها يغتسل فقالت : ما هذا ؟ فقال : زنت بزوجة فلان ، ثم جاء ذات يوم
 فوجد زوجته تغتسل ، فقال لها ما هذا ؟ قالت : زنى بى فلان الذى زنت بزوجته ، جزاء وفاقا والجزاء من
 جنس العمل . وحكى أن بعض الملوك لما سمع بهذا الحديث أراد تجربته فى بنت له وكانت فى غاية من
 الحسن والجمال فكنها لعجوز وأمرها أن تطوف بها فى الأسواق والأزقة مكشوفة الأطراف وأن
 لا تمنع أحدا تعرض لها بأى شيء شاء ، فامرت بها على أحد إلا وأطرق رأسه منها حياء وخجلا ، ولم
 يمد أحد نظره إليها ، فلما رجعت بها وأرادت أن تدخل لدار الملك أمسكها إنسان وقبلها ثم ذهب
 عنها ، فأدخلتها على أبيها فسألها عما وقع فذكرت له القصة ، فسجد شكرا لله تعالى وقال : الحمد لله ما
 وقع منى فى عمرى قط إلا قبلة واحدة لا امرأة وقد قوصصت بها جزاء وفاقا . وفى [د] : « أولاد الزنى
 ليس لهم إلا النار ، لأن الله حكم على نطفة الحرام بالنار إلا إذا حصل لهم التطهير بخدمة أحد من الأكابر
 أو أكل معهم أو قضى لهم حاجة وهم : الفرد الجامع والخليفة والوزيران ومقاييس الكنوز اه (و)
 كصرفه فى (خمر) وهى كل ما يخامر العقل ويستره ويذهب ثمراته من كل مشروب . وفى [جص]
 « من شرب أمتى من بعدى الخمر يسمونها بغير اسمها يكون عونهم على شربها أمراؤهم » وفيه : « الخمر
 أم الخبائث فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوما ، فإن مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية » وفيه :
 « الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعتمته » وفيه :
 « لعن الله الخمر وشاربها وساقها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها »
 وفيه : « لن يزال العبد فى فسحة من دينه ما لم يشرب الخمر فإذا شربها خرق الله ستره وكان الشيطان
 وليه وسمعه وبصره ورجله يسوقه إلى كل شر ويصرفه عن كل خير » وروى الترمذى رحمه الله : « إذا
 فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل عليها البلاء ، قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال : إذا كان المغنم دولا
 والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق الولد أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت
 الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير
 واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك جهرا وخسفا ومسحا »
 وروى البيهقى رحمه الله : « إذا استحل أمتى خمسا فعليهم الدمار ^(١) إذا ظهر التلاعن ، وشربت الخمر
 ولبس الحرير ، واتخذت المعازف واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء » وروى الترمذى رحمه الله :
 « ثلاثة لا يقبل الله لهم شهادة أن لا إله إلا الله : الراكب والمركوب ، والراكبة والمركوبة ، والإمام الجائر اه »

(١) قوله الدمار كهلاك وزنا ومعنى اه .

(و) مكسره في (خطه) بالضم الأمر كالقضاء والإفتاء والحسبة والعدالة والعمالة وغير ذلك ، وفي الحديث : « إنا لانتعمل على أمرنا هذا من طلبه » وفي آخر : « اتقوا الله فإن أخونكم ^(١) » عندنا من طلب العمل « وفي آخر : « لا تطاب الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكاث إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها » وفي [جمع] وأحذركم لمن خوله الله نعمة أن يمديده بها فيها لا يرضى الله مثل شرب الخمر والوقوع في الزنى ومد اليد بها في المعاملة في الربى ، وصرفها في وجوه طلب الرياسة والسلطنة ، وفي طلب إيذاء المسلمين من سفك دماهم ونهب أموالهم أو هتك حرمتهم ، أو إيذاء ولو بأقل قليل ، فإن الفاعل هذه الأمور بما أنعم الله عليه مستحق لسلب النعمة من الله مع ما يعرض له من مقت الله وسخطه في الدنيا والآخرة ، والسعيد إذا وقع في شيء من هذه الأمور يرى عن قريب تعجيل العقوبة ويرى التنبيه في قلبه من الله أن هذه المصيبة وقعت على تلك الفعل له (فرتكب) من ارتكب الشيء اكتسبه وفعاه (لذلك) أي لشيء مما ذكر (يبلى) أي يبتليه الله في الحين إن سبقت له العناية من الله تعالى (بنسبة) بفتح النون : المصيبة يقال نسبه الدهر أصابه بنسبة .

وفي [حصص] : « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده شرا أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » قال الحنفى : ولذا كان أهل الله يتلذذون بالأمراض كما تلذذ بالمأكل لعلمهم بأنها منه تعالى لسلامة البدن في المال وإن حصل بها مشاق ، كالأبوين يأتيان بطبيب لولدهما يكويه ليسلم بدنه وإن حصل له مشقة بذلك ، والله تعالى أرحم بعبده من والديه ، وكل ما ينعم الإنسان من أمور الدنيا فيه ثواب حتى الشوكة وسقوط القلم من يد الكاتب إذا اغتم بسببه . وفيه : « إذا أراد الله بعبده خيرا عاتبه في منامه : أي لآله على تقصيره أو أراد في منامه ما ينهيه كأن يرى كبشا ينطحه أو يسقط في مهواة فينبهه أن ذلك مما صدر منه من المعصية فيتوب . ونام بعضهم عن ورده فرأى بقرة تنطحه فأفاق وتنبه أن ذلك من ترك ورده اه . وأخبرني من أثق به أنه تبرع بشيء من الأذكار ثم تركها يوما فرأى في منامه جملا أراد أن يبتلعه فاستيقظ فزعا فاستذكر ما فاتته ، قال تعالى - وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (ومستوجب) أي مستحق (بذنبه) الذي ارتكبه (سلب نعمة) لأن نعم الله إذا شكرت قرت ، وإذا كفرت فرت . قال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وفي [حصص] : « الدعاء يرد القضاء وإن البر يزيد في الرزق وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » ثم قرأ - إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة - الآية ، ولا يعارضه حديث : « إن الرزق لا تنقصه المعصية ولا تزيده الحسنه » لأن ذلك بالنسبة لما في علم الله تعالى ، وأما الرزق المعلوم للملائكة الموكلين فهو الذي يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، انظر العزيزي . وفي [جه] وأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى وارتقاب المؤاخذه منه في الذنوب فإن لكل ذنب مصيبتين لا يخلو العبد عنهما ، والمصيبة واحدة في الدنيا وواحدة في الآخرة فصيبة الآخرة واقعة قطعا إلا أن تقابل بالعفو منه سبحانه وتعالى ، ومصيبة الدنيا واقعة بكل من اقترف ذنبا إلا أن يدفعها أو يرد إلهي بصدقة لمسكين أو صلة رحم بمال أو تنفيس عن مديان بقضاء الدين عنه أو بعفو عنه إن كان له ، وإلا فهي واقعة ، فالخدر الخدر من مخالفة أمر الله وإن وقعت مخالفة والعبء غير معصوم

فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله وإن لم يكن ذلك عاجلا فليعلم العبد أنه ساقط من عين الحق متعرض لغضبه إلا أن يمن عليه بعفو ويستديم في قلبه أنه مستوجب لهذا من الله فيستديم بذلك انكسار قلبه وانحطاط رتبته في نفسه دون تعزز فما دام العبد على هذا فهو على سبيل خير اه (فمن لم يصب) بمصيبة عاجلة (في نفسه) أى جسده كمرض أو إذابة الناس (أو) لم يصب (بماله) بفقد أو تلف وضياع وفي الحديث : « لا خير في مال لا يرزأ منه وجسد لا يتال منه » وفي آخر : « إن أبغض عباد الله إلى الله العفريت النفريت الذى لم يرزأ في مال ولا ولد » (فستدرج) من استدرجه خدعه قال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - واستدرج الله تعالى العبد أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الاستغفار أو أن يأخذه قليلا قليلا ولا يباغته ، وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيت الله تعالى يعطى العباد ما يشاءون وهم مصرون على المعاصي فاعلم أن ذلك استدرج منه لهم » ثم تلا - فلما نسوا ما ذكروا به ففتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون - الآية وفي [جص] « إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنا لذلك استدرج » والمراد بالاستدرج تقريبه من العقوبة شيئا فشيئا ، انظر العزيزي . وفي [خل] الاستدرج اسم لمعين أحدهما استدرج عقوبة للسيئة تنبيهها على الإنبابة ، والثاني استدرج للإنبابة فيه ولا رجوع فتعوز بالله من الاستدرج ، وإنما يستدرج العبد على قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك وطاعة الناس له ، ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك وولاة الأمر والخطوة عندهم ، ومنهم من يستدرج بالتوسعة في المال والأولاد ومنهم من يستدرج بالعلم بأن يكرم بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله ، ومنهم من يستدرج بكثرة العبادة فجميع من ذكر من المستدرجين لا يخلو من الرياء والعجب وكل مزين له ما هو فيه لا يرى إلا أنه على الطريق مقبول منه إحسانه ، وقد عمى عن فتنة ما هو فيه من الاستدرج ، ومنهم من ينه فيتنبه فيرجع إلى الإنابة ويفزع إلى الاستكانة ، ومنهم من يهمل فيهمل نفسه إلى حضور أجله . واعلم أن الاستدرج عقوبة للمضيعين شكر النعم اه (بخ) انظره . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نغتر لمهال الحق تعالى وحلمه علينا إذا وقعنا في شيء من معاصيه سرا أو جهرا تعظيما لأمر الله عز وجل ، ومحك^(١) الصدق في تعظيم الله عز وجل أن نأثر إذا وقعنا في المعصية سرا مثل مانتأثر وندم إذا وقعنا فيها جهرا وشاعت عنابن الخاص والعام ، ومتى زاد قبح المعصية الواقعة جهرا على وقوعنا فيها سرا فنحن لم نبلغ في تعظيم حرمان الله حدها المشروع لنأمن أنه تعالى أحق أن يستحي منه ، انظره . وفي الحديث : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها » وفي الحكم من جهل المرید أن يسىء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد ، وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري ولو لم يكن إلا أن يخلبك وما تريد انظره (وبا) قصره للوزن يقال باء بذنبه احتمله واعترف به (بأبخس) أنقص وأخسر (صفقة) من صفق على يده إذا وجب البيع والحق - بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الآية ، ورحم الله من قال :

(١) قوله محك : أى ميار اه .

مضى أمسك الأذى شهيدا معدلا ويومك هذا بالفعل شهيد
فإن تك بالأمس اقترفت إساءة فتن بإحسان وأنت حميد
ولا ترج^(١) جعل الخير منك إلى غد لعل غدا يأتي وأنت فقيد

ومن قال :

العمر ينقص والذنوب تزيد وتقال عثرات الفقى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد رجل جوارحه عليه شهود

[تنبيه] من إضاعة المال المنهى عنها شرعا وطبعا صرفه في البنيان الغير المحتاج إليه شرعا ، وروى الطبراني « من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة » وفي [جص] « كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا مسجدا » وفيه « كل بنيان وبال على صاحبه يوم القيامة إلا من عمل به » وفيه « كل نفقة ينفقها المسلم يؤجر على نفسه وعلى عياله وعلى صديقه وعلى بهيمته إلا في بناء إلا بناء مسجدا يبتغي بها وجه الله » وفيه « إذا أراد الله بعبده هوانا أنفق ماله في البنيان والماء والطين » وفيه « من جمع مالا من غير حقه سلطه الله على المال والطين » أى حجب له صرفه في البنيان الغير المحتاج إليه ، وفيه « اتقوا الحجر الحرام فإنه أساس الخراب » ومن شك فليجرب ، ولذلك ترى أبنية الظلمة لا يستمتعون بها إلا قليلا جدا فتبقى لليوم تفرخ فيها قال تعالى - فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين - نسأل الله السلامة والعفو والعافية آمين . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نبني في هذه الدار فوق الحاجة ولا نزخرف لنادارا خوفا من حب الإقامة في هذه الدار ونسيان الدار الآخرة كما جرب ذلك فلا يكاد فاعل ذلك يقدر على تحرير نيته في ذلك أبدا ، وما وضع صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة حتى إن درجة من درج الغرفة التي بنام فيها تزلزلت فلم يأذن لأحد في إصلاحها مع أنها زهقت من تحت رجاء فانفكت رجله ومكث سبعا وعشرين يوما لا يقدر على الخروج للناس « فاتبع يأخى نبيك في ذلك ثم إنك لو اتبعت الحل في كسبك لما وجدت ثمن الطوب الذي تبني به فضلا عن الحجر والرخام^(٢) فوالله ثم والله لقد خسر من اتخذ هذه الدار وطنا ، وقدر أيت في المنام شيخ الإسلام زكريا وهو يقول لى : قل لولد ولدى زكرياء كن في الدنيا بجسمك وفي الآخرة بقلبك فإنى والله ما هكنا كنت . فاعلم ذلك واعمل به والله يتولى هداك ، انظره . وروى « إذا رفع الرجل بناء فوق سبع أدرع نودى يا أفسق الفاسقين إلى أين » وعن الحسن البصرى أنه مر على بيت مبنى فقال : إن هذا لا يبنى : فإنه عمر دنياه وخرب آخرته ، وغرته أهل الدنيا ومقتته أهل السماء اه . وقد بنى سيدنا نوح على نيينا وعليه الصلاة والسلام خوص فنظر إليه وقال هذا كثير على من يموت . ورحم الله من قال :

أتبني بناء الخالدين وإنما مقامك فيه لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الأراك^(٣) كفاية لمن كل يوم يقتضيه رحيل
ألا إن قطاع الطريق إلى الحمى كثير وأما الواصلون قليل

(١) قوله ترج بضم فوقية وكسر جيم من أرجاء : أخره اه .

(٢) قوله الرخام كسحاب اه .

(٣) قوله الأراك كسحاب : شجر يمتاك ببيداته اه .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفّر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - آمين ، والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل في محبة الحق وأهله وكراهة الظلم وأهله]

وفي [جص] « من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان » وفيه « أحب الأعمال إلى الله الحب في الله والبغض في الله » وفيه « أفضل الإيمان أن تحب الله وتبغض الله وتعمل لسانك في ذكر الله عز وجل وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وأن تقول خيرا أو تصمت » وفيه « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » وفي [عف] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أن رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض فيه ما نفعه ذلك أه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحب الله ونبغض الله حتى زوجاتنا وأولادنا وأعمالنا فلا يكون لنا في شيء من ذلك علة نفسانية أبدا ، وهذا العهد من أعز ما يوجد فلن غالب الناس يدعى المحبة لله وهو كاذب . ثم قال : فيحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به الطريق حتى يوقفه في حضرة يشهد فيها وجه نسبة الأمور للحق درن وجه نسبتها للخلق ، فإذا شهد ذلك المشهد يجد وجه الحق أجمل من كل جميل وأطيب رائحة من كل مسك ، فحججه عن شهود وجه نسبة الأمور للخلق وشهد وجه قبيح : وجه الخلق بالنسبة لوجه الحق كوجه الطاعة إذا تصورت صورة جميلة ووجه المعصية إذا تصورت صورة قبيحة ، فهل يصير أحد يقدم القبيح للصورة والرائحة مثلا ويؤخر الصورة الحسنة الطيبة الرائحة ، فهذا هو المراد بوجه الحق في كلام القوم . وإيضاح ذلك أن كل فعل مخلوق له وجهان : وجه إلى الحق يعني موافقا للشريعة ، ووجه إلى الخلق يعني مخالفا لها ، فكل ما وافق الشريعة فهو وجه الحق وهو باق أبدا الآبدن ، وكل ما خالف الشريعة فهو وجه الخلق وهو هالك من وقت ظهوره إلى أبدا الآبدن إلا من حيث المؤاخذه عليه في الآخرة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - أي وجه الشيء الموافق لما يحبه الله ويرضاه ، انظره . وفي [هب] الذي يجب أن يتوجه البغض إليه في المعاصي هو أفعاله لأذاته المؤمنة وقلبه الطاهر وإيمانه الدائم . قال : فالأمور التي توجب محبته لازمة والذنوب التي توجب بغضه عارضة طارئة فتكون محبته هي الساكنة في قلوبنا وبغضه يتوجه نحو الأمور العارضة حتى إنا نمثل ذنوبه بين أعيننا وفي أفكارنا بمنزلة أحجار مربوطة بشيابه خارجة عن ذاته فنحب ذاته ونبغض الأحجار المربوطة بشيابه ، وهذا القدر الذي أمرنا به الشارع في بغض المعاصي من غير زيادة عليه ، وأكثر الناس لا يفرقون بين بغض الأفعال الخارجة عن الذات وبين بغض الذات فيريدون أن يبغضوا الأفعال فلا يعلمون كيف يبغضونها فيقعون في بغض الذات ، وبغض الذات إنما أمرنا به في حق الكافر فنبغض ذواتهم وكل ما يصدر منها ، وأما المؤمن المعاصي فلإنما لم نؤمر ببغضه ببغضا يطفىء محبة ذاته ومحبة إيمانه بالله ، ومحبة إيمانه برسوله صلى الله عليه وسلم ، ومحبة إيمانه بجميع الرسل ، ومحبة إيمانه بجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومحبة إيمانه بسائر الكتب السماوية ، ومحبة إيمانه باليوم الآخر

وكل مافيه من حشر ونشر وجنة ونار وصراط وميزان ، ومحبة لإيمانه بجميع الملائكة عليهم الصلاة والسلام ، ومحبة لإيمانه بالقدر خيره وشره ، وهكذا نجبه على كل وصف ممدوح فيه ، فإذا تقدمت محبتنا فيه على هذه الخصال الحميدة لم يمكن أن يدخل بغضه في قلوبنا أبدا وإنما نبغض أفعاله وتدعو له غير ولا سيما إن نظرنا إليه بعين الحقيقة ، وأكثر الناس إذا أرادوا أن يبغضوا العاصي توجهوا إليه أولا قبل كل شيء بالبغض وغفلوا عن الخصال التي توجب محبته فلا يستحضرونها في عقولهم فيسكن بغضه في قلوبهم ويسرى ذلك البغض إلى ذاته فتكون هي المبعوضة في نظرهم وذلك لا يحل ولا يجوز اهـ .
قال رحمه الله :

(صَنِ الْقَلْبَ عَنْ مَحَبَّةِ الظُّلْمِ وَالْخَنَاءِ وَالْإِنْبِغْضِ الْحَقِّ أَوْ أَهْلِ سُنَّةٍ
فَمَوَافِقُنَا يُحِبُّ حَقًّا وَأَهْلًا وَيَبْكَرُهُ بَاطِلًا وَالْجَرِيمَةَ
وَأَضْيِرُّ قَلِيًّا مِنْ بَالِغِ الْمَآصِي مُجَاهِرًا فَيَا الْمُصْطَفَى تَأْسُ فِي ابْنِ الْعَشِيرَةِ)

(صن) من صانه حفظه (القلب) القواد أو أخص منه والعقل (عن محبة الظلم) بالضم وضع الشيء في غير محله . وفي [جص] : « الظلم ثلاثة : فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره ، وظلم لا يتركه . فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك قال الله تعالى - إن الشرك لظلم عظيم - وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين لبعضهم من بعض » وفيه : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » وفيه « أيما رجل ظلم شبرا من الأرض كلفه الله أن يحضره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس » وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « قلت يا رسول الله أي الظلم أظلم ؟ فقال ذراع من الأرض ينتقصها المرء المسلم من حق أخيه ، فليس حصاة من الأرض يأخذها إلا طوقها يوم القيامة إلى قعر الأرض . ولا يعلم قعرها إلا الله الذي خلقها » اهـ .

[لطيفة] مر بعضهم برجل صلبه الحجاج فقال : يارب حلمك بالظالمين قد أضر بالمظلومين ، فرأى في ليلته كأن القيامة قد قامت وأنه دخل الجنة فرأى المصاوب في أعلى عليين فإذا مناد ينادى حامى على الظالمين صير المظلومين في أعلى عليين اهـ . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نغصب من أحد شيئا ولو دواة أو قلما أو سواكا أو خلا لا (١) أو شيئا من سائر الحقوق خوفا من وقوعنا في العقوبة ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ يسلك به إلى حضرات الإيمان بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصير ما توعد به كأنه رأى عين على حد سواء ، ثم قال : وقد حكى لي شخص من الفقهاء أنه مر على مارس فحج في سنبله فرأى سنبله أعجبه فأخذها وفركها فلما أراد أن يأكلها تذكر الحساب عنها يوم القيامة فرماها في المارس ، فتام تلك الليلة فرأى القيامة قد قامت وجاء صاحب السنبله فادعى عليه بسنبلته ، فقال يارب إنى خفت من الحساب في هذا اليوم فرميتها في مارسه ، فقال صدق يارب ، ولكن لم يصل إلى تن البر ، لأنه طار في الريح . قال : فأعجزني في تحصيله ، ثم استيقظت فرأى عمار عوبا ، انظره . وروى : « من كانت عنده

(١) قوله خلا لا ككتاب : عود يخلل به بين الأسنان اهـ .

مظلومة لأخيه فليست حلاله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه وطرحت عليه » وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رموس الخلائق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه . قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ، ثم قرأ - فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون - قال فيخفف الله تعالى من حقه يومئذ ما شاء الله ولا يغفر من حقوق الخلق شيئا ، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق اتوا إلى حقوقكم . قال : فيقول العبد يارب فزيت الدنيا فمن أين أوتيهم حقوقهم ؟ فيقول الله للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلومته ، فإن كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وإن كان عبدا شقيا ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة ربنا فزيت حسناته وبقي طالبوه فيقول الله تعالى خذوا من سيئاتهم فأضيقوا إلى سيئاته ثم صكوا له صكا^(١) إلى النار . ونقل أن طاوسا دخل على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله يوم الأذان . قال هشام وما يوم الأذان ؟ قال قوله تعالى - فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين - فصعق هشام ، فقال طاوس هذا ذل الصفة ، فكيف بالمعينة . وعن بعضهم : لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأشقياء . وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : وعزق وجلالى لأنتقم من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنتقم من رأى مظلوما يقدر على أن ينصره فلم يفعل » ورحم الله من قال :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم يرجع عقابه إلى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وفى الحديث : « لا يبغي على الناس إلا ولد يبغي وإلا من فيه عرق منه » وفى آخر : « احذروا البغى فإنه ليس من عقوبة هي أحضر - أى أعجل - من عقوبة البغى » وفى آخر : « ليس شيء أعجل عقابا من البغى وقطيعة الرحم ، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع » أى فقراء خالية ، قال تعالى - ولا تحسن الله غافلا عما يعمل الظالمون - الآية ، وقال - إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين .

(و) صن القلب عن محبة (الخنى) كالفتى : الفحش . وفى [حص] « ما كان الفحش فى شيء قط إلا شانه ، ولا كان الحياء فى شيء إلا زانه » وفيه : « كفى بالمرء أن يكون بذينا فاحشا بخيلا » أى كفاه ذلك من الشر ، وفيه : « لو كان الفحش خلقا لكان شر خلق الله » قال الحنفى : وقد كتب شخص ورقة للحكيم نصر الدين الطوسى : فيها يا كلب يا ابن الكلب : فكان جوابه أما قولك كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار : وأنا منتصب القامة بآدى البشرية عريض الأظفار ناطق ضاحك ، وأطال فى نقض مقاله بذكر الفصول والخواص الفارقة برطوبة وحشمة من غير انزعاج بحمله على التكلم بالفحش فلم يكتب له فى الجواب كلمة فاحشة اه . وقد نحا هذا المنحى أبو عبد الله سيدى محمد الكنوسى رضى الله عنه وعنايه أمين : فيما أجاب به النجم الأزهري والعلامة الأشهر سيدى أحمد البكاي رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه ونقل أن بعضهم سمع رجلا يسفه على بعض أهل العلم فقال لأصحابه : نزهوا أسماكم عن استماع الخنى كما تنزهون

(١) قوله صكا . كفاى : أى كتبوا له كتابا . اه .

السنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القاتل ، فإن السفية ينظر إلى أخبث شيء في وعائه فيحصرص على أن يفرغه في أوعيتكم اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نخاصم أحدا ولا نخاطبه بلفظ فيه فحش ولا بأذى تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن فاحشا ولا متفحشا صلى الله عليه وسلم (وآل) أي وصن قلبك أيضا عن محبة أهل الظلم وأهل الخنى فإن من أحب قوما جشرا في زميرتهم ، فمن أحب أهل الله كان معهم في الجنان ومن أحب أهل الظلم كان معهم في النيران ، قال تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الآية . وفي [جص] : « كل نفس تحشر على هواها فمن هوى الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينفعه عمله شيئا » اه . قال تعالى - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله - الآية ، وفيه : « من مشى مع ظالم وهو يعلم أنه ظالم خرج من الإسلام » وفي الحديث : « ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباح الظلمة حتى من لاق لهم دواة ^(١) » أو برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم » وفي آخر : « من مشى مع مظلوم يعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ، ومن مشى مع ظالم ليبينه على ظلمه أزل الله قدميه على الصراط يوم تدخس فيه الأقدام » ونقل أن بعض الأمراء بعث إلى الضحاك بعتاء أهل بخارى ليقسمه بينهم فأبى ، فقيل له ما عليك أن تعطيهم ولا ترزأهم شيئا . فقال إني لأحب أن أعين الظلمة على شيء من أمرهم اه . وحكى أن الزهري لما سأل السلاطين كتب إليه أخ له في الدين : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فاعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغنى بدفوك ممن لم يرد حقا ويترك باطلا حتى أدناك ، اتخذوك قطبا تدور عليك رحي باطلهم ، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلمنا يصعدون فيك إلى ضلالهم ، يدخلون الشك بك على العلماء ويصطادون بك قلوب الجهلاء ، فما أبسر ما عمروا منك في جنب ما خربوا عليك ، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك ، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم - فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات - الآية - فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - الآية ، وإنك تعامل من لا يهمل ويحفظ عليك من لا يغفل ، فداو دينك فقد دخله سقم ، وهبي زادك فقد حضر السفر البعيد ، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء ، والسلام اه .

لعمرك نيهت من كان تأمنا وأسمعت من كانت له أذنان

(و) صن القلب أيضا عن (بغض الحق) وأهله (أو) بغض أهل (سنة) إذ لا يبغيضهم إلا الفسقة المردة الفجرة قال تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ومن المجرمين - وفي [جص] : « الشرك في أمي أخنى من ديبب النمل على الصفاء في الليلة الظلماء » وأدناه أن تحب على شيء من الجور وأن تبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - الآية . وفي [جمع] وصون قلوبكم إذا رأيتم أحدا فعل حقا يخالف هواكم أو هدم باطلا يخالف هواكم أيضا أن تبغضوه أو تؤذوه فإن ذلك معدود من الشرك عند الله تعالى ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « الشرك في أمي أخنى من ديبب النمل على الصفاء » وأقل ذلك أن تحب على باطل أو تبغض على حق أو كما قال صلى الله عليه وسلم ما معناه هذا ، وكذا

(١) قوله : لاق كباغ : أصح مداهما اه .

صوتوا قلوبكم عن فعل باطلا أو هدم حقا يطابق هواكم أن تحبوه أو تشنوا عليه فإنه أيضا معدود من الشرك عند الله تعالى فإن المؤمن يحب الحق وأهله ويجب أن يقام الحق ويعمل به، ويبغض الباطل وأهله ويبغض أن يقام الباطل ويعمل به. ولذا قال رحمه الله (فؤمتنا) أي معشر الأمة المحمدية (بحب حقا) ولو خالف هواه (وأهله) أي ويجب أهل الحق وإن لم يعمل بعملهم فمضى محبته تلحقه بهم الحديث: «من أحب قوما حشر معهم» وروى: «الحق أصل في الجنة والباطل أصل في النار» أي فكل منهما يتبعه فرعه وهو من يعمل به. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: تكلموا بالحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله. وفي [جص] «اعبد الله ولا تشرك به شيئا» وزل مع القرآن أينما زال، وأقبل الحق ممن جاء به من صغير أو كبير وإن كان بغضا بعيدا، وأردد الباطل على من جاء به من كبير أو صغير وإن كان حبيبا قريبا» وفيه: «طلب الحق غربة» أي أن من يطلب الحق بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصير كالغريب لقلة من يعينه وينصره، لأن غالب الناس مع هوى نفسه «ماترك الحق لعمر من صديق» (ويكره باطلا) وإن وافق هواه ويكره أهل الباطل وإن كان يعمل بعملهم (و) يكره أيضا (آل جريمة) وهي الذنب وإن كان من أعظمهم ذنبا، ورحم الله من قال:

أحب الصالحين ولست منهم وأرجو أن أنال بهم شفاعه
وأكره من بضاعته المعاصي وإن كنا سواء في البضاعه

وروى: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضاها كان كمن شهدها» وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «من سرته حسنة وساعته سيئة فهو مؤمن» وكتب أبو الدرداء إلى بعضهم: أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله فإذا أحبه الله حبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فإذا أبغضه الله أبغضه إلى خلقه. وعنه رضي الله عنه: أدركت الناس ورقا لا شوك فيه، فأصبحوا شوكا لا ورق فيه، إن فقدتهم فقدوك وإن تركتهم لا يتركونك. قالوا فكيف نصنع؟ قال تقروضهم من عرضك ليوم فقرك اه. وفي [حي] قال ابن عمر رضي الله عنهما: «والله لو صمت النهار لا أفطره وقت الليل لا أنامه، وأنفقت مالى علقا علقا^(١) في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله، ما نفعني ذلك شيئا». وقال ابن السكاة عند موته: اللهم إنك تعلم أني إذ كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قرينة لي إليك. وفيه: وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: هل عملت لي عملا قط؟ قال إلهي: إني صليت لك وصمت وتصدقك وزكيت، فقال: إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور، فأى عمل عملت لي؟ قال موسى عليه السلام داني على عمل هو لك؟ قال: يا موسى هل واليت لي وليا قط، وهل عادت في عدوا قط؟ فعلم موسى عليه السلام أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله تعالى يوم القيامة مع من يحب. وقال الحسن: مصارمة الفاسق قريان إلى الله. وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله، وروى أن الله

(١) قوله علقا كضرس: (النفيس) من كل شيء.

تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تعزرت في ، ولكن هل عادت في عدوا أو هل واليت في وليا ؟ وقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تجعل لناجر على منة فترزقه مني محبة » وروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام : لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا . وقال عيسى عليه السلام : تحبوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم ، والتمسوا رضى الله بسخطهم . قالوا ياروح الله فنجالس ؟ قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ، ومن يزيد في علمكم كلامه ، ومن يرغبكم في الآخرة عمله ، انظرو . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نبغض العصاة لله لا بحكم الطبع كما نحب أهل الطاعة لله لا بحكم الطبع . قال صلى الله عليه وسلم : « الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان » والمراد بالبغض بغض الصفات لا الذوات لأن الصفات هي التي يكره العبد لأجلها أو يحب ، وعك الصدق في ذلك أن تكره ذلك العبد المعاصي وهو محسن إليك ولا تجد في قلبك له محبة لأجل إحسانه إيثارا لجانب الله عز وجل ، فتأمل فلإنها ميزان تطيش على الذر . وأما عند عدم إحسانه إليك فقد تكرهه لحظ نفس ، أنظره . وفيه : أخذ علينا اليهود أن لا نبادر لهجر إنسان إلا بعد المبالغة في التفتيش على دسائس النفوس فربما يهجر الواحد منا إنسانا لحظ نفسه ، وتسول له نفسه أن ذلك المهجر لله عز وجل ، وربما يقيم على ذلك الأدلة لا سيما إن كان الهاجر من أصحاب الجدل ، ولو تأمل الهاجر في أنه لا يرفع له إلى السماء عمل لعلم حرمة المؤمن ولم يهجر إنسانا قط ، إلا إن كان مضرا على صغيرة أو مرتكبا كبيرة ، والهاجر من هذا الوجه قليل وقوعه وأكثر ما يقع المهجر من الإنسان لمن خالفه في هواه لا غير ، والله يحفظ من يشاء كيف يشاء . واعلم يا أخى أن من أقبح ما يكون مشاحنة العلماء والمتشبهين بالصالحين على أمر الوظائف والأنظار وغيرها فإن في ذلك فساد العامة والله غفور رحيم اهـ (وأضر) من الإضرار ضد الإظهار (قلى) بالكسر والقصر مصدر قلاه كرماء كرهه أشد الكراهة (من) هو (بالمعاصي) والمساوى والمخالفات (مجاهر) لأن التجاهر بها من أعظم الفسق ولأن إظهارها يؤدي لمفسدة أعظم . وفي [حص] : « كل أمتي معافى إلا المجاهرين » وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » وفيه : « ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم : المجاهر بالفسق ، والإمام الجائر ، والمبتدع » وفيه : « من لا حياة له لا غيبة له » أى فمن تجاهر بالمعاصي فلا يحرم ذكره بما تجاهر به ليعرف ويحذر . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود إذا رأينا من يتجاهر بالمعاصي من جيراننا ولا يستتر منا أن نستتره نحن فيما يمكننا ستره فيه بعدم إشاعة ذلك عنه ونكون أولى به من نفسه فنكتب إن شاء الله من المحسنين ، وليقيض الله لنا من يستر عوراتنا إذا ظهرت ، ويكنى أخياره مقت القلوب له ، نسأل الله العافية . ولا ينافي ذلك تشديدنا في النكير عليه فيما تجاهر به لناس آخرين لأن كلامنا إنما هو فيما لم يعلم به الناس إلا من طريقنا لأنه فيه من المستترين ، والحمد لله رب العالمين اهـ . وروى « إذا مررت بأهل الشره ^(١) فسلموا عليهم نطقاً عنكم شرهم ونائرتهم » : أى فإن في السلام عليهم إشارة إلى عدم احتقارهم ، وذلك سبب لسكون شرهم .

(١) قوله الشره بكسر . معجمة كشدة اهـ .

ورحم الله من قال: إلى أحيى عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عنى بالتحيات وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنه قد ملا قلبى مسرات

وفى [حى] وطرق السلف قد اختلفت فى إظهار البغض مع أهل المعاصى . وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمصيبة متعددة منه إلى غيره ، فأما من عصى الله فى نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة ، انظره . وفى [جه] وأما ما ذكرنا من بغض أهل المعاصى فليكن محله القلب فقط ، وإن خرج إلى جراحة من الجوارح أدى إلى منكر أعظم منه فترك إخراجهم من القلب إلى الجوارح أولى اه (فبا المصطفى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (تأمس) من الناس وهو الاقتداء قال تعالى - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة الآية (فى) الذى فعله من السهولة واللين والرفق وإظهار البشاشة وطلاقة الوجه (مع ابن) أو أخ (العشيرة) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بنس ابن العشيرة أو أخ العشيرة ، ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول ؟ قال يا عائشة إن من شر الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس اتقاء فحشه » وروى : « إنا لنكشرفى وجوه قوم وقلوبنا تلثمهم » أى لأن المداراة مطلوبة مع كل واحد ، وما فعله صلى الله عليه وسلم مع ابن العشيرة من المداراة المأمور بها الحديث « أمرت بالمداواة » قال رحمه الله :

(فَإِنْ عِبَادَ اللَّهِ أَغْرَاضُ أَسْمُهُمُ الْمَصَائِبُ فِي الدُّنْيَا بِحُكْمِ الْمَشِيئَةِ
تَصَبَّرْ أَخِي إِذَا رَمَنَكَ بِسَهْمٍ صَبْرٌ جَمِيلٌ فَانْتَظِرْ خَيْرَ فُرْجَةٍ
وَإِنْ ضِيقَتْ ذَرْعًا فَأَقْرِعِ الْبَابَ بِالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَالتَّحِيُّ بِقَلْبٍ مَدْلَةٍ)

(فإن عباد الله) سبحانه وتعالى (أغراض) جمع غرض بفتح حين هدف ^(١) برى (أسمهم) جمع سهم واحد النبل (المصائب) وأل فيه من المصراع الأول . وفى [حص] « كل ماساء المؤمن فهو مصيبة » ومن أصيب وصبر واحتسب جوزى أحسن الجزاء فى الدنيا والآخرة قال تعالى - وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون الآية . وفيه : من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته فأحدث استرجاعا وإن تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب . وعنه صلى الله عليه وسلم : « إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته فى فإنها من أعظم المصائب » أى فإن المؤمن إذا تذكر ما أصيب به من فقد النبى صلى الله عليه وسلم هانت عليه جميع المصائب واضمحلت ولم يبق لها خطر ^(٢) ولا بال اه . وفى [حى] قال بعض الحكماء : الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرمىك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجرائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالى فى بدنك ، لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعة بك ، ولكن تدبیر الله فوق تدبیر الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحليم ، وقد علم الواصف لعيوبها بظاها وأفعالها وماتأنى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ . اللهم ارشدنا إلى الصواب ، انظره . وفى [جه] وليكن

(٢) قوله خطر بفتح حين : القدر والمرة اه .

(١) قوله هدف بفتح حين ويدال مهمة اه .

في علمكم أن جميع العباد في هذه الدار أغراض لسهم مصائب الزمان إما بمصيبة تنزل أو بنعمة تزول أو بحبيب يفجع بموته أو هلاك أو غير ذلك مما لا حد لحمله وتفصيله ، فمن نزل به منكم مثل ذلك فالصبر الصبر لنخرج مرارتها فإنه لذلك نزل العباد في هذه الدار انظره (في الدنيا) تقيض الآخرة فإنها دار المهن والفتن والأكدار والأغيار ، ورحم الله من قال :

هي الدار دار الأذى والقذى	ودار الغيار ودار العبر
فلو نلتها بحذاقيرها	لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول البقا	وطول الخلود عليه ضرر
إذا ما كبرت وبان الشباب	فلا خير في العيش بعد الكبر
ومن قال : طبع على كدر وأنت تريدها	صفوا من الأقداء والأقذار
ومكلف الأيام ضد طباعها	متطلب في الماء جذوة (١) نار
ومن قال : ومن رام في الدنيا حياة سليمة	من الهم والأكدار رام محالا
ومن قال : يحن الزمان كثيرة لا تنقضي	وسروره يأتيك كالأعياد
ملك الأكابر فاسترق رقابهم	وتراه رقا في يد الأوغاد

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه : من طلب ما لم يخلق أنعب نفسه ولم يرزق . قيل له وما ذاك ؟ قال الراحة في الدنيا . وفي الحكم : لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار ، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها . وفيه أيضا : إنما جعلها محلا للأغيار ومعدنا للأكدار ترهيدا لك فيها . علم أنك لا تقبل النصيح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها اه ، ورحم الله من قال :

يامولعا بالأمانى غير معتبر	كيف الإقامة والدنيا على سفر
لا تركن إلى دار الغرور ولا	تسكن إلى وطن فيها ولا وطر
وسالم الناس تسلم من مكايدهم	مسلم لقضاء الله والقدر
كم منحة بدرت ما كنت تأملها	ومحنة لم تكن منها على حذر اه

(بحكم المشيئة) الإلهية إذ هي وما فيها مظاهر أحكام الألوهية اقتضتها الحكمة الربانية وأبرزتها القدرة الفردانية على وفق المشيئة الصمدانية ، ورحم الله من قال :

تبارك من أجرى الأمور بحكمة	كما شاء لا ظلما أراد ولا هضا
فما كل شيء غير ما الله شاءه	فإن شئت طب نفسا وإن شئت مت خما

ومن قال :

نفذت مقادير الإله وحكمه	فأرج فؤادك من لعل ومن لو
-------------------------	--------------------------

وللشافعي رضي الله عنه :

ما شئت كان وإن لم أشأ	وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	ففي العلم يجري الفقي والمسن

(١) الجذوة بتثنية الجيم : الجمرة والقبسة من النار .

هَلِ ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ وَهَذَا أَعْنَتْ وَذَا لَمْ تَعْنِ

فَنَهُم شَقِي وَمَنْهُمْ سَعِيدٌ وَمَنْهُمْ قَبِيحٌ وَمَنْهُمْ حَسَنٌ

(نصبر) أى تكلف الصبر الذى هو جماع كل خير وفضل ، وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف جميلة ، وذكره فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا وأضاف إليه أكثر الدرجات والخيرات ، ومامن قرية وطاعة إلا وأجرها منحصر إلا الصبر قال تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وليجزى الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - أولئك يجزون الغرفة بما صبروا - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وتحت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا - وبشر الصابرين - والله يحب الصابرين - إلى غير ذلك من الآيات ، وفى الحديث « الصبر نصف الإيمان » انظر [حى] وفيه « الصبر كفز من كنوز الجنة » وقال على رضى الله عنه : الصبر بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة ، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستائة درجة ، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة . وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهى من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم ، فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك شديد على النفس ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أسألك من اليقين ماتهن على به مصائب الدنيا » انظره . وفى [جص] « ثلاث يدرك بهن العبد رغائب الدنيا والآخرة : الصبر على البلاء ، والرضى بالقضاء ، والدعاء فى الرخاء » . وفى الحديث « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » وفيه « الصبر والاحتساب أفضل من عتق الرقاب ويدخل الله صاحبه الجنة بغير حساب » ونقل أن موسى عليه السلام قال : إلهى أى منازل الجنة أحب إليك ؟ قال حظيرة القدس . قال من يسكنها ؟ قال أصحاب المصائب . قال يارب من هم ؟ قال الذين إذا ابتليتهم صبروا وإذا أنعمت عليهم شكروا وإذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون اه . وفى [جه] ومن عظم رضى الله عنه صبره على الأمراض فى خاصة نفسه وفى داره وعياله فلا أصبر منه فلا يخلو عن الأمراض فى داره على الدوام ولا فى نفسه على ممر الليالى والأيام ، فصبره رضى الله عنه للمشقات وتحمله للمعضلات لا تقدر عليه الجبال الراسيات ، وكل من شكى إليه سلاه بالصبر ، وإن هذه الدار إنما خلقت للبلايا والرزيات ، انظره . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصبر على مصائب الزمان وإن لم نصبر صبرنا على عدم الصبر فإنه ابتلاء أيضا لما فيه من إظهار المروق^(١) من تحت الأقدار ، ويحتاج صاحب هذا المقام إلى عيين عين ينظر بها إلى تقدير الضجر عليه فيضجر تحت الأقدار ، وعين ينظر بها إلى الأمر بالصبر فيتصبر ، هذه ضرورة الصبر على عدم الصبر ، وكذلك تأمر بالصبر والتصبر جميع إخواننا إذا ابتلوا بشيء فى أنفسهم وأموالهم ونجبرهم بما جاء فى الأحاديث فى فضل البلاء والمرض والحمى ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ ضرورة ليعلمه أدب المرض ويخبره بأنه مامرض عضو من أعضاء البدن الظاهرة والباطنة إلا باستعماله فى غير ما أمر به إلا أن يكون معصوما ، فمن عرف

(١) قوله للمروق كالمروج وزنا ومضى اه

ماقلناه ووجعه عضو فليفتش نفسه فإنه لا بد أن يكون فعل به غير ما أمر فليعزم على التوبة النصوح فهي أقرب إلى شفاء ذلك العضو . وقد أغفل هذا خلق كثير فلم ينتبهوا لما قلناه فدامت أمراضهم أو طالت ، فكل عضو عليه زكاة فإن أخرجها صاحبها منه فقد أخرج ما فيه من الخبث والمرض وإن لم يخرجها فلا بد له قبل دخول الجنة من التطهير إما بالعقوبة من رحمة الامتنان وإما بالتوبة والاستغفار وإما بعذاب النار ، انظره . وقد ذكر رضى الله عنه أن امرأة استكثبت منه لبعض الولاة فأبى فأصابه رمد نحو ستة أشهر عقوبة له إذ لم يكتب لها . إذا أحب الله عبدا عجل له العقوبة فاعلم ذلك واعمل عليه والله رءوف بالعباد (أخى) بضم الهمزة تصغير أخ (إذمرتك) أى حين أصابتك ورشقتك (بسمها) أى بنبلها الذى لا ينطى . غالباً . وفى [جه] وعليكم بالصبر فى أمر الله فيما وقع من البلى والحن فإن الدنيا دار الفتن وبلاياها كأمواج البحر ، وما أنزل الله بنى آدم فى الدنيا إلا لمصادمة فتلتها وبلاياها فلا مطعم لأحد من بنى آدم فى الخروج عن هذا مادام فى الدنيا ، والصبر بحسب أحواله كل على قدر طاقته ووسعه ، واعملوا فى نفوسكم ساواة . إذا نزلت البلى والحن بأحدكم فليعلم أن لهذا خلقت الدنيا ولهذا بنيت ومازها الآدمى إلا لهذا الأمر وكل الناس راكضون فى هذا الميدان فليعلم أنه كأحدهم مساو لهم ، انظره . ورحم الله من قال :

فأصبر لها غير محتال ولا ضجر	فى حادث الدهر ما يغنى عن الخيل
ومن قال : فما تجرع كأس الصبر معتصم	بالله إلا أتاه الله بالفرج *
ومن قال : إذا عضك الدهر الخوون بنابه	فلا تقر عن السن واستعمل الصبرا
فهلا فحال الدهر ما قد علمته	فيوما ترى عسرا وفيوما ترى يسرا

(بصبر جميل) وهو الذى لا جزع فيه (فانتظر) من المولى الكريم الرءوف الرحيم (خير فرجة) بتثنية انفاء وهو التقصى والتخلص من الهم لحديث «أفضل العباد انتظار الفرج من الله بالصبر» وفى آخر «سئلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسئل فإن انتظار الفرج بالصبر عبادة» اهـ . ورحم الله من قال :

إذا ضاق الجنان فكن صبورا	كريما فالشدائد لا تدوم
فبالصبر الجميل تنال خيرا	وتقضى بعد ذلك ما تروم
فكم من محنة عظمت ودامت	وخان موصل وجفا حميم
أنى فرج الإله لها صباحا	فما أمست ، وأقلمت الهموم
فصمم فالذى أبلى يعافى	وثق بالله فهو بنا عليم اهـ
ومن قال : أنفق من الصبر الجميل فإنه	لم يخش فقرا متفق من صبر

وفى [جص] «كلمات الفرج : لا إله إلا الله الحليم الكريم . لا إله إلا الله العظيم . لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم» . قال المناوى : هذا الدعاء كان مشهورا عند أهل البيت يسمونه دعاء الفرج فيتسكلمون به فى التوابع والشدائد فتعارف عندهم الفرج به اهـ . وفى [حى] وقد قيل الصبر الجميل أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ، ولا يخرج عنه حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع إذ قد يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء ، ولأن البكاء

توجه القلب على الميت فإن ذلك مقتضى البشرية ، ولا يفارق الإنسان إلى الموت : وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى : إذا وجهت إلى عبد من عبدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى وأعقبني خيرا منها إلا فعل الله به ذلك » وقال أنس : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاء من سلبت كريمته ؟ قال سبحانه لا أعلم لنا إلا ما علمتنا : قال تعالى : جزاؤه انخلود في داري والنظر إلى وجهي » وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ، فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له ، وإن توفيته فإلى رحمتي » وقال صلى الله عليه وسلم : « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعت ولا تذكر مصيبتك » وقد قيل : من كنوز البركتان المصائب والأوجاع والصدقة . وعن عمر رضي الله عنه : اعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر : الصبر في المصائب حسن ، وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى ، انظره . وفي [جص] : « الصبر ثلاثة : فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر على المعصية . فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى الأرضين السبع . ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين » قال العريزي : فالصبر على المحرمات أعلى المراتب لصعوبة مخالفة النفس وحملها على غير طبعها ، ودونه الصبر على الأوامر لأن أكثرها محبوب للنفس ، ودونه الصبر على المكروه لأنه يأتي البر والفاجر اختيارا أو اضطرارا . ولا تنافي بين ما هنا وما مر عن ابن عباس لأن الشيء يختلف بحسب الخيالات . وفي [عف] قيل : وقف رجل على الشبلي فقال له أي صبر أشد على الصابرين ؟ فقال الصبر في الله فقال : لا ، فقال الصبر لله ، فقال : لا ، فقال الصبر مع الله ، فقال : لا ، فغضب الشبلي وقال ويحك أي شيء هو ؟ فقال الرجل الصبر عن الله ، فصرخ الشبلي صرخة كاد أن تلتف روحه . ثم قال : وقال أبو الحسن بن سالم هم ثلاثة : متصبر ، وصابر ، وصبار : فالمتصبر من صبر في الله فرة يصبر ومرة يجزع ، والصابر من يصبر في الله والله ولا يجزع ولكن تتوقع منه الشكوى ، وقد يمكن منه الجزع ، وأما الصبار فذلك الذي صبره الله وفي الله وبالله فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجود والحقيقة لا من جهة الرسم والخلق وإشارته في هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة . وكان الشبلي يتمثل بهذين البيتين :

إن صوت المحب من ألم الشوق وخوف الفراق يورث ضرا

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب للصبر صبرا

قال جعفر الصادق رضي الله عنه : أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأعلى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال - وما صبرك إلا بالله - وسئل السري عن الصبر فتكلم فيه فدب على رجله عقرب فجعل يضربه بإبرته ، فقيل له لأم تدفعه ؟ قال أستحي من الله تعالى أن أتكلم في حال ثم أخالف ما أتكلم فيه ، انظره . وفي [جه] : ومن ابتلى منك بمصيبة أو نزلت به من الشرور نائبة فليصبر بانتظار الفرج من الله تعالى فإن كل شدة لابد لها من غاية وكل كرب لابد له

من فرج، وإن ضاق به الحال فعليه بالتضرع والابتهال حتى يبلغ بالفرج من الله غاية الآمال. ولا تنزعوا من المصائب والبيات، فإن الله سبحانه وتعالى ما أنزل العباد في دار الدنيا إلا لتصاريف الأحكام الإلهية والأقدار الربانية مما تضيق به النفوس من أجل البلاء والبؤس ولم يجد العباد مصرفاً عن هذا، انظروه. وفيه: ومن أدبه الباطن الذي دلت عليه أقواله وأفعاله أنه رضى الله عنه لا يختار مع الله ولا يدبر مع تدبيره شيئاً كما تقدم، حتى إنه إذا دعا لنفسه أو لأحد بشيء مما كان مجهولاً عاقبته أو فيه خط كان دعاؤه طلب الخيرة من الله، ويقول لنا المرة بعد المرة لا أدعو إلا بلساني وقلبي مستسلم لله تعالى، ويقول لا أريد شيئاً ولا أطلب شيئاً، تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد، ويقول: إنما أجازى الخلق بلساني لا غير لعدم كسر قلوبهم وغير ذلك، انظروه (وإن ضقت ذرعاً) بفتح ذال معجمة يقال ضاق به ذرعاً: ضعفت طاقته ولم يجد من المسكروه فيه مخلصاً، قال تعالى: ولما جاءت رسلنا لوطاً مني بهم وضاق بهم ذرعاً - ورحم الله من قال:

لا تنزع عن إذا ما الأمر ضقت به ذرعاً ونم وتوسد خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها بغير الله من حال إلى حال

(فاقرع) من قرع الباب كمنع دقه (الباب) أي باب مولك الغني الكريم البر الرؤوف الرحيم.

وفي المثل: من قرع باباً وألح ولج، ورحم الله من قال:

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجى

لا تيأسن وإن طالبت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجاً

أخلق^(١) يندى الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للأبواب أن يلجأ

ومن قال: ما ضاق حال بعيد فاستعمله عبادة الله إلا جاءه الفرج

ولا أناخ بباب الله راحلة إلا تخرج عن غمهم والخروج

ونقل أن في بعض الكتب المنزلة «لأقطعن أمل^(٢) من أمل سواي وألبسه ثوب المذلة بين الناس،

أنقرع بالفقر باب غيري وبإني خير لك» اه. وكتب بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه لبعض الخلالن

إذ سمت الفتنة الأوطان بموت الحسن السلطان عاياه سحائب الرحمة والرضوان مانصه:

إذا اشتدت عليك أمور أقرع بلطف باب مولك العلي

فكم من شدة زلت فزالت بلطف الله ذي البطش القوي

فكم من فتنة غلبت كثيرة بإذن الله فانصرتي ولي

بحاج المصطفى والختم فارأف بنا والطف بلطفك الخفي

ولالإمام الشافعي رضى الله عنه دعاء مشهور بالإجابة وهو: اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت

به المقادير. فمن واطب عليه مائة وإحدى وأربعين مرة كان محفوظاً من الفتن مصوناً من المحن، ومن

شعره رضى الله عنه:

ولرب حادثة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج

ضائق فلما استحسنت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

(٢) قوله أمل كنصر اهـ.

(١) قوله أخلق فعل ما مضى تنجم من على صيغة الأمر اهـ.

ورحم الله من قال :

وإني لأدعو الله والأمر ضيق علىّ فما ينفك أن يتفرجاً
ورب قتي سدت عليه وجوهه أضاء لها في دعوة الله مخرجاً
ومن قال : إذا تضايقت أُمري فانتظر فرجاً فأضيق الأمر أدناهُ إلى الفرج

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « اشتدني أزمة تنفرجني » والعرب تقول : إذا تناهت الشدة انفرجت .
قال تعالى - فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً - وقال - وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا -
وفي [جه] والذي أوصيك به ويكون عليه سيرك وعملك هو أن تعلق قلبك بالله ما استطعت ، ووطن
قلبك على الثبوت لمحاري الأقدار الإلهية ولا تعود نفسك بالجزع من أمر الله فإن ذلك مهلك للعبد دنياً
وأخرى ، وإن اشتد بك الكرب وضاق بك الأمر فالجأ إلى الله تعالى وقف موقفك في باب لطفه
واسأله من كمال لطفه تفريج ماضق وزوال ما اشتد كربه ، وأكثر الضراعة والابتهال إلى الله تعالى
في ذلك ، وليكن ذلك منك على حالة منفرد القلب بالله متفرغاً عن الشواغل مثل حالة المرأة الكبيرة
السن التي ليس لها إلا ولد واحد أخذ من بين يديها ليقطع رأسه فهي تتوسل بالله وبالناس في كشف
ما نزل بها فإنها في هذا الحال ليس لها هم غير ولدها ولا يلتفت قلبها لأمر من أمور الدنيا والآخرة ،
فإن من كان على هذه الحالة وفرغ إلى الله تعالى في نزول الكرب والشدائد على هذا الحد وناداه باسمه
اللطيف ما استطاع أسرع إليه الفرج في أقرب وقت ، وإن لم يكن على هذه الحالة أبطأ به الأمر .
ورحم الله من قال :

حدث الله ربي إذ هداني إلى الإسلام والدين الخفيف

فيذكره لساني كل وقت ويعرفه فؤادي باللطيف

(بالدعاء) قصره للوزن أي الرغبة والضراعة (إلى الله) الغنى الكريم البر الرؤف الرحيم سبحانه
وتعالى قدره وتبارك خيره قال - ادعوني استجب لكم - وقال - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
أجيب دعوة الداع إذا دعان - وفي [جص] : « الدعاء مفتاح الرحمة ، والوضوء مفتاح الصلاة ، والصلاة
مفتاح الجنة » وفيه : « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين » وفيه : « الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل فعلايتكم
عباد الله بالدعاء » وفيه : « أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام » وفيه « ما أذن
الله لعبده في الدعاء حتى أذن له في الإجابة » وفي الحسك : متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن
يعطيك اه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة » ورحم الله من قال :

لولم ترد نيل ما أرجوه من طلب من فيض جودك ما ألهمتني الطلب

وورد أن ترك الدعاء معصية ، وإن من لم يسأل الله يغضب عليه . ورحم الله من قال :

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يستل يغضب

وفي [جد] سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول : إياك أن تترك الدعاء اتكالا على ما سبق به القدر
فتفوتك السنة ، فإن الدعاء نفسه عبادة وسنة ، سواء أجيب الدعاء أم لم يجب اه . وروى الحاكم : « ما من
مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : ما أن يعجل له دعوته ،
ولما أن يدخرها له في الآخرة ، ولما أن يصرف عنه من السوء مثلها . قالوا إذ نكثر ؟ قال الله أكثر

فلذا عجل للعبد دعاؤه في الدنيا ورأى ما ادخر لغيره في الجنة ممن لم يستجب دعاؤه قال يا ليتني لم يعجل لي شيء من دعائي في الدنيا : اه . ورحم الله من قال :

أنهزأ بالدعاء وتزدرية وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن لها أمد وللأمد انقضاء
سيمسكها إلى أجل مسمى ويرسلها إذا نفذ القضاء
سيبقى الله قوما بعد كفر وإن ظلموا فليس لهم بقاء

وفي [شب] ومما جرب لدفع كل شدة هذان البيتان فاتخذهما لك عدة :

إليك رسول الله أشكو نوائيا من الدهر لا يقوى لها المتحمل
ولني لأرجو أنها بك تنجلي فإنك لي جاه وحصن ومقل

ومما جرب لدفع الكروب قراءة هذه الأبيات المختومة بالتوسل بسيد السادات. وقد قال السيوطي

نقلا عن النووي : ما قرأها أحد ثم دعا الله عقبها بشيء إلا استجيب له :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن أمن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقرى إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقرى أرفع
مالي سوى قرعى لبابك حيلة فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقتطع عاصيا الفضل أجزل والمواهب أوسع
بالذل قد وافيت بابك عالما أن التذلل عند بابك ينفع
وجعلت معتمدى عليك توكلى وبسطت كفى سائلا أتضرع
فبحق من أحبيته وبعثته وأجبت دعوة من به يتشفع
اجعل لنا من كل ضيق مخرجا والطف بنا يا من إليك المرجع اه

[فائدة] ومن الأدعية المستجابة إذا نزل بالشخص أمر ضيق فليطبق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم لك الحمد ومنك الفرج وإليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اه . ومنها : « اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين وأصلح لي شأني كله بلا إله إلا أنت » (والتجى) إلى الله تعالى وفر إليه إذ لا ملجأ ولا منجى إلا هو سبحانه وتعالى (بقلب مدلة) وخضوع وانكسار فإن الله عند المنكسرة القلوب وإنه يجيب كل قلب حزين . وقد كان صلى الله عليه وسلم متواصلا بالأحزان دائم الفسك . وقيل : أوحى الله إلى بعض أنبيائه « هب لي من قلبك الخشوع ، ومن عينك الدموع ، وسألني أستجب لك فلاني قريب مجيب » (وعن) أبي يزيد رحمه الله قيل لي : خزائنا مملوءة فإن أردتنا فعليك بالذل والافتقار . وعن سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله : أتيت جميع أبواب الحق فوجدت عليها الازدحام حتى أتيت باب الذلة والافتقار فوجدته خاليا ، فدخلت منه فالتفت فإذا أنا قد سبقت القوم وتركتم الناس على الأبواب . ورحم الله من قال من أهل الإشارات :

لا يبعدنك عتبنا عن بابنا قال العهد باق والوداد مصان
فبحبنا وبلطفنا وبفضلنا شاع الحديث وسارت الركبان
فلماذا ذلت لعزنا ياذا النهى ذلت لعزتك الملوك وهانوا اه

وعن سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين في قوله تعالى - ففروا إلى الله - اعلم أن معناه
فروا إلى الله بعبادته دون غيره عبادة واستنادا والتجاء واختيارا له من جميع خلقه ، وفي التحويل عليه
والبراءة من غيره مساكنة وملاحظة واعتبار هذا هو الفرار إلى الله تعالى . انظر [جع] وفي [جه] :
وعليكم بكثرة التضرع والابتهاال لمن له كمال العز والجلال فإن الله رحيم بعباده ودود فلأنه أكرم وأعظم
فضلا من أن يتضرع إليه متضرع أحاطت به المصائب والأحزان ومد إليه يديه مستعطفا نواله راجيا
كرمه وأفضاله أن يرده خائبا أو يعرض عنه برحمته ، والعاجز من عاجز حتى عن التضرع والابتهاال ،
ومن ضيع نفسه من الله فلا جابر له ، وليكن لكم لباب الله لئلا تات على مرور الساعات وكرور^(١) الأوقات
فإن من اعتاد ذلك في كرور أوقاته غشيه من رحمة الله ونفحاته ما يكون ما حقا لمصائبه وكدوراته
ومسبلا لثقل أعباء ما ثقل عليه من ملاته ، فلأنه سبحانه وتعالى غنى كريم يستحيي لكرمه إذا رأى
عبدا قد تعود الوقوف ببابه ولو في أقل الأوقات أن يسأله للمصائب التي لا يخرج له منها أو يكسده^(٢)
بملكه يعز عليه الخلاص منها . احفظوا هذا العهد واركضوا في هذا الميدان ولو في أقل قليل من مرور
اليوم والليلة تجدوا التيسير في جميع الأمور والخلاص من كثير من الشرور اه . وفيه : ثم الحذر الحذر
من تكرار الفرع إلى الله تعالى في كل كرب فإنك بذلك يصير لك الجزع من أمر الله عادة ولا تنتفع
بحياتك ، بل يكون الأمر مرة ومرة ، تثبت لأمر الله ولا تجزع ولا تطلب التفريج ومرة تسأل الله
التفريج ، فمن صار إلى الله على هذا المنوال فتحت له أبواب السعادة الأخروية وتمكن في حياته من
الحياة الطيبة الواقعة في قوله تعالى - من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة اه .
وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نلج بالاستغاثة عند حلول البلاء ونسأل الله تعالى الإقالة ، ولا نتجبد
ولا نتصبر إلا بعد أن سألناه الإقالة ولم يقلنا سبحانه وتعالى فنرجع إليه تعالى وإلى مراده فإنه أعلم
بمصالحنا منا ، ومن تأمل المرض وجده أرجح من جميع طاعاته لأنه أجبر محض لا يدخله رياء ولا عجب
ولا حظ للنفس فيه ، وإنما قلنا نلج بالاستغاثة برفع البلاء هبلا إلى الضعيف لأن مثلنا ليس من رجال
البلاء . وقد سأل الإمام الشافعي رضى الله عنه دوام البلاء حين كانت به بواسير وقال : اللهم إن كان
في هذا رضاك فزدني ؟ فقال له شيخه : سل الله يا محمد العفو والعافية ، فليست أنا ولا أنت من رجال
البلاء ، إنما ذلك للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وكان سفيان الثوري يقول : والله ما أدرى إذا ابتليت
ماذا يقع مني لعلى أكفر رضى الله عنه . قلت : فما خافوا من المرض إلا لما فيه ، لا لذاته فافهم : وقد
رأينا كثيرا من أصحاب الأنفس القوية يبتلى فيظهر التجلد والقوة ، فيشد الله عليه حتى يسأل الإقالة
كرها عليه ، والحق تعالى يحب من عباده لإظهار الضعف ويكره منهم التجبر فاعلم ذلك اه : وفي
[هم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نميل إلى الضعيف ونبادر عند نزول
البلاء علينا إلى سؤال العفو والعافية ولا نتجبد إلا بما نعلم من أنفسنا بالغرائز القدرة على الصبر عليه ،

(٢) قوله يكسده : أى يفسده اه .

(١) قوله كرور : يعنى مرور اه .

وهذا العهد يخل به كثير من الناس ممن يدعى الصلاح من غير سلوك على يد شيخ فيظهر القوة لتحمل ما فوق طاقته فربما تخلفت عنه العناية فيصبح ويقع منه ألقاظ ربما يكفر بها. ثم قال: فاسلك يا أخي على يد شيخ يشهدك ضعفك حتى تجد نفسك أضعف من ناموسة كما هو شأن العارفين رضي الله عنهم. ثم قال: قل يا أخي إلى الضعف الذي هو أساسك وسداك ولحمتك وإن جاءتك قوة من الله تعالى في تحمل البلاء فهي عارضة والله يتولى هداك، انظره. قال رحمه الله:

(فأهـ) إلّا مثل أحلام نائم وضيف وظل زال عنك بسرعة
وبحر مرارة تمر على الوري بما بين نعمة وحزن ونعمة

(فأهـ) أي فليست الدنيا في التمثيل (إلا مثل أحلام نائم) جمع حلم كقفل وعنى ما يرى في النوم: وفي [حى] مثال آخر للدنيا من حيث التغير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها تشبه خيالات المنام وأصغاث الأحلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون» وقال يونس بن عبيد: «ما شئت نفسي في الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك إذ انتبه». فكذلك «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» فإذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به. وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا؟ قال أحلام النائم اه. ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد:

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

ورحم الله من قال:

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة وأفيتها هل أنت إلا كحالم

(و) مثل (ضيف) وفي [جص] «كونوا في الدنيا أضيافا»، واتخذوا المساجد بيوتا، وعودوا قلوبكم الرقة، وأكثروا التفكير والبكاء. ولا تختلفن بكم الأهواء، تهنون مالا تسكنون، وتجمعون مالا تأكلون وتؤملون مالا تدركون اه. وقال بعضهم: ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة. ورحم الله من قال:

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد من يوم ترد الودائع

ومن قال:

إنما الدنيا كظل زائل أو كضيف بات ليلا وارتمل
(و) مثل (ظل زال) ذهب وانقطع (عنك بسرعة) فإن الدنيا سوية ولميحة قليلة ومتاعها قليل والآخرة خير لمن اتقى والآخرة خير لك من الأولى. وكان سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنا بهما آمين كثيرا ما ينشد:

يا أهل لذات الدنيا لا يقاء لها إن اغترأوا بظل زائل حمق

ورحم الله من قال:

هب الدنيا تساق إليك عشوا أليس مصير ذاك إلى الزوال
وما دنياك إلا مثل ظل أظلك ثم آذن بانتقال

ومن شعر أمية الذي قاله فيه صلى الله عليه وسلم « آمن شعر أمية وكفر قلبه » :

كل عيش وإن تطاول دهرًا صائر أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في قلال الجبال أرحى الوعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الوليد يوما ثقيلا

والمؤمن يأخذ ضالته حينما وجدها ولا يبالي ، وكان الوالد رحمه الله ورعى عنه كثيرا ما يقول لى :
خذ الفائدة ممن لا فائدة فيه . وروى أن أعرابيا نزل بقوم فقدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة
لم فنام فاقتلوا الخيمة وأصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظل ثنية ولا بد يوما أن ظلك زائل

وقال صلى الله عليه وسلم : « مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صيف
فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم
يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أوفى سعة ورفاهية ، بل لا يبنى لبنة على لبنة ، توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ، رأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص ^(١)
فقال : « أرى الأمر أعجل من هذا » وأنكر ذلك عليه ، ورحم الله من قال :

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عراة ^(٢) وجوع ^(٣)
أراها وإن كانت تحب فإنها سحابة صيف عن قريب تقشع

(و) مثل (بحر مرارة) أى من جهة المرارة : أى فمن أى ناحية جثتها وجدتها مرا . وفى [د] :
أنا ما رأيت الدنيا إلا كما على البحر من أين جثته تلقاه مرا ، سببه كانوا يتكلمون بين يديه رضى الله عنه
في أحوال البلدان ويفضلون أهل هذه على أهل هذه ، فقد كرهه . وفى [حى] قال عيسى عليه السلام :
مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء اليم كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله . ومن حكمه على نبينا
وعليه الصلاة والسلام : الدنيا ثلاثة أيام : يوم مضى ليس بيدك منه شيء ، ويوم يأتي لا تدرى أتذكره
أم لا ، ويوم أنت فيه فاغتنمه . وقال بعضهم رحمه الله : الدنيا ساعة فاجعلها طاعة . وفى [حى]
وقال صلى الله عليه وسلم : « أهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من ماله إلا ما أكلت فأفريت
أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأبقيت » وقال صلى الله عليه وسلم : « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من
لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادى من لا علم له ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى
من لا يقين له » وقال صلى الله عليه وسلم : « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء ، وألزم الله
قلبه أربع خصال : هما لا ينقطع عنه أبدا ، وشغلا لا يتفرغ منه أبدا ، وفقرا لا يبلغ غناه أبدا ، وأملا
لا يبلغ منه أبدا » وقال أبو هريرة : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا
جميعها بما فيها ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بيدي وأتى بى واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رموس
أناس وعذرات ونحرق وعظام ثم قال : يا أبا هريرة هذه الرموس كانت تحمصكم كحمصكم وتأمل كأملكم
ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا ، وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث

(١) قوله جس بكسر جيم ويفتح اهـ .

(٢) قوله عراة جم عار كفاش اهـ .

(٣) قوله جوع : جم جائع كركم وراكم اهـ .

اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها ، وهذه الخرق البالية كانت ريشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها ، وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يتجمعون عليها أطراف البلاد ، فمن كان باكباً على الدنيا فليدك : قال : فما برحنا حتى اشتد بكأؤنا ، انظروا .
ورحم الله من قال :

ولقد سألت الدار عن أخبارهم فتبسمت عجباً ولم تبدى
حتى مررت على الكفيف فقال لي أموالهم ونواهم عندي

وفيه : وقال إسمان لابنه يابني بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً .
وقال مطرف ابن الشخير : لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين ريشهم ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس : إن الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء : جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر . فالؤمن يقزود ، والمنافق يتزين ، والكافر يتمتع . وقال بعضهم : الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشر الكلاب . ثم قال : وقال أبو أسامة الباهلي رضي الله عنه : لما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أتت إبليس جنوده فقالوا : قد بعث نبي وأخرجت أمة قال : ويحبون الدنيا ؟ قالوا نعم ، قال : لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث : أخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه وإمساكه عن حقه ، والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعلي كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا ؟ قال : وما أصف لك من دار من صبح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها افتقن ، في حلالها الخساب ، وفي حرامها العقاب ، وفي متشابهها العتاب . وقال أبو حازم : اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعواناً ، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه . وقال عيسى عليه السلام : ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخدله ، ويل للمغتربين كيف أرثهم مايكرهون وفارقهم مايحبون وجاءهم مايوعدون ، وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله ، كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام « يا موسى مالك ولدك والدار الظالمين لأنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعثلك فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها فتعمت الدار هي ، يا موسى إن مرصد للظالم حتى آخذ منه المظلوم » انظروا . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - من كان يريد حرث الآخرة - الآية ثم قال : يقول الله عز وجل : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك » وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما طلعت شمس إلا وبعث بينهما ملكان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثروا ألهي » وروى الحاكم « من جعل الهموم هما واخداهم المعاد كفاد الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم وأحوال الدنيا لم يبال الله في أي أودية هلك . وفي بعض الكتب الإلهية : « إن الله تعالى قال : يا دنياي من خدمني فاختدمي ومن خدمك فاستخدميه » وفي [جص] : « اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت » وفيه : « إن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا » قال الحفصي : ولذا كان بعض الصوفية يأخذ تلامذته ويذهب بهم إلى المزابل ويقول لهم : انظروا إلى سكركم ودجاجكم ، انظروا . وفيه : « إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه

بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته . وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن ننظر إلى الدنيا وشهواتها بعين الزهد لا بعين الرغبة فإن الدنيا كرمة عليها كلاب تتجاذبها كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : فمن رغب فيها تلطخ بالنجاسات وعصته الكلاب وهببت عليه وكشرت بأسانها عليه وقاسى ما لا خير فيه . وفي الأثر : إن الله عز وجل من منذ خلق الدنيا لم ينظر إليها : يعنى نظر رضا عليها وعمن يجبها لا ينظر لإرادة وتدبير فإنه تعالى هو المدبر لها والخالق ، فافهم . وفي الحديث : « إن الدنيا لا ترن عند الله جناح بعوضة » فالعارف لا ينظر إليها نظر محبة تخلفا بأخلاق الله عز وجل وأخلاق أنبيائه وأصفياه مع أنه يدبرها وينفقها وقلبه فارغ منها ، انظره (تمر على الورى) الخلق (بما) أى بحالة (بين نعمة) وفرح وسرور (وحزن) وهم (ونقمة) بكسر النون وفتحها المكافأة بالعقوبة قال تعالى - كل يوم هو فى شأن - قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير - الآية ، ورحم الله من قال :

فيوم سرور ويوم كرب ويوم علينا ويوم لنا

ومن قال :

وما كل وقت ثرى مسعفا
ترى الله يكشف ما قد خبا
فكن حافضا لطريق الأدب
فتحظى بأجر ونيل الرب

ومن قال :

سألت عن الدنيا الدنية قال لى
إذا أضحكك أبكت وإن أحسنت أسأت
هى الدار فيها الدائرات تدور
وإن عدلت يوما فسوف تجور

وفي [جه] ولا إمكان للعبد من التحكن من دوام الراحة من كل بلاء فى الدنيا ، بل على العاقل أن يعلم أن أحوال الدنيا أبدا متعاقبة بين ساعات انقباض وانبساط وخيرات وسرور وأفراح وأحزان لا يخرج أحد ممن سكن الدنيا عن هذا المقدار ، فإن نزلت مصيبة أو ضاقت نائبة فليعلم أن لها وقتا تنتهى إليه ، ثم يعقبها الفرح والسرور ، فإن من عقل هذا عن الله فى تصارييف دنياه تلقى كل مصيبة بالصبر والرضا بالقضاء والشكر التام على النعماء اهـ . ورحم الله من قال :

ثمانية تجرى على المرء دائما وكل امرئ لا يدى يلقى الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة وعسر ويسر ثم سقم وعافية

وفيه : وبين الشيخ رضى الله عنه كيف تعرف الله سبحانه بهذه الأمور التى تتوارد عليهم من شدة ورخاء وعافية وفنتة وخوف وأمان ومرض وصحة ، وتحول حال القلب من قبض وبسط وعزم ونقصه ويتلوقوله تعالى - سترهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - ويقول : إن الناس إذا كانوا فى شدة أحسن منهم إذا كانوا فى عافية لو كانوا يعلمون ، لأنهم إذا وسعتهم النعم كانوا غافلين لاهين ساهين فإذا مسهم الضر اضطروهم ذلك إلى دعاء مولاهم جبرا ، ولا تمكنهم الغفلة حينئذ كما أمكنتهم مع النعمة فجألم حينئذ أحسن لو قوفهم بباب مولاهم وسؤالهم منه دفع بلاؤهم ، وبذكر قوله تعالى : - وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض - انظره قال رحمه الله :

(فَمِمَّا تَدْعُواكَ لَاشْكُرَ مِثْلَ مَا تُنَادِيكَ نِعْمَةً إِلَى حُسْنِ تَوْبَةٍ
فَمَا نِعْمَةٌ إِلَّا بِهَا خَيْرٌ نِعْمَةٍ فَاكْتَفَاهَا خَيْرٌ لِّصَاحِبِ نَهْمَةٍ)

(فنعمتها) أى فنعمة الدنيا وهى كل مفروح ومسرور به . وفى [حى] اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ، ولكن النعمة بالحقيقة هى السعادة الأخروية وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما حجاز كتسمية السعادة الدنيوية التى لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض : وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق . فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيحة ، وصدق لأنه يقضى إلى النعمة الحقيقية . ثم تنقسم إلى ما هو نافع فى الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق ، وإلى ما هو ضار فيهما كالجهل وسوء الخلق ، وإلى ما ينفع فى الحال ويضر فى المال كالتلذذ باتباع الشهوات ، وإلى ما يضر فى الحال ويؤلم ولكن ينفع فى المال كقمع الشهوات ومخالفة النفس . فالنافع فى الحال والمال هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما ، والنافع فى الحال المضر فى المال بلاء محض عند ذوى البصائر وتنظنه الجهال نعمة ، مثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه بعده نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه : والضار فى الحال النافع فى المال نعمة عند ذوى الألباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء يشع فى الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة ، فالصبي الجاهل إذا كان شربه ظنه بلاء والعاقل بعده نعمة ويتقصد المنة ممن يهديه إليه ويقر به منه ، انظره (تدعوك) بلسان الحال والمقال (للشكر) أى لشكر من أنعم بها عليك وهو الله الغنى الكريم البر الرءوف الرحيم وشكر من أجراها على يده لقوله صلى الله عليه وسلم : « من لا يشكر على القليل لا يشكر على الكثير ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله » وفى [حى] والشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح . أما بالقلب فقصد الخير وإظهاره لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فباستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى إن شكر العينين أن تستر كل عيب تراهمسلم : وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضى عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة : « كيف أصبحت ؟ قال بخير ، فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله وأشكره ، فقال صلى الله عليه وسلم : هذا الذى أردت منك » وكان السلف يتساءلون وينتبهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء ، وكل عيب سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت ، فالشكر طاعة والشكوى مصيبة قبيحة من أهل الدين ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينادى يوم القيامة ليقيم الحمادون فتقوم زمرة ، فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة . قيل ومن الحمادون ؟ قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » . وفى لفظ آخر : « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال ابن مسعود : الشكر نصف الإيمان ، انظره . وفى [حص] : « الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده » وفيه : « الحمد على النعمة أمان لزوالها » وفيه : « خصامتان من كائناتهما فيه كتبه الله شاكرًا صابرا ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرًا ولا صابرا : من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكرًا صابرا ، ومن نظر فى دينه إلى من هو دونه ونظر فى دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاتته لم يكتبه الله شاكرًا ولا صابرا » اهـ : وعنه صلى الله عليه وسلم : « من أعطى فشكر وابتل فضاير

وظلم فغفر وظلم فاستغفر أولئك لم الأمن وهم مهتدون » وتقل أن سفيان الثوري دخل على جعفر الصادق وقال له: علمني يا ابن رسول الله مما علمك الله ؟ قال له إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار ، وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر ، وإذا تظاهرت الغموم فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فخرج سفيان يقول ثلاث وأي ثلاث . وفي الحديث : « من أنعم عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حزنه ^(١) أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله » وفي آخر : « من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقلعها فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله » وروى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال : « يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك » وفي لفظ آخر « وشكركم لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك ، فأوحى الله تعالى إليه : إذا عرفت هذا فقد شكرتني . وفي خبر آخر : « إذا عرفت أن النعمة مني رضيت منك بذلك شكرا » ووقع مثل ذلك لداود عليه الصلاة والسلام ، ورحم الله من قال :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة - على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام وتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء يعقبها الأجر
فما منها إلا له فيه نعمة تضيق بها الأوهام والهر والجهر

وفي [جـ] وكان سيدنا رضى الله عنه وعنا به أمين يذكر الناس بنعمة مولاهم وما خولهم وأولاهم ، يرشد بذلك إلى محبة الله سبحانه والحياء منه أن يعصى بسبب ما أسداه لعبيده وما يجزيه عليهم دائما وأبدا من أفضاله وإحسانه ويتلو - وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة - ويكثر الكلام في ذلك جل أوقاته وغالب أحيانه ويبين ما هو مستمر على العبد دائما وأبدا من نعمة النفع والدفع والمحسوسة والمعنوية والظاهرة والباطنة يفصل كل ذلك تفصيلا ويأتي عليه بيانا وتخصيلا ، فيبين أن الإيمان بالله ورسله من النعم الباطنة الدائمة المستمرة على العبد وأن الله يمد به في كل لحظة لحظة ويمسكه سبحانه عليه كل خطر خطر ، ولم يسلط عليه فيه شيطانا مريدا يفسده عليه ولا جبارا عنيدا يسلب عنه ماله لديه ، عناية منه سبحانه ورحمة وفضلا ونعمة ، ولو سلط الشيطان على إفساده كما سلطه على إفساد الأعمال لسكفر كثير من الناس بعد إيمانهم ، وانقلبوا بعد رجوعهم إلى خسراتهم ، ولكن الله امتن على الإنسان بحفظه كما امتن بتخصيصه بسابق الفضل والإحسان ، وبأي سبب استحق العبد هذه النعمة حيث أعطاها يوم قدرت المقادير وقسمت القسم حيث لا وجود لذاتك هناك ولا عمل يتقرب به إلى معطيها ولا شيء يدلى به ويستند إليه ، بل هي محض الجود والامتنان والفضل والإحسان ، ولو شعر الإنسان بهذه النعمة العظمى وعرفها لاستغرقه الفرح بالله واستولى عليه سلطان المحبة والشغف بهذا المعطي الكريم والمولى العظيم الذى خاق فهدى ، وتفضل وأعطى وخصص أزلا واجتنبى ، انظره ورحم الله من قال :

أوليتني نعماً أبوح بشكرها وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكركم ما حييت وإن أمت فلتشكركم أعظمي في قبرها

(١) قوله حزنه كنصر: أصابه.

[فائدة] من شكر نعم الله وتعظيمها التقاط ما يوجد من كسرة خبز وتمرة وحبة وغير ذلك مما له جرمة مما يؤكل في المزابيل والطرق والأزقة ، وإزالتها من مواضع المهنة إلى موضع طاهر تصان فيه : وفي [خل] وكان سيدى أبو محمد المرجاني رحمه الله إذا جاءه القمع لم يترك أحدا من الفقراء في الزاوية في ذلك اليوم يعمل عملا حتى يلتقطوا ما وقع من الحب على الباب أو على الطريق فإذا فعلوا ذلك حينئذ يرجعون إلى ما كانوا يعملون . هذا الباب يجرب كل من عظم نعمة الله لطف الله تعالى به وأكرمه ، وإن وقعت الشدة بالناس جعل الله لمن هذه صفته فرجا ومخرجا ، فعلى من ألهم فانسج إن كنت ذا حزم اه . وثبت أن ذلك هو سبب الغلاء . وفيه : من هذا المعنى ينبغي لمن رأى قرطاسا في الطريق أو مزبلة أن يرفعه ويربيله عن موضع المهنة ويضعه في موضع طاهر يصان فيه وسواء كان مكتوبا أم لا ، لأن المكتوب لا يخلو من اسم من أسماء الله تعالى أو اسم من أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو اسم من أسماء الصحابة أو الأولياء والصالحين رضي الله عنهم ، وفي ذلك ثواب عظيم وأجر جسيم ، وغير المكتوب يؤخذ توقيرا وتعظيما لنعم الله تعالى إذ أن الورقة لا بد فيها من النشا ولو قل ، انظره (مثل ما تناديك) بلسان الحال والمقال (نعمة) رزئت وأصبت بها تظهيرا من الأدران والأدناس (إلى حسن توبة) وهي التوبة النصوح قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا - وعنه صلى الله عليه وسلم : « التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرض منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبدا » وفي [هب] اعلم أن سبب رسوخ التوبة في ذات العبد ومد أغصانها فيها وتمسك عروقها منها وبلوغها الغاية فيها هو محبة المؤمنين جميعا من غير فرق كما يفيض الكافرين جميعا من غير فرق . قال : فإذا كانت هذه المحبة في العبد نزلت عليه التوبة من الله وأوكرها وأراد دفعها فإنها تنزل لا محالة ، وسبب ذلك أن العبد لا يفرق في محبته للمؤمنين حتى يحب بعضا دون بعض إلا للديسة بغض في قلبه نشأت عن حسد أو كبر ونحو ذلك فتكون طويته خبيثة والتوبة النصوح لا تنزل إلا بأرض طيبة وطوية طاهرة ، فإذا أحب جميع المؤمنين فقد ارتفعت الدياس كلها عن قلبه فتزل التوبة عليه حينئذ ، انظره (فما نعمة) من النعم في الظاهر (إلا بها خير نعمة) أي إلا وفيها أفضل نعمة في الباطن ، والمؤمن بخير على كل حال إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر ، قال تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وفي [عف] قال بعضهم في قوله تعالى - وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة - قال : الظاهرة العوافي والغنى ، والباطنة البلاوى والفقر فإن هذه نعم أخروية لما يستوجب بها من الجزاء ، وحقيقة الشكر أن يرى جميع المقضى له به نعمة غير ما يضره في دينه ، لأن الله تعالى لا يقضى للعبد المؤمن شيئا إلا وهو نعمة في حقه ، فلما عاجلة يعرفها ويفهمها ولما آجلة بما يقضى له من المكاره فلما أن تكون درجة له أو تمحيصا أو تكفيرا ، فإذا علم أن مولاه أنصح له من نفسه وأعلم بمصالحه وأن كل مأمته نعم فقد شكر اه . وفيه : قال سفيان عثد رابعة : اللهم ارض عنا ، فقالت له أما تستمحي أن تطلب رضى من لست عنه براص ، فسألها بعض الحاضرين متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى ؟ فقالت إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة ، انظره . ورحم الله من قال :

إذا اشتدت البلاوى تحفف بالرضى عن الله ، بالرضوان فاز المراقب
وكم نعمة مقرونة ببلية على الناس تخفى والبلايا مواهب

ومن قال :

ولترض ولتبصرون مهما ابتليت تنل رضى الإله وإلا خبت لم تنل
وفى [جه] فإذا ذكرت له حادثة أملت ومصيبة نزلت قال من أسأته سبحانه: والحكيم هو الذى
لا يفعل الشيء إلا لحكمة ولا تخلو أفعاله عنها ، ولو كشف للعبد عن أسرار القدر لرأى تلك الأفعال
التي هي في الظاهر نقمة على غاية ما يكون من الإحكام والإتقان ، وأنها لا ينبغي أن تكون إلا كذلك
ولا يختار لنفسه غيرها وتنزل النازلة بالعبد هي في ظاهرها مصيبة وفى باطنها رحمة ينقذه الله بها مما هو
أشد مثلاً أو يدفع عنه بها فتنة في دينه ، والله ما قضى الله لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، انظره .
وفيه : ويأتيه من أصيب في ماله وبدنه وعباله في غاية ما يكون من المشقة والضيق ، فإذا سمع كلامه
انزاحت عنه الأتراح واعتراه السرور والانشرح كأنما سقى عنده الراح بالراح . وقد أتاه رجل من
الإخوان قد امتحن بأخذ ماله من قبل السلطان فسأته أخلاقه وأحواله وسره وعلايته وأفعاله ،
فجلس بين يدي سيدنا رضى الله عنه في ملأ من أصحابه فجعل ينتصت لكلامه ، ويتكلم الشيخ رضى
الله عنه على عادته في الدلالة على الله ويذكر الناس بأنعم الله الظاهرة والباطنة ، ويريه أن ما نزل
بالعبد من المحن التي هي في الظاهر نقمة كلها رحمة من الله وفضل منه ونعمة وأنه لا يفعل ذلك سبحانه
إلا لحكمة ، وجعل يوضح ذلك فتحول حال الرجل لحينه وظهر عليه أثر السرور والفرح ويقول الحمد لله
يكورها فرحاً منه بنعمة الإسلام التي لم يقدر قدرها قبل ذلك واستخفاها بالدنيا التي رزقها ويقول
ما سمعت هذا قط ولا رأيته ، انظره . فكلامه رضى الله عنه وعنايه أمين تزيق للقلوب وداوئ للعيوب
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (فكلتاها) أى فكل واحدة من النعمة والنقمة (خير)
أى فيها خير كثير وثواب كبير (لصاحب نهية) بضم النون العقل وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « عجيبت
للمسلم إذا أصابته مصيبة احتسب وصبر وإذا أصابه خير حمد الله وشكره ، وإن المسلم يؤجر في كل شيء »
حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه » وفى [جه] : وفى كل من الطاعة والمعصية دلالة على الله ، فالطاعة تدعو
إلى شكر الله والمعصية تلجى إلى التوبة إلى الله ، والنعمة والنقمة كذلك هذه تعرفك بمولاك والأخرى
ترفع بها إليه شكواك ، ويذكر قولهم رضى الله عنهم : من لم يقبل على الله بسوايغ الامتنان سبق إليه
بسلاسل الامتحان ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن ننظر لسكل نعمة أو محنة بوجهين ولا
نقف قط مع ظاهر نعمة ولا ظاهر نقمة فربما أتت النعم في المحن ، وربما أتت المحن في النعم ، فإننا إذا
نظرنا إلى باطن النعم وجدناها مشتملة على أنواع من البلايا ، أقل ما هنالك أن الحق تعالى يطالب صاحب
النعمة بعدم إضافتها إلى أحد من الخلق نفساً واحداً ويطلبه بصرفها في المواطن التي تدب الحق تعالى
إلى صرف النعم فيها ، ويطلبه أيضاً بالقيام بحقوقها ودوام الشكر عليها بالأعمال دون اللسان كما قال تعالى :
- اعملوا آل داود شكراً - لم يقل تعالى قولوا آل داود شكراً ، ونحن أولى من أمة داود بذلك فافهم . ومن
كان مشهوده في النعمة هكذا فتن يتفرغ للالتذاذ بها ، وأما المحن والرزايا فإذا نظرنا إلى باطنها وجدناها
من أعظم النعم علينا ، ومرادنا المحن والرزايا في الدنيا لا في الدين ، وذلك لأن المحن تورث الذل
وتخفض الجناح وتعلم الطغيان كما قال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وتورث عدم
الإعجاب بالطاعات والعلوم والمعارف ، وفى المثل السائر : من لا ينجى بشراب الليمون جاء بحطبه ، فلا
يمتنع عبد قط بنقمة إلا إذا لم تردّه نعم الله عليه إلى حضرة ربه ، فإذا لم تردّه النعم ابتلاه بالحن ليرجع

قال الله تعالى - وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون - وذكر سيدي تاج الدين بن عطاء الله ماهو أعجب من ذلك فقال: رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خيراً من طاعة أورثت عزاً واستكباراً فاعلم ذلك اه . قال رحمه الله :

(فَدَعِ مَاعَلَيْهِ النَّاسُ لَا تَعْتَرِضْ لَهُمْ وَلَا سِيَّيَا مَنْ كَانَ صَاحِبَ لِمَرَّةٍ
فَسُبْحَانَ مَنْ أَقَامَ كُلَّ بَيِّنَةٍ بِشَاءٍ فَذَلِكَ مُرَادُهُ بِكُلِّ الْخَلِيقَةِ)

(فدع) أترك عنك (ماعليه الناس) كافة من الأحوال ولا تزن عليهم ما يصدر منهم بميزانك لحديث «دعوا الناس فقد كفيتهموهم» ولأنه لا يأمر بمعروف وينهى عن منكر إلا أمير أو مأمور أو مرء (لا تعترض لهم) أى لا تعترض عليهم فى شيء من الأشياء ، فإن الاعتراض عليهم اعتراض على بارئهم سبحانه وتعالى ، بل سلم أمرهم لمن خلقهم وعملهم ولمن تجلى فيهم بما شاء كيف شاء فكل مهياً وميسر لما خلق له وهو أعلم بمصالح عبده - إنه حكيم عليم - وللنابلسي رحمه الله :

وتمسك بربك الحق واقنع بالتجلى فى سائر الأسماء

وعن الحائمي رضى الله عنه : من شهد الخلق لافعل لهم فقد فاز ، ومن شهدهم لاحياة لهم فقد حاز ، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل . ورحم الله من قال :

(١) من أبصر الخلق كالسراب فقد ترقى عن الحجاب
إلى وجود يراه رتقا بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه هناك يهتدى إلى الصواب

[لطيفة] حكى أن بعض الكفرة دمرهم الله لما دخلوا بعض مدائن المسلمين قصد مسجدها فتغوط فيه فقطع ورقة من مصحف واستحجر بها وربماها ، فخرج وبعض المسلمين فى المسجد ينظر إليه ولم يستطع أن يتكلم ، فلما خرج أخذ تلك الورقة ليغسلها من النجاسة ونظر فإذا فى أولها - ولو شاء ربك ما فعلوه - الآية ، فاستسلم لأمر الله تعالى إنه حكيم عليم . وفى [جـ] وعليكم بعدم الاعتراض على الناس فيما أقامهم الله فيه مما ليس بمحمود شرعاً ولا طبعاً فإن أمورهم تجرى على المشيئة الإلهية فهم مقبوضون فى قبضة الله لا يحيد لهم عن حكمه ، وجميع أمورهم تصدر عن قضائه وقدره إلا ما أوجب الشرع القيام به عليهم أمراً وزجراً بحسب العوارض والنائبات فى بعض الأزمان لا كل الأزمان ، وقفوا عند قوله صلى الله عليه وسلم : « مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله ، قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال بل أجر خمسين منهم لا منكم اه : أى لأنكم تجدون على الخير أعواناً وهم لا يجدون عليه أعواناً . وفى [د] أرى الله تعالى ساغ الوجود مساع الهلاك . سببه أنه كان يتحدث فى فساد الوقت ومال الناس فيه من الانهماك فى المعاصي وقلة مبالاهم لا منكم بمخالفة أمر الله تعالى فذكره اه : وفى [جـ] « إذا رأيت الناس قد مرجت (٢) عهودهم ونخت

(١) قوله من أبصر الخ : بسيط مجزوم مقطوع . (٢) كفرح : اختلطت اه .

أماناتهم وكانوا هكنا - وشبك بين أنامله - فالزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ماتعرف ودع ماتسكر ، وعليك بخاصة أمر نفسك ودع عنك أمر العامة : وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نزن على الناس أحوالهم بميزان يوم مضى لشهود النقص في نفوسنا كل يوم في معاملتنا الله تعالى فضلا عن ماملة عبادته ، فكيف ينبغي أن نزنهم في هذا الزمان بميزان السلف من الصحابة والتابعين . وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول : والله لقد أدركنا أقواما كنا في جنهم لصوصا فما بقي إلا الأخذ في الهضم والمسامحة منا ومنهم وإلا وقعنا نحن وهم في العناء والتعب ، فإننا في هذا الزمان عكارة^(١) جميع من تقدمنا من الخلق ، والغالب علينا عنصر الماء والطين ، ومعلوم أن الماء والطين إذا حرك وروق نحو ثلاثين مرة . وأخذ صافيه في كل مرة كيف يكون حاله ، فما بقي دواء في هذا الزمان أنفع من كثرة الاستغفار ، بل لو جلس الواحد منا بقية عمره يستغفره عما مضى له من الذنوب ما جبر خلل المعاصي السابقة فضلا عن اللاحقة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أستغفر الله اه (ولا سيما) وفي [س] « ولا سيما زيد » لأمثل زيد و« ما » لغو ويرفع زيد انظره (من كان صاحب إمرة) بكسر الهمزة وسكون الميم لغة في الإمارة . وفي [جه] وسلموا للعامة وولاية الأمر ما أقامهم الله فيه من غير تعرض لمنافرة أو تبغض أو تنكير فإن الله هو الذي أقام خلقه فيما أراد ولا قدرة لأحد أن يخرج الخلق عما أقامهم الله فيه اه وفي الحديث : « إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله هو الذي يغيره » وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نتصدر لإزالة منكرات الولاية إلا إن كان معنا تصريح فيهم وإلا آذونا ونقونا من بلادنا أو أحوجوننا إلى الاستخفاء زمانا طويلا . وكان سيدي إبراهيم المتبولي يقول : تغيير المنكر باليد للولاية ومن والاهم ، وتغييره باللسان للعلماء العاملين ، وتغييره بالقلب للفقراء الصادقين ، فيتوجه الفقير بقلبه إلى الله تعالى الله فتتكسر جرة الحمر ، وتخرج المرأة الزانية مثلا هاربة ، وتخرس الغواني عند الظلمة فلا تقدر تنطق بكلمة ، ويرجع الظالم عن ظلمه في الحال ، انظره . وفي [جد] سألت شيخنا رضي الله عنه عن قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تنازعوا الأمر أهله » هل يدخل في ذلك السلطان الجائر لكونه أهلا للأمر الذي أقيم فيه والخلق يستحقونه لمساهم عليه من الخروج عن طاعة الله عز وجل ؟ فقال رضي الله عنه : نعم يدخل الجائر في ذلك ولولا استحقاق الخلق ما ولاه الحق عليهم ، فإياك والاعتراض^(٢) في تولية من ولاه الحق تعالى على الناس من قاض أو أمير أو وزير فإن المولى له هو الله عز وجل ، وإن كان ولا بد لك من منازعته فاعرف من ولاه ثم نازع بشرطه . وكان حذيفة رضي الله عنه يقول : إن عدل السلطان فلنا وله ، وإن جار فلنا وعليه ، فنحن في الحالين سعداء إن شاء الله تعالى . وأما إذا تكلمنا في ولاتنا بما هم عليه من الجور فليس لنا هذا المقام لأنه سقط ما كان لنا في جورهم من الأجر لعدم صبرنا عليهم ، فتأمل والله أعلم اه . وفي [جص] : « السلطان العادل المتواضع ظل الله ورحمه في الأرض يرفع له عمل سبعين صديقا » وفيه : « السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله » وفيه : « من أجل سلطان الله أجله الله يوم القيامة » ومفهومه أن من أهانه أو حاربه أهانه الله وأذله يوم القيامة ، وفيه : « السلطان ظل الله في الأرض يأوى إليه كل مظلوم من عبادته ، فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر ، وإن جار أو أخاف أو ظلم كان

(١) أي أكثر فسادا وخبا وقلة عمل . (٢) الاعتراض على أهل الإمارات سيما السلطان اه .

عليه الوزر وكان على الرعية الصبر ، وإذا جارت الولاية قحطت السماء وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي ، وإذا ظهر الزنى ظهر الفقر والمسكنة ، وإذا أخفرت الذمة أذيل الكفار ، وفيه : « إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها ، إنما السلطان ظل الله ورحمة في الأرض » وفيه : « طاعة الإمام حق على المؤمن المسلم ما لم يأمر بمعصية الله ، فإذا أمر بمعصية الله فلا طاعة له » اهـ . ومثل السلطان في ذلك كله نوابه وعماله . وفي [حى] أعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحقق وإن كان ظالماً فاسقاً . قال عمرو ابن العاص رحمه الله : إمام غشوم خير من فتنة تدوم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتذكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر » وقال سهل : من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل . وسئل أى الناس خير ؟ فقال السلطان فقيل : « كنا نرى أن شر الناس السلطان ، فقال مهلاً إن الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال الناس ونظرة إلى سلامة أبدانهم ، فيطلع في صحيفته فيغفر له بجميع ذنبه . وكان يقول : الخشب السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصاً يقصون اهـ . وفي [جص] : « لا تسبوا الأئمة وادعوا الله لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح » وفيه : « لا تسبوا السلطان فإنه في الله في أرضه » اهـ . بل ندعوا له بالنصر والتأييد والتوفيق والتسديد . اللهم انصر السلطان وانصر عساكره ، وانصر ولاية الأمور على عمر الدهور ، وألهمهم العدل والساد والرشد والإرشاد ، وأيدهم بتأييدك وسددهم بتسديدك ، وأهدهم وأهدهم ، وارحمهم وارحمهم ، واحمهم ببيضة الإسلام على عمر البالي والآيام بحاج سيد الأنام عليه وعلى آله الصلاة والسلام آمين . ومما كتبه سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنايه أمين لبعض الوزراء : أعلم أنك في مرتبة قد حوت ما لا يحاط به من الخيرات والسرور وجمعت ما لا ينتهي إلى غايته من البلاء والشرور وأنت واقف بينهما في هذه المرتبة ، فراقب الله في قلبك وانظر إلى خلق الله بعين الشفقة ولضعفهم ومسكينهم بعين الرأفة وقضاء حوائجهم ، وإياك والاستهزاء والتواني في تبليغ أمورهم إلى مولانا السلطان فإن الله سبحانه وتعالى نظراً في العبد عند كل نظرة ينظرها فمن رأى من ذوى العلو والارتفاع نظر في خلقه بعين الرأفة والرحمة وخفض لهم جناحه ونظر إليهم بعين إضافتهم لله تعالى عظمهم لذلك النظر وسارع في قضاء حوائجهم بما يقدر عليه ، وكان منه ذلك الله تعالى ينظر فيهم يناسبحانه وتعالى بعين الرحمة وعين التسكريم والتعظيم وسارع له في قضاء حوائجه وكلاءه الوليد من أبيه في مساعدة من ظفر بهله النظرة من ربه ، ومن كان على الأخرى والعياذ بالله من عدم المبالاة بخلق الله والتباعد عن قضاء حوائجهم والتأني عن رحمتهم واشفقة عليهم فجزاؤه ما هو معلوم في النارية قول الله سبحانه وتعالى فيمن اتصف بهذه الصفة - خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه - إلى قوله - إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين - انظر [جه] .

وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود إذا حصل لنا جاء عند حاكم من محتسب أو قاض أو شيخ عرب أن لا نفعل عن نصيحة قط ولا عن قضاء حوائج الناس عنده فإذا أجاب لقضاء الحوائج والكرب اتخذناه صاحباً ، ولا تترك صحبته لقول الناس ما يحبه إلا ليستمطر منه دنيا ونحو ذلك فإن المعاملة مع الله عز وجل ، ونعلمه أن الله تعالى ماولى عبداً وأقام له الجاه في قلوب العباد بالأصالة إلا ليتزود بتلك الولاية إلى الدار الآخرة خيراً لا غير ، وأما التبسط في الدنيا أيام الولاية فإنما هو فعل السفهاء ، ثم إن ذلك من

أكبر أسباب العزل له وفتح أبواب كثرة الرشوة عليه خوف العزل كلما هددوه به كما هو مشاهد :
ومثل التبسط المذكور تنفيذ غضبه في الرعية وميله إلى الباطل الكثير في التهم والجرائم وعدم رحمة
المصالحات ونسيان يوم يشيب فيه الوليد وتسير فيه الجبال وتصبح فيه الحجارة ويقطر فيه الحصى دما
فلان هذا يتلفه بالكلية ويهدم أساسه ولو استند لكل ولي على وجه الأرض أخلى به ولم يساعده، وهذا
يقع فيه الآن أكثر الحكام فيظلم وينهب ويحجور ويباطل ويهلك الحرث والنسل ويقول ماذا سيدي الشيخ
طيبا على ما أخاف ، ولعمري سيدي الشيخ في نفسه كالثور الذي وحل في ربوة لا يستطيع الخروج منها
فكيف يقدر على إنقاذ ثور آخر وحل تجاهه في تلك الربوة فاعلم ذلك انظره . وفيه : أخذ علينا اليهود
أن نكرم ولاية أمورنا من أمير ووزير وقاضي وعسكر ووال ، ويجوز لنا أن نقبل أيديهم ونقوم لهم إذا
وردوا علينا إعطاء للمراتب حقها أو دفعا لشركهم كما نقوم لعلمائنا ولو لم يعملوا بعلمهم . وكان سيدي
على الخواص رضي الله عنه يقول : قم لأهل العلم مطلقا فإنه لا يوجد لنا عالم إلا وهو عامل بعلمه ، وذلك
لأنه إذا زل يعرف أنه عصي الله فيستغفر الله ويندم ويتوب فقد عمل بعلمه ، ولو أنه كان جاهلا ما اهتدى
للتوبة فلولا علمه ما تاب فقد نفقه علمه اه . ولذا قيل : العلم لا يضيع أهله . ثم قال : وسمعت
يقول مرارا : مذهبي القيام للأمراء لنكتة أطلعني الله عليها وهي أن الأمير ماطلع للفقير إلا بعد أن خلع
كبريائه وعظمته قبل أن يدخل على الفقير ، ولو أنه بقي على كبره ورؤية نفسه على الفقير ماطلع له قط
ولا قبل يده ولا رجله فالتقى الأمير الفقير إلا وهو فقير فاستحق التعظيم اه ، وذكر نحو ذلك الشيخ
محبي الدين في الفتوحات . واعلم أن الإقبال على الأمراء مع التحرز عن ميل النفس والركون إليهم محمود
شرها لما يفتنى على ذلك من مصالح العباد ، وإذا رأيت عالما أو صالحا يدخل عليهم زاهدا فيما بأيديهم
من سطام الدنيا لا يجوز لنا الإنكار عليه ولا حمله على الخامل السيئة فرما دخل عليهم وأقبل عليهم ليميلوا
إليه ويقبلوا شفاعته في المظلومين ، وما عند الأمراء أحد أحب إليهم ممن يزهد فيما في أيديهم ويرد
عليهم ما يعطونه له من الدنيا . وكان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول : أعطوا أهل المراتب حقوقهم
من الإكرام في هذه الدار ، هذا هو الأدب منا مادمتنا في هذه الدار ، وسوف يعلمنا الله تعالى الآداب
اللائقة بهم في الدار الآخرة إذا انتقلنا إليها إن شاء الله تعالى اه . ثم قال : وكان سيدي على الخواص
إذا بلغه أن أحدا من الأمراء عازم على زيارته يذهب إليه ويرويه في بيته قبل أن يأتي إليه ، ويقول
المعوم إنما هو قبول هداياهم وصؤالهم في الدنيا لا غير ، انظره . وفي [هب] إن في أبواب الخزن
وأهل الظلم من هو مؤمن متعلق القلب بربه سبحانه ، وفيهم من هو منقطع عن الله عز وجل ، وعلامة
ذلك الانقباض والانبساط ، فمن كان منهم متقبضا متغيرا يعلم أنه يخالف لأمر ربه مطيع لغيره متكدر
اليال متغير الحال فذلك هو الأول فهو من الناجين في الآخرة بعد الحساب والعقاب والملام والعتاب
إلا أن يغفر الله سبحانه وتعالى ، ومن كان منهم حالة ظلمه متبسطا فرحا مسرورا لا حزن عليه
ولا خوف فذلك هو الثاني فهو يستحلي المعصية وظلم العباد كما يستحلي الجمل^(١) النجاسات وأكل
القاذورات . قلت : وقد سبق أنه من أشد الناس عذابا يوم القيامة ذكر هذا الكلام لرجل استشاره في
خلطة الخزن ، وأنه إن لم يخالطهم خاف على نفسه فدل على الخير وأوصاه بالمساكين ، وذكر له الكلام

(١) قوله الجمل بضم جيم وفتح عين كصره : الخرباء اه .

المقدم : وزاده زيادة فقال : إن المؤمن كطير نزل على أرض نجسة فينقبض ويضم جناحيه وعلى أرض طاهرة فينسط ويفتح جناحيه ويسعى في الطلب . وقال له : إن أهل الانقطاع والعبادة بالله إذا غصبوا أديارهم وجعلوها في جيوبهم وكان على تلك الدراهم اسم من أسماء الله تعالى فإذا جاء من هو متعلق بربه تعالى واحتال على تلك الدراهم بالطلب أو من غيره حتى أخذ من ذلك المنقطع فقد أنقذ ملائكة كراما على الله عز وجل انظره (فسبحان) أى أصبح تسبيحا وأزده تنزيها (من) أى الله تعالى الذى (أقام كلا) أى أقام كل واحد من خلقه (بما يشاء) قصره للوزن أى فيما يشاءه ويريد به فهو الحكيم الخبير بمصالح خلقه . وفى [جـ] وكان يعنى سيدنا رضى الله عنه وعنايه أمين يرشد إلى ترك التدبير والاختيار مع الله تعالى ويكثر الكلام فيه دائما ويتلو شاهدا على ذلك - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم - الآية - وما كان لمؤمن ولا مؤمنة - الآية ، وقوله - إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله - الآية ، وقوله - ما كان لهم الخيرة - ويقول : إنما يدبر من يعلم عواقب الأمور ومن لا يعلمها كيف يدبر وأى شئ يعتدبر كما فى بعض الآثار القدسية : « ابن آدم تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لى فيما أريد أعطيتك ماتريد ، وإن نازعتنى فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد » وبعد التدبير مع الله من الشرك لأنه تعالى منفرد بالإيجاد والتدبير - ألا له الخلق والأمر - فمن دبر فى ملكه شيئا فقد تعدى ونازع أحكام الربوبية فمن دبر لنفسه عاد تدبيره عليه وبالا . ويدل على الرضى والتسليم لأحكام الله لأنه سبحانه الحكيم ولأنه الرحيم ، انظره . وفيه : ومن أدبه رضى الله عنه أنه لا يريد الخوض فى شئ من تصارييف أقدار الله سبحانه وتعالى ولا التعرض للكلام فيما وقع ولا تمتى زوال ما هو واقع منها ، وبعد الخوض فى ذلك كله اعتراضا على الله تعالى وسوء أدب معه ، وينسب القصور للنفس ويرى النقص منها فيما يبتلى به العبد من القضاء بعد اعتراف أنه من الله تخلفا بأخلاق الشريعة وتحققا بأن الكمال لا ينسب إلا لله ولا ينسب لغيره وإن كان أثرا من آثار قدرته لا لغيره ، مراعاة لمقام الأدب مع الله ، انظره . ورحم الله من قال من أهل الإشارات :

تذكر جميل فيك إذ كنت نقطة ولا تنس تصويرى لشخصك فى الحشا
وسلم لى التدبير واعلم بأتى أنقذ أحكامى وأفعل ما أشأ

(فذاك) أى فما أقامهم الله فيه هو (مراده) ومحبوبه ومختاره كيفما كان - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة - إن ربك فعال لما يريد - (بكل الخليفة) صامتها وناطقها علويها وسفليها ، لكن ينبغى لمن أقامه الله فى حالة مرضية شرعا وطبعا أن يحمده ويشكره ، ولن أقامه فى حالة منتهى عنها كذلك أن يتضرع إلى الله ظاهرا وباطنا أن ينقذه من حالة مذمومة ويستعمله فى حالة محمودة ورحم الله من قال :

فإن أقامك عظيم المنه فى عمل موافق للسنة
فهو مقامك الذى يليق بك فلا ترم خلاقه بشهوتك
لو شاء ربنا العظيم المالك ومن له التصريف فى الممالك
لكنت فى المطلوب من غير نصب وارضى بحكم الله والزم الأدب
وإن أقامك الهوى بالطبع فى عمل مخالف للشرع
فبادر بالخروج لا تماطل واقطع بسيف العزم كل حائل

وفى [جد] أوصانى شيخى رضى الله عنه وقال لى : إياك والفرار من حال أقامك الله فيه فإنك لو أمنت النظر لوجدت الخيرة فيما اختاره الله لك ، وتأمل السيد عيسى عليه السلام لمسا فر من بنى إسرائيل حين عظموه وبجلوه كيف ابتلاه الله بأن عبده من دون الله فوق فى حال أشد مما فر منه ، فقلت له فامسبب اختيار العبد مع سيده ، فقال لظنه أنه مخلوق لنفسه والحق تعالى ما خلق العبد إلا ليسمع بحمده ، ومن علم أنه مخلوق لله ترك التدبير والاختيار مع الله تعالى لأنه لا يعطى عبده إلا ما يصلح أن يكون له تعالى ، فلهذا الظن يقول العبد أريد كذا وأطلب كذا ولو اتسع علمه لعلم أن الله أعطى كل شيء خلقه بحيث لا يقبل الزيادة ، والتسليم أصل الأدب الإلهى كله والسلام اه . وفى الحكم : ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه : وعن بعض العارفين : منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرته ولا نقلنى إلى غيره فسمخطته اه . وفى [جه] والمراد من الإنسان فى كل وقت هو ما أجاب به الجنيد رضى الله عنه حين سئل ما مراد الله من العالم ؟ قال ما هم فيه ، أراد أنه لذلك خلقهم وليس المراد بالجواب أنه ليس إلا صورة التقلبات والحركات ، بل المراد من كلام الجنيد أن جميع تحركات العالم وتقلباته وقصوده وخواطره كلها مظاهر الألوهية لأنها آثار الأسماء والصفات ولهذا المعنى يقول من قال من العارفين ما فى السكون كله إلا الكمال ما فيه صورة نقص أصلا لأن تلك كمال ألوهيته إنما النقص فيها أمر نسبي : وفى الحقيقة ما ثم إلا السكمال لأنها كمالات ألوهيته ، ثم قال رضى الله عنه : فكل من بلغ المعرفة عثر على هذه الحقيقة لا محالة وبالله التوفيق ، انظره . قال رحمه الله :

(وَلَا تَعْبَأَنَّ بِمَا تَرَى مِنْ شُرُورِهِمْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْوَرَى وَقَابِلْ بِمَقَالَةٍ
وَابْأَكْ أَنْ تَقَابِلَ الشَّرَّ بِالْجَزَا فَتَقْطَرُ حَمًا بِالشُّرُورِ الْمَذِيدَةِ
وَقَابِلْ شُرُورًا بِإِلَاقَةٍ مِنْ أَحْسَنُ وَعَفْوٍ وَصَفْعٍ عَنْ خَبِيثِ السَّالِقَةِ)

(ولا تعبان) يقال لا أعيا بكذا لا أبالي به (بما ترى) تبصر وتشاهد (من شرورهم) فإن الله تعالى هو المتجلى فيهم بما شاء من خير وشر - ألا له الخلق والأمر - وربك يخلق ما يشاء ويختار - والله خلقكم وما تعملون - (وأعرض) من أعرض عن الشيء صد عنه (عن) جميع ما يصدر من (الورى) الخليفة لحديث «أعرضوا عن الناس» ألم تر أنك إن ابتغيت الريبة فى الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم (وقابل) ذلك (بغفلة) وتغافل. وفى [حص] «إياكم ومشاركة»^(١) الناس فإنها تدفن^(٢) الغرة وتظهر العرة «والغرة بضم معجمة: الصفات الجميلة والأعمال الحسنة تشبها بالبياض الذى فى وجه الفرس ، والعرة بضم مهملة: الصفات الرديئة والأعمال السيئة تشبها بالقدر والحبث : قال تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - ويحرم الله من قال :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين
وان فى الكلام لجمع الأنام تستحسن من ذوى الجاهلين^(٣)

(١) أى مقابلتهم بالشر . (٢) قوله تدفن بكسر فاء من دفن كضرب اه .

(٣) قوله «إين» بكسر لام : القيوتاه .

وفى [جه] وعليكم بالغفلة عن شر الناس وعدم المبالاة بما يجرى منهم من الشرور ، وعليكم بالصفح والتجاوز عنهم فإن مناقشة الناس عما يبدونهم وعدم العفو عنهم يوجب للعبد عند الله البوار ^(١) في الدنيا والآخرة ، وكلما دنوت بمقابلة شر بمثله تزايدت الشرور وتنكسر بالعبد قوائمه في جميع الأمور فلا مقابلة للشر إلا الغفلة والعفو والمسامحة ، انظره . ولذا قال رحمه الله (وإياك أن تقابل الشر) إذا صلب من الناس (بالجزأ) قصره للوزن أى بمثله مستدلاً بقوله تعالى - وجزاء سيئة سيئة مثلها - وإن عاقبتهم فداقبوا بمثل ما عوقبتهم به - ذاهلاً عن قوله - ولئن صبرتم لهو خير للصابرين - وقوله - فمن عفا وأصلح فأجره على الله - وقوله - ولئن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور - (فتظفر حتماً) وتجزى دائماً (بالشرور الجديدة) بدالين مهملتين الطويلة التي لا تنتاهي أو برأى مع مهمة من الزيادة . وفى [حص] : كل شيء ينقص إلا الشر فإنه يزداد فيه . قال الحنفى : أى من أصحاب النفوس الخبيثة . وفى [جه] والحذر الحذر لمن تحرك عليه شر الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشر لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزة نفسه ، فإن المبادر للشر بهذا وإن كان مظلوماً فاضت عليه بحور الشر من الخلق يستحق الهلاك به في الدنيا والآخرة ، وتلك عقوبة لإعراضه عن جناب الله أولاً فإنه لو فرغ إلى الله بالتضرع والشكاية واعترف بعجزه وضعفه لرفع الله عنه ضرر الخلق بلا سبب أو بسبب لا تعب عليه فيه أو يشغلهم الله بشاغل يعجزون عنه ، فإما أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم أو الصبر الجميل فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر حتى يرد عليه الفرج من الله تعالى فيكون مثاباً دنياً وأخرى ، أما ثواب الدنيا فبمحمد العاقبة وظهور نصره في الخلق على قدر مرتبته ، وأما ثواب الآخرة فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين الذى وعده الله تعالى قال سبحانه وتعالى - وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا - وقال سبحانه وتعالى - واعلموا أن الله مع الصابرين - وقال تعالى حاكياً عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام - إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال تعالى : وإن عاقبتهم فداقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين - إلى غير ذلك من الآيات ، وبعدم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبداً في عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعضاً ووقعوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والآخرة إلا من حفظه عناية عظيمة إلهية ، فإن العامة لا يرون في تحريك الشر عليهم إلا صورة الشخص الذى حركه عليهم لغيتهم عن الله سبحانه وتعالى ، وعن غالب حكمه فنهضوا في مقابلة الشرور بحولهم واحتياهم وصولة سلطان نفوسهم ، فطالت عليهم مكابدة الشرور وحبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور ، فإن الكيس العاقل إذا انصب عليه الشر من الناس أو تحركوا له به رآه تجلياً إلهياً لا قدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهي ، فكان مقتضى ما دل عليه علمه وعقله الرجوع إلى الله بالحرب والالتماء إليه وتتابع التضرع والابتهاال لديه والاعتراف بعجزه وضعفه فنهض معتصماً بالله في مقابلة خلقه فلا شك أن هذا يدفع عنه الشرور بلا تعب منه ولو انتهت عليه تيران الشر من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه لأعنتصامه بالله تعالى فإن من تعلق بالله تعالى لا يقوى له شيء قال سبحانه وتعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً - إلى قوله - فهو حسبه - وهذا الباب الذى ذكرناه كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد في الدنيا والآخرة ومن فازقه وكله ^(٢) الله إلى نفسه فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله فهلك كل الهالك في عاجله وآجله

وفما ذكرناه كفاية ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعامل الله وجميع ما في هذا الوجود بالأدب معه من ناطق وصامت كل بما يناسبه وذلك من أعظم أخلاق الرجال ، فنعامل الحق تعالى بالاعتراف له بالنعم وكثرة الذكر له وعدم الغفلة عن ملاحظة نظره تعالى إلينا وكثرة المراقبة لأبوابه تعالى ، وذلك لأن حاجتنا في الدنيا والآخرة لا تخرج إلا من بابه ، ونعامل الآيات بالتفكير في معانيها والاعتبار بها ، ونعامل الرسل وكتل ورثتهم من العلماء والصالحين بالافتداء بهم في مكارم الأخلاق واجتناب سفاسفها ، ونعامل الملائكة بدوام الطهارة الظاهر والباطنة وإزالة الروائح الكريهة الحادثة من الأكل والشرب والحادثة من الأفعال والأقوال أو العقائد الرديئة كما ورد وكما أن الملائكة لا يؤذوننا فكذلك ينبغي لنا أن لا تؤذيهم ولا نغلي عليهم إلا خيرا فإن لم يتيسر لنا ذلك أكثرنا من الاستغفار وذكر الله عز وجل ، ونعامل السفهاء بالحلم لا بالمقابلة بالسفه فإن ذلك مما يقوى دخيرة الأذى لنا ولهم ، ثم إن ذلك يجر إلى أننا نصير سفهاء مثلهم من حيث المقابلة بالسفه ، ونعامل الجهلاء بالسياسة ولين القول والعفو والإعراض عن جهلهم علينا ، ونعامل شرار الناس ببشاشة الوجه ولو كان قلبنا يلعنهم ونكثر من البر والإحسان إليهم ما استطعنا فلعلنا نكفي شرهم إن شاء الله تعالى ثم يحصل لنا مع ذلك إن شاء الله ثواب منعهم من الإثم الحاصل من وقوعهم في أعراضنا ومنع السامعين لهم من سماع غيبتنا وتنقيص حالنا وكشف عورتنا ، ولا ينبغي أن أحب عباد الله إلى الله أشفقهم على عباده ومن ذلك شفقتهم عليهم أن يقعوا في شيء ينقص دينهم ، ونعامل الأولياء بالتسليم والتصديق لهم في كل ما يخبروننا به في حق الوجود ، لأن الله تعالى ما أعطاهم مقام الكشف حتى أحكموا مقام الصدق ولذلك سموا صادقين . ونعامل إخواننا من المريدين بالتفتيش عن أحوالهم الناقصة والأخذ عليهم في جميع حركاتهم المذمومة نصحاحهم لكوننا مسئولين عنهم ، ونعامل أكابر الدولة بالكف عن ذكر مساوئهم في مجلسنا واحتمال جفاهم فإنهم ما ظالمونا حتى ظلمنا ولا ينبغي لأحد أحد أن يرى نفسه عليهم فإن الذي يراهم يرانا لأننا رعييتهم ، ونعامل أولادنا بالإحسان إليهم وعدم الغفلة عن تأديبهم وتعليمهم الأخلاق الحسنة وتبغيضهم في الأخلاق السيئة ، ونعامل زوجاتنا بحسن الخلق والتفزل لعقولهن جهدا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، ونعامل المال بالإنفاق في سبيل الله ووجوه الخير حتى يفارقنا وهو شاهد لنا لأجلنا ، ولا يتم لنا ذلك إلا بأن نفقهه بانشرح صدر ، فإن المتكره للإنفاق لا يكاد يكون له ثواب بل هو إلى الإثم أقرب ، انظره تردد .

(وقابل) أي الأخ الصادق والخبير الوامق (شرورا) صدرت من الناس (التي) أي بالكلمة الطيبة التي (هي أحسن) قال تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم - الآية ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك » وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعلم إخواننا طريق الخلاص إذا قام عليهم قائم يؤذيهم من جار أو شيخ بلد أو غير لاسيما إن تصدى للمرافعة فيهم عند الحكام والقضاة والمساكين وغيرهم ، ومن أقرب الطرق إلى الخلاص من أذى هؤلاء أن نأمرهم بأن يحسنوا إليهم بالدنيا والمال والخدمة وليس هذا من الأمور المحرمة في شيء ، وقول الناس عمن أذاهم : إنه لا يزداد بالخضوع له إلا تمردا عليهم من تسويلات النفوس ، لأن الله تعالى يقول - ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - والله أصدق القائلين فمن عقل

العاقل أن يذل ويخضع ويحسن إلى من يوشى عليه ولو لم يكن بيده إلا لقمة واحدة دفعها له وذلك لأن جوع الإنسان مع عدم الشر أحسن من شبعه مع النكد والذي حرك النكد هو الذي بيده تسكينه فهو أولى بالإعطاء من الحاكم الذي يريد ذلك المظلوم أن يحتذى به ، ويقع لكثير من ضعفاء العقول أنهم يجرمون الخصم ويعطون الحكام ولو أنهم كانوا أعطوا الخصم بعض ما أعطوه الحكام لربما سد باب الأذى كما كان فتحه ، فاعلم ذلك واعذر من آذاك فإنه ما آذاك إلا لضيق حضيرته لكثرة ما حصل له من الأذى منك فيتنفس بآذاك ليستريح في نفسه ولو أنك فتحت عليه باب الراحة ولم تدخل عليه كربا لما آذاك قط ، والله عليم خبير اه . وفيه : أخذ علينا اليهود أن نداوى كل من بلغنا عنه أنه يكرهنا وينقصنا بين الناس والمحبين بالكلام الحلو والتردد إليه بالبشاشة رحمة بأخينا أن لا ينقص رأس ماله بكراهة مسلم ، لانفرة من وقوعه في حقتنا بالخصوص ، ويجب علينا التغافل عما بلغنا عنه ما أمكن حيث تعين ذلك طريقا علينا لسلامة الدين من النقص ، ولا نلتفت قط لصديق من نقل ذلك الكلام إلينا على وجه الإفساد فإن الله تعالى سماه فاسقا ثم قال : وينبغي لنا أن نصرح بتكذيب الناقل ونقول له حاشا لله أن فلانا يعتاب الناس ويقع في أعراضهم وإن كان القلب يشهد بخلافه لأن موافقة الشرع والعمل به أولى مما يقضى به القلب إذ القاب لا يستفتى إلا في أمور لم يبين الشارع أحكامها فافهم . ثم اعلم يا أخى أنه لا ينبغي لعاقل في هذا الزمان أن يعتاب أحدا على ما بلغه عنه حقه ، فإنه ربما أعقب ذلك العتب ما هو أشد مما كان وقع بل العقل الصفيح فإن علم من دينه أنه إذا عاتبه ندم واعترف واستغفر عاتبه فعلم أنه لا ينبغي له أن يقابل من بلغه أنه يحط عليه بالكراهة له والحط عليه كذلك فإن بذلك يزداد الأمر وتكظم الذخيرة ، عكس ما إذا قابلناه بالحلم والصفح ، وربما يقع لمن يحط فينا الندم على حظه فينا إذا بلغه عنا أننا برأناه مما نقل وقلنا في حقه حاشا لله أن مثل فلان يقع في أعراض الناس ، وهذا من أعظم السياسات فاعمل عليه والله يتولى هداك اه (وعفو) فإن الله عفو يحب العفو قال تعالى - والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس - وروى : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس » وفي [جص] : « من عفا عند القدرة عفا الله عنه عند العسرة » وفيه : « من عفا عن دم لم يكن له ثواب إلا الجنة » ورحم الله من قال :

لما عفوت ولم أحقد على أحد	أرحمت نفسي من هم العداوات
إني أحيى عدوى عند رؤيته	لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه	كأنه قد ملا قلبي مسرات
ولست أسلم ممن لست أعرفه	فكيف أسلم من أهل المودات
الناس داء ، دواء الناس تركهم	وفي الجفاء لم قطع الأخوات
فسالم الناس تسلم من غوائلهم	وكن حريصا على كسب التقيات
وخالف الناس ما كنت بليت بهم	أصم أبكم أعمى ذا تقيات

وفي [جص] : « إذا مررت بأهل الشر فسلموا عليهم نطقاً عنكم شرهم ونأثرهم » وفي الحديث : « إنا لنكشر في وجوه قوم وقلوبنا تلغهم » (وصفح) من صفح كمنع أعرض عنه وترك وعفا عن ذنبه قال تعالى - فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين - ورحم الله من قال :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وما الناس إلا واحد من ثلاثة
فأما الذي فوق فأعرف قدره
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا
ومن قال :

إذا كان دوني من بليت بجهاء
وإن كان مثلي في عمل من العلا
وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجا
أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
هديت إذا حلما وصفحا عن المثل
رأيت له حق التقدم في الفضل

وفي [ثقي] أخذ علينا العهد أن نعفو ونصفح عن جميع هذه الأمة المحمدية ولا نطالب أحدا منهم بحق في الدارين من مال وعرض إكراما لمن هم عبيدة سبحانه وتعالى ، ولمن هم من أمته صلى الله عليه وسلم وفي المثل السائر : لعين تجازي ألف عين وتكرم ، فمن أخذ أحدا من هذه الأمة فما عرف قدر عظمة من هم عبيده ولا عظمة من هم من أمته صلى الله عليه وسلم . واعلم يا أخى أنه لا يتيسر لك العمل بهذا العهد إلا بعد انكشاف عيوبك لك يقينا لا ظنا وتخميننا فهناك يشرح صدرك ضرورة للمطهرات والمكفرات ، وأنت إذا رأيت في ثوبك نجاسة محسوسة فجاء شخص وغسلها عنك ملت إليه ضرورة فيحتاج العامل به إلى مجاهدة شديدة حتى يظهر له مساوى نفسه كهذه النجاسة المحسوسة سواء وإلا فن لا لئمه المؤاخذه وعدم الصفح ، وقد جاهدت نفسي نحو الثلاثين سنة حتى أجابت إلى بعض رائحة من ذلك ، ثم قال : قال سيدى على الخواص : وإياك أن تؤذى من آذاك ولو بسوء الظن وتقول - وجزاء سيئة سيئة مثلها - واقرأ ما بعدها تجد الحق تعالى يقول - فمن عفا وأصلح فأجره على الله - ثم انظر في تسميته تعالى سيئة لينبه العبد على العفو والمسامحة فلا يجازى أحدا بسيئة ولو في الصورة . واعلم يا أخى أن كل من تحقق بهذا العهد رجونا له من الله أن يرضى عنه خصماءه كلهم يوم القيامة فلا يطالبه أحد منهم بحق مجازاة له على ما فعله مع عباده سبحانه وتعالى ، انظره . وأخبرني بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه أنه كان يستعمل هذا العهد لإمامنا الله تعالى وابتغاء لرضى الله ورضاء رسوله صلى الله عليه وسلم ورضاء سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وهنا به آمين ، وحياء أن يعذب بسببه أحد من عباده تعالى ومن أمته صلى الله عليه وسلم ومن أصحاب سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين - رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى في ذريتى إني نبت إليك وإني من المسلمين - ربنا أنعم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير - فقل كما أصبحت أو أمسيت : اللهم إني أتصدق بعرضي وبجميع مالى من الحقوق على عبادك وعلى أمة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحاب سيدنا أبي الفيض أحمد بن محمد التجاني فلا أظلم من ظلمنى ولا أشتم من شتمنى ولا أضرب من ضربنى ، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفى مسلما وألحقني بالصالحين - ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم - آمين (عن خبيث) من خبيث ككرم وزنا وضدا معنى (السليقة) كالطبيعة وزنا ومعنى . وفي [جه] وأما حلمه وعفوه فشأنه رضى الله عنه الصفح عن اشتغال بلاذيته وعدم المؤاخذه له والنظر فيه بعين الحقيقة والناس المعذرة له ويقول

إذا نظرت إلى الناس وما يجري عليهم من قدر الله عزهم وإيمانهم بالمآل من عدم شهود أمر الله النافذ،
ويمكن مع ذلك عليهم ويشفق من حالهم مخافة أن يدركهم الهلاك بسبب تماديهم على فعلهم ذلك ، وكثيرا
ما يعاملهم حرصا على إزالة ضيقهم ومحو ما في قلوبهم ، وإذا شكى له أحد من أصحابه إذابة سلاه عن ذلك
وحمله على الحلم والعفو وحضه على الاشتغال بما يعنيه ولا يحب المعتنين بنصرة أنفسهم ولا المشتغلين
بملاحاة الرجال ، ولا يحب الغلظة ولا القلظة ولا أهلها ويقول : إن الخليم يحلم الله عليه ويستشهد بقوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم في المستدرک من
ابن عمر قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » اه
ويترحم على الكبير والصغير وكل ضعيف مستضعف ويوصي من أتاه من الولاية بالعفو عن المساكين
ويقول لهم بضعفائكم ترحمون ولا عمل أحسن من ذلك لكم ومن عفا عني عنه ، ويعرض عن الجاهلين
ويصبر لجفوة الجافين ويعفو عن إذابة المؤذين بل يحسن إلى من أساء إليه ويمحى عليه بعد التجاوز عنه
ويتعطف عليه ولا يزال يلاطفه قولا وفعلًا ويعامله بالجميل وبالتالي هي أحسن ويبريه ويحرص على إيصال الخير
له رحمة له وشفقة عليه حتى يستحي ذلك المسيء غاية الحياء ويخجل^(١) غاية الخجل ويتعجب من عفوه
عنه ثم تفضله عليه ومن سابق سيئاته التي عادت عليه كالحسنات لديه ، كما شاهدنا ذلك وقع له مع بعض
الإخوان فما زال يحلم عليه ويحسن إليه حتى كان أحب الأحياء إليه : انظره : وفيه : فالذي أوصيكم به
وإياي المحافظة على قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا قاتلتموهم فاصبروا »
الحديث ، وهذا وإن ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفار فهو منقلب في هذه الأزمنة في الصنف عن
شر الناس فمن تمحى بقلبه أو أراد تحريك الشر منه على الناس ساطهم الله عليه من وجه لا يقدر على دفعهم ،
وعلى العبد أن يسأل الله العافية من تحريك شر الناس وقتلتهم فإن تحركوا عليه من غير سبب منه فالوجه
الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم بمقابلتهم بالإحسان في إساءتهم ، فإن لم يقدر فبالصفح والعفو عنهم لإطفاء
لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار لا يتحرك في شيء من إذايتهم لإساءتهم ،
فإن اشتعلت عليه نيران شرهم فليدافع بالتي أحسن بلين ورفق ، فإن لم يقدر ذلك فعليه بالهرب إن قدر
والخروج عن مكانه ، فإن عوقت العوائق عن الارتحال ولم يجد قدرة فليدافع بالأقل فالأقل من الإذابة
فليفعل ذلك ظاهراً ويكثر التضرع إلى الله والابتهال مراراً في رفع شرهم عنه مداوماً ذلك حتى يفرج الله
عليه ، وهذه الوجوه التي ذكرناها التي تقتضيها رسوم العلم ، انظره - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله تعالى أعلم وأحكم .

(١) قوله يخجل ينتج قسوة وجه من خجل كقول الله

(فهرست الجزء الثاني من شرح الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة)

صفحة	
٣	فصل في بعض الآداب المطلوبة من الإخوان
٥	مضامحة الإخوان عند الملاقاة
٥	البشاشة وطلاقة الوجه
٩	النهى عن المدابرة والمقاطعة
١١	التعاون على البر والتقوى
١٤	الهدية بين الإخوان تورث المحبة
١٧	تبصرة الإخوان في هبة العمال والسلطان
٢٤	النهى عن الغل والضغينة
٢٤	من تهاون بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الإلهية
٢٤	صفة الجنة وما أعد الله لأهلها وصفة جهنم أعادنا الله منها
٢٩	الفرار من الدعوى وعدم الالتئام إليها
٣١	النهى عن ازدراء الإخوان والاشتغال بخاصة نفوسهم
٣٦	النهى عن الترهيب والعزوبة والتجرد عن أسباب المعيشة
٣٦	طلب التكسب والترغيب فيه
٣٦	طلب الخرفة والترغيب فيها
٣٦	الحراثة من أعظم أسباب المعاش وأكثرها أجرا
٣٦	أطيب الكسب التجارة بصدق
٤٥	النهى عن الغش والخداع في البيع والشراء
٤٧	النهى عن التهافت في البيع وجميع المعاملات
٤٧	ما يفعل الإنسان إذا عم الحرام جميع الخلائق
٥١	النهى عن التكفف والإلحاح في السؤال
٥٣	طلب الحلال واجب على كل مسلم
٥٩	القناعة من الدنيا أصل كل خير
٦٧	النهى عن أخذ الأجرة على الأمور الشرعية
٧٣	اجتناب التقصير في الطاعات والتشمير عن ساعد الجد في العبادات

صبيحة

- ٧٦ مجاهدة النفس بترك الشهوات
٧٦ طلب الصمت وقلة الكلام
٧٦ النهي عن كثرة الأكل والشرب
٩١ النهي عن كثرة الكلام وما لا يبغي
٩٤ حقيقة الغيبة والنهي عنها
٩٦ حقيقة التهمة والزجر عنها
٩٨ الحضور في الذكر عنوان قبوله وروحه
١٠٣ النهي عن الأيمان في المعاملات وطلب الاستثناء فيها
١٠٤ اجتناب الخللان الذين لا يوافقون على اتباع السنة
١٠٤ طلب الإخوان المعينين على الدين والدنيا
١٠٨ مصاحبة ذوي الصدق والإحسان
١١٥ مخالطة الخصوص تورث سلامة الصدر والعقل
١١٧ مخالطة العوام تذهب بهاء الوجه وهيبته
١١٩ مخالطة الأخيار ركن مؤسس لأهل الطريق وأصل كبير فيها
١٢١ طريق أهل الخير ليست بسبحة ولا بعلامة
١٢٢ ملاقة أهل الخير والصدق تشفي العليل
١٢٤ أصل كل خير اللقمة والخلطة الخ
١٢٥ فوائد الصبيحة الخ
١٣١ من فوائد الصبيحة التعاضد والتعاون على التقوى
١٣٣ ومنها سريان النور عند اجتماعهم للذكر الخ
١٣٣ ومنها تحمل الأذى والمصائب والشفاعة الخ
١٣٥ ومنها التودد والإيثار
١٣٨ ترك المراء والجدال والازدحام على الحظوظ الرديئة
١٤١ معرقة حسن ابتداء الصبيحة وانتهائها
١٤١ مواساة الفقراء وعدم المن والأذى
١٤٣ المداراة ببذل المال وعدم المداينة
١٤٧ مساعدة الإخوان في الأمور الموافقة للسنة ومخالفتهم في الأمور المبتدعة
١٤٩ النهي عن إضمار السوء على الإخوان لفعلهم الأمور المذمومة
١٥٢ النهي عن تكلف الثياب الرفيعة للمباهاة إلا في العيد والجمعة وملاقة الوفود
١٥٢ النهي عن التكلف في النطق بالكلام
١٥٢ النهي عن التكلف للضيف في القرى وغيره
١٦٤ طلب النواضع مع جميع الخلائق

صهيفة

- ١٦٤ طاب الحياء من الله الخ
١٦٤ طلب الدين والرفق لكل مؤمن
١٦٤ حسن الخلق شيمة كل مؤمن
١٧٣ التيسم والنهي عن الضحك وكثرته
١٧٣ النهي عن المزاح إلا ما كان حقاً وقليلًا فلا بأس به
١٧٦ طلب الإحسان إلى من أحسن إليك
١٧٩ خصوصية أهل الفضل بأرفع المجالس
١٧٩ طلب ستر عورات جميع المسلمين
١٨٢ طلب الإحسان إلى أهل العلم وعدم بغضهم
١٨٢ فضل العلم والعلماء
١٨٧ النهي عن مخالطة العلماء للسلطين والأمراء
١٨٧ النهي عن ترفه العلماء في المطعم والمشرب والملبس الخ
١٩٥ فصل في النهي عن إضاعة المال
١٩٥ النهي عن المعاملة بالربى
١٩٥ النهي عن الرقى وشرب الخمر
١٩٦ الصبر على المصيبة من أعظم أبواب الخير
٢٠٢ فصل في محبة الحق وأهله وكرامة الظلم وأهله
٢٠٣ صن القلب عن محبة الظلم
٢٠٣ صيانة القلب عن بغض الحق وأهله
٢٠٣ طلب إضمار البغض لمن كان مجاهرًا بالمعاصي
٢٠٨ المؤمنون في الدنيا أغراض سهام المصائب
٢٠٨ طلب الصبر على المصائب وفضله
٢٠٨ انتظار الفرج من الله على المصائب
٢٠٨ قرع باب الله بالدعاء والتضرع والابتهال
٢١٧ مثل الدنيا كمثل أحلام نائم وظل زائل
٢٢٠ الشكر على النعمة والصبر على النقمة وكلاهما فيه خير للمؤمن
٢٢٥ الاعتراض على الناس وعدم النظر لما هم فيه
٢٢٥ الاعتراض على أهل الإمارات سيما السلطان الخ
٢٣٠ النهي عن مقابلة المسلمين بالشر والتغافل عما يبدو من شرورهم
٢٣٠ طلب العفو عن مساوى الناس
٢٣٠ العفو والصفح عن خبيث الطبيعة

اتهى الجزء الثانى وبه كمل النصف الأول من شرح «الدرة الحريدة على الباقوتة الفريدة» بحمد الله
وحسن هونه وتوفيقه الجميل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
(ويتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث ، أوله : فصل فى التحذير من الرياسة)
